لواء أحمد عبد الوهاب

تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة

في اليهودية والمسيحية والإسلام

Bibliotheca Alexandrina
0125230

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة - ت - ٣٩١٧٤٧٠

لواء أحمد عبد الوهاب

تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة

في اليهودية والمسيحية والإسلام

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية/عابدين
القاهرة – تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الأولى

١٤٠٩ هـ — ١٩٨٩ م

جميع الحقوق محفوظة

دار التوفيق النموذجية
للطباعة والجمع الآلي
الأزهر / ٣ حيضان الموصلي بجوار جامع العماد
ت : ٩٢٥٣٠٤ القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾

(الرعد : ٣٨)

*

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذا حديث يعالج موضوعين رئيسيين يرتبطان معا أشد الارتباط .

أما الأول : فهو تعدد الزوجات بوجه عام ، وبين الأنبياء على وجه الخصوص .

وأما الثانى : فهو مكانة المرأة ، حيث تسير المعالجة وفق دراسة مقارنة لكل منهما فى اليهودية والمسيحية والاسلام .

ولقد قصد بهذه الدراسة أن تعطى القدر الضرورى والكافى من المعرفة بهذين الموضوعين الخطيرين اللذين تلوكهما الألسن كثيرا بغير علم ، وتأخذ من التقاليد المتوارثة — رغم ما لحق بها من دخل وأباطيل — ما تعتبره حقائق أساسية ومسلمات لا تقبل الجدل .

لقد أثبت الواقع أن كثيرا لا يقرءون كتابهم المقدس ، واذا تيسرت القراءة فهيهات من حديث عن الدراسة والاستيعاب . واذا كان الأمر كذلك — وانه لكذلك — فمن باب أولى ألا يقرأوا كتاب غيرهم المقدس ، فتشيع الأمية الدينية بين مختلف الطوائف ، وينعكس هذا بدوره على اشاعة سوء الفهم والتقدير .

*

لقد أطلق لفظ النبى فى اليهودية والمسيحية على الأنبياء الحقيقيين الذين يتحدثون باسم الله ، كما أطلق على الأنبياء الكذابين أو الوثنيين ، وقد بينا ذلك فى دراسة سابقة[1] .

أما فى الاسلام فالأمر جد مختلف ، فلا حديث فى القرآن الا عن أنبياء الله الحقيقيين الذين طابت ذكراهم جميعا وبرأهم الله من كل دنس ونقيصة .

---

(١) راجع كتاب : « النبوة والانبياء » للمؤلف — ص ١٣ — ٢٨

وللتمييز بين هؤلاء وهؤلاء الذين جاء ذكرهم فى الكتاب المقدس فلسوف تأخذ معيارا ما جاء فى قول موسى : « يا ليت كل شعب الرب كانوا انبيـاء ، اذ جعل الرب روحه عليهم ـ سفر العدد ١١ : ٢٩ » .

وهو ما علمه صموئيل نبى الله ، لشاول أول مسيح ملك فى بنى اسرائيل، اذ قال له : « عند مجيئك الى هناك .. تصادف زمرة من الأنبياء .. وهم يتنبأون فيحل عليك روح الرب فتتنبأ معهم ، وتتحول الى رجل آخر. واذا أتت هذه الآيات عليك فافعـل ما وجدته يدك لأن الله معك ـ صموئيل الأول ١٠ : ٥ ـ ٧» .

معيار الحكم على أنبياء الكتاب المقدس هو أن يكونوا من الذين (حل عليهم روح الرب) أو من (مسحائه) أو من الذين (كان الله معهم) . وان هذا لهو المعيار الذى أعلنه بطرس ـ رئيس التلاميذ ـ خاصا بمعلمه المسيح عيسى ابن مريم حين قال : « أنتم تعلمون الأمر الذى صار فى كل اليهودية .. يسوع الذى من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة الذى جال يصنع خيرا ويشفى جميع المتسلط عليهم ابليس لأن الله كان معه ـ أعمال الرسل ١٠ : ٣٧ ـ ٣٨ » .

*

لننظر ، اذن ، فى أخبار تعدد نساء الأنبياء ومشروعيته ، ولنبحث حقيقة مكانة المرأة ، حسبما يستبان من الكتب المقدسـة ، وما يتعلق بهما من دقيق البحوث والدراسـات . وسبيلنا الى ذلك هو وضـع النصوص بين يدى القارىء ، فهى أقرب السبل الى البيان والاقناع .

واذا كان هناك ما أرجوه ، فهو أن يجد القارىء العادى ـ الذى طحنته مشاكل الحياة ومشاغلها ـ فى هـذا الكتاب ، نشرة معلومات ميسرة ، جاءت من مصادر موثوقة ، تعينه على استجلاء الحقائق ، ونبذ كثير من الاشاعات والأوهام التى سرت قرونا بين الناس ، واكتسبت بكثرة الترديد قوة وقبولا جعلها تبلغ حد البديهيات .

﴿ ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين ﴾ .

احمد عبد الوهاب

الباب الأول

نساء الأنبياء

- نساء ابراهيم •
- نساء يعقوب •
- نساء موسى •
- نساء بجدعون •
- نساء داود •
- نساء سليمان •
- نساء هوشع •
- نساء محمد •

نســاء ابراهيم

ابراهيم هو الأب الروحى لكل المؤمنين بالله : الاله الواحد الأحد الذى تنزه عن الشبيه والمثل . يتعلق به اليهود والمسيحيون والمسلمون ويفخرون بالانتساب اليه ، وقد طابت ذكراه فى كتبهم المقدسة .

تقول فيه التوراة : « قال الرب لابرام : اذهب من أرضك ومن عشـيرتك .. الى الأرض التى أريك . فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك ، وتكون بركة . وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض ــ تكوين ١٢ : ١ ــ ٣ » .

« ظهر الرب لابرام وقال له : أنا الله القدير . . لا يدعى اسمك بعد ابرام بل يكون اسمك ابراهيم . لأنى أجعلك أبا لجمهور من الأمم. وأثمرك كثيرا جدا وأجعلك أمما .. وأقيم عهدى بينى وبينـك وبين نسلك من بعـدك فى أجيالهم عهدا أبديا لأكون الها لك ولنسـلك من بعدك ــ تكوين ١٧ : ١ ــ ٧ » .

لقد عاش ابراهيم مائة عام بعد تلقيه أول وحى الهى ، قضاها فى البر واسلام القلب والمشيئة لله . ولمـا بلغت حياته مائة وخمس وسبعين سنة « أسلم ابراهيم روحه ومات بشيبة صالحة ــ تكوين ٢٥ : ٨ » .

ويقول الانجيل فى ابراهيم على لسـان المسيح : « أقول لكم : ان كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع ابراهيم واسحق ويعقوب فى ملكوت السموات ــ متى ٨ : ١١ » .

ويقول القرآن فى ابراهيم : « واذ ابتلى ابراهيم ربـه بكلمات فأتمهن ، قال انى جاعلك للناس اماما ، قال ومن ذريتى ، قال لا ينال عهدى الظالمين » (البقرة : ١٢٤) .

« ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين . شاكرا لأنعمه ، اجتباه وهداه الى صراط مستقيم . وآتيناه فى الدنيا حسنة ،

وانه فى الآخرة لمن الصالحين • ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا • وما كان من المشركين (النحل : ١٢٠ — ١٢٣) •

ولقد كان ابراهيم أبو الأنبياء هو الذى اتفقت فى شـأنه النصوص المقدسـة وقررت أنه خليل الله •

تقول أسفار العهد القديم : « وقف يهوشافاط فى جماعة يهوذا وأورشليم فى بيت الرب •• وقال : يارب اله آبائنا • أما أنت هو الله فى السماء وأنت المتسلط على جميع ممالك الأمم •• ألسنت أنت الهنا الذى طردت سكان هذه الأرض من أمام شـعبك اسرائيل وأعطيتها لنسل ابراهيم خليلك الى الأبد — أخبار الأيام الثانى ٢٠ : ٥ — ٧ » •

وتقول أسفار العهد الجديد : « ألم يتبرر أبونا ابراهيم بالأعمال •• فترى أن الايمان عمل مع أعماله وبالأعمال أكمل الايمان •• فآمن ابراهيم بالله فحسب له برا ، ودعى خليل الله رسالة يعقوب ٢ : ٢١ — ٢٣ » •

ويقول القرآن : « ومن احسن دينـا ممن اسـلم وجهه لله وهـو محسن واتبـع ملة ابراهيم حنيفـا ، واتخـذ الله ابراهيم خليـلا » (النساء : ١٢٥)

ذلك هو ابراهيم الذى طابت ذكراه فى الكتب المقدسة : عاش صالحا ومات صالحا ، وضمن الحياة الأبدية « فى مقعد صدق عند مليك مقتدر » فما هى أخبار ابراهيم ونسائه الكثيرات ؟

*

من المعلـوم أن ابراهيم كان متزوجا بسـارة ، أخته من أبيـه (تكوين ٢٠ : ١٢) ، ثم تزوج هاجر المصرية التى أنجب منها بكره اسماعيل • وبعد أربع عشرة سـنة ولدت سارة اسحق الابن الثانى لابراهيم • فجمع ابراهيم بين الزوجتين : سارة وهاجر • ثم ما لبث أن اتخذ ابراهيم سرارى أنجب منهن ذرارى • سكت الكتبة الاسرائيليون عن أخبارهن واكتفوا باشارة مقتضبة تحرص على جعل جدهم اسحق

هو الوريث الوحيد لابراهيم ، وذلك فى قولهم « اما بنو السرارى اللواتى كانت لابراهيم فأعطاهم ابراهيم عطايا وصرفهم عن اسحق ابنه شرقا الى أرض المشرق وهو بعد حى ــ تكوين ٢٥ : ٦ » .

واذا أخذنا بتتابع الأحداث وفق روايات التوراة ، نجد أنه بعد موت سارة : « عاد ابراهيم فاخذ زوجة اسمها قطورة . فولدت له : زمران ، ويقشان ، ومدان ، ومديان ، ويشباق ، وشوحا .

وولد يقشان : شبا ، وددان .

وكان بنو ددان : أشوريم ، ولطوشيم ، ولأميم .

وبنو مديان : عيفة ، وغفر ، وحنوك ، وأبيداع ، والدعة . جميع هؤلاء : بنو قطورة ــ تكوين ٢٥ : ١ ــ ٤ » .

وتذكر المصادر التاريخية أن ابراهيم تزوج « امرأتين من العرب : احداهما قنطورا بنت يقطان (ذكرتها المصادر الاسرائيلية باسم قطورة) فولدت له ست بنين . والأخرى منهما حجور بنت ارهير ، فولدت له خمسة بنين . كيسان ، وشورخ ، وأميم ، ولوطان ، ونافس »[1] .

هذا ــ ونريد الآن استقصاء عــدد سرارى ابراهيم اللاتى ذكرن سلفا ، فنقول : تتحدث الفقرة الخاصة بهن عن جماعة من النساء أى أن عددهن يبدأ من ثلاثة فأكثر : والى هنا نقطع بأن ابراهيم قد جمع بين سبع نســاء على أقل تقدير هن : سارة ، وهاجر ، وقطورة ، وحجور وثلاث سرارى . واذا اعتبرنا أن زواج ابراهيم بقطورة وحجور حدث بعد موت سارة التى عاشت ٣٧ سنة بعد مولد ابنها اسحق (تكوين ٢٣ : ١ ، ١٧ : ١٧) فان الوضع يبقى كما هو ، أى : ست نساء زوجات لابراهيم على الأقل .

---

(١) تاريخ الطبرى : الجزء الاول ــ ص ٣١١

وفى دراسة احصائية مثل هذه ، تبتغى تحديد عدد سرارى ابراهيم، فاننا نستطيع استخدام طريقة « الاستقراء » ، وهى طريقة مستخدمة فى شتى الدراسات الاحصائية ، وخاصة تلك المتعلقة بالأنشطة السكانية ، مع مراعاة العرف السائد فى تلك المنطقة فى العصور القديمة .

تقول مونيكا بييتر فى كتابها : « الوضع النسوى عبر العصور »(١) عن تعدد الزوجات فى العصر القديم : « ان تعدد الزوجات فى شكله المطلق بدأ يترسخ شيئا فشيئا . فأولاد يعقوب الاثنا عشر ، الذين هم من أمهات مختلفات ، كانوا متساوين فى الحقوق . وقد كان لجدعون سبعون ولدا ، ولعبدون أربعون (٢) ولرحبعام ثمانى عشرة زوجة وستون خليلة ، ولداود تسع زوجات عدا الخليلات . وقد بلغ الشطط أوجه مع سليمان الذى كانت له ٧٠٠ زوجة و٣٠٠ خليلة »(٣) .

من ذلك يتبين أن التسرى بعشر نساء يعتبر عددا مقبولا جدا ومتواضعا ، ونستطيع الأخذ به فى الحالات التى يحدثنا فيها « الكتاب المقدس » عن سرارى لأى رجل ، دون أن يحدد لنا عددهن . وتتدعم صحة هذه الفرضية حين نعلم أن داود حين أراد الهرب من أورشليم ابان الثورة التى قادها ضده ابنه ابشالوم ، فانه : « ترك عشر نساء سرارى لحفظ البيت ـ صموئيل الثانى ١٥ : ١٦ » وهؤلاء كن جزءا من سرارى داود .

مما سبق نخلص الى أن ابراهيم قد جمع فى وقت واحد بين ١٣ امرأة على الأقل .

**

---

(١) نشرته دار الطليعة ببيروت تحت عنوان : المراة عبر التاريخ وهو ترجمة لكتاب :

LA CONDITION FEMININE A TRAVERS LES AGES, 1976

(٢) جدعون وعبدون كانا من قضاة اسرائيل ، وكذلك كان ابصان « وكان له ثلاثون ابنا وثلاثون ابنة ـ قضاة ١٢ : ٩ » .

(٣) المرجع السابق ـ ص ٣٦

نشـــاء يعقوب

نقرأ فى بعض الطبعات الحديثة من تراجم **الكتاب المقدس** عناوين فرعية لفقراته ، قصد بها أن تساعد القارىء على تفهم معانى تلك الفقرات وفى واحدة من هذه الطبعات العربية[1] نقرأ هــذا العنوان الفرعى : **مصارعة الله ... !**

ان هذا العنوان يصدم كل مؤمن بالله وخاصة اذا علمنا أن ترجمته عن الفرنسية يجب أن تكون : **يعقوب يصارع الله[2] ... !**

كيف كان ذلك ؟ !

يروى كتبة التوراة هذا فى حديثهم عن هرب يعقوب وأهل بيته من خاله ــ وحميه ــ قاصدا أرض كنعان ، فيقولون :

« قام فى تلك الليلة وأخذ امرأتيه وجاريتيه وأولاده الأحد عشر .. أخذهم وأجازهم الوادى وأجاز ما كان له .

فبقى يعقوب وحده . وصارعه انسان حتى طلوع الفجر . ولمــا رأى أنه لا يقدر عليه ، ضرب حق فخذه . فانخلع حق فخذ يعقوب فى مصارعته معه . وقال : أطلقنى لأنه قد طلع الفجر . فقال (يعقوب) لا أطلقك ان لم تباركنى . فقال له : ما اسمك ؟ فقال : يعقوب . فقال : لا يدعى اسمك فى ما بعد يعقوب ، بل اسرائيل ، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت . وسأل يعقوب وقال : أخبرنى باســمك . فقــال : لمــاذا تســأل عن اســمى ؟ وباركه هنــاك . فدعى يعقــوب اســم المكان : فنئيل ، قائلا : لأنى نظرت الله وجها لوجه ونجيت نفسى ــ تكوين ٣٢ : ٢٢ ــ ٣٠ » .

---

(١) صدرت عن : دار المشرق ببيروت ــ الجزء الأول من الكتــاب المقدس بعنوان : كتب الشريعة الخمسة ، تعريبــا للترجمة الفرنســية المسكونية .

(٢) النص الفرنسى هكذا : Jacob lutte avec Dieu

وفى تفسير كأنه اعتذار عن هــذه الرواية التى تقرر أن يعقوب أغتصب البركة من الله ، يقول مفسرو **الكتاب المقدس** : « المقصود فى هذه الرواية الغامضة ، هو الصراع الجســدى ، أى صراع مع الله ، يبدو فيه يعقوب الغالب أولا ، لكنه حين عرف طبيعة خصمه السامية ، اغتصب بركته ، مع العلم بأن النص يتجنب اسم الرب ، كما أن المعتدى المجهول يرفض أن يسمى نفسه »[1] .

والآن ما هى اخبار نساء يعقوب هذا الذى اغتصب البركة من رب كتبة التوراة ومن يسيرون على خطاهم الى اليوم ؟

لقد تزوج يعقوب ابنتى خاله : ليئة ، وراحيل ، كما تزوج جاريتيهما: زلفة ، وبلهة . « وكان بنو يعقوب اثنى عشر :

بنو ليئة : رأوبين بكر يعقوب ، وشمعون ، ولاوى ، ويهوذا ، ويساكر ، وزبولون .

وابنا راحيل : يوسف ، وبنيامين .

وابنا بلهة جارية راحيل : دان ، ونفتالى .

وابنا زلفة جارية ليئة : جاد ، وأشير ـ تكوين ٣٥ : ٢٣ ـ ٢٦ » .

كما أن ليئة : « ولدت ابنــة ودعت اســمها : دينة ـ تكوين ٣٠ : ٢٠ » .

وهكذا جمع يعقوب فى وقت واحد بين ٤ زوجات ، ومنهن جاء بنو اسرائيل أصحاب التاريخ المعروف ...

**

---

(١) المرجع الســابق ـ ص ١١٨

نساء موسى

. تربى موسى فى كنف فرعون ولما كبر عوده واشتد « رأى رجلا مصريا يضرب رجلا عبرانيا من اخوته . فالتفت الى هنا وهناك ورأى أن ليس أحد ، فقتل المصرى وطمره فى الرمل ..

سمع فرعون هـذا الأمر فطلب أن يقتل موسى . فهرب موسى من وجه فرعون وسكن فى أرض مديان وجلس عند البئر ..

وكان لكاهن مديان سبع بنات .. نهض موسى وأنجدهن وسقى غنمهن . فلما أتين الى رعوئيل أبيهن .. قلن : رجل مصرى أنقذنا من أيدى الرعاة .. فارتضى موسى أن يسكن مع الرجل . فأعطى موسى صفورة ابنتـه . فولدت ابنا فدعا اسـمه جرشـوم ــ خروج ٢ : ١١ ــ ٢٢ » .

لقد ذكر اسم حمى موسى هنا بأنه : رعوئيل كاهن مدين ، وذكر فى مواضع أخرى بأسماء مختلفة مثل : يثرون ، وحوباب القينى . وفى هـذا يقول مفسرو الترجمة الفرنسية المسكونية : « لا تتفق النصوص على اسم حمى موسى وشخصيته . فالنص الذى نحن بصدده يذكر رعوئيل ، كاهن مدين . وفى (سفر التكوين) ٣ : ١ ، ٤ : ١٨ ، ١٨ : ١ نرى أن اسـمه يثرو (أو يثرون) . ويتكلم سـفر العدد ١٠ : ٢٩ عن حوباب بن رعوئيل المدينى ، بينما يتكلم سفر القضاة ١ : ١٦ ، ٤ : ١١ عن حوباب القينى . وفى سفر العدد ١٠ : ٢٩ محاولة للتوفيق بين التقليدين : زواج قينى وزواج مدينى . يتضارب فى الواقع هذان التقليدان ، ولا حاجة الى التوفيق بينهما »[١] .

❋

---

(١) المرجع السابق ــ ص ١٥٥

لقد كان المتوقع أن تكون أخبار موسى العائلية أكثر وضوحا من أخبار جده الأكبر يعقوب ، لكن الواقع أن الغموض الذى يحيط بسيرته كثيف من جميع الجوانب ، مما دفع علماء الكتاب المقدس الى الاعتراف صراحة بعدم امكانية فهم كثير من النصوص .

فبعد أن تلقى موسى الرسالة فى سيناء « اخذ موسى امراته وبنيه وأركبهم على الحمير ورجع الى أرض مصر . وأخذ موسى عصا الله فى يده .. وحدث فى الطريق فى المنزل أن الرب التقاه وطلب أن يقتله . فأخذت صفورة صوانة وقطعت غرلة ابنها ، ومست رجليه . فقالت : انك عريس دم لى . فانفك عنه . حينئذ قالت : عريس دم من أجل الختان – خروج ٤ : ٢٤ – ٢٦ » .

وفى هذا يقول المفسرون تعليقا على هذه الرواية أنها : « رواية غامضة بسبب اقتضابها ، وعدم وجود أى سياق فى الكلام . لا يسمى موسى : ولا نصل الى من تعود الضمائر . يجوز التكهن والقول بأن : قلف موسى (باعتباره لم يكن قد ختن) يجلب عليه غضب الله ، وان هذا الغضب سكن حين ختنت صفورة ابنها وتظاهرت بختن موسى فلمست عورته بقلفة الولد »(١) .

فكان امراة موسى خدعت رب موسى بتلك الحيلة !

واذا كان الحديث فى الرواية السابقة قد ذكر ابنا واحدا لموسى يدعى جرشوم ، فقد جاء ذكر ابن آخر له يدعى اليعازر (خروج ١٨ : ٤) وذلك عند الحديث عن مجىء « يثرون حمى موسى وابناه وامرأته الى البرية حيث كان نازلا عند جبل الله (بعد الخروج ببنى اسرائيل من مصر) – خروج ١٨ : ٥ » .

*

وفى برية سيناء – بعد الخروج من مصر – تزوج موسى من امرأة كوشية وعمره آنذاك نحو ٩٠ عاما ، فانتقده بسببها أقرب الناس

---

(١) المرجع السابق – ص ١٥٩

اليه وهما : هارون أخوه ، ومريم أخته . وهنا تدخل الله ليدافع عن موسى ويعاقبهما لولا شفاعة موسى .

وفى هـذا تقول التوراة :

« تكلمت مريم وهارون على موسى بسـبب المرأة الكوشـية (الحبشية) التى اتخذها . لأنه كان قد اتخذ امرأة كوشية . فقالا : هل كلم الرب موسى وحده ؟! ألم يكلمنا أيضا ؟! فسمع الرب . وأما الرجل موسى فكان حليما جـدا أكثر من جميـع الناس الذين على وجـه الأرض .

فقال الرب حالا لموسى وهارون ومريم : اخرجوا أنتم الثـلاثة الى خيمة الاجتماع .

فخرجوا هم الثـلاثة . فنزل الرب فى عمود سـحاب ووقف فى باب الخيمة ودعا هارون ومريم فخرجا كلاهما .

فقال : اسمعا كلامى . وان كان منكم نبى فبالرؤيا أستعلن له . فى الحلم أكلمه . وأما عبدى موسى فليس هكـذا ، بل هو أمين فى كل بيتى .

فما الى فم ، وعيانا أتكلم معه ، لا بالألغاز . وشبه الرب يعاين .

فلماذا لا تخشيان أن تتكلما على عبدى موسى .

فحمى غضب الرب عليهما ، ومضى .

فلما ارتفعت السـحابة عن الخيمة ، اذا مريم برصاء كالثلج . فالتفت هارون الى مريم واذا هى برصاء .

فقال هارون لموسى : أسألك ياسيدى لا تجعل علينا الخطية التى حمقنا واخطأنا بها . فلا تكن كالميت الذى يكون عند خروجه من رحم أمه قد أكل نصف لحمه . فصرخ موسى الى الرب قائلا : اللهم اشفها .

فقال الرب لموسى : ولو بصق أبوها بصقا فى وجهها أما كانت تخجل سبعة أيام . تحجز سبعة أيام خارج المحلة وبعد ذلك ترجع .

فحجزت مريم خارج المحلة سبعة أيام ـ سفر العدد ١٢ : ١ ـ ١٥ » .

ان هذا التعليم الالهى المجيد ، دفاعا عن موسى ومباركة لزواجه الثانى ، انما هو اعلان للبشر عبر القرون وتذير سوء للحمقى منهم ، الذين لا يخشون أن يتكلموا بسوء على عبيد الله من الأنبياء وخاصة أولى العزم أصحاب الرسالات الكبرى ، الذين جاهدوا فى الله حق جهاده ، وقاتلوا فى سبيله وتعرضوا للأهوال والمحن ، وأحاط بهم الموت من كل مكان حتى كتب الله لهم النصر ، فأخرجوا أمما من الظلمات الى النور .

*

ذلك بعض ما كان من أمر موسى ذى الزوجتين : المدينية والحبشية .

**

نســاء جدعون

هو فتى اسرائيل وقاضيها الذى اختاره الله ــ بعد موسى ويشوع ــ ليخلص شــعبه من ذل المديانيين والكعنانيين : « اذا زرع اسرائيل كان يصعد المديانيون والعمالقة وبنو المشرق يصعدون عليهم • وينزلون عليهم ويتلفون غلة الأرض الى مجيئك الى غزة ولا يتركون لاسرائيل قوت الحياة ولا غنما ولا بقرا ولا حميرا •• فذل اسرائيل جدا من قبل المديانيين • وصرخ بنو اسرائيل الى الرب ــ قضاة ٦ : ٣ ــ ٦ » •

وقد كلمه الله مرارا ــ عن طريق ملائكته وفى الرؤى والأحلام ــ وأرسله ليخلص اسرائيل من سطوة أعدائهم : « فظهر له ملاك الرب وقال له : الرب معك ياجبار البأس •

فقال له جدعون : أسألك ياسيدى • اذا كان الرب معنا ، فلماذا أصابتنا كل هذه ، وأين كل عجائبه •• الآن قد رفضنا الرب وجعلنا فى كف مديان •

فالتفت اليه الرب وقال : اذهب بقوتك هــذه وخلص اسرائيل من كف مديان • أما أرسلتك ؟!

فقال له : أسألك ياسيدى • بماذا أخلص اسرائيل ؟ ••

فقــال له الرب : انى أكون معك ، وستضرب المديانيين كرجل واحد ــ قضاة ٦ : ١١ ــ ١٦ » •

ولقــد كان الرعب الذى أوقعه المديانيون بالاسرائيليين يفــوق الوصف حتى ان جدعون سخر من نفسه أن يكون هو مخلص اسرائيل• ولذلك عمل تجربتين ليتأكد من أن الله يكلمه فعلا •

ففى التجربة الأولى قال للملاك : « ان كنت وجدت نعمة فى عينيك

فاصنع لى علامة أنك أنت تكلمنى » • وكانت العلامة أن يقدم جدعون قربانا ، « فصعدت نار من الصخرة وأكلت اللحم والفطير • وذهب ملاك الرب عن عينيه •

فرأى جدعون أنه ملاك الرب ، فقــال جدعون : آه ياسـيدى الرب ! لأنى قد رأيت ملاك الرب وجها لوجه •

فقال له الرب : الســلام لك • لا تخف • لا تموت ــ قضــاة ٦ : ١٧ ــ ٢٣ » •

وكانت التجربة الثانية حين « قال جدعون لله : ان كنت تخلص بيدى اسرائيل كما تكلمت • فها انى واضع جزة الصوف فى البيدر : فان كان طل على الجزة وحدها وجفاف على الأرض كلها ، علمت أنك تخلص بيدى اسرائيل ، كما تكلمت •

وكان كذلك • •

فقال جدعون لله : لا يحم غضبك على ، فأتكلم هــذه المرة فقط • امتحن هــذه المرة فقط بالجزة : فليكن جفــاف فى الجزة وحدها ، وعلى كل الأرض ليكن طل •

ففعل الله كذلك فى تلك الليلة ــ قضاة ٦ : ٣٦ ــ ٤٠ » •

« ولبس روح الرب جدعون » فخلص بنى اسرائيل من سطوة المديانيين » • « وذل مديان أمام بنى اسرائيل ، ولم يعودوا يرفعون رؤوسهم • واستراحت الأرض أربعين سنة فى أيام جدعون ــ قضاة ٦ : ٣٤ ، ٨ : ٢٨ » •

ولقد حاول بنو اسرائيل تنصيبه ملكا عليهم ، وأن يكون الملك وراثة فى نســله من بعده ، لكنه أبى ، وبقى مخلصا لله • فقد « قال رجال اسرائيل لجدعون : تسلط علينا أنت وابنك وابن ابنك لأنك قد خلصتنا من يد مديان •

فقال لهم جدعون : لا أتسلط أنا عليكم ، ولا يتسلط ابنى عليكم • الرب يتسلط عليكم ــ قضاة ٨ : ٢٢ ــ ٢٣ » •

وأخيرا « **مات جدعون بن يوآش بشيبة صالحة** ــ قضاة ٨ : ٣٢ » ، تماما كميتة جده الأكبر ابراهيم (تكوين ٢٥ : ٨) •

وعن أخبار نسائه تقول الأسفار : « **كان لجدعون سبعون ولدا خارجون من صلبه ، لأن كانت له نساء كثيرات** • وسريته التى فى شكيم ولدت له هى أيضا ابنا فسماه أبيمالك ــ قضاة ٨ : ٣٠ ــ ٣١ »•

وفى استقراء لعدد نساء جدعون بمعلومية أولاده ، نقول : أنجب ابراهيم ١٣ ولدا من ٤ نساء ، هن : هاجر ، وسارة ، وقطورة ، وحجور • فيكون المتوسط التقريبى = ٣ أولاد لكل امرأة •

كذلك : أنجب يعقوب ١٢ ولدا من ٤ نساء •

فيكون المتوسط = ٣ أولاد لكل امرأة •

ولما كان جدعون قد أنجب ٧٠ ولدا : اذن ، يكون عدد نساء جدعون لا يقل عن ٢٣ امرأة ، وهو ما يتفق والنص الذى يقول : « **كانت له نساء كثيرات** » •

* *

هو فخر الاسرائيلين ، « جبار بأس ، ورجل حرب ، وفصيح ، ورجل جميل ، والرب معه ـ صموئيل الأول ١٦ : ١٨ » . اختاره الله مسيحا له « فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه وسط اخوته . وحل روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعدا ـ صموئيل الأول ١٦ : ١٣ » .

ولمـا جاء المسيح بعد داود بألف عام ، كان الذين آمنوا به من بني اسرائيل ـ وهم المسيحيون حقا ـ يدعونه ابن داود ، تكريما له واقرارا بنبوته وبركاته . فها هو بارتيماوس الأعمى « لمـا سمع أنه يســوع النـاصرى ، ابتـدأ يصرخ ويقـول : يا يســوع بن داود ارحمني . فانتهره كثيرون ليسكت . فصرخ أكثر كثيرا : يابن داود ارحمني .

فوقف يســوع وأمر أن ينادى .. وجاء الى يســوع . فأجاب يســوع وقال له : ماذا تريد أن أفعل بك ؟ فقال له الأعمى : ياسـيدى أن أبصر .

فقال له يســوع : اذهب . ايمانك قد شـفاك . فللوقت أبصر وتبع يســوع فى الطريق ـ مرقس ١٠ : ٤٧ ـ ٥٢ » .

وفى دخوله أورشـليم « كثيرون فرشـوا ثيابهم فى الطريق . وآخرون قطعوا أغصـانا من الشجر وفرشـوها فى الطريق . والذين تقدموا والذين تبعوا كانوا يصرخون قائلين : أوصنا . مبارك الآتى باسم الرب . مبـارك مملكة ابينـا داود الآتية باسم الرب ـ مرقس ١١ : ٨ ـ ١٠ » .

وداود عنـد المسـلمين نبى عظيم : ﴿ آتـاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشـاء ﴾ (البقرة : ٢٥١) .

*

لقد كان داود يكلم الله ويستشيره ، وكان الله يكلم عبده ونبيه داود ، وينبئه بأمر المستقبل . فيسير داود على هديه ويحقق النصر . فقد « أخبروا داود قائلين : هو ذا الفلسطينيون يحاربون قعيلة وينهبون البيادر . فسأل داود من الرب قائلا : اذهب واضرب هؤلاء الفلسطينيين ؟

فقال الرب لداود : اذهب واضرب الفلسطينيين ، وخلص قعيلة .

فقال رجال داود له : ها نحن ههنا فى يهوذا خائفون ، فكم بالحرى اذا ذهبنا الى قعيلة ضد صفوف الفلسطينيين !

فعاد ايضا داود وسأل من الرب ، فأجابه الرب وقال : قم انزل الى قعيلة فانى ادفع الفلسطينيين ليدك .

فذهب داود ورجاله الى قعيلة ، وحارب الفلسطينيين وساق مواشيهم وضربهم ضربة عظيمة ، وخلص داود سكان قعيلة ــ صموئيل الأول ٢٣ : ١ ــ ٥ » .

وتكررت استشارة داود لربه مرات ومرات . وقد « كان بعد ذلك ان داود سأل الرب قائلا : ااصعد الى احدى مدائن يهوذا ؟

فقال له الرب : اصعد . فقال داود : الى اين اصعد ؟

فقال : الى حبرون .

فصعد داود الى هناك .. وأتى رجال يهوذا ومسحوا هناك داود ملكا على بيت يهوذا ــ صموئيل الثانى ٢ : ١ ــ ٤ » .

بعد ذلك « سأل داود من الرب قائلا : أأصعد الى الفلسطينيين ؟ أتدفعهم ليدى ؟ . فقال الرب لداود : اصعد لأنى دفعا أدفع الفلسطينيين ليدك .

فجاء داود الى بعل فراصيم وضربهم داود هناك .. وتركوا هناك أصنامهم فنزعها داود ورجاله .

ثم عاد الفلسطينيون فصعدوا أيضا وانتشروا فى وادى الرفائيين .
فسأل داود من الرب ، فقال : لا تصعد ، بل در من ورائهم وهلم عليهم مقابل أشجار البكا . وعندما تسمع صوت خطوات فى رؤوس أشجار البكا حينئذ احترس لأنه اذ ذاك يخرج الرب أمامك لضرب محلة الفلسطينيين . ففعل داود كذلك كما أمره الرب وضرب الفلسطينيين من جبع الى مدخل جازر ــ صموئيل الثانى ٥ : ١٩ ــ ٢٥ » .

ولقد استمر داود صاحب درجة عليا عند الله ومسيحا رضى الله عنه حتى آخر أيام حياته . « فهذه هى كلمات داود الأخيرة :

وحى داود بن يسى . ووحى الرجل القائم فى العلا . مسيح اله يعقوب . ومرنم اسرائيل الحلو . روح الرب تكلم بى ، وكلمته على لسانى .
قال اله اسرائيل الى : اذا تسلط على الناس بار . يتسلط بخوف الله ، وكنور الصباح اذا أشرقت الشمس ــ صموئيل الثانى ٢٣ : ١ ــ ٣ » .

والآن : ما هى اخبار داود ونسائه ؟

*

ميكال ابنة شاول : ارتفع نجم داود بعد أن قتل جالوت (جليات الفلسطينى) « فجعله شاول على رجال الحرب ، وحسن فى أعين جميع الشعب ، وفى أعين عبيد شاول أيضا . فلما رأى شاول أنه مفلح جدا ففزع منه » لقد خاف شاول أن ينتزع داود المملكة منه ، فتربص به . وأخيرا اهتدى الى حيلة ماكرة وهى أن يزوجه ابنته بمهر هو ١٠٠ غلفة من الفلسطينيين . فيكون على داود أن يحارب الفلسطينيين ويقتل منهم ١٠٠ رجل على الأقل ثم يقطع غلفة كل منهم ــ أى : غلاف مقدمة عضو الذكورة ــ ويأتى بها مهرا . وهناك يتعرض داود لخطر محقق ، فقد يقضى عليه الفلسطينيون . وبذلك يتخلص منه شاول بسهولة : « وميكال ابنة شاول أحبت داود ، فأخبروا شاول ، فحسن الأمر فى عينيه . وقال شاول : أعطيه اياها . فتكون له شركا وتكون يد الفلسطينيين عليه ..

فقال شاول : هكذا تقولون لداود . ليست مسرة الملك بالمهر ، بل بمائة غلفة من الفلسطينيين للانتقام من أعداء الملك .

قام داود وذهب هو ورجاله وقتل من الفلسطينيين مئتى رجل وأتى داود بغلفهم (٢٠٠ غلفة) فأكملوها للملك لمصاهرة الملك . فأعطاه شاول ميكال ابنته امرأة ــ صموئيل الأول ١٨ : ٢٠ ــ ٢٧ » .

ولما ساءت الأمور بين شاول وداود ، لم يلبث شاول أن فسخ زواج ابنته من داود وزوجها لشخص آخر : « أعطى شاول ميكال ابنته ، امرأة داود ، لفلطى بن لايش الذى من جليم ــ صموئيل الأول ٢٥ : ٤٤ » .

وكان بعد مقتل شاول أن استعاد داود زوجته ميكال ثانية . فحين انقلب أبنير رئيس جيش شاول على ابنه ايشبوشث الذى نصبه ملكا خلفا لأبيه بسبب احدى سرارى شاول « أرسل أبنير من فوره رسلا الى داود قائلا : لمن هى الأرض ؟ يقولون اقطع عهدك معى وهو ذا يدى معك لرد جميع اسرائيل اليك .

فقال (داود) : حسنا . أنا أقطع معك عهدا ، الا أنى أطلب منك أمرا واحدا وهو ألا ترى وجهى ما لم تأت أولا بميكال بنت شاول حين تأتى لترى وجهى . وأرسل داود رسلا الى ايشبوشث بن شاول يقول : أعطنى امرأتى ميكال التى خطبتها لنفسى بمائة غلفة من الفلسطينيين فاخذها ايشبوشث واخذها من عند رجلها ، من فلطيئيل بن لايش . وكان رجلها يسير معها ويبكى وراءها ــ صموئيل الثانى ٣ : ١٢ ــ ١٦ »

*

ابيجايل امرأة نابال الكرملى : عمل داود فترة قاطع طريق يفرض اتاوة على الناس حوله ويرعبهم بعصابته ذات الست مائة مقاتل . وحين كان نابال الكرملى يجز غنمه أرسل داود يطلب منه دفع الاتاوة ، لكن الرجل رفض فما كان من داود الا أن خرج اليه فى عصابته يريد قتله

وكل بيتــه • ولم يوقف هــذه المجزرة الا تدخل امرأته أبيجايل • وبعد عشرة أيام مات نابال فلم يلبث داود أن أخذها زوجة له • وفى هذا تقول الأسفار : « كان رجل فى معون وأملاكه فى الكرمل وكان الرجل عظيما جدا •• واسم الرجل نابال واسم امرأته أبيجايل • وكانت المرأة جيدة الفهم وجميلة الصورة •••• سمع داود فى البرية أن نابال يجز غنمه فأرسل داود عشرة غلمان وقال •••• قولوا لنابال : حين كان رعاتك معنا لم نؤذهم ولم يفقد لهم شىء كل الأيام التى كانوا فيها فى الكرمل •••• فأعط ما وجدته يدك لعبيدك ولابنك داود •••• فأجاب نابال عبيد داود وقال : من هو داود ؟ •••• آآخذ خبزى ومائى وذبيحى الذى ذبحت لجازى وأعطيه لقوم لا أعلم من أين هم ؟ !

فقال داود لرجاله : ليتقلد كل واحد منكم سيفه •••• وتقلد داود أيضا سـيفه • وصعد وراء داود نحو أربع مئة رجل ومكث مئتان مع الأمتعـة ••

فبادرت أبيجايل وأخذت مئتى رغيف خبز وزقى خمر وخمسـة خرفان •••• ووضعتها على الحمير •••• واذا بداود ورجاله منحدرون لاستقبالها فصادفتهم •

وقال داود : انما باطلا حفظت كل ما لهذا فى البرية فلم يفقد من كل ماله شىء ، فكافأنى شرا بدل خير • هكذا يصنع الله لأعداء داود وهكذا يزيد ان ابقيت من كل ما له الى ضوء الصباح بائلا بحائط(١) •

ولمـا رأت أبيجايل داود أسرعت ونزلت عن الحمار وسقطت أمام داود على وجهها وسـجدت الى الأرض وسقطت على رجليه وقالت :

---

(١) كناية عن قتل جميع الأنفس الحية اذ كان من عادتهم ــ التى لا تزال معمولا بها فى المناطق الريفية النائية الى اليوم ــ أن يتبول الذكور على حـوائط المبـانى المنعزلة • كمـا تتخـذ الاناث من تلك الحوائط سـتارا لهن •

على أنا ياسيدى هذا الذنب .... والآن هذه البركة التى أتت بهـا جاريتك الى سيدى فلتعط للغلمان السائرين وراء سيدى ..

فقال داود لأبيجايل : مبارك الرب اله اسرائيـل الذى أرسـلك هذا اليوم .... لأنك منعتنى من اتيان الدماء وانتقام يدى لنفسى ..

وبعد نحو عشرة أيام ضرب الرب نابال فمات . فلما سمع داود أن نابال مات .... أرسل داود وتكلم مع أبيجايل ليتخذها له امرأة ..

فقامت أبيجايل .... وسارت وراء رسل داود وصارت له امرأة — صموئيل الأول ٢٥ : ٢ — ٤٢ » .

*

اخينوعم اليزرعيلية : « ثم أخذ داود أخينوعم من يزرعيل ، فكانتا (هى وأبيجايل امرأة نابال الكرملى) له كلتاهما امرأتين — صموئيل الأول ٢٥ : ٤٣ » .

وكان ذلك قبل أن يستعيد داود امرأته السابقة ميكال بنت شاول بعـد مقتل أبيها .

هذا . وقد « سبيت امرأتا داود : أخينوعم اليزرعيلية ، وأبيجايل امرأة نابال الكرملى » فى غارة للعماليق ، لكن داود ضربهم « واستخلص كل ما أخذه عماليق وانقذ داود امرأتيه — صموئيل الأول ٣٠ : ٥ ، ١٨» .

*

معكة بنت تلمـاى ملك جشـور ، وحجيث . وابيطال ، وعجلة : هؤلاء الزوجات الأربع ، اضـافة الى أخينـوعم وأبيجايل ولدن لداود فى حبرون سـتة أولاد هم :

« بكره أمنون من أخينوعم اليزرعيلية . وثانيه كيلاب من أبيجايل امرأة نابال الكرملى ، والثالث أبشـالوم ابن معكة بنت تلماى ملك جشور ، والرابع أدونيا ابن حجيث . والخامس شـفطيا ابن أبيطال . والسـادس يثرعام من عجلة امرأة داود . هـؤلاء ولدوا لداود فى حبرون — صموئيل الثانى ٣ : ٢ — ٥ » .

« ولم يكن لميكال بنت شاول ولد الى يوم موتهـا ــ صموئيل الثانى ٦ : ٢٣ » .

*

بعد ذلك بويع داود ملكا على كل اسرائيل فانتقل من حبرون الى أورشليم وبدأ ملكه فى الاستقرار ، وهنـاك كانت له مع النســاء صولات وجولات . وقد استمر يضيف الى قائمة نسـائه الكثير حتى آخر أيام حياته .

« جاء جميع أسباط اسرائيل الى داود الى حبرون .... ومسحوا داود ملكا على اسرائيل .

كان داود ابن ثلاثين سـنة حين ملك ، وملك أربعين سـنة . فى حبرون ملك على يهوذا سبع سنين وسـتة أشهر . وفى أورشليم ملك ثلاثا وثلاثين سـنة على جميع اسرائيل ويهـوذا . وذهب الملك ورجاله الى أورشليم .... وكان داود يتزايد متعظما ، والرب اله الجنود معـه ــ صموئيل الثانى ٥ : ١ ــ ١٠ » .

*

بثشبع امرأة أوريا الحثى : « كان فى وقت المســاء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك **فرأى من على السطح امرأة تستحم . وكانت المرأة جميلة المنظر جدا** . فأرسل داود وسـأل عن المرأة فقال واحـد : أليست هذه بثشبع امرأة أوريا الحثى (أحـد جنـوده) .

فأرسل داود رسلا وأخذها ، فدخلت اليه ، فاضطجع معها . وهى مطهرة من طمثهـا . ثم رجعت الى بيتها . وحبلت المرأة ، فأرسـلت وأخبرت داود وقالت : انى حبلى .

فأرسل داود الى يوآب (قائد الجيش) يقول : أرسل الى أوريا .. فأتى أوريا اليه .... وقال داود لأوريا : انزل الى بيتك واغسل رجليك

(لعله يضطجع مع امرأته فتضيع معالم جريمة الزنا ويعتبر الحمل من أوريا نفســه) .. فخرج أوريا من بيت الملك .. ولم ينزل الى بيته . فأخبروا داود .. فقال لأوريا : أما جئت من السفر . فلماذا لم تنزل الى بيتك ؟ فقال أوريا لداود (بشهامة الرجال) : ان التابوت واسرائيل ويهوذا ســاكنون فى الخيام وسيدى يوآب وعبيد سيدى نازلون على وجه الصحراء ، وأنا آتى الى بيتى لآكل وأشرب وأضطجع مع امرأتى ! وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر ..

ودعاه داود فأكل أمامه وشرب وأسكره وخرج عند المساء .... والى بيته لم ينزل .

(وهنا لم يجد داود بدا من التآمر عليــه بقتله فى الحرب) وفى الصباح كتب داود مكتوبا الى يوآب وأرسله بيد أوريا . وكتب فى المكتوب يقول : **اجعلوا أوريا فى وجه الحرب الشـديدة ، وارجعـوا من ورائه فيضرب ويموت .**

وكان فى محاصرة يوآب المدينة أنه جعل أوريا فى الموضع الذى علم أن رجال البأس فيه .... ومات أوريا الحثى ..

فأرســل يوآب وأخبر داود .. فقال داود للرسول : هكذا تقول **ليوآب : لا يسؤ فى عينيك هذا الأمر ، لأن السيف يأكل هذا وذاك ..**

فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها ، ندبت بعلها . ولمـا مضت المناحـة ، **أرسل داود وضمها الى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابنـا .** وأما الأمر الذى فعــله داود فقبح فى عينى الرب ــ صموئيل الثانى ١١ : ١ ــ ٢٧ » .

وكانت هذه الزوجة هى التى أنجب منها داود ــ فيما بعـد ــ **سليمان الحكيم !**

*

ولا شك فى أن هذه الرواية تتنافى مع عظمة الأنبياء التى يحرص الاسلام على اثباتها لهم .. وقد جاء فى تفسير القرطبى فيما نقله عن السدى : أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال : لو سمعت رجلا يذكر أن داود عليه السلام قارف من تلك المرأة محرما لجلدته ستين ومائة ، لأن حد قاذف الناس ثمانون ، وحد قاذف الأنبياء ستون ومائة ..

وقد أثنى الله تعالى على داود عليه السلام : « **وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب** » (سورة ص : ٢٠) .

*

سرارى داود ونسائه فى اورشليم : « علم داود أن الرب قد أثبته ملكا على اسرائيل ، وأنه قد رفع ملكه من أجل شعبه اسرائيل . **واخذ داود أيضا سرارى ونساء من اورشليم بعد مجيئه من حبرون فولد أيضا لداود بنون وبنات** ـ صموئيل الثانى ٥ : ١٢ ـ ١٣ » .

ويمكن استقراء عدد نساء داود فى أورشليم كالآتى :

ملك داود فى حبرون على سبط يهوذا مدة نحو سبع سنين كانت معه ست زوجات ، أى بمعدل متوسط نحو زوجة جديدة كل سنة . ولما انتقل داود الى أورشليم ملكا على كل اسرائيل كان عمره نحو سبعة وثلاثين سنة ، وقد بدأت المملكة تستقر « وأراحه الرب من كل الجهات من جميع أعدائه ـ صموئيل الثانى ٧ : ١ » فمن المتوقع أن يستمر معدل اضافة الزوجات الجدد كما كان سلفا ، أى زوجة جديدة كل سنة . واذا أخذنا عامل السن فى الاعتبار ، فاننا نستطيع تقسيم مدة حياته فى أورشليم ـ التى بلغت ثلاثا وثلاثين سنة ـ الى ثلاث فترات تبلغ كل منها احدى عشرة سنة . ويكون المعدل المقبول لكل من هذه الفترات هو اضافة زوجة جديدة كل سنة للفترة الأولى ، واضافة زوجة جديدة كل سنتين للفترة الثانية ، واضافة زوجة جديدة كل ثلاث سنوات للفترة الثالثة والأخيرة .

وبذلك يكون عدد زوجات داود الجدد اللائى اخذهن فى اورشليم = ٢٠ زوجة على الاقل .

كذلك يمكن استقراء عدد السرارى اللائى كن فى حضن داود فى أورشليم كالآتى :

فى الثورة التى قادها أبشالوم من حبرون ضد أبيه داود : « كان الشعب لا يزال يتزايد مع أبشالوم .... فقال داود لجميع عبيده الذين معه فى أورشليم : قوموا بنا نهرب لأنه ليس لنا نجاة من وجه أبشالوم أسرعوا للذهاب لئلا يبادر ويدركنا وينزل بنا الشر ويضرب المدينة (أورشليم) بحد السيف . فقال عبيد الملك للملك : حسب كل ما يختاره سيدنا الملك نحن عبيده .

فخرج الملك وجميع بيته وراءه . **وترك الملك عشر نساء سرارى لحفظ البيت** — صموئيل الثانى ١٥ : ١٢ — ١٦ » .

لقد كانت أورشليم عاصمة مملكة داود على وشك الاجتياح بقوات أبشالوم الضخمة التى قيل فيها : « ان قلوب رجال اسرائيل صارت وراء أبشالوم » ، ومن ثم كان على داود ألا يبقى لحفظ بيته الا أقل القليل من النساء ، باعتبار أن أسرهن بيد الثوار صار مؤكدا . واذا قدرنا أن ذلك العدد من نساء حفظ البيت لا يتجاوز ربع سرارى داود ، كان معنى ذلك :

ان مجموع سرارى داود لا يقل عن ٤٠ سرية .

*

وجدير بالذكر أن السرارى العشر اللائى تركهن داود فى أورشليم لحفظ بيته ، قد وقعن فى أسر أبشالوم والثائرين معه ، كما كان متوقعا . وهناك أشار حكيم اسرائيل على أبشالوم أن يزنى بسرارى أبيه اغاظة فيه وقطعا لكل صلة طيبة معه .

« قال أبشالوم لأخيتوفل : **أعطوا مشورة ماذا نفعل** . فقال أخيتوفل لأبشالوم : **ادخل الى سرارى ابيك اللواتى تركهن لحفظ البيت** ، فيسمع كل اسرائيل أنك قد صرت مكروها من أبيك ، **فتتشدد أيدى جميع الذين معك** .

فنصبوا لأبشالوم الخيمة على السطح ودخل ابشالوم الى سرارى أبيه امام جميع اسرائيل .

وكانت مشورة أخيتوفل التى كان يشير بها فى تلك الأيام كمن يسأل بكلام الله . هكذا كل مشورة أخيتوفل على داود وعلى أبشالوم جميعا ــ صموئيل الثانى ١٦ : ٢٠ ــ ٢٣ » .

هذا ــ وبعد مقتل أبشالوم وانتهاء ثورته ضد أبيه ، « جاء داود الى بيته فى أورشليم وأخذ الملك النساء السرارى العشر اللواتى تركهن لحفظ البيت وجعلهن تحت حجز . وكان يعولهن ، ولكن لم يدخل اليهن . بل كن محبوسات الى يوم موتهن فى عيشة العزوبة ــ صموئيل الثانى ٢٠ : ٣ » .

*

أبيشج الشونمية : « شاخ الملك داود . تقدم فى الأيام . وكانوا يدثرونه بالثياب فلم يدفأ .

فقال له عبيده : ليفتشوا لسيدنا الملك على فتاة عذراء فلتقف أمام الملك ، ولتكن له حاضنة . ولتضطجع فى حضنك فيدفأ سيدنا الملك .

فتشوا على فتاة جميلة فى جميع تخوم اسرائيل ، فوجدوا أبيشج الشونمية فجاءوا بها الى الملك .

وكانت الفتاة جميلة جدا . فكانت حاضنة الملك ، وكانت تخدمه . ولكن الملك لم يعرفها ــ الملوك الأول ١ : ١ ــ ٤ » .

* *

مما سبق جميعه نخلص الى الآتى :

ــ كان لداود ٩ زوجات ينمن فى حضنه . وأنجب من أغلبهن ذرية، وقد ذكرت أسماؤهن فى الأسفار وهن :

ميكال ابنة شاول ــ وأبيجايل امرأة نابال الكرملى ــ وأخينوعم اليزرعيلية ــ ومعكة بنت تلماى ملك جشور ــ وحجيث ــ وأبيطال ــ وعجلة ــ وبثشبع امرأة أوريا الحثى ــ وأبيشج الشونمية .

واذا كانت الأسفار قد قالت عن أبيشج أن داود لم يعرفها ، أى لم يعاشرها معاشرة الأزواج . فما ذلك الا لأنه قد : « شاخ داود وشبع أياما ــ اخبار الأيام الأول ٢٣ : ١ » ، أما هى فقد كانت حاضنته . يداعبها وتداعبه

ــ كان لداود زوجات أخريات من أورشليم صمتت الأسفار عن ذكرهن وقدر عددهن بنحو ٢٠ زوجة .

ــ كان لداود سرارى لا يقل عددهن عن ٤٠ سرية .

وبذلك يكون لداود ٢٩ زوجة . و ٤٠ سرية ، اى ٦٩ امرأة .

وهذا تقدير معقول يعضده قول الرب لناثان النبى الذى أرسله لداود ، لكى يضرب له مثلا يبين حجم جريمته . اذ قال له : « كان رجلان فى مدينة واحدة ، واحد منهما غنى والآخر فقير . وكان للغنى غنم وبقر كثيرة جدا . وأما الفقير فلم تكن له شىء الا نعجة واحدة صغيرة ... ــ صموئيل الثانى ١٢ : ١ ــ ٢ » .

لقد كان لداود ــ اذن ــ نساء كثيرة جدا ...

بل ان حساب ٦٩ امرأة لداود يعتبر رقما متواضعا اذا قورن بما كان عليه الحال فى زمنه وأسرته .

فقد كان لابنه سليمان زوجات وسرارى بالمئات ، كما كان لحفيده ــ رحبعام بن سليمان ــ زوجات وسرارى بالعشرات . وفى هذا الأخير تقول الأسفار : « أحب رحبعام معكة بنت أبشالوم أكثر من جميع نسائه وسراريه . لأنه اتخذ ثمانى عشرة امرأة ، وستين سرية . وولد ثمانية وعشرين ابنا . وستين ابنة ــ أخبار الأيام الثانى ١١ : ٢١» .

* *

نســاء سليمان

بعد أن استقر الملك لداود ، عزم على بناء بيت لعبادة الله وكلم ناثان النبى الذى رحب بالفكرة ، ولكن « فى تلك الليلة كان كـلام الرب الى ناثان قائلا : اذهب وقل لعبدى داود .... قد أرحتك من جميع أعدائك ، والرب يخبرك أن الرب يصنع لك بيتا .

متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك أقيم بعدك نســلك الذى يخرج من أحشائك وأثبت مملكته . **هو يبنى بيتا لاسمى ، وانا اثبت كرسى مملكته الى الأبد .**

انـا اكون لـه ابا وهو يكون لى ابنا . ان تعوج أؤدبـه بقضيب الناس وبضربات بنى آدم **ولكن رحمتى لا تنزع منه كما نزعتها من شاول** الذى أزلته من أمامك ويأمن بيتك ومملكتك الى الأبد أمامك . كرسيك يكون ثابتا الى الأبد ــ صموئيل الثانى ٧ : ٤ ــ ١٦ » .

وعندما شاخ داود « دعا سليمان ابنه وأوصاه أن يبنى بيتا للرب اله اسرائيل ، وقال داود : كان الى كلام الرب قائلا .... هوذا يولد لك ابن يكون صاحب راحة وأريحه من جميع أعدائه حواليه لأن اسمه **يكون سليمان . فأجعل سلاما وسكينة فى اسرائيل فى أيامه . هو** يبنى بيتا لاسمى ، وهو يكون لى ابنا وأنا له أبا ، **واثبت كرسى ملكه على اسرائيل الى الابد** ــ أخبار الأيام الأول ٢٢ : ٦ ــ ١٠ » .

*

وجدير بالذكر أن هذا القول الخطير الذى ذكره سفر أخبار الأيام الأول عن سليمان : « هو يكون لى ابنا ، وأنا له أبا » ، لم يذكر أنه قيل للمسيح الا نصفه فقط ، حسب زعم كتبة الأناجيل .

فيذكر انجيل متى أن المسيح بعد أن اعتمد من يوحنا المعمدان فى نهر الأردن ، « اذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلا مثل

حمامة وآتيا عليه • وصوت من السماء قائلا : **هو ذا ابنى الحبيب الذى به سررت** ــ ٣ : ١٦ ــ ١٧ » •

وقد أوردها انجيل مرقس بطريقة مخالفة ، فالخطاب هنا موجه الى المسيح • بدلاً من الحديث عنه بضمير الغائب ، كما فى متى : « وكان صوت من السماء • **أنت ابنى الحبيب الذى به سررت** ــ ١ : ١١ » •

وقد أوردها لوقا بطريقة تقترب من مرقس مع خلاف أيضا ، فقال : « **أنت ابنى الحبيب بك سررت** ــ ٣ : ٢١ » •

فقول مرقس : « **الذى به سررت** » • غيره لوقا الى : « **بك سررت** »

*

هذا • ولقد كان سليمان نبيا يكلمه الله فى الرؤى والأحلام • وقد « تشدد سليمان بن داود على مملكته • وكان الرب الهه معه وعظمه جدا ••

فى تلك الليلة تراءى الله لسليمان وقال له : اسأل ماذا أعطيك • فقال سليمان لله : انك قد فعلت مع داود أبى رحمة عظيمة وملكتنى مكانه •••• فأعطنى الآن حكمة ومعرفة لأخرج أمام هذا الشعب وأدخل• فقال الله لسليمان : من أجل أن هذا كان فى قلبك ، ولم تسأل غنى ولا أموالا ولا كرامة ولا أنفس مبغضيك ، ولا سألت أياما كثيرة ، بل انما سألت لنفسك حكمة ومعرفة تحكم بهما على شعبى الذى ملكتك عليه • قد أعطيتك حكمة ومعرفة ، وأعطيك غنى وأموالا وكرامة لم يكن مثلها للملوك الذين قبلك ولا يكون مثلها لمن بعدك ــ أخبار الأيام الثانى ١ : ١ ــ ١٢ » •

«ولما أكمل سليمان بناء بيت الرب•••• **ان الرب تراءى لسليمان ثانية** •••• وقال له الرب : قد سمعت صلاتك وتضرعك الذى تضرعت به أمامى •

قدست هذا البيت الذى بنيته لأجل وضع اسمى فيه الى الأبد ، وتكون عيناى وقلبى هناك كل الأيام ــ الملوك الأول ٩ : ١ ــ ٣ » •

« وأعطى الله سليمان حكمة ، وفهما كثيرا جدا ، ورحبة قلب كالرمل الذي على شاطيء البحر . وفاقت حكمة سليمان حكمة جميع بني المشرق .. وكانوا يأتون من جميع الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان من جميع ملوك الأرض الذين سمعوا بحكمته ـ الملوك الأول ٤ : ٢٩ ـ ٣٤ » .

والآن ـ ما هي أخبار نساء سليمان الذي حظى بتلك المكانة العظيمة عند الله والناس ؟

*

يقول كتبة الأسفار : « احب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون : موآبيات ، وعمونيات ، وأدوميات ، وصيدونيات ، وحثيات . ومن الأمم الذين قال عنهم الرب لبني اسرائيل : لا تدخلون اليهم وهم لا يدخلون اليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم . فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة .

وكانت له سبع مئة من النساء السيدات ، وثلاث مئة من السراري ، فامالت نساؤه قلبه .

وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهه اخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب الهه كقلب داود أبيه .

فذهب سليمان وراء : عشتورث الاهة الصيدونيين ، وملكوم رجس العمونيين . وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه . حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين .. ولمولك رجس بني عمون . وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن .

فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب الـه اسرائيل الذي تراءى له مرتين وأوصاه في هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى . فلم يحفظ ما أوصى به الرب ـ الملوك الأول ١١ : ١ ـ ١٠ » .

لقد جعل كتبة الأسفار سليمان كافرا فى « زمان شيخوخته » ، والعياذ بالله ! ولم يكن العيب فى تعدد نسائه اللاتى بلغن ١٠٠٠ امرأة ، انما كان العيب ومكمن الخطر هو فى اختياره اياهن من الوثنيات اللاتى لا تعرفن الاله الواحد الحق رب اسرائيل .

وجدير بالذكر أن القرآن قد برأ سليمان من تلك التهمة الظالمة الخطيرة التى ألحقها كتبة الأسفار به ، واعتبرها حديث شياطين ، فقال : **﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ﴾** (البقرة : ١٠٢) .

* *

نســاء هوشــع

« أول ما كلم الرب هوشع ، قال الرب لهوشع : اذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى ، لأن الأرض قد زنت تاركة الرب •

فذهب وأخذ جومر بنت دبلايم ، فحبلت وولدت ابنا • فقال له الرب : ادع اسمه يزرعيل ••

ثم حبلت أيضا وولدت بنتا ، فقال له : ادع اسمها لورحامة ، لأنى لا أعود أرحم بيت اسرائيل أيضا ، بل أنزعهم نزعا ••

ثم فطمت لورحامة وحبلت فولدت ابنا • فقال : ادع اسمه لوعمى، لأنكم لستم شعبى وأنا لا أكون لكم ـ هوشع ١ : ٢ ـ ٩ » •

بعد ذلك يقول هوشع وحيا من الله : « قال الرب لى : اذهب أيضا أحبب امرأة حبيبة صاحب وزانية ، كمحبة الرب لبنى اسرائيل وهم ملتفتون الى آلهة أخرى ومحبون لأقراص الزبيب •

فاشتريتها لنفسى بخمسة عشر شاقل فضة وبحومر ولثك شعير •

وقلت لها : تقعدين أياما كثيرة لا تزنى ولا تكونى لرجل ، وأنا كذلك لك ـ هوشع ٣ : ١ ـ ٣ » •

*

لقد نقض هوشع ـ أو بالأحرى كتبة الأسفار الذين نسبوا هذه الفواحش اليه ـ تعاليم التوراة التى تحرم على الكاهن الزواج من الزانية بل ومن الأرملة والمطلقة • فمن باب أولى أن يحرم ذلك على كل نبى يدعى أنه يتلقى وحى الله •

فقد « قال الرب لموسى : كلم الكهنة بنى هرون وقل لهم •••• امرأة زانية او مدنسة لا ياخذوا ولا يأخذوا امرأة مطلقة من زوجها •••• والكاهن الأعظم •••• هذا يأخذ امرأة عذراء • أما الأرملة والمطلقة والمدنسة والزانية فمن هؤلاء لا ياخذ ـ لاويين ٢١ : ١ ـ ١٤ » •

وحقا يقول القرآن لهؤلاء المفترين : ﴿ ان الله لا يامر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون ﴾ (الاعراف : ٢٨) .

لقد كان هذا هو خبر هوشع النبى صاحب الزوجتين الزانيتين !

* *

خديجة بنت خويلد : « كانت خديجة ابنة خويلد أوسـط نسـاء قريش نسبا وأعظمهم شرفا . فهى ابنة خويلد بن أسـد بن عبد العزى ابن قصى .. وأمها فاطمة ابنة زائدة بن الأصم بن رواحة ..

تزوجت وهى بكر (مرتين قبل محمـد) . كان الأول هو عتيق ابن عابد بن عبد الله فولدت له (ابنة) ، ثم هلك عنها . فتزوجها بعده أبو هالة النباش بن زرارة فولدت له (ابنا يدعى هالة . وابنة تدعى هند) ثم هلك عنها ..

وكانت خديجة امرأة تاجرة ذات مال ، تستأجر الرجال فى مالها وتضاربهم اياه بشىء تجعله لهم منه . وكانت قريش قوما تجارا . فلما بلغهـا عن رسـول الله ﷺ مـا بلغهـا من صـدق حديثـه وعظم أمانته وكرم أخلاقه ، بعثت اليه ، فعرضت عليه أن يخرج فى مالها تاجرا الى الشام ، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار ، مع غلام لها يقال له ميسرة ، فقبله منها وخرج فى مالها ذلك . ومعه غلامها ميسرة حتى قـدم الشـام . . ثم باع رسول الله ﷺ سـلعته التى خرج بهـا ، واشترى مـا أراد أن يشترى ، ثم أقبـل قافلا الى مكة ومعـه ميسرة .. فلما قدم مكة على خديجة بمالها ، باعت ما جاء بـه فأضعف أو قريبـا »[1] . لقد ربحت تجارة خديجة بفضل محمد . فلما أخبرها ميسرة بما لمسه من عظم أخلاق محمد وبشاراته وكراماته ، مال قلبهـا لاختياره زوجا بعد أن صدق حسن اختيار عقلهـا له من قبل ليكون عاملا لديها .

ولكن ، كيف السبيل لتحقيق ذلك ، والمحاذير كثير . انها أرملة فى الأربعين من عمرها تزوجت قبله مرتين وأنجبت ذرية ، أما هو فشاب فى الخامسة والعشرين . وفى تلك البيئة العربية التى تنضج فيها الفتاة

---

(١) سيرة ابن اسحق ــ ص ٥٩ . ٢٢٩

مبكرا وتتزوج فى سن العاشرة وتلد بنين وبنات ، لا تصلح خديجة — بمقياس السن — لمحمد الا أما ، تعوضه حرمان الأمومة الحانية التى فقدها منذ كان طفلا لم يتجاوز السادسة ..

وهناك تدخلت صديقتها نفيسة بنت منيه ففاتحت محمدا ، تحثه على الزواج لكى تهنأ حياته . فكان جوابه : ما بيدى ما اتزوج به .

الا أن جوابه هذا قد شجعها على لفت نظره الى خديجة ..

وبين هذا وذاك، تشجعت خديجة وارسلت اليه قائلة : « يابن عم . انى قد رغبت فيك لقرابتك منى ، وشرفك فى قومك ، وسطتك[1] فيهم ، وأمانتك عندهم . وحسن خلقك . وصدق حديثك ..

فلما قالت ما قالت ، ذكر ذلك لأعمامه . فخرج معه حمزة ابن عبد المطلب . حتى دخل على أسد بن أسد فخطبها اليه »[2] .

وهكذا تزوج محمد خديجة . فولدت له كل أولاده — الا ابراهيم — وهم : القاسم وبه كان يكنى ، وعبد الله . وزينب ، ورقية . وأم كلثوم ، وفاطمة . وقد مات البنون قبل النبوة ، أما البنات فقد أدركن الاسلام فأسلمن وهاجرن معه .

*

انقضت خمس عشرة سنة على زواج محمد بخديجة كانا فيها نعم الزوجين وفى اقترابه من الأربعين عاما بدأت تلوح له ارهاصات النبوة ، وأولها الرؤيا الصادقة ، فكان لا يرى رؤيا فى نومه الا تحققت . ولقد حبب اليه الخلاء والبعد عن صخب الحياة ، ثم بدأ يعتزل وحيدا فى غار حراء أياما أو أسابيع كل عام ، حتى اذا كانت احدى الليالى من العشر الأواخر من رمضان ، فجئ الوحيء محمدا وبدأ يتلقى القرآن ..

---

(١) قوله : وسطتك . فسره السهيلى من الوسط . وقال : فلان أوسط القبيلة ، اعرفها وأولاها بالصميم .

(٢) المرجع السابق — ص ٦٠ — ٦١

يقول محمد رسول الله : « جاءنى جبريل بنمط من ديباج فيه كتاب • فقال : اقرأ • قلت : ما أنا بقارىء • قال : فغتنى به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ • قلت : ما أنا بقارىء • فغتنى به حتّى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ • فقلت : ماذا أقرأ ؟ وما أقولها الا تنجيا أن يعود لى بمثل الذى صنع بى•

فقال : « **اقرأ باسم ربك الذى خلق • خلق الانسان من علق • اقرأ وربك الأكرم • الذى علم بالقلم • علم الانسان ما لم يعلم** » (العلق : ١–٥).

قال : فقرأتها ، ثم انتهى فانصرف عنى • فخرجت حتى اذا كنت فى وسط الجبل سمعت صوتا من السماء يقول : يا محمد ، أنت رسول الله وأنا جبريل • فرفعت رأسى الى السماء أنظر : فاذا جبريل فى صورة رجل صاف قدميه فى أفق السماء يقول : يا محمد ، أنت رسول الله وأنا جبريل • فوقفت أنظر اليه فما أتقدم وما أتأخر ، وجعلت أصرف وجهى عنه فى آفاق السماء ، فلا أنظر فى ناحية منها الا رأيته كذلك • ثم انصرف عنى » •

رجع رسول الله الى خديجة يرتجف ، حتى اذا ذهب عنه الروع قال لها : أى خديجة ، مالى ؟ لقد خشيت على نفسى • ثم أخبرها الخبر •

فقالت له خديجة : أبشر يابن عم واثبت • فوالله لا يخزيك الله أبدا • انك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق •

لقد كانت أخلاق محمد ــ التى خبرتها خديجة عن كثب وما اشتهر به بين الناس من جميل المحامد وعظيم السجايا ، هى حيثيات الحكم التى استندت اليها فى التأكيد على صدق ما جاءه ، وأنه « الحق » من الله • لكن الأمر لا يقف عند هذا الحد ، فما كان خبر السماء الا ليؤخذ بكل الجد ويستيقن منه بالبحوث والتجارب •

وهناك يحدث أمران هما بمقياس العصر تجارب معملية كتلك التى تجرى لدراسة ظاهرة من الظواهر الطبيعية •

الأول : انطلقت خديجة الى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان قد عرف خبر الوحى من الأسفار السابقة ، فلما أخبرته بما حدث لمحمد وما رآه وسمعه ، أطرق مليا ثم قال : قدوس ! قدوس ! والذى نفس ورقة بيده ، لئن كنت صدقتنى يا خديجة ، لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى ، وانه لنبى هذه الأمة ، فقولى له فليثبت » .

الثانى : طلبت خديجة الى محمد أن يخبرها بمجىء الملك متى رآه . فلما جاء الملك ــ يراه محمد ولا تراه خديجة ــ أجلست زوجها محمدا على فخذها الأيسر ، ثم على فخذها الأيمن ، ثم فى حجرها ، وفى كل مرة تسأله عنه فيخبرها أنه لا يزال يراه . حتى اذا حسرت وألقت خمارها فاذا بمحمد لم يعد ير الملك .

لم يبق ــ اذن ــ شك فى ان هذا الذى يأتيه انما هو ملك طاهر ، كما لم تبق هناك أية فرصة للشك فى أن محمدا صلى الله عليه وسلم وخديجة كانا أكثر الناس حرصا على التثبت من حقيقة هذا الأمر الجديد الذى لا عهد لهما ولأمتهما به من قبل .

*

وهنا يستدعى انتباهنا ثلاث نقاط هامة نعرضها فيما يلى :

١ ــ ان حرص محمد وخديجة على التثبت من حقيقة هذا الأمر الجديد يأتى برهانا على الصدق مع النفس ، وهذا ولا شك أول درجات الصدق . فاذا كان الانسان صادقا مع نفسه ، كان حريا به أن يكون صادقا مع أهله وقومه وخاصة اذا كان الأمر يتعلق بدعوة كبرى يتوقف عليها مصائر الناس فى الدنيا والآخرة . ان هذا ما اتسم به رجال الله الصادقين .

ولقد رأينا ــ سلفا ــ كيف تصرف جدعون مع « ملاك الرب » الذى أرسله « ليخلص اسرائيل من كف مديان »[1] ، فقد أجرى معه

---

(١) راجع ص ١٩ ، ٢٠ .

تجربتين ليستوثق من أن الرب « يخلص بيده اسرائيل ، كما تكلم » حقا وصـــدقا .

❊

٢ ــ دفع الملك الأعظم جبريل الكتاب الى محمـــد قائلا لــه : « اقرأ » . فقال له محمد : « ما أنا بقارىء » ...

سبحان الله ! ان هذه واحدة من نبوءات اشعيا التى ســبق أن ألمح اليها فى مثله الذى قال فيه :

« يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال له : اقرأ هذا ، فيقول : **لا اعرف الكتابة** ــ اشعيا ٢٩ : ١٢ » .

لقد تحققت هذه النبوءة كاملة فى محمد خاتم النبيين حين جاءه الوحى لأول مرة .

ومع ذلك ، فهنا شىء خطير لا بد من استبيانه ...

ان النبوءة السابقة من سفر اشعيا (٢٩ : ١٢) تتحدث عمن يدفع اليه الكتاب ، « ويقال له : اقرأ هذا » . فاذا كان لا يعرف القراءة كان حريا أن تكون اجابته : « لا أعرف القراءة » ، وليس : « لا أعرف الكتابة » كما نجده مسطورا فى التراجم العربية للكتاب المقدس ، سواء ترجمة البروتستانت ، أو ترجمة الكاثوليك (طبعة ١٩٨٣) .

ولقد دفعنى هذا الى مراجعة التراجم الحديثة للكتاب المقدس ، فكان الأمر كما توقعت ، وعلى غير ما تقول به التراجم العربية .

فالنسخة الانجليزية المعروفة باسم : **الترجمة القياسية المراجعة** (REVISED STANDARD VERSION) تقول هذه الجملة كالآتى :

« And when they give the book to one who cannot read, saying, (Read this, , he says) I cannot read ».

وترجمتها : « وعندما يدفعون الكتـــاب **لمن لا يعرف القراءة** قائلين له : اقرأ هــذا ، فيقول : **لا اعرف القراءة** » .

والنسخة الفرنسية المعروفة باسم : **الترجمة الفرنسية المسكونية** .
(TRADUCTION OECUMENIQUE de La BIBLE)

تقول نفس الجملة السابقة كالآتى :

« On le donne alors à celui qui ne sait pas lire en disant : (Lis donc ceci'l il répond) : ' Je ne sais pas lire. »

وترجمتها : « يدفع (الكتاب) بعدئذ **لمن لا يعرف القراءة** ويقال له : اقرأ هذا ، فيرد قائلا : **لا اعرف القراءة** » .

لقد حرف مترجمو الكتاب المقدس الى العربية تلك النبوءة ، واضعين كلمة « الكتابة » ومشتقاتها بدلا من كلمة « القراءة » ومشتقاتها ، حتى لا يلمح القارىء العربى قول المجيب : « لا أعرف القراءة » أو « ما أقرأ » أو « ما أنا بقارىء » وهو ما عبر عنه محمد رسول الله ﷺ فى رده على الملك الأعظم جبريل فى أول وحى تلقاه .

ان الذى يكذب على الناس يفقد الثقة والاعتبار وترفض شهادته فى امور دنياهم ، فمال هؤلاء القوم لا يزالون سادرين فى غيهم الى اليوم رغم افتضاح أمرهم(١) بسبب التلاعب فى تراجم الكتاب المقدس . وها هو كتابهم ينطق عليهم بخطيئة التحريف التى اعتادوها منذ القديم ، فيقول : « كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا . **حقا انه الى الكذب حولها قلم الكتبة الكاذب** .»

أما وحى الرب فلا تذكروه بعد لأن كلمة كل انسان تكون وحيه ، **اذ قد حرفتم كلام الاله الحى رب الجنود الهنا** ــ أرميا ٨ : ٨ ، ٢٣ : ٣٦ » .

*

---

(١) من أراد المزيد من أمثلة العبث بتراجم الكتاب المقدس ، فليراجع كتاب المؤلف : اختلافات فى تراجم الكتاب المقدس ــ الناشر : مكتبة وهبة بالقاهرة .

٣ ـ فجىء الوحى محمدا فى غار حراء فأصابه من الفزع الشىء الكثير . وكانت زوجه خديجة نعم المواسى والصديق المخلص ذو العقل الرشيد . فلقد أذهبت عنه روع المفاجأة بكلماتها الحانية ، وساندته بثقتها فى الله الذى طبعه على الخلق العظيم ، فمحال أن يخزيه ، ثم سلكت به سبيل أهل الخبرة بوحى السماء حين هرعت الى ورقة بن نوفل الذى أخبرها أن ما تعرض له محمد انما هو نداء السماء له ، فليثبت .

والحق أن هذا هو طابع الوحى مع عبيد الله من الأنبياء المختارين :

الفجاءة فى المجىء ، والشدة والكرب عند التلقين .

يقول **اريك هيتون** فى كتابه : « **انبياء العهد القديم** » عن الملامح المشتركة بين انبياء الله : « **ان رجال الله حينما حملوا الرسالة الى البشر ، فانهم بقوا بشرا كما كانوا .... واذا اردنا الحديث عن القوة الجبرية التى تلقى بها الأنبياء وحى الله ، فيجب ان نعلم انها كانت اقوى نوع من الجبرية واعظمه** ....ان رجال الله لم يولدوا لمهنة ، ولم يمروا خلال فترة للتلمذة ، ولم تكن هناك نقابة للأنبياء ينتسبون اليها ، كذلك فانهم لم يتلقوا دراسة خاصة فى التعاليم اللاهوتية تؤهلهم لذلك . لقد انتهوا كما بدأوا رجالا بسطاء أنقياء .

وقد كان عاموس مثل اليشع ، كلاهما جاءته كلمة الله وهو يعمل فى الحقل : « أخذنى الرب من وراء الضأن وقال لى الرب : اذهب تنبأ لشعبى اسرائيل ـ عاموس ٧ : ١٥ » .

ان بساطة هذا القول تعطيه الصدق والثقة فيه .

وبالمثل كان موسى يرعى غنم حميه عندما رأى الشجيرة المشتعلة ، وهى تماثل ما رآه اشعيا فى الهيكل (اشعيا ـ الاصحاح ٦) »[1] .

---

(1) E. Heaton : THE OLD TESTAMEMT PROPHETS, pp. 52 - 53.

لقد كانت الفجاءة فى المجىء خاصية مشتركة بين هؤلاء الأنبياء ، وغيرهم مثل داود (صموئيل الثانى ٧ : ٨) واليشع (الملوك الأول ١٩ : ١٦ ـ ٢٠) . ونجد فى صموئيل مثلا حيا لبساطة الاختيار المفاجىء ليكون نبيا . فقد « كان الصبى صموئيل يخدم الرب أمام الكاهن عالى » . وبعد أن اضطجع للنوم ، اذا به يسمع صوتا يناديه ، فظنه الكاهن عالى ، فذهب اليه ، فقال عالى : « لم أدع . ارجع واضطجع » . ولما تكرر ذلك للمرة الثالثة « فهم عالى أن الرب يدعو الصبى ، فقال عالى لصموئيل : اذهب اضطجع ويكون اذا دعاك تقول : تكلم يا رب لأن عبدك سامع ..

فجاء الرب ودعا كالمرات الأولى .. فقال صموئيل : تكلم لأن عبدك سامع .... وكبر صموئيل وكان الرب معه .... وعرف جميع اسرائيل .... أنه قد اؤتمن صموئيل نبيا للرب ـ صموئيل الأول ٣ : ١ ـ ٢٠ » .

*

هذا بالنسبة لمفاجئة الوحى فى المجىء ، وأما بالنسبة للشدة والكرب عند التلقين فتلك خاصية أخرى مشتركة بين أنبياء الله . ففى أول وحى تلقاه موسى : « غطى موسى وجهه لانه خاف ـ خروج ٣ : ٦ » .

واستمر الحال كذلك ، اذ كانت شدة الوحى تنعكس على وجهه « وكان لما نزل موسى من جبل سيناء ولوحا الشهادة فى يد موسى عند نزوله من الجبل ،ان موسى لم يعلم ان جلد وجهه صار يلمع فى كلامه معه . فنظر هارون وجميع بنى اسرائيل موسى ، واذا جلد وجهه يلمع . فخافوا ان يقتربوا اليه .... ولما فرغ موسى من الكلام معهم جعل على وجهه برقعا ـ خروج ٣٤ : ٢٩ ـ ٣٣ » .

وتتكلم عن ذلك أسفار العهد الجديد فتقول : « كان المنظر هكذا مخيفا » حتى قال موسى : انا مرتعب ومرتعد ـ عبرانيين ١٢ : ٢١ » .

ولقد استمر الوحى شديدا مع النبى محمد فيعانى من شدته الكثير . ولقد شاهد أصحابه هذه الشدة واستشعروها . وفى هذا قال عبادة بن الصامت : « **كان النبى اذا نزل عليه الوحى كرب له ، وتربد وجهه** » . وقال زيد بن ثابت : « أنزل (الوحى) على رسول الله ﷺ . وفخذه على فخذى ، **فكادت ترض فخذه فخذى** » .

ولم تكن شدة الوحى أمرا تفرد به موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، بل نراها ظاهرة غالبة فى الأنبياء الكبار .

فها هو الياس (ايليا) يتلقى الوحى وسط جو مفزع حدثت فيه « **ريح عظيمة وشديدة شقت الجبال وكسرت الصخور .... وبعد الريح زلزلة وبعد الزلزلة نار .... وبعد النار صوت منخفض خفيف . فلما سمع ايليا لف وجهه بردائه ــ الملوك الأول ١٩ : ١١ ــ ١٣** » .

وكان الوحى شديدا مع اشعيا حتى ان الملاك كوى شفتيه بالجمر الملتهب حتى يهيئه لتلقى الرسالة الى شعبه « **طار الى واحد من السرافيم (الملائكة) وبيده جمرة قد اخذها بملقط ومس بها فمى .** وقال : ان هذه مست شفتيك فانتزع اثمك وكفر عن خطيتك ــ اشعيا ٦ : ٦ ــ ٧ » .

وكذلك كان الوحى شديدا مع حزقيال الذى يصف ذلك بقوله : « **حملنى روح فسمعت خلفى صوت رعد عظيم ..** فحملنى الروح وأخذنى فذهبت مرا فى حرارة روحى **ويد الرب كانت شديدة** على ــ حزقيال ٣ : ١٢ ــ ١٥ » .

*

هذا ــ ونعود الآن الى خديجة التى تزوجت محمدا وعاشا معا خمسة عشر عاما فى هناءة وطيب مقام . أنجبا خلالها بنين وبنات قرت بهم العيون . ثم كان الوحى والنبوة والرسالة بمثابة

فتح جديد ، قلب المعتقدات والمفاهيم الخاطئة ، وأعاد صياغة العلاقات بين الله والانسان والكون على أسس من الحق والخير والجمال . وكان لهذا أثره الواضح فى حياة تلك الأسرة السعيدة ، اذ بدأ عهد الجهاد والمشقة بعد أن ولى عهد الراحة وهدوء البال . قام رسول الله صلى عليه وسلم يدعو الناس سرا فاستجاب له نفر قليل ، وكانت زوجه خديجة أول من آمن به من النساء ، واستمر على تلك الحال ثلاث سنين سرى خلالها الاسلام بين المكيين على الرغم من تصدى عتاة القوم للرسول وصحبه وتعذيبهم والتنكيل بهم . فلما رأى الرسول ما يصيب أصحابه من البلاء ، وأنه لا يقدر على حمايتهم ، عرض عليهم أن يهاجروا الى الحبشة اذ علم أن بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، حتى يجعل الله لهم مخرجا . فكانت الهجرة الأولى الى أرض الحبشة . فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله « قد نزلوا بلدا أصابوا به أمنا وقرارا ، وأن النجاشى (ملك الحبشة) قد منع من لجأ اليه منهم .. وجعل الاسلام يفشو فى القبائل ، اجتمعوا وائتمروا بينهم أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى عبد المطلب : ألا ينكحوا اليهم ، ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئا ، ولا يبتاعون منهم .

فلما اجتمعوا لذلك كتبوه فى صحيفة ، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة فى جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم »(١) .

وما كانت هذه المقاطعة والحصار القاتل الا ليزيد أبا طالب — عم الرسول — على توكيد حمايته له وللمسلمين معه ، فأدخلهم شعبه الذى يحمل اسمه .

ولما رجع عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة — مبعوثا قريش الى النجاشى ليحرضانه على طرد المسلمين من أرضه —

---

(١) تهذيب سيرة ابن هشام — ص ٧٤

وأخبرا قومهما بفشل مهمتهما « آذوا النبى ﷺ وأصحابه أذى شديدا ، وضربوهم فى كل طريق ، وحصروهم فى شعبهم . وقطعوا عنهم المادة من الأسواق ، فلم يدعوا أحدا من الناس يدخل عليهم طعاما ولا شيئا مما يرفق بهم ..

فعلوا ذلك ثلاث سنين حتى بلغ القوم الجهد الشديد . وحتى سمعوا أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب »(١) .

*

لقد خرجت خديجة مع زوجها رسول الله ، وأولادهما . الى شعب أبى طالب . وعاشت معه ومع المسلمين عيشة الضنك والجوع والخوف . وكانت نعم المجاهدة فى سبيل الله ، حتى أذن الله بتفريج الكرب ، فنقضت تلك الصحيفة الظالمة ، وعاد المؤمنون الى ديارهم بمكة . ولم تكن تلك العودة ايذانا بنهاية عهد الاضطهاد والتعذيب ، لكنها كانت بداية لمرحلة أخرى جديدة من فتن المسلمين وصدهم عن دين الله .

وما هى الا بضعة شهور بعد فك ذلك الحصار ، حتى توفيت خديجة عن عمر يناهز الخامسة والستين عاما ، وكان ذلك عقب أيام معدودات من وفاة أبى طالب ، فكان ذلك العام ــ كما دعاه المؤرخون بحق ــ عام الحزن .

لقد عاشت خديجة زوجة وحيدة لمحمد ﷺ طيلة خمسة وعشرين عاما ، أفنى معها كل شبابه حتى دلف الى شيخوخته ، وكانت خير زوجاته على الاطلاق . لقد أقسم الرسول على ذلك لعائشة البكر الوحيدة بين نسائه ، والتى زعموا أنها كانت صاحبة الحظوة عنده .

فبعد الهجرة الى المدينة أقبلت هالة ــ أخت خديجة ــ الى بيت

---

(١) سيرة ابن اسحق ــ ص ١٤٠

الرســول فلمــا ســمع صوتهــا ، وكان يشـــبه صــوت زوجــه العزيزة الراحلة خديجة ، هتف قائلا : « اللهم هالة ! فما ملكت عائشــة نفسها أن قالت : ما تذكر من عجوز من عجائز قريش ، حمراء الشدقين، هلكت فى الدهر ، أبدلك الله خيرا منها !

فتغير وجهه عليــه الصلاة والســلام ، وزجر عائشــة غاضبا : والله ما ابدلنى الله خيرا منها : آمنت بى حين كفر النــاس ، وصدقتنى اذ كذبنى الناس ، وواستنى بمالها اذ حرمنى الناس ، ورزقنى منها الله الولد دون غيرها من النســاء .

فأمسكت عائشــة وهى تقــول فى نفســها : والله لا أذكرهــا بعدها أبدا ...

وكانت قبل ذلك ، لا تكف عن الكلام فيها !

قالت له يوما وقد ألفتــه لا ينقطع عن ذكرها : كأن لم يكن فى الدنيا امرأة الا خديجة !

فرد عليهــا ، ﷺ : ... انهــا ... وكانت ... ، وكان لى منهــا ولد !

وطالمــا سمعت عائشة رضى الله عنها تقول :

مــا غرت من امرأة لرســول الله ﷺ مــا غرت من خديجة ، لمــا كنت أســمع من ذكره لهــا . ومــا تزوجنى الا بعــد موتها بثلاث ســنين »[1] .

*

وهــكذا كان الزواج الأول لمحمــد ﷺ : أرملة فى سن أمــه ، قضى معهــا ربــع قرن فى حيــاة زوجيــة كريمــة ، حتى اذا ماتت ظل يصرح لمن حوله بحبها واكبارها ، ثم يقسم أنها خير نسائه لأسباب هى : الايمان برسالته ، ودعمه ماديا ومعنويا ، ثم انجابها الذرية له . وجميعها أسباب لا تمت الى متعــة الجســد وشــهوته المشروعة من

---

(١) نساء النبى : للدكتورة عائشة عبد الرحمن ص ٥١ ــ ٥٣

قريب أو بعيد . وحتى اذا كانت تلك المتعة والشهوة المشروعة دافعا لزواج محمد ﷺ ـ سواء بخديجة أو بغيرها ـ فما ذلك بعيب طالما كان انسانا كاملا يملك نفسه ولا تملكه أهواء النفس . ومن مثل محمد ﷺ يملك نفسه ، كما قالت عائشة زوجه فيما بعد . فهو أولا وأخيرا بشر كما قال القرآن بوضوح : ﴿ قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد ﴾ (الكهف : ١١٠) .. لكنه بحق أفضل البشر .

* *

سودة بنت زمعة : لقد ماتت خديجة بنت خويلد وأبو طالب فى عام واحد فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب « بهلك خديجة ، وكانت له وزير صدق على الاسلام ، يشكو اليها ، وبهلك عمه أبى طالب ، وكان له عضدا وحرزا فى أمره ، ومنعة وناصرا على قومه ، وذلك قبل مهاجره الى المدينة بثلاث سنين .

فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به فى حياة أبى طالب ، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش ، فنثر على رأسه ترابا . ودخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه ، فقامت احدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهى تبكى ، ورسول الله ﷺ يقول لها : لا تبكى يا بنية ، فان الله مانع أباك . ويقول بين ذلك : ما نالت منى قريشا شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب »[١] .

لقد كان « الصحابة يرقبون آثار الحزن على نبيهم فيشفقون عليه من تلك الوحدة ، ويودون لو يتزوج ، لعل فى الزواج ما يؤنس وحشته بعد أم المؤمنين الراحلة .

لكن واحدا منهم لم يجرؤ على التحدث اليه فى موضوع الزواج حتى كانت خولة بنت حكيم السلمية هى التى سعت اليه ذات

---

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ص ٨٧ ، ٨٨

مســاء متلطفة مترفقــة ، تقــول : يا رســول الله ، كأنى أراك قــد دخلتك خلة لفقد خديجة !

فأجاب : أجل . كانت أم العيال وربة البيت .

فتشاغلت خــولة بالنظر الى بعيــد ، ثم أقبلت على الرســول فاقترحت عليــه فجــأة أن يتزوج .. فســألها فى نــبرة عتــاب :

من بعد خــديجة ؟

فردت خولة على الفور : عائشة ... بنت أحب الناس اليك ..

فأجاب : لكنها ما تزال صغيرة يا خولة ...

وكان رد خولة حاضرا : تخطبها اليــوم الى أبيها ثم تنتظر حتى تنضج .. لكن . من للبيت يرعى شئونه ، ومن لبنات الرسول يخدمهن ؟ فاقترحت عليه : ســودة بنت زمعة بن قيس العامرية .. فأذن لهــا رسول الله ﷺ فى خطبتها »[1] .

وهكذا « تزوج رســول الله ﷺ بعــد خديجــة ، ســودة بنت زمعــة ، وكانت قبله عند الســكران بن عمرو ، وكان ابن عمها ، تزوجها وهى بكر . فهاجر الى أرض الحبشة ، ثم قدما مكة فمات عنها مســلما بمكــة ، فتزوجهــا رســول الله ﷺ ، ولم يصب منهــا ولدا حتى مات »[2] .

لقد كانت سودة أرملة مسنة ليس لها من الجمال أو المال نصيب ، ومــا تزوجهــا رســول الله الا ليجبر كسرهــا ويرحم شيخوختها ، وقــد أبلت فى الاســلام بلاء حســنا ، وتحملت المخاطر والأهوال فى الهجرة مع زوجها الى الحبشة ثم فى العودة الى مكة . ولمــا مات زوجها صــارت مهيضــة الجنــاح معرضــة لنكال أبيها الذى كان مشركا . والحل الوحيد أن يتزوجها رجل مسلم ــ والمسلمون يومئذ قليل ــ ليحميها ويرد عنهــا الفتنــة فى دينهــا . ومــا كان غير رســول الله لينقــذ

---

(۱) نســاء النبى ص ٥٨ ، ٥٩

(۲) سيرة ابن اسحق ص ۲۳۸

هـذه المسكينة ويعوضها خيرا ، فيتخـذها زوجـا ويجعلها أما راعية لبنـاته .

لقـد كانت سودة ثقيلة الجسم ، فى مشـيتها مما يثير ضـحك ناظريها ، وكان فيها طيبة تقرب من السذاجة . ولقد كانت هى أول من يعلم مثالبها ، وأنها لن تستطيع أن تملأ مكان خديجة . ولمـا جـاءت عائشة زوجـة للرسـول بعـد سـنوات ، لم تملك الا أن تعلن له أنهـا لم تعـد تريد ما يريد النسـاء من أزواجهن ، وأنها تتنازل عن ليلتها لعائشة .

وهكذا صـارت سودة بنت زمعة ـ كما قال نظمى لوقا بحق ـ زوجة شرف ، لا غير .

**

عائشـة بنت ابى بكر : « تزوج رسـول الله ﷺ بعد سـودة بنت زمعـة ، عائشة بنت بنت أبى بكر . ولم يتزوج بكرا غيرها ، ولم يصب منها ولدا حتى مات »[1] .

وكيف لا يصـاهر الرسـول ﷺ أبـا بكر وهو : أول من آمن من الرجـال ، قال فيه الرسول : « ما دعوت أحـدا الى الاسـلام الا كانت فيـه عنـده كبـوة ونظر وتردد ، الا مـا كان من أبى بكر ابن أبى قحافة ، ما عكم ـ أى ما تلبث ـ حين ذكرته له ومـا تردد فيه »، وقال أيضا : « ما نفعنى مال قط ، ما نفعنا مال أبى بكر » . قيل : فبكى أبو بكر وقال : « يا رسول الله ، وهل أنا ومالى الا لك » ؟!

لقد خطب رسـول الله عائشة ـ على القول الراجح ـ وهى فى السابعة من عمرها ، ودخل بها بعد أن بلغت العاشرة . وقد كانت عادة تلك البيئات ـ ولا تزال الى اليوم ـ أن تخطب الفتاة مبكرا ثم تتزوج

---

(١) سيرة ابن اسحق ص ٢٣٩

خلال بضع سنين بعد أن ينضج ويكتمل بناؤها . وهذا ما كان من أمر عائشة قبل خطبتها الى رسول الله . فقد خطبها المطعم بن عدى لابنه جبير . فلما جاءت خولة بنت حكيم لتخطبها لرسول الله قال لها أبو بكر : « انتظرينى حتى أرجع ...

وقالت أم رومان (زوجه) تجلو الموقف للخاطبة : ان المطعم بن عدى كان قد ذكر عائشة على ابنه جبير . ولا والله ما وعد أبو بكر شيئا قط فأخلف . فدخل أبو بكر على مطعم وعنده امرأته أم جبير ــ وكانت مشركة ــ فقالت العجوز : يابن أبى قحافة ، لعلنا ان زوجنا ابننا ابنتك ، أن تصبئه وتدخله فى دينك الذى أنت عليه ؟!

فلم يرد عليها أبو بكر ، بل التفت الى زوجها المطعم فقال : ما تقول هذه ؟

أجاب : أنها تقول ذلك الذى سمعت .

فخرج أبو بكر وقد شعر بارتياح لما أحله الله من وعده ، وعاد الى بيته فقال لخولة : ادعى لى رسول الله »(1) .

فما كان أبو بكر ليزوج ابنته فى بيت من المشركين الذين ينقمون على الاسلام والمسلمين .

ولقد خاض جهلة المستشرقين فى أمر فارق السن بين رسول الله وعائشة اذ غابت عنهم خصائص تلك البيئة العربية وما شابهها ــ قديما وحديثا ــ والتى لا تجعل فارق السن بين الزوجين محل اعتبار ، حيث ان انجاب الذرية هدف أساسى يرجح تحقيقه فى حالة الزوجة صغيرة السن ذات الخصوبة العالية التى لا تلبث أن تتضاءل كلما مرت الأيام . « فلقد تزوج عبد المطلب الشيخ من هالة بنت عم آمنة فى اليوم الذى تزوج فيه عبد الله أصغر أبنائه من ترب هالة : آمنة بنت وهب . وسيتزوج عمر بن الخطاب من بنت على بن أبى طالب ، وهو

---

(1) نساء النبى ص ٧١

فى ســن فوق ســن أبيها ! ويعرض عمر على أبى بكر أن يتزوج ابنته الشــابة حفصة ، وبينهما من فارق الســن مثل الذى بين الرســول وعائشة »[1] .

وفى تاريخ الأنبياء الســابقين مثل ذلك ، بل وأكثر من ذلك ...

فها هو ابراهيم ــ خليل الله ، وأبو الأنبياء ــ يخبرنا كتبة التوراة أنه لما خرج مهاجرا الى أرض كنعان « كان ابن خمس وسبعين ســنة ــ تكوين ١٢ : ٤ » بعد ذلك حدثت مجاعة اضطرته أن ينحدر « الى مصر ليتغرب هناك » . وبعد ما حدث من فرعون مصر لســارة ، وما منح ابراهيم بســببها من عبيد وجوارى وأنعام ، عاد ثانية الى أرض كنعان (تكوين ١٢ : ١٠ ــ ٢٠) . ولـمـا كان لا يزال بلا ذرية بسبب عقم سارة ، فقد أخذت هذه « هاجر المصرية جاريتها من بعد عشر ســنين لاقامة ابرام فى أرض كنعان وأعطتها لابرام رجلها زوجة له ، فدخل على هاجر فحبلت ــ تكوين ١٦ : ٣ ــ ٤ » « وكان ابرام ابن ست وثمانين سنة لـمـا ولدت هاجر اسماعيل لابرام ــ تكوين ١٦ : ١٦ » .

وباعتبار أن هاجر عندما قدمت لابراهيم وسارة كهدية فرعونيــة كانت لم تتعد العشرين ربيعا[2] ، وهى السن المقبــولة لمثــل هــؤلاء الفتيات ، نجــد أن :

عمر ابراهيم عندما تزوج هاجر : ٨٦ ــ ١ = ٨٥ سنة .

وعمر هاجر عندما تزوجت ابراهيم : ٢٠ + ١٠ = ٣٠ سنة .

وبذلك يكون فرق الســن : ٥٥ ســنة .

وفى حالة داود نجد أنه لـمـا توفى كان عمره (حسب سفر صموئيل الثانى ٥ : ٤) يبلغ سبعين عاما .

---

(١) نســاء النبى ص ٧٥

(٢) كانت جويرية بنت الحارث أقل من ٢٠ سنة لـمـا وقعت سبية فى غزوة بنى المصطلق ، وكانت صفية بنت حيى بن اخطب أقل من ١٧ سنة لـمـا وقعت سبية فى غزوة خيبر ــ نهاية الأرب ص ١٨٣ ، ١٨٧

« ولما شاخ الملك داود وتقدم فى الأيام .. فتشوا على فتاة جميلة .. فوجدوا أبيشج الشونمية فجاءوا بها الى الملك » .

فهذه الفتاة ما كانت لتتعدى العشرين ربيعا أو دون الخامسة والعشرين على أقصى الفروض . وهى حاضنة لداود يداعبها وتداعبه .

لقد كان فرق السن بين داود وآخر نسائه يتعدى ٤٥ سنة على أقل تقدير .

*

ومهما يكن من أمر ، فها هو بودلى ــ يرد على بعض افتراءات بنى جلدته فيقول : « قام محمد بعد موت خديجة بفعل ما كان منتظرا ، فقد تزوج من اثنتين ، وما كان الحب الدافع الى احدى الزيجتين . فقد كانت احدى الزوجتين طفلة فى السابعة من عمرها (حين خطبها) ، وكانت الثانية متوسطة فى العمر وليست على جانب من الجاذبية ، وكان زوجها ممن هاجر الى الحبشة سنة ٦١٤ م ومات بها . وكان الدافع الى هاتين الزيجتين دافعا عمليا . فكانت الطفلة عائشة بنت أبى بكر ، صديقه الحميم ، وأول الناس اسلاما . ولا يمكن أن تنسب الى محمد فكرة الارتباط بعائشة ، فقد كان لموت خديجة أسوأ الأثر فى نفسه ، وكان الى جوار ذلك يلاقى من شانئيه اضطهادا . فما كان والحال هذه خلى البال ليفكر فى الزواج ، ولكن جاء الاقتراح عن طريق خولة بنت حكيم ، وقد قالت له : ان زواجه من عائشة فى ذلك الوقت ان هو الا خطبة ، وبذلك يضمن أن بنت أعز أصدقائه وأخلصهم تصبح من أسرته ، فقبل محمد ذلك ..

ان كثيرا من المؤرخين قد لاموا محمدا على ذلك الزواج ، فمحمد لم يفكر فى ذلك الزواج ابدا ..

أما الزوجة الثانية فهى سودة بنت زمعة : فانها دخلت بيت محمد

كمربية أكثر من أى شىء آخر ، وكانت امرأة ضخمة ثقيلة ، ولم يشعر محمد نحوها بأدنى عواطف الحب ، ولكنها كانت من أوائل المسلمات ، وقد مات عنها زوجها فى مهجره فى سبيل عقيدته ، وقد قالت خولة لابن أختها ان أقل ما يفعله لها هو أن يتزوج بها . فانها لم تعش الا قليلا وزوجها الأول . وقد حاول محمد فى ظروف كثيرة أن يتخلص منها ، ولكنها عرضت أن تبقى دون أن يكون لها امتيازات . وبقيت فى الحريم الى أن ماتت دون أن تجد من يلحظ موتها أو يحزن عليها .

ولو أنه قد تيسر لمحمد أن يتزوج الكثيرات ، الا أنه لم يجد راحة البال . فبعد موت خديجة وأبى طالب . عمل أبو جهل وأبو سفيان جاهدين على التخلص من هذا الصابىء ، فأعلنوا دون مناقشة فى مكة أن لا بد من قتل محمد ، فوجد محمد نفسه مضطرا الى الفرار مرة أخرى »[1] .

لعل فى قول بودلى هذا ــ رغم حاجته الى تنقيح ــ ما يزيل الغشاوة عن أعين أولئك الجاهلين ، فيكفوا عن ترديد أكاذيب ورثوها حول تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم .

* *

حفصة بنت عمر : « كانت حفصة من المهاجرات ، وكانت قبل رسول الله ﷺ عند خنيس بن حذافة السهمى وكان بدريا (ومن أصحاب الهجرتين ، هاجر الى الحبشة مع المهاجرين الأولين اليها ، ثم الى المدينة . وقد شهد احدا كذلك ، ثم مات بعدها فى دار الهجرة من جراحة أصابته فى احد) ، فلما مات عنها وتأيمت ، ذكرها عمر لأبى بكر وعرضها عليه ، فلم يرجع اليه أبو بكر كلمة ، فغضب من ذلك عمر . ثم عرضها على عثمان حين ماتت

---

(١) الرسول : حياة محمد ــ تأليف : ر . ف . بودلى ــ ص ١٢٦ ، ١٢٧

رقية بنت رسول الله ﷺ فقال عثمان : ما أريد أن أتزوج اليوم . فانطلق عمر الى رسول الله ﷺ وأخبره بعرضه حفصة عليه ، فقال له رسول الله ﷺ : يتزوج حفصة من هو خير من عثمان ، ويتزوج عثمان من هى خير من حفصة .

ثم خطبها رسول الله ﷺ الى عمر فتزوجها .. على رأس ثلاثين شهرا من مهاجره »[1] .

ولقد سمع عمر « يوما من زوجته أن ابنته تراجع الرسول ﷺ حتى يظل يومه غضبان ، فمضى من فوره حتى دخل عليها فسألها ان كان ما سمعه حقا ؟ أجابت بأنه حق ، فصاح يزجرها : تعلمين أنى أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله ، يا بنية ، لا يغرنك هذه التى أعجبها حسنها (عائشة) وحب رسول الله ﷺ اياها .

« والله لقد علمت ان رسول الله ﷺ لا يحبك ، ولولا انا لطلقك » ! (٢) .

**

زينب بنت خزيمة (أم المساكين) : « تزوج رسول الله ﷺ بعد حفصة ، زينب ابنة خزيمة الهلالية أم المساكين . وكانت قبله عند الحصين بن الحارث ، أو عند أخيه الطفيل بن الحارث ابن عبد المطلب بن عبد مناف ، فماتت بالمدينة أول نسائه موتا ، ولم يصب رسول الله ﷺ منها ولدا »[3] .

وقد اختلف الرواة فيمن كانت عنده قبل أن يتزوجها رسول الله ، فقالوا : « كانت قبل رسول الله ﷺ عند الطفيل بن الحارث ابن عبد المطلب بن عبد مناف فطلقها ، فخلف عليها أخوه عبيدة بن الحارث

---

(١) نهاية الأرب ـ ص ١٧٧ (٢) نساء النبى ص ١٢٣
(٣) سيرة ابن اسحق ص ٢٤١

فقتل عنها يوم بدر شهيدا ، فخلف عليها رسول الله ﷺ فى شهر رمضان على رأس واحد وثلاثين شهرا من مهاجره .

وقيل : كانت تحت عبد الله بن جحش فقتل عنها يوم أحد ، فتزوجها رسول الله ﷺ »[1] .

ورغم اختلاف الرواة فقد أجمعوا على أشياء منها : أن زينب بنت خزيمة كانت امرأة رحيمة القلب بارة بالفقراء والمساكين ، وأنها كانت أرملة لشهيد قرشى ، ولم تعرف بالجمال بين النساء ، ولم تمكث زوجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم سوى شهور معدودات حتى توفاها الله فماتت فى حياته ودفنت بالبقيع ، بالمدينة ، فكانت أول من دفن فيه من أمهات المؤمنين .

**

ام سلمة : تزوج رسول الله « أم سلمة هند بنت أبى أمية . وكانت قبله عند أبى سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . هاجرا جميعا الى أرض الحبشة ، ثم قدما المدينة ، فأصابته جراحة بأحد ، فمات بها من جراحته ، وتزوجها (أبو سلمة) وهى بكر ، فولدت له سلمة ، وعمر ، ودرة ، وزينب .

ولم يصب رسول الله ﷺ منها ولدا »[2] .

لقد كان زوجها ابن عمة رسول الله ، وكانت هى قرشية مخزومية ، أبوها أحد أجواد قريش المشهورين بالكرم . وقد شهد

---

(١) نهاية الأرب ص ١٧٨
(٢) سيرة ابن اسحق ص ٢٤٢ .

أبو سلمة غزوة بدر الكبرى ، ثم شهد يوم أحد وأبلى فيه بلاء حسنا ، ورمى بسهم فى عضده مكث يداويه . وبعد شهرين خرج على رأس سرية ضد بنى أسد . فقاد معركة ظافرة ، لكن جرحه يوم أحد لم يلبث أن قضى عليـــه .

وهكذا ترملت أم سلمة ، وقد كان لها ولزوجها سبقا فى الاسلام ، وفى الهجرة ، وفى الجهاد فى سبيل الله .

تقول أم سلمة فى وصف ما لحـق بها من أذى فى هجـرتها الى المدينة : « لمـا أجمع أبو سلمة الخروج الى المدينة ، رحـل بعيرا له وحملنى وحمل معى ابنى ســلمة ، ثم خرج يقود بعيره . فلما رآه رجال بنى المغيرة قاموا اليــه ، فقالوا : هذه نفســك غلبتنــا عليها . أرأيت صاحبتنا هذه . علام نتركك تســير بها فى البلاد ؟

ونزعوا خطام البعير من يده وأخذونى . فغضب عنــد ذلك بنــو عبد الأســد ، وأهووا الى ولدنا سلمة ، وقالوا لرهط زوجى : والله لا نترك ابننا عندها اذا نزعتموها من صاحبنا .

فتجاذبوا ابنى ســلمة حتى خلعوا يده ، وانطلق به رهط أبيــه ، وحبسنى بنو المغيرة عنـدهم . ومضى زوجى أبو ســلمة حتى لحـق بالمدينــة .

وفرق بينى وبين زوجى وابنى . فكنت أخرج كل غـداة وأجلس بالأبطح ، فما أزال أبكى حتى أمسى . ســنة او قريبا منها .

حتى مر بى رجل من بنى عمى ، أحـد بنى المغيرة ، فرأى ما بى ، فرحمنى ، فقــال : لبنى المغيرة : ألا تخرجـون هــذه المســكينة ؟ فرقتم بينها وبين زوجها وبين ابنها ! وما زال بهم حتى قالوا : الحقى بزوجك ان شئت .

.. ورد على بنو عبد الأســد عند ذلك ابنى ، فرحلت بعيرى ووضعت ابنى فى حجرى ، ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة ، وما معى أحــد من خلق الله »[1] ، وفى الطريق الى المدينة هيأ لها الله من يقودها الى منزل زوجها أبى سلمة فى مهاجره .

لقد كان التقدم للزواج من هذه الأرملة المجاهــدة واجب دين ، وواجب أخوة ، وواجب نخوة . وما كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتقاعسوا عن أداء هذا الواجب . فقد تقــدم لهـا أبو بكر ، فاعتذرت . ثم تقدم لها عمر ، فاعتذرت ، ثم تقــدم لهـا رســول الله ﷺ ، فاعتذرت قائلة : « انى امرأة كبيرة ، وانى أغار على زوجى ، وأخاف أن أغار على رســول الله ﷺ وأنا امرأة محسوسة سهمى ، وأنا مطفلة ذات عيال .

فقــال رســول الله ﷺ : أمــا مــا تذكرين من الكبر فــانه ليس عليك أن تتزوجى من هو أكبر منــك ، وأنــا أكبر منــك . وأما ما تذكرين من الغيرة ، فانى أدعو الله أن يذهبها عنك ، وأما ما تذكرين من السهم ، فأنا أدعو الله أن يحســن ســهمك ، وأما ما تذكرين من العيــال ، فمن ترك مالا فلورثته ، ومن ترك دينــا أو عيــالا ، فعلى الله وعلى رســوله .

فتزوجها رسول الله ﷺ »[2] بعد أن داوى كل معاذيرها .

**

زينب بنت جحش : « تزوج رسول الله ﷺ بعد أم سلمة ، زينب ابنة جحش ، أخت عبد الله بن جحش ، احدى نساء بنى أسد بن خزيمة . وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة . زوجه الله اياها ، فمات رسول الله

---

(١) نساء النبى ص ١٣٩ ــ ١٤٠
(٢) سيرة ابن اسحق ص ٢٤٣

ﷺ ولم يصب منها ولدا »[1] . « وكان اسم زينب : برة ، فسماها رسول الله ﷺ زينب . وأمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم ، عمة رسول الله ﷺ .. تزوجها رسول الله ﷺ وهى يومئذ بنت خمس وثلاثين سنة .»[2] .

كان زيد غلاما فى الثامنة من عمره حين بيع — اثر هجمة قبلية — فى احدى أسواق العرب ، فاشتراه حكيم بن حزام بن خويلد ، ثم دفعه ليد عمته خديجة بنت خويلد . فلما تزوجها سيدنا محمد ، وهبته زيدا ، فأعتقه وتبناه قبل المبعث ، وأعلن للملأ أن زيدا صار ابنه ، وارثا وموروثا . ومنذ ذلك اليوم دعى الغلام : **زيد بن محمد** .

وعندما آخى النبى بين أصحابه المهاجرين الى المدينة ، كان زيد — هذا الذي بيع فى سوق الرقيق — وحمزة بن عبد المطلب الهاشمى ، أخوين .

ولما بلغ زيد سن الزواج اختار له النبى زينب بنت جحش زوجة ، وهى بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب .

ولقد كرهت زينب ، وكره أخوها عبد الله بن جحش هذه الخطبة منذ الوهلة الأولى ، فما كان لشريفة قرشية أن تزف الى مولى من الموالى .

ففى احدى الروايات « أن رسول الله قال لها : انى أريد أن أزوجك زيد بن حارثة ، فانى قد رضيته لك .

فردت زينب على ولى أمرها — رسول الله ﷺ — وقالت :

---

(١) سيرة ابن اسحق ص ٢٤٤ (٢) نهاية الأرب ص ١٨

ولكنى لا ارضــاه لنفسى وانا ايم (عزبة) قومى ، وبنت عمتــك ، فلم اكن لأفعل »(١) .

وبعــد أخــذ ورد ، قال لهــا رســول الله : « قــد رضــيته لك زوجا » . فأجابت : « وقد رضيته زوجا يا رسول الله » .

لقد قبلت زينب الزواج من زيد على مضض ، امتثالا لأمر الله ــ سبحانه ــ فى قــوله : ﴿ وما كان لمؤمــن ولا مؤمنــة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ، ومن يعص الله ورســوله فقد ضل ضلالا مبينا ﴾ (الأحزاب : ٣٦) .

لقد تزوج زيد زينب قبــل الهجرة بثمان ســنوات ، وهاجرا الى المدينة ، وبقيت فى عصمته نحو ١٣ سنة ، كانت الحياة الزوجية فيها عبئا ثقيلا عليهما ، بل وعذابا لكل منهما ، وكم من مرة اشــتكى زيد لولى نعمته ــ رسول الله ﷺ ــ من استعلاء زينب عليه ، وعدم تمكنه من القوامة على أمر بيته ، وما يعانيه كل منهما من هم وغم ، بحيث لم يعد هناك من حل سوى الطلاق . وفى كل مرة ينصحه رسول الله ﷺ أن يصبر على أمره ، ويمسك عليــه زوجه ، فأبغض الحلال الى الله الطلاق . ولمــا بلغ الســيل الزبى ، واستحالت العشرة ، طلقها زيد ، ثم فرض الله على رسوله الزواج منها لحكمة تشريعية واضحة ، وهى ابطال عادة جاهلية كانت تجعل الأبناء الأدعياء ــ مثل زيد الذى دعى : زيد بن محمــد ــ تماما مثل الأبناء من الأصلاب ، فيما يتعلق بالميراث والزواج ونحوه .

فالآيــة القــرآنية تقول فى ذلك : ﴿ فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم اذا قضــوا منهن وطرا ، وكان امر الله مفعولا ﴾ (الأحزاب : ٣٧) .

لكن هذا الزواج ــ الوحيد الذى تم بأمر مباشر من السماء ــ أثار

---

(١) قصة زينب بنت جحش ، للدكتور محمد بديع شريف ص ١٥

من أحاديث الهمز واللمز والأقاويل الشيء الكثير . فقديما قال المشركون وأشياعهم : حرم محمد نساء الولد ، وقد تزوج امرأة ابنه .

وحديثا يتخذ المستشرقون وأشياعهم من المبشرين ، من هذا الزواج مادة للهجوم على الإسلام ونبيه . يبثونها فى نشراتهم المسمومة ، لعلها توقف تقبل الغرب للإسلام اليوم !

ولقد أغراهم بذلك ما وجدوه فى كتب التراث الاسلامى من روايات كثيرة مختلفة ، يزعم بعضها : محمدا ﷺ أعجبته زينب . ورغم أنه كتم ذلك فى نفسه ، فما لبث أن تزوجها بمجرد أن طلقها زيد .

لقد تمسك خصوم الاسلام بمزاعم هذا البعض . ونسجوا حوله الأكاذيب . ونريد الآن أن ننظر فى تلك الروايات التى جاءت فى كتب التراث الاسلامى حول زواج رسول الله من زينب بنت جحش ، ثم تقييم الموقف بصفة عامة ، آخذين فى الاعتبار عوامل المنطق وأحداث التاريخ .

*

يقول الحق فى القرآن مخاطبا نبيه : ﴿ واذ تقول للذى انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه ، فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا ، وكان امر الله مفعولا ﴾ (الأحزاب : ٣٧)

ان الاتفاق تام حول عدد من المسائل التى جاءت فى هذه الآية الكريمة منها : أنها تتعلق بزيد بن حارثة متبنى رسول الله ، الذى أنعم الله عليه بالاسلام . وأنعم عليه الرسول بالعتق والرعاية ، كما تتعلق بزوجه زينب بنت جحش التى طالما اشتكى منها زيد وأراد تطليقها ،

وفى كل مرة يقول له رسول الله : أمسك عليك زوجك واتق الله . حتى اذا نفد الصبر وطلقها زيد ، زوجها الله سبحانه ــ لنبيه ، ليقطع دابر تقليد جاهلى يسوى الأبناء من الأصلاب والأبناء الأدعياء . لكن الخلاف نشأ حول المقصود بقوله تعالى : « وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشـــاه » .

فالبعض يرى أن هــذا القول موجـه الى زيــد ، اســتكمالا لقول النبى له : « أمســك عليــك زوجــك واتــق الله » . وبذلك يكون المعنى باختصار هو : « احتفظ يا زيد بزوجك ، واتق الله فى أمرها ولا تفشى أسرار الزوجية بينكما فى الاكثار من شكواك التى اظهر الله بعضها على لسانك ، وخف الله من اصرارك على فراقها ، ولا تخشى قالة الناس فى عدم قدرتك على أن تكون سـيد بيتك ، وأن زوجك تؤذيك بترفعها عليك ، فان الله الذى أنعم عليك نعمة الاسلام ، وجعل بينك وبين زوجك مودة ورحمة أولى بأن ترى شريعته ، وأحق بالخشية من الناس »(١) .

أما الآخرون ، وهم كثير ، فيرون أن الحديث عن الاخفاء فى النفس وخشية الناس ، انما هو موجه الى رسول الله . ومن هنا بدأ التساؤل حول حقيقة هذا الذى أخفاه الرسول فى نفسه ، ومتعلق خشيته الناس ، **فوقع الخبط فى التاويل** كما قال بحق **ابن حجر** .

فلنرجع الآن الى الروايات التى تتحــدث عن الفصــل الأخير فى العلاقة الزوجية بين زيد وزينب ، مبتدئين بأقدم تلك الروايات حســبما نجده فى المصادرة المتاحة .

*

● من سـيرة ابن اسحق :

عاش محمد بن اسحق بن يسار فى الفترة (٨٥ ــ ١٥١هـ) ، ويعتبر كتابه هذا المسمى « **المبتدا والبعث والمغازى** » من أقدم ما كتب فى السيرة النبــوية . وقــد قام **معهد الدراســات والأبحاث للتعريب بالمغرب** ــ

---

(١) المرجع السابق ص ٥٦

مشكورا ـ بنشره ، بعد أن عهد الى العلامة المدقق **محمد حميد الله**(١) بتحقيقه والتعليق عليـه ، حيث قدم له يبحث عن التاريخ عند المسلمين ، ونبذة عن حياة ابن اسحق .

من هو ابن اسحق : يقول محمد حميد الله في مقدمته : « هو محمد ابن اسحق بن يسـار بن خيار .. قال ابن سـعد (الطبقـات ٧/٢ ص : ٦٢) **أن جده يسـار من سبى عين التمـر** . وروى الخطيب البغدادى (٢١٥/١) عن عبد الله بن جعفر بن درستوية عن يعقوب بن سفيان **أن ابن اسحق فارسي** .. ويمكن لنا أن نقول ان ابن اسحق كان يعرف الانجيل جيدا ، تعلمه من علماء عصره ، **لا من اجداده .. ونقل عن التوراة ايضا** مثلا قصة هابيل (تاريخ الطبرى) ١٤١/١ : كتاب (سفر) التكوين من التوراة (٩/٤ ـ ١٦) وعمر يوسف عليه السلام (تاريخ الطبرى ٤١٣/١ : كتاب التكوين ٢٢/٥٠) وسفينة نوح عليه السلام (الطبرى ١٨٩/١ ـ ٢١٢ : كتاب التكوين ١٤/٦) ..

ومما يطعن به عليه ما رواه الذهبي (تذكرة الحفـاظ ١٦٤/١ ، وميزان الاعتـدال ٢٢/٣) عن ابن عـدى أن ابن اسـحق كان يلعب بالديوك .

وأشنع من ذلك ما رواه ابن النديم بكلمـة **(يحكى)** وما تلاه ياقوت عن الواقدى ، واللفظ لياقوت : كان محمـد **بن اسحق يجلس** قريبا من النساء في مؤخر المجلس **فيروى عنه انه كان يسـامر ـ وعند ابن النديم : يغازل ـ النساء** . فرفع الى هشام وهو أمير المدينـة . وكانت له شعرة حسـنة . فرقرق رأسـه وضربه أسـواطا ، ونهاه عن الجلوس هنـاك ..

---

(١) محمد حميد الله عالم موسوعى وباحث مدقق يتقن عـددا من اللغات وله ترجمة فرنسية مشهورة لمعانى القرآن الكريم . وقد كان لى شرف التعرف اليـه والاسـتماع الى محاضراته وقراءة بعض مؤلفـاته وأبحاثه . وهو يعيش حاليـا في باريس وقد كرس حياته وماله لخـدمة الدعوة الاسلامية بعيدا عن الأضواء .

ولما صنف مالك الموطأ ، قال ابن اسحق : ايتونى به فأنا بيطاره . فنقل ذلك الى مالك . فقال : هذا دجال من الدجاجلة ، يروى عن اليهود .. (وكان مالك) ينكر عليه تتبعه غزوات النبى ﷺ من أولاد اليهود الذين أسلموا وحفظوا قصة خيبر وقريظة والنضير وما أشبه ذلك من الغرائب عن أسلافهم . وكان ابن اسحق يتتبع هذا عنهم ، ليعلم ذلك من غير أن يحتج بهم ، وكان مالك لا يرى الرواية الا عن متقن ..

وقد حذف ابن هشام ايضا اشياء من كتاب ابن اسحق عندما هذبه ، وقال (سيرة ابن هشام ، ص ٤) : وتارك بعض ما ذكر ابن اسحق فى هذا الكتاب مما ليس لرسول الله ﷺ فيه ذكر .. وأشياء بعضها يشنع الحديث به ، وبعض يسوء بعض الناس ذكره ..

وأكبر طعن طعنه به المحدثون هو ان ابن اسحق يدلس الأحاديث .

فروى (الخطيب ص ٢٢٩ — ٢٣٠ ، وابن سيد الناس ص ١١ ، وابن حجر ص ٤٣) : ان أحمد بن حنبل ذكر محمد بن اسحق فقال : كان رجلا يشتهى الحديث فيأخذ كتب الناس فيضعها فى كتبه ... سألت أحمد بن حنبل فقلت : يا أبا عبد الله ، اذا تفرد ابن اسحق بحديثه تقبله ؟ قال : لا والله . انى رأيته يحدث عن الجماعة بالحديث الواحد ، ولا يفصل كلام ذا من كلام ذا »[1] .

*

رواية ابن اسحق : نعرض فيما يلى رواية ابن اسحق ، بعد أن نقسمها الى فقرات مسلسلة ، حتى تسهل المقارنة بينها وبين روايتين أخريين للطبرى سنعرضهما لاحقا بذات الكيفية . وبذلك يكون لدينا ثلاث روايات : الأولى لابن اسحق ، والثانية والثالثة للطبرى . ولسوف

(١) سيرة ابن اسحق : مقدمة محمد حميد الله .

يسبق الرقم المسلسل لكل فقرة ، رقم الرواية نفسها ، وبذلك تكون — مثلا — الفقرة : ٢ — ٧ ، هى الفقرة رقم ٧ فى الرواية رقم ٢ ، وهكذا .

الرواية الأولى (لابن اسحق) :

١ — ١ « مرض زيد بن حارثة ، فذهب اليه رسول الله ﷺ يعوده ، وزينب ابنة جحش امرأته جالسة عند رأس زيد .

١ — ٢ فقامت زينب لبعض شأنها ، فنظر اليها رسول الله ﷺ ثم طأطأ رأسه .

١ — ٣ فقال : **سبحان مقلب القلوب والأبصار .**

١ — ٤ فقال زيد : أطلقها لك ، يا رسول الله .

١ — ٥ فقال : لا

١ — ٦ فأنزل الله عز وجل : **﴿ واذ تقول للذى أنعم الله عليه وانعمت عليه ﴾ ... الى قوله : ﴿وكان امر الله مفعولا﴾** (الأحزاب : ٣٧)[1] .

*

■ من تاريخ الطبرى :

عاش أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى الفترة (٢٢٤ — ٣١٠ هـ) « شهد عصر المأمون ، وحضر خلافة المعتصم والواثق ، وشهد فتنة (القول) بخلق القرآن فى ذروتها ، وهى فتنة عانى من جرائها العلماء الاضطهاد .. وكان (ابن جرير) يجمع أخباره ويدونها فى زمن ضعف فيه الاسناد ، وكثر الوضاع ، اما تدليسا أو حبا للشهرة ، أو تكسبا للقمة العيش . وكان ابن جرير يستند فى تفسيره القرآن الكريم على مثل هذه الروايات »[2] .

ان الاعتراف سيد الأدلة ... ما فى ذلك شك .

وها هو ابن جرير يقول فى مقدمة تاريخه كيف كان نهجه فى الجمع

(١) المرجع السابق : ص ٢٤٤

(٢) قصة زينب بنت جحش : ص ١٣

والتـأليف : « ليعلـم الناظر فى كتابنـا هـذا ان اعتمـادى فى كـل ما احضرت ذكره فيه مما شرطت الى راسمه فيه ، انما هو ما رويت من الأخبار التى أنا ذاكرها فيـه ، والآثار التى أنا مسـندها الى رواتها فيه ، دون ما أدرك بحجج العقول ، واستنبط بفكر النفوس ، الا اليسير القليل منه ، اذ كان العلم بما كان من أخبار المـاضين ، وما هو كائن من أنباء الحادثين ، غير واصل الى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم ، الا باخبار المخبرين ونقل الناقلين ، دون الاسـتخراج بالعقـول ، والاستنباط بفكر النفوس . فما يكن من كتابى هـذا من خبر ذكرناه عن بعض المـاضين مما يستنكره قارؤه أو يستشنعه سـامعه ، من أجل أنه لم يعرف له وجها من الصحة ، ولا معنى فى الحقيقة ، فليعلم انه لم يؤت فى ذلك من قبلنا ، وانما أتى من قبـل بعض ناقليه الينا . وانا انما ادينا ذلك على نحو ما ادى الينا »(١) .

ولقد عرف المستشرقون هذه العيوب فى الطبرى . يقول بيرى ، أستاذ التاريخ الحديث بجامعة كامبردج : « لم يكن الطبرى ذا ملكة تاريخية ، ولم يكن لديه أدنى فكرة عن نقد مصادره أو تمحيصها . لقد كان عمله مجرد ترصيص لروايات المؤلفين السابقين ، دون التوفيق بين تناقضاتها ، أو محاولة استنباط الحقيقة »(٢) .

والآن نعرض من روايـات الطبرى فى موضـوع زواج النبى من زينب بنت جحش وهو ما اصطلحنا على تسميته ــ سلفا ــ باسـم الرواية الثانية ، والرواية الثالثة ، باعتبار أن رواية ابن اسحق كانت هى الرواية الأولى .

*

(١) تاريخ الطبرى : الجزء الاول ــ ص ٧ ، ٨

(٢) G. Wells : The Jesus of the Early Christians, pp. 208 - 209.

الرواية الثانية (للطبرى) :

٢ ــ ١ « جاء رسول الله ﷺ الى بيت زيد بن حارثة وكان زيد انما يقال له : زيد بن محمد ، ربما فقده رسول الله ﷺ الساعة ، فيقول أين زيد ؟ **فجاء يطلب منزله فلم يجده .**

٢ ــ ٢ وقامت اليه زينب بنت جحش زوجته فضلا (أى تلبس ثوبا واحدا) .

٢ ــ ٣ **فاعرض عنها رسول الله ﷺ** فقالت : ليس هو ههنا يا رسول الله ، فادخل بأبى أنت وأمى ! **فابى رسول الله ان يدخل .**

٢ ــ ٤ وانما عجلت زينب أن تلبس **اذ قيل لها : رسول الله ﷺ على الباب ، فوثبت عجلة .**

٢ ــ ٥ فأعجبت رسول الله ﷺ .

٢ ــ ٦ فولى وهو يهمهم بشيء لا يكاد يفهم .

الا أنه أعلن : **سبحان الله العظيم . سبحان الله مصرف القلوب .**

٢ ــ ٧ **فجاء زيد الى منزله ، فأخبرته امرأته أن رسول الله** ﷺ أتى منزله ، فقال زيد : ألا قلت له : ادخل ! فقالت : **قد عرضت عليه ذلك فابى .**

قال : أفسمعتيه يقول شيئا ؟ فقالت : سمعته يقول حين ولى : سبحان الله العظيم . سبحان الله مصرف القلوب .

٢ ــ ٨ فخرج زيد حتى أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، بلغنى أنك جئت منزلى . فهلا دخلت ! بأبى أنت وأمى يا رسول الله ! لعل زينب أعجبتك فأفارقها ؟

٢ ــ ٩ فقال رسول الله ﷺ : **امسك عليك زوجك .**

٢ ـ ١٠ فما استطاع زيد اليها سبيلا بعد ذلك اليوم .

٢ ـ ١١ فكان يأتى رسول الله ﷺ فيخبره ، فيقول له رسول الله ﷺ امسك عليك زوجك .

٢ ـ ١٢ ففارقها زيد واعتزلها ، فحلت »[1] .

*

الرواية الثالثة (للطبرى) :

٣ ـ ١ « كان النبى ﷺ قد زوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش ، ابنة عمته فخرج رسول الله ﷺ يوما يريده .

٣ ـ ٢ وعلى الباب ستر من شعر ، فرفعت الريح الستر فانكشف وهى فى حجرتها حاسرة .

٣ ـ ٣ فوقع اعجابها فى قلب النبى ﷺ .

٣ ـ ٤ فلما وقع ذلك ، كرهت الى الآخر (أى كرهها زيد منذ ذلك اليوم) !

٣ ـ ٥ فجاء (زيد) فقال : يا رسول الله ، انى اريد ان افارق صاحبتى .

٣ ـ ٦ فقال (رسول الله) : مالك ؟ أرابك منها شىء ؟

فقال : لا والله يا رسول الله . ما رابنى منها شىء . ولا رأيت الا خيرا .

٣ ـ ٧ فقال له رسول الله ﷺ : امسك عليك زوجك واتق الله .

فذلك قول الله ، عز وجل : ﴿ واذ تقول للذى انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ﴾ .

---

(١) تاريخ الطبرى : جـ ٢ ـ ص ٥٦٢ ، ٥٦٣

(قال الطبرى) : تخفى فى نفسك ان فارقها (زيد) تزوجتها »[1] .

*

■ **نظرة على هذه الروايات الثلاث :**

١ ــ تتناقض الرواية الأولى (لابن اسحق) مع الروايتين : الثانية والثالثة (للطبرى) فى نقطة جوهرية ، هى المدخل الرئيسى لكل منها . فبينما تقول الأولى : ان زيدا كان مريضا بمنزله ، وزينب امرأته جالسة عند رأسه ، ورسول الله جالسا معهما يعوده (الفقرة ١ ــ ١) ، اذ تقول روايتا الطبرى : ان زيدا كان خارج منزله .

ان هذا يعنى ــ بداءة ــ اسقاط احدى المجموعتين بالكلية : فاما رواية ابن اسحق ، واما روايتى الطبرى . فزيد لا يمكن أن يكون فى منزله ، وخارج منزله فى وقت واحد ، الا اذا كان الرجل الخفى ، من رجال الأساطير ... !

٢ ــ حسب الرواية الأولى : كان زيد أول من سمع تسبيحة الرسول بأذنيه (الفقرة ١ ــ ٣) ، بينما نقلتها زينب الى زوجها بزعم أنها قد سمعتها (الفقرة ٢ ــ ٧) أما الرواية الثالثة فقد أسقطت التسبيحة تماما .

٣ ــ تحولت التسبيحة ــ فى الرواية الأولى ــ من قوله ﷺ : سبحان مقلب القلوب والأبصار الفقرة ١ ــ ٣) لتكون فى الرواية الثانية ــ بعد ١٥٠ سنة تفصل بين ابن اسحق وبين ابن جرير الطبرى ــ فى صيغة : سبحان الله العظيم . سبحان الله مصرف القلوب .

---

(١) المرجع السابق ص ٥٦٣

٤ ــ اختلفت روايتا الطبرى (الثانية والثالثة) معا فيما يتعلق بنقطة جوهرية وهى : كيف رأى رسول الله زينب فى بيتها أول مرة ٠

فعلى حسب الرواية الثانية ، وبضم الفقرتين (٢ ــ ٢) ، (٢ ــ ٤) وهو شيء يتطلبه وصف الأحداث ؛ نجد أن رسول الله وقف بباب زيد يسأل عنه ، وهناك من أخبره بعدم وجود زيد (الفقرة ٢ ــ ١) ، وحتى تلك اللحظة لم ير زينب ولم تره ٠ لكن هناك من أخبرها بوجود رسول الله بالباب (الفقرة ٢ ــ ٤) فعجلت زينب أن تستكمل لبسها ، ومن ثم خرجت اليه فضلا ٠

بينما تقول الرواية الثالثة : أن رسول الله لما وقف بباب زيد ، رفعت الريح ستر الشعر ، فرآها حاسرة (الفقرة ٣ ــ ٢) ٠

٥ ــ وبناء على رؤية رسول الله لزينب : فضلا أو حاسرة ، زعمت الروايتان أنها أعجبته (الفقرتان ٢ ــ ٥) ، (٣ ــ ٣) ٠ ولما كان هذا الاعجاب جاء تأسيسا على روايتين متناقضتين ، تعطى كل منهما صورة مختلفة عن الأخرى ، كان ذلك الاعجاب المزعوم قائما على غير أساس ، وصار بالتالى زعما باطلا ٠

لقد جهل القائلون بذلك الاعجاب المزعوم مجموعة من الحقائق منها : أن زينب ابنة عمة رسول الله ، وأنه يكبرها بنحو ٢٠ عاما ، ومن ثم فهو يعرف كل خصائصها الجسمانية والنفسية ، وأنه هو الذى خطبها الى زيد وأصر على اتمام الزواج رغم معارضتها هى وأخيها ٠

ولما كانت حياتها الزوجية مع زيد قد استمرت نحو ١٣ عاما على كره منها ، ودون انجاب لذرية تخفف من ذلك الشقاء ، كان معنى هذا أن جمال زينب الذى دخلت به بيت زيد أول مرة قد ذبل سريعا وانحسر خلال تلك السنين الطوال ٠ ومن ثم يستحيل القول بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى زينب بعد ذلك ــ فضلا أو حاسرة ــ قد فجئه جمالها فوقع اعجابها فى قلبه ٠

إن ذلك وهم نسجه خيال مريض ...

ففى تقديرى ـ بعد ما رأينا من تهالك تلك الروايات ـ أن الريح لم تعبث بستر الشعر الذى قيل انه كان على باب حجرة زينب بنت جحش (كما تدعى الرواية الثالثة) فانكشفت ، وانما هو الخيال الجنسى الذى عبث بفكر أولئك الرواة ...

٦ ـ واذا كان ذلك الاعجاب المزعوم قد جاء استنتاجا من تسبيحة رسول الله (الفقرتان ١ ـ ٣) ، (٢ ـ ٦) ، فذلك هو الجهل بعينه ، وهو حكم طائش فقد العلم والروية .

لقد كان استخدام رسول الله لفظ : « مقلب القلوب » لازمة من لوازمه . فعن شهر بن حوشب قال : قلت لأم سلمة رضى الله عنها : يا أم المؤمنين ، ما أكثر دعاء رسول الله ﷺ اذا كان عندك ؟ قالت : كان أكثر دعائه : « يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك »[1] .

ولقد علم القرآن المسلمين أن يسبحوا الله فى كل حين فقال :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا . وسبحوه بكرة وأصيلا ﴾ (الأحزاب : ٤١ ـ ٤٢)

وعلمهم أن يسبحوا الله حين يتعرضون لمواقف تفرض عليهم سماع منكر من القول وزور ، أو رؤية ما لا ينبغى أن يرى من الحرمات . ففى حديث الافك ـ وكل أفك ـ يقول القرآن العظيم :

﴿ ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم ﴾ (النور : ١٦) .

فاذا كان رسول الله لا يشغل نفسه بتسبيح الله فى مختلف

---

(١) رواه الترمذى فى الدعوات باب : « يا مقلب القلوب ثبت قلبى » .

المواقف ، وبمختلف الصيغ ومنها لفظ «مقلب القلوب» الذى هو احدى لوازمه ، فمن غيره يفعل ذلك ؟!

واذا صح شىء من هذه الروايات المتناقضة ، وأن رسول الله قد سبح الله بعد رؤيته زينب : فضلا ، أو حاسرة ، أو حتى شبه عارية ، فما تأويل ذلك ؟

لا يعلم تأويله الا الله ، الذى « يعلم السر واخفى » ، ويعلم تأويله رسول الله الذى أعلن تسبيحه ، وهو أعلم بنفسه من الناس . وحيث انه لم يؤثر عنه حديث يشرح خفايا هذا الموقف ، كان حريا بكل مسلم – لا ! بل بكل ذى عقل وضمير – أن يفسر تلك التسبيحة على ضوء تعاليم القرآن ، وخاصة الآية رقم ١٦ من سورة النور .

فتسبيحة رسول الله ﷺ تلك لا تعنى – اذن – سوى اعتذار عن رؤيه ما كان ينبغى الا يرى ...

اما اذا فسرها بعض المسلمين على انها دلالة على اعجاب رسول الله ﷺ بزينب ، فهذا افتراء عليه ، وقول سفه بغير علم ، حسابه عند الله ، حتى لو كان مدعى ذلك : زيد بن حارثة ، ومن خلفه من المفسرين .

هى اذن سقطة من صديق ، وما أفظع سقطات الأصدقاء ...

لقد عقلها كاتب مسيحى متنور – هو الدكتور نظمى لوقا – بينما غابت عن مسلمين مخلصين . فهو يقول : ان محمدا « ليعلم علم اليقين – وهو الانسان ذو القلب الكبير – أن هوى القلب لا حيلة للمرء فيه ، ولا يأتمر بارادة أو يذعن لعقل . فهو لا يستطيع أن يلوم زينب لأن قلبها عصاها ، وأبى أن يهفو للفتى الذى يحبه هو حب الأبناء .

وعلى هذا التاويل اعقل انا قوله : سبحان مصرف القلوب !

اى سبحان الذى صرف قلب الشابة الحسناء عن الفتى الوسيم زيد ، فلم تستطع ان تسكن اليه بعد ان تزوجته طائعة مذعنة .

ذكر الرسول عندئذ ربه وحكمته ، فكيف بعدئذ يلومها على ما لا تملك من هوى قلبها ، وسبحان مصرف القلوب » ! [1] .

٧ ــ زعمت الروايتان الأولى والثانية أن زيدا عرض على رسول الله أن يطلق زينب بعد أن فهم من تسبيحته أنها ربما تكون قد أعجبته (الفقرتان ١ ــ ٤) ، (٢ ــ ٨) ، بينما أوردت الرواية الثالثة سببا آخر مختلفا تماما ، وهو أن زيدا كره زينب منذ تلك اللحظة ، فذهب الى رسول الله يستأذنه في فراق زوجته (الفقرة ٣ ــ ٤) .

٨ ــ أجمعت الروايات الثلاث على أن رسول الله رفض عرض زيد بتطليق زينب ، مهما كانت دوافعه (الفقرات ١ ــ ٥) ، (٢ ــ ٩) ، (٣ ــ ٦) ، (٣ ــ ٧) . ورغم الحاح زيد في تطليقها ، فقد كان رسول الله مصرا على ابقائها في عصمته .

*

هذا ــ ولقد نقل ابن هشام عن ابن اسحق ، وعن الطبرى نقل البيضاوى والزمخشرى وآخرون . ولقد عرفنا ــ منذ قليل ــ خلفية ابن اسحق والطبرى وكيف كانا يجمعان رواياتهما ويكتبونها ، ومن هنا جاءت تلك الروايات المتهالكة ، والتى لا تصمد الواحدة منها للدراسة والتمحيص .

على أن بعض المفسرين أسقطوا تلك الروايات من حسابهم لما فيها من تخبط وضعف واضح . ومن هؤلاء ابن كثير الذى قال فى تفسير قوله تعالى : **﴿ وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه ﴾** : « ذكر ابن أبى حاتم ، وابن جرير ههنا آثارا عن بعض السلف رضى الله عنهم ، **احببنا ان نضرب عنها صفحا لعدم صحتها فلا نوردها** .. لكن الله تعالى أعلم نبيه ﷺ أنها (زينب بنت جحش) ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها . فلما أتاه زيد

(١) محمد فى حياته الخاصة : الدكتور نظمى لوقا ص ١٢٥ ــ ١٢٦

رضى الله عنه ليشكوها اليه قال : **﴿ امسك عليك زوجك واتق الله ﴾** فقال : قد أخبرتك أنى مزوجكها ، وتخفى فى نفسك ما الله مبديه . وهكذا روى عن السدى أنه قال نحو ذلك » .

وكذلك قال الخازن فى « **لباب التأويل فى معانى التنزيل** » « ان المراد بقوله تعالى **﴿ وتخفى ﴾** أن الذى أخفاه ، علمه بأنها ستكون زوجته ، وأنه عوتب على هذا الاخفاء . وانما أخفى ذلك استحياء أن يخبر زيدا أن التى تحتك وفى نكاحك ستكون زوجتى » .

* *

● **مواقف حرجة فى حياة الأنبياء :**

أنبياء الله بشر ولدوا جميعا من نساء جئن من ذرية آدم ، اصطفاهم الله ، فهم : **﴿ عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون ﴾** . (**الأنبياء : ٢٦ ، ٢٧**) . وبين **امر الله** والعمل فى خدمة رسالاته ، حمل المرسلون أثقالا ، وتعرضوا لضغوط عالية ومواقف حرجة ، وقاسوا محنا وآلاما ، وكانت حياتهم جهادا خالصا فى سبيل الله .

وترينا دراسة أحوال الأنبياء والمرسلين أن الأمور لم تجر دائما وفق مشيئتهم ، فلم يكن لهم **« من الأمر شيء »** **لأن « الأمر كله لله »** ومن هنا كان الصراع العنيف ، وكانت المعارك الطاحنة ، فى داخل تلك النفوس البشرية بغرائزها المعروفة ، والعالية بتساميها ، قبل أن تكون فى خارجها .

ويذكر **الكتاب المقدس** أن موسى اعتذر عن قبول الرسالة الالهية فى أول وحى تلقاه ، وتعرض بذلك لغضب الله ، الا أن رحمته الواسعة — سبحانه — تداركته :

« قال موسى للرب : استمع أيها السيد ! لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أول أمس ولا من حين كلمت عبدك . بل أنا ثقيل الفم واللسان .

فقال له الرب : من صنع للانسان فما أو من يصنع أخرس أو أصم أو بصيرا أو أعمى ؟ أما هو أنا الرب ؟! فالآن اذهب وأنا أكون مع فمك وأعلمك ما تتكلم به .

فقال : استمع ايها السيد ! ارسل بيد من ترسل !

فحمى غضب الرب على موسى ـ خروج ٤ : ١٠ ـ ١٤ » .

وحين كره بنو اسرائيل أكل المن والسلوى « وبكوا وقالوا من يطعمنا لحما . قد تذكرنا السمك الذى كنا نأكله فى مصر مجانا والقثاء والبطيخ و ...

فلما سمع موسى الشعب يبكون .. وحمى غضب الرب جدا ، ساء ذلك فى عينى موسى . فقال موسى للرب : **لماذا اسأت الى عبدك . ولماذا لم اجد نعمة فى عينيك حتى انك وضعت ثقل جميع هذا الشعب على . العلى حبلت بجميع هذا الشعب ، او لعلى ولدته ، حتى تقول لى احمله فى حضنك كما يحمل المربى الرضيع .. لا اقدر انا وحدى أن أحمل جميع هذا الشعب لأنه ثقيل على . فان كنت تفعل بى هكذا ، فاقتلنى قتلا ان وجدت نعمة فى عينيك . فلا أرى بليتى** ـ ـ عدد ١١ : ٤ ـ ١٥ » .

لقد دفع الضيق والحرج موسى أن يطلب الموت لنفسه !

وفى قصة النبى صموئيل وشاول نجد صورة من عتاب الله لأنبيائه ، ذلك العتاب الذى يصل حد التوبيخ . ذلك أن صموئيل هو الذى مسح شاول ملكا على بنى اسرائيل فصار مسيحا حل عليه روح الله ، ونبيا . لكن شاول أخطأ باجتهاده مرة ، فكان كلام الرب الى صموئيل قائلا : **ندمت على أنى قد جعلت شاول ملكا ، لأنه رجع من ورائى ولم يقم كلامى** ـ صموئيل الأول ١٥ : ١٠ » .

فرفض الرب شاول ، وأعلم نبيه صموئيل بذلك ، فحزن حزنا

شديدا من أجل شاول واستمرت مشاعره طيبة نحوه . وكأن غضب الله على شاول لم يكن كافيا لأن يراعى صموئيل ذلك ، فيكبت عواطفه الطيبة نحو شاول ويجعل الاعتبار لأمر الله وحده . وهنا عاتب الله صموئيل عتابا شديدا ، « فقال الرب لصموئيل : حتى متى تنوح على شاول ، وأنا قد رفضته عن أن يملك على اسرائيل ؟! ــ صموئيل الأول ١٦ : ١ » .

وحين هرب الياس (ايليا) من وجه الملك الطاغية أخآب . ذهب ليختبىء بأمر الله عند امرأة أرملة تعوله . « مرض ابن المرأة صاحبة البيت واشتد مرضه جدا حتى لم تبق فيه نسمة . فقالت لايليا : مالى ولك يا رجل الله ! هل جئت لتذكير اثمى واماتة ابنى ؟!

فقال لها : أعطينى ابنك .. وصرخ الى الرب وقال : ايها الرب الهى ! أايضا الى الأرملة التى انا نازل عندها قد اسات باماتتك ابنها فتمدد على الولد ثلاث مرات وصرخ الى الرب .. فسمع الرب لصوت ايليا . فرجعت نفس الولد الى جوفه فعاش ــ الملوك الأول ١٧ : ١٧ ــ ٢٢ » .

ومنذ بدأ القرآن يتنزل على محمد رسول الله ، أعلمه ربه أن الأمر جد وعبء ثقيل ، فقال فى واحدة من أوائل السور نزولا : ﴿ **انا سنلقى عليك قولا ثقيلا** ﴾ (المزمل : ٥) .

وأعلمه أنه سيتعرض لضغوط شديدة ، ومواقف حرجة ، فقال سبحانه : ﴿ **كتاب انزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين** ﴾ (الأعراف : ٢) .

﴿**طسم . تلك آيات الكتاب المبين . لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين**﴾ (الشعراء : ١ ــ ٣)[1] .

---

(١) باخع نفسك : أى قاتلها غما .

﴿ فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك ، انما انت نذير ، والله على كل شيء وكيل ﴾ (هود : ١٢) .

وها هي سورة الأحزاب تبدأ بما لم تبدأ به سورة أخرى من سور القرآن ، فتقول مخاطبة رسول الله : ﴿ يا ايها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين، ان الله كان عليما حكيما. واتبع ما يوحى اليك من ربك ، ان الله كان بما تعملون خبيرا . وتوكل على الله ، وكفى بالله وكيلا ﴾ (الأحزاب : ١ ـ ٣)

فهى تحمل أربع أوامر لرسول الله ، أولها : ﴿ اتق الله ﴾ ولم يوجه مثل هذا القول اليه فى أى سورة أخرى من سور القرآن .

ثم يعقب ذلك قول حاسم فى ابطال بعض أعراف الجاهلية ومنها عادة الأبناء الأدعياء :

﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ، وما جعل ازواجكم اللائى تظاهرون منهن امهاتكم ، وما جعل أدعياءكم ابناءكم ، ذلكم قولكم بافواهكم، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل . ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله ، فان لم تعلموا آباءكم فاخوانكم فى الدين ومواليكم ، وليس عليكم جناح فيما أخطاتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم ، وكان الله غفورا رحيما ﴾ (الأحزاب : ٤ ـ ٥)

فمن الواضح أنه من أوائل مقاصد هذه السورة ، ابطال دعوى التبنى الزائفة ، فاستفتحت بهذا الأمر الالهى ، ليكون تشريعا تخضع له جميع الحالات .

وفى حياة الناس ، تكتسب قوانينهم الوضعية الثقة حين يبدأ

التطبيق بأولى الأمر . وما كان غير رسول الله ليفرض عليه البدء بجعل التشريع الالهى واقعا ملموسا . ولهذا جاءت الآية السابعة والثلاثون من نفس السورة لتعالج واقعا يرتبط به — عليه الصلاة والسلام — وتقرر أن الله زوجه مطلقة دعيه زيد بن حارثة ، ليبطل بذلك احدى دعاوى الجاهلية .

« فلما قضى زيد منهـا وطرا زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا ، وكان أمر الله مفعولا »
(الأحزاب : ٣٧)

لقد شعر رسول الله بحرج شديد اذ قد علم بأن زينب ستكون احدى زوجاته . وقدر ما سيقوله المتربصون بالاسلام ونبيه . وفى صراعه النفسى بين هذا وذاك ، اضطر أن يقول لزيد كلما جاءه يستأذنه فى طلاق زينب : **« أمسك عليك زوجك واتق الله »** فلعل « الله يحدث بعد ذلك أمرا » . فقضاء الله نافذ لا محالة ، وكل ما يرجوه العبد أن يكون الانفاذ بأقل الخسائر .

من هنا كان رسول الله فى أشد حالات الحرج والضيق ، ولكنها لازمة من لوازم الأنبياء والمرسلين .

*

ولهذا جاءت الآية التالية لآية تزويج النبى بمطلقة متبناه زيد ابن حارثة ، تدعو لكسر حاجز الحرج (الآية ٣٨) ، وتؤكد على ضرورة خشية الله وحده واسقاط أى اعتبار لخشية تقولات الآخرين (الآية ٣٩) ، ثم التأكيد مرة أخرى على أن محمدا رسول الله ليس أبا لزيد بن حارثة ولا لغيره (الآية ٤٠) .

« ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له ، سنة الله فى الذين خلوا من قبل ، وكان أمر الله قدرا مقدورا .

الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ، ولا يخشون احدا الا الله ، وكفى بالله حسيبا .

ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين • وكان الله بكل شيء عليما ﴾ •

*

وأخيرا نقول : رحم الله زينب بنت جحش ، كانت كما شهدت لها غريمتها عائشة : « لم أر امرأة قط خيرا فى الدين من زينب ، وأتقى لله ، وأصدق حديثا ، وأوصل للرحم ، وأعظم صدقة ، وأشد ابتذالا لنفسها فى العمل الذى يتصدق به ويتقرب به الى الله عز وجل »(1) •

ولقد كانت أول من مات من نساء النبى بعده ، فكانت أسرعهن لحاقا به •

* *

جويرية بنت الحارث : « بلغ رسول الله ﷺ أن بنى المصطلق يجمعون له ـ وقائدهم الحارث بن أبى ضرار •• فلما سمع رسول الله ﷺ خرج اليهم حتى لقيهم على ماء يقال له « المريسيع » ، من ناحية قديد الى الساحل ، فتزاحف الناس واقتتلوا ، فهزم الله بنى المصطلق » (2) •

لقد قتل من بنى المصطلق عشرة ، وقتل من المسلمين رجل يقال له هشام بن صبابة • ولم يجد بنو المصطلق ، بعد قليل من التراشق بالنبال ، مفرا من التسليم تحت ضغط المسلمين السريع ، فوقعوا فى الأسر ، وكانت جويرية بنت الحارث قائد بنى المصطلق من بين السبايا •

« وقدم رسول الله ﷺ المدينة ، فأقبل أبوها الحارث بن أبى ضرار بفداء ابنته • فلما كان بالعقيق ، نظر الى الابل التى جاء بها للفداء ، فرغب فى بعيرين منها ، فغيبهما فى شعب من شعاب العقيق • ثم أتى النبى ﷺ وقال : يا محمد ، أصبتم ابنتى ، وهذا فداؤها • فقال رسول الله ﷺ : فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق فى شعب كذا ، وكذا ؟

---

(1) نساء النبى ـ ص ١٦٩

(2) تهذيب سيرة ابن هشام ـ ص ١٩٧

فقال الحارث : أشهد أن لا اله الا الله ، وأنك محمد رسول الله ، فوالله ما اطلع على ذلك الا الله .

فأسلم الحارث وأسلم معه ابنان له وناس من قومه ، وأرسل الى البعيرين فجاء بهما ، فدفع الابل الى النبى صلى الله عليه وسلم ودفعت اليه ابنته جويرية ، فأسلمت وحسن اسلامها ، فخطبها النبى ﷺ الى أبيها ، فزوجه اياها ، وأصدقها أربعمائة درهم »[1] .

فلما بلغ المسلمون الخبر ، أطلقوا من بأيديهم من أسرى بنى المصطلق باعتبارهم أصهار رسول الله ، فأعتق بزواج جويرية من رسول الله نحو أهل مائة بيت من بيوت بنى المصطلق .

وجدير بالذكر أن شريعة موسى تقول فى سبايا الحرب : « اذا خرجت لمحاربة أعدائك ، ودفعهم الرب الهك الى يدك وسبيت منهم سبيا . ورأيت فى السبى امرأة جميلة الصورة والتصقت بها واتخذتها لك زوجة ، فحين تدخلها الى بيتك ، تحلق رأسها ، وتقلم أظفارها ، وتنزع ثياب سبيها عنها ، وتقعد فى بيتك ، وتبكى أباها وأمها شهرا من الزمان ، ثم بعد ذلك تدخل عليها وتتزوج بها ، فتكون لك زوجة ـ تثنية ٢١ : ١٠ ـ ١٣ » .

ولقد كانت عائشة تقول عن جويرية : ما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها .

* *

صفية بنت حيى بن اخطب : كان لليهود الدور الحاسم فى تجميع القرشيين وغيرهم ، فى محاولة أخيرة لغزو المدينة والقضاء على محمد

(١) سيرة النبى : لابن هشام ـ المجلد الثالث ـ ص ٢٥٣

ﷺ ومن معه . وكان من زعمائهم : سلام بن أبي الحقيق النضري ، وحيي بن اخطب النضري .. في نفر من بني النضير ، ونفر من بني وائل وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ ـ خرجوا حتى قدموا على قريش مكة فدعوهم الى حرب رسول الله ﷺ وقالوا : انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله .

فقالت لهم قريش : يا معشر يهود ، انكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، افديننا خير ام دينه ؟

قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم اولى بالحق منه .

فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم : ﴿ الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا . اولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا ﴾ (النساء : ٥١ ـ ٥٢) .

فلما قالوا ذلك لقريش ، سرهم ونشطوا لما دعوهم اليه من حرب رسول الله ﷺ فاجتمعوا لذلك واتعدوا له .

ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطفان ، فدعوهم الى حرب رسول الله ﷺ وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريشا قد تابعوهم على ذلك .. فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب ، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن .

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ ، وما أجمعوا له من الأمر ، ضرب الخندق على المدينة .

وخرج حيي بن اخطب النضري حتى أتى كعب بن أسد القرظي .. وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه (بني قريظة) وعاقدة على ذلك وعاهدة . . فقال حيي : ويحك يا كعب ! جئتك بعز الدنيا وبيحر طام ، جئتك بقريش على قادتها

وسادتها . وبغطفان على قادتها وسادتها .. قد عاهدونى وعاقدونى على الا يبارحوا حتى نستاصل محمدا ومن معه .

فقال له كعب : جئتنى والله بذل الدهر .. ويحك يا حيى ! فدعنى وما أنا عليه فانى لم ار من محمد الا صدقا ووفاء ..

فلم يزل حيى بكعب .. حتى نقض كعب بن أسد عهده ، وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ »[1] .

وهكذا كان لحيى بن اخطب ــ سيد بنى النضير ــ الدور الحاسم فى حشد أعداء المسلمين فى محاولة للقضاء عليهم قضاء مبرما .

لكن هــذا التجمع العدوانى الذى عرف باسم الاحزاب هزمه الله شر هزيمة فيما عرف باسم غزوة الأحزاب ، ، فرجعوا عن المدينة خائبين يجللهم الخزى والبــوار .

لقد أظهرت غزوة الخندق أنه لا أمان مع اليهود ، فهم ناقضــو العهــود . فلما كان النصف الأول من العام الســابع الهجرى ، خرج رسول الله الى خيبر بحصونها المنيعة . وكان حصار وكان قتال انتهى بأن طلبوا الصــلح على أن تحقن دماؤهم ، وقــد قبــل رســول الله ﷺ ذلك ، ولقد كانت صفية بنت حيى بن اخطب من بين سبايا هــذه الغزوة ، فجاء « دحية فقال (لرسول الله ﷺ) : أعطنى جارية من السبى .

قال : اذهب فخذ جارية . فأخذ صفية بنت حيى .

فقيل : يا رسول الله ، انها ســيدة قريظة والنضير ، ما تصلح الا لك .

فقال له النبى ﷺ : خذ جارية من السبى غيرها »[2] .

---

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ــ ص ١٧٦ ــ ١٧٩
(٢) نهاية الأرب ــ ص ١٨٧

وهكذا تزوج رسول الله ﷺ صفية ، ولم ينجب منها ذرية . وكانت قبله قد تزوجت مرتين .

* *

أم حبيبة بنت ابى سفيان : تزوج رسول الله ﷺ « أم حبيبة بنت أبى سفيان . وكانت قبله عند عبد الله بن جحش بن رئاب .. كان تزوجها وهى بكر ، وكان له منها حبيبة ابنة عبد الله ، فمات عنها بأرض الحبشة . وقد تنصر (هناك) بعد اسلامه . وكانت مهاجرة معه بأرض الحبشة » .

فلما علم رسول الله ﷺ بذلك أرسل « عمرو بن أمية الضمرى الى النجاشى ، فزوجه أم حبيبة ابنة أبى سفيان ، وساق عنه أربع مائة دينار »[1] . وقد تم الزواج بالحبشة بحضور المسلمين وفيهم جعفر بن أبى طالب ، وخالد بن سعيد بن أمية كبير المهاجرين من قومها بنى أمية .

لقد بقيت أم حبيبة ـ بعد هذا العقد على بعد ـ سنوات فى الحبشة ولكن بعد أن ردت اليها كرامتها . واستوثقت أن خروجها مهاجرة فى سبيل الله ، ما كان الله ليضيعه ، فجاءها خير عوض بتزويجها من رسول الله . فلم يكن أحد يعانى مثل ما عانت أم حبيبة : بين زوج فى المهجر معها ما لبث أن تخلى عن دينه وأهله ثم هلك ، وأب فى الوطن ـ مكة ـ لا يزال على كفره ، بل انه ليتزعم الكافرين فى حربهم ضد الاسلام . لكن الله سلم . بعد أن حملت اسم رسوله زوجا لها .

وبعد سنوات بعث رسول الله عمرو بن أمية الضمرى الى النجاشى ، ليعود بمن بقى من المهاجرين ، فحملهم فى سفينتين ، فقدم بهم الى المدينة يوم فتح خيبر ، وكانت أم حبيبة مع العائدين . وحين أبصر رسول الله ـ فى عودته المظفرة من خيبر ـ

---

(١) سيرة ابن اسحق ـ ص ٢٤١ ـ ٢٤٢

ابن عمه جعفر بن أبى طالب عائدا على رأس المهاجرين ، قبله بين عينيه وقال : ما أدرى بأيهما أنا أسر ! بفتح خيبر أم بقدوم جعفر !

ولقد احتفلت المدينة بدخول أم حبيبة بنت أبى سفيان بيت النبى ، وأولم خالها عثمان بن عفان وليمة تتناسب وما حل بالمسلمين فى تلك الأيام من أفراح .

وما كان رسول الله ليخلد الى شىء يسير من الراحة والسكن فى بيت النساء ، فالأحداث سريعة ومتلاحقة ، وهاهى قريش قد نقضت صلح الحديبية . ولما كانوا يتوقعون أن يأخذ الرسول زمام المبادرة فيباغتهم فى حملة تأديبية ، بعد أن صار المسلمون قوة لا يستهان بها ، فقد أرسلوا زعيمهم أبا سفيان فى محاولة لتجديد الهدنة . وما يهمنا فى هذا المقام هو ما كان بين أبى سفيان وبين ابنته أم حبيبة التى غابت عنه سنوات مهاجرة من أجل عقيدتها .

« خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة .. فلما جلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه . فقال يا بنية : ما أدرى ! أرغبت بى عن هذا الفراش ، أم رغبت به عنى ؟!

قالت : بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس ، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ .

قال : والله لقد أصابك يا بنية بعدى شر » ! (١) .

*

وهكذا ، كانت هجرة أم حبيبة فى سبيل الله ، وكان زواج الرسول منها فى سبيل الله .

* *

---

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ـ ص ٢٣١

مارية القبطية : بعث رسول الله رسلا الى هرقل امبراطور الروم ، وكسرى ملك فارس ، والمقوقس عظيم القبط بمصر ، وغيرهم ، يدعوهم الى الاسلام .

وقد كان رد المقوقس يحمل فى ثناياه التصديق بنبى منتظر مع حرص شديد على سلطانه بابقاء الحال على ما هو عليه . فقال فى كتابه الى رسول الله : « أما بعد .. فقد قرأت كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو اليه . وقد علمت أن نبيا قد بقى ، وكنت أظن أنه يخرج بالشام ..

وقد أكرمت رسولك ، وبعثت لك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم ، وبكسوة ، ومطية لتركبها . والسلام عليك »(١) .

وكانت الجاريتان هما : **مارية** التى تسرى بها النبى ، وسيرين التى أعطاها لحسان بن ثابت .

وبعد نحو عامين حملت مارية من رسول الله ، ولما اكتمل حملها ولدت له ابنا ، فرح به كثيرا ، وسماه ابراهيم تيمنا بجده الأكبر ابراهيم أبى الأنبياء .

لكن الفرحة لم تدم طويلا ، فما هو الا عام وبعض عام ، حتى توفاه الله ، وحزن لذلك الرسول والمسلمون ، حزن الصابرين المحتسبين . ولقد حدث يوم وفاة ابراهيم ودفنه فى قبره أن انكسفت الشمس ، فقال بعضهم : انها انكسفت لموت ابراهيم .

وما أن بلغ هذا القول رسول الله حتى التفت الى أصحابه يقول : « **ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا تخسفان لموت احد ولا لحياته** » .

لقد كان رسول الله يومئذ فى أشد حالات الحزن ، لكنه لم يستطع السكوت على غير ما علمه الله من حقائق الدنيا

---

(١) نساء النبى ـ ص ٢١٥

والآخرة ، فانتزع نفسه من أحزانها ليرد المسلمين الى الصواب ، ويخرجهم من تخرصات الظنون والأوهام .

* *

ميمونة بنت الحارث : خرج رسول الله فى العام السادس الهجرى ومن معه من المسلمين قاصدين بيت الله الحرام بمكة لأداء العمرة . لكن قريش صدتهم عن ذلك . ولما كان الرسول لا يريد الحرب ، فقد أجرى معهم مفاوضات شاقة انتهت بتوقيع صلح الحديبية الذى كان فى شروطه أن يرجع هو وأصحابه عن مكة عامهم هذا على أن يعودوا اليها فى العام القادم فيدخلوها ويقيموا بها ثلاثة أيام . ومعهم من السلاح السيوف فى قربها ، ولا سلاح غيرها .

فلما كان العام التالى جاء رسول الله وأصحابه معتمرين . فجلت قريش عن مكة . وفق صلح الحديبية . وصعدت التلال المجاورة . تطل على البيت الحرام ، وترقب الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

ولقد كان المنظر أخاذا ، فها هو محمد وصحبه الذين خرجوا منها مهاجرين خلسة ، وفرارا بدينهم منذ سبع سنوات . يعودون اليها اليوم أشداء ، أقوياء العزيمة كما عبر عن ذلك قوة رجع تكبيرهم وتلبيتهم نداء ربهم.وهناك لم تملك واحدة من أكرم نساء العرب ضبط مشاعرها وهى تطل على ذلك المشهد المهيب ، حتى وهبت نفسها للنبى . تلك كانت ميمونة بنت الحارث ، شقيقة أم الفضل زوج العباس عم رسول الله .

وما كان رسول الله ليرد من جادت بنفسها ، فقبل الزواج منها . ولقد رأى بثاقب بصره أن هذه قد تكون فرصة طيبة تتآلف فيها القلوب ، وتخفف قريش من عدائها لأبنائها الذين أسلموا ولم يجدوا مفرا من الهجرة الى المدينة حفاظا على ايمانهم بالله الواحد الأحد ، فاقترح عليهم رسول الله أن يدخل

بميمونة بينهم ، فقال لمبعوثى قريش اليـه : « ما عليكم لو تركتمونى فأغرست بين أظهركم ، وصنعنا لكم طعاما فحضرتموه » ؟

لكن المبعوثين أجابا فى غلظة وجفاء : « لا حاجة بنا الى طعامك ، فاخرج عنا » . فلم يتردد رسول الله فى النزول على رأيهما تنفيذا لعهده مع قريش الذى يقضى بألا تزيد مدة الاقامة فى مكة عن ثلاثة أيام ، فخرجوا من مكة عائدين الى المدينة .

* *

● نساء النبى :

هؤلاء كن نساء النبى اللاتى دخل بهن : كان له من اثنتين منهن ذرية هما : خديجة ، ومارية . وتوفى منهن فى حياته اثنتان هما : خديجة ، وزينب بنت خزيمة التى لم تمكث معه سوى شهور قلائل . ولم تكن منهن بكرا سوى عائشة ، وأما الباقيات فكن ثيبات ، وخاصة من الأرامل المهاجرات .

ويلاحظ أنه فى أغلب حالات زواجه ، لم تكن المبادأة من جانبه .

ففى حالة خديجة ، جاء الاقتراح من صديقتها نفيسة بنت منية ، فكان رده : ما بيدى ما اتزوج به . وهنا تشجعت خديجة فأرسلت اليه تدعوه أن يتزوجها . ولما ماتت خديجة ، وترمل رسول الله زمنا ، عرضت عليه خولة بنت حكيم أن يتزوج ، ليخرج من أحزانه على خديجة وتنتظم أمور بيته ، ثم اقترحت عليه اسم عائشة بنت أبى بكر ، فلما أجابها قائلا : لكنها ما تزال صغيرة ، اقترحت عليه أن يتزوج سودة بنت زمعة ، أرملة من المهاجرات ، فقبل .

ولقد كان زواجه من حفصة بنت عمر ، حفظا لماء وجه أبيها الذى شعر بالمهانة حين عرضها على أبى بكر فاعتذر بصمته ، ثم عرضها على عثمان فرد بالرفض ، ثم هى أرملة شهيد قرشى .

ولم يكن بد من زواجه من زينب بنت جحش ، مطلقة متبناه زيد ابن حارثة ، انصياعا لأمر الله .

ولم تكن المبادأة من جانبه حين تسرى بمارية ، فلقد أرسل اليه المقوقس عظيم القبط جاريتين ، اكتفى بواحدة هى مارية ، وأعطى الأخرى لحسان بن ثابت . وفى ظروف كتلك ، جرى العرف أن يضم الجاريتين الى نسائه .

وما كان له من دافع فى زواجه بميمونة بنت الحارث ، فهى شقيقة امرأة عمه العباس ، وهى التى وهبت نفسها له .

اما المبادأة من جانب رسول الله ﷺ فكانت فى حالات اخرى هى :

زينب بنت خزيمة (أم المساكين) التى كانت أرملة شهيد ، وام سلمة أرملة شهيد قرشى هو ابن عمته ، وام حبيبة بنت ابى سفيان ، تزوجها على البعد ، وهى فى الحبشة ، ليقيل عثرتها ، ولم يدخل بها الا بعد سنوات . ثم كان زواجه من جويرية بنت الحارث ، وصفية بنت حيى ابن اخطب وقعتا أسيرات ، وكانت كل منهما : ابنة سيد قومه . ولقد كان من تعاليمه صلى الله عليه وسلم التى التزم بها طوال حياته هى قوله : ((اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه))(1) .

ولقد بدأ رسول الله تعدد الزوجات بعائشة قرب نهاية العام الهجرى الأول وانتهى بميمونة قرب نهاية العام الهجرى السابع ، وكان أمر الله اليه : ﴿ لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك ، وكان الله على كل شيء رقيبا ﴾ (الأحزاب : ٥٢) . ولقد توقف الرسول عن عن التزوج بعد ذلك ، وكان جملة من جمع بينهن تسع زوجات وسرية ، أى عشر نساء .

والآن ، نقول : ماذا لو أضاف رسول الله الى نسائه ــ مثلا ــ تسع زوجات أخريات ... لقد كان مثل هذا القدر

---

(1) رواه ابن ماجه .

من التعدد سنة الأنبياء السابقين ، أهل الوحى والحديث مع الله ، وان هذا ما علمناه من أنباء ابراهيم وجدعون وداود وسليمان ٠٠٠

*

هـذا ــ ويقول **الدكتور نظمى لوقا** فى تقرير عام عن زوجـات النبى : « هؤلاء زوجاته اللواتى بنى بهن ، وجمـع بينهن ٠ لم تكن واحدة منهن هـدف اشـتهاء كما يزعمون ٠ وما من واحدة منهن الا كان زواجه بها أدخل فى باب الرحمة واقالة العثـار والمواساة الكـريمة ، أو لكسب مودة القبائل وتأليف قلوبها بالمصـاهرة وهى بعد حديثـة عهد بالدين الجديد ٠

هى ضريبة واجب اذن أو ضريبة مكانة وزعامة ٠ وأخال لو كان له اخوة لزوجهم على ذلك المنوال ليحملوا عنـه بعض تلك الأعباء ٠٠

وما كان من الهين على رسـول قائد جيش وحاكم دولة محاربه ان يزيد أعبـاءه بما يكون فى بيت كثير النسـاء من خـلافات على صغائر الأمور ٠٠٠ ولكنه الواجب : واجب الدعوة أو واجب النخوة ٠٠ وشتان ذلك وما يتشدقون به من أمارة النزوة و ٠٠٠

واجب باهظ التكاليف من أعصابه وذهنه ، واجب أقـدم البعض على اسـتغلاله اسـتغلالا منكرا ، فرأينـا من يعضلهـا أن تجـد زوجـا ، لا ترعى الحشمة وتذهب الرسـول تعرض عليـه نفسـها ٠ متطـاولة الى شرف أمومـة المؤمنـين ، وهى غـير أهـل لـذلك الشرف بمحتد أو فضل أو سـابقة جهـاد ٠ ويسكت محرجا لا يريد أن يجرح كرامة تلك المجترئة ، عسى أن تنصرف عنه ٠ وهو يعلم أن قبوله الزواج من مثلها سيفتح عليه بابا لا قبل له به ٠ ولولا أن أحـد أصحابه جعل نفسـه فداء للرسـول فى ذلك الزواج بالهبة ٠ لأوذى فى حياته باحدى خطتين : اما التورط فى القبول ، أو المجاهرة بالرفض الصريح ٠٠٠

وأنقذه القرآن بعـد ذلك من مثل هذا التورط الفادح ٠ فحرم

المخطط النسبى لتعدد نساء الأنبياء

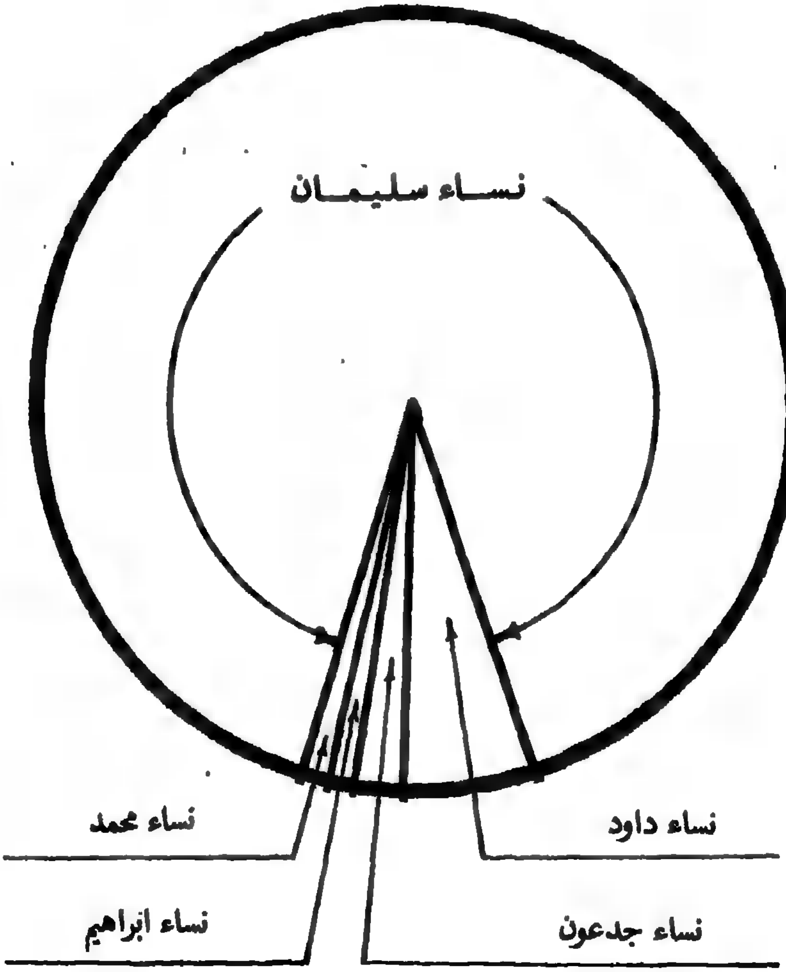

تتناسب مساحة القطاع مع عدد نساء النبى المناظر له

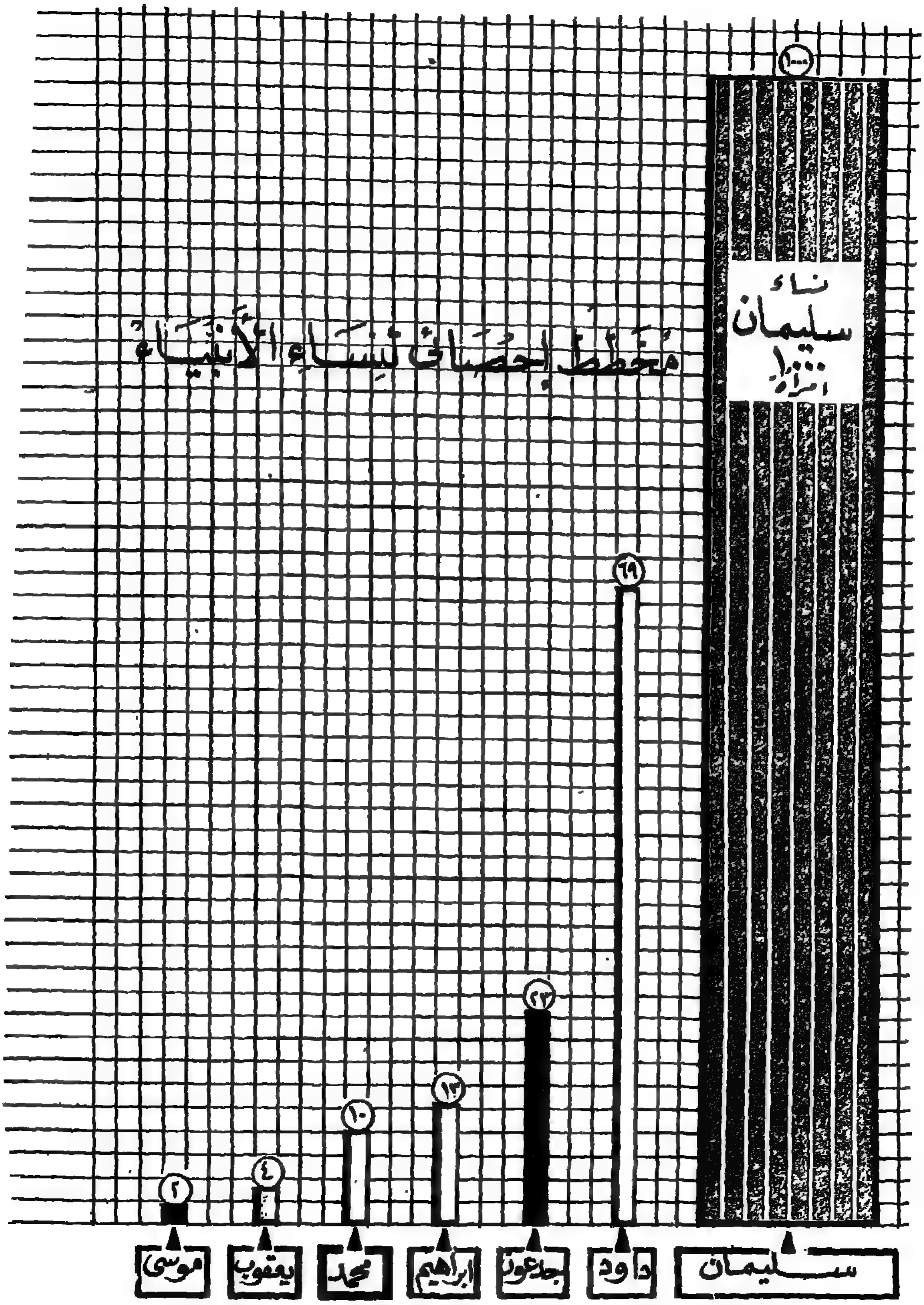
مخطط إحصائي لنساء الأنبياء
١٠٠٠
نساء
سليمان
١٠٠٠
امرأة
٦٩
٢٣
١٣
١٠
٤
٢
سليمان
داود
جدعون
ابراهيم
محمد
يعقوب
موسى

شكل رقم (١)

عليه بصريح النص فى سـورة الأحزاب (الآية ٥٢) أن يتزوج النساء من بعـد أو أن يبدل بهن أزواجا أخريات »[1] .

ويقول ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى ... ﴾ (الأحزاب : ٥٠) : « أن رسول الله ﷺ جـاءته امرأة فقالت : يا رسـول الله ، انى قـد وهبت نفسى لك . فقامت قياما طويلا .

فقام رجـل . فقـال : يا رسـول الله . زوجنيها ان لم يكن لك بها حاجـة .

فقال رسول الله ﷺ : هل عندك شىء تصدقها اياه ؟

فقال : ما عنـدى الا ازارى هـذا . فقـال رسـول الله ﷺ : ان أعطيتهـا ازارك ، جلست لا ازار لك ، فالتمس شـيئا . فقـال : لا أجـد شـيئا . فقـال : التمس ولو خاتمـا من حـديد . فالتمس فلم يجد شـيئا .

فقـال لـه النبى ﷺ : هـل معـك من القرآن شىء ؟ قال : نعم ، سـورة كذا ، وسـورة كذا ـ السـور يسـميها ـ فقال له النبى ﷺ : زوجتكها بما معك من القرآن » .

*

وان نظرة على المخطط الاحصائى لنساء الأنبياء ـ شكل (١) ـ لكفيلة ببيان ما كان من أمر تعدد نسـاء الأنبياء . وتسـهيل المقارنة بينهم فى هذا الجانب من حياتهم ، والذى دأب كثير على الخوض فيه بغير علم ، أو طمسا للحقائق بغرض التزييف .. فمن هذا الشكل يتبين أن عدد النساء لكل هـؤلاء الأنبياء كالآتى : سليمان ١٠٠٠ امرأة ، داود ٦٩ امرأة ، جدعون ٢٣ امرأة ، ابراهيم ١٣ امرأة ، محمد ١٠ نساء ، يعقوب ٤ نساء . موسى امرأتان .

*

---

(١) محمد فى حياته الخاصة ص ١١٠ ـ ١١١

ولننظر بتمعن أيضا المخطط الزمنى(١) لتعدد نساء داود ومحمد ـ شكل(٢)ـ آخذين فى الاعتبار مجموعة من العوامل الهامة ، يأتى فى مقدمتها : أن محمدا صاحب رسالة الهية عالمية وشريعة جديدة وجب أن توضع موضع التنفيذ ، وهو شىء لا عهد للعرب بمثله من قبل . وفى هذا يقول القرآن تبكيتا لأولئك الجاحدين : « أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون . بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون . وكذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون . قال او لو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم ، قالوا انا بما أرسلتم به كافرون » (الزخرف : ٢١ ـ ٢٤) .

هذا ، بينما كان كل هم داود أن يثبت مملكته الصغيرة لتعمل وفق شريعة موسى التى يعرفها بنو اسرائيل جيدا .

بعد ذلك تأتى عوامل : السن وفترة الشباب وطور الشيخوخة ، ومرحلة الحروب المتتابعة ، ثم احتكاك القوة الاسلامية الناشئة بقوتى عصر النبوة العظميين وهما الروم والفرس .

على أن مقارنة بيانات المخطط تعطينا الآتى :

ـ عدد داود نساءه مبكرا فى حياته واستمر لمدة تزيد على ٥٠ سنة ، بينما عدد محمد نساءه لمدة تقل عن ٩٫٥ من السنوات .

ـ ملك داود وعمره ٣٠ سنة ، ومنذ ذلك الحين وبحكم عوامل الملكية والحروب والسبى ازدادت نساؤه . وقد استمرت فترة

---

(١) مقياس الرسم المذكور فى المخطط يمثل النسب قبل عملية تصغير الشكل الى أبعاده الحالية .

شكل رقم (٢)

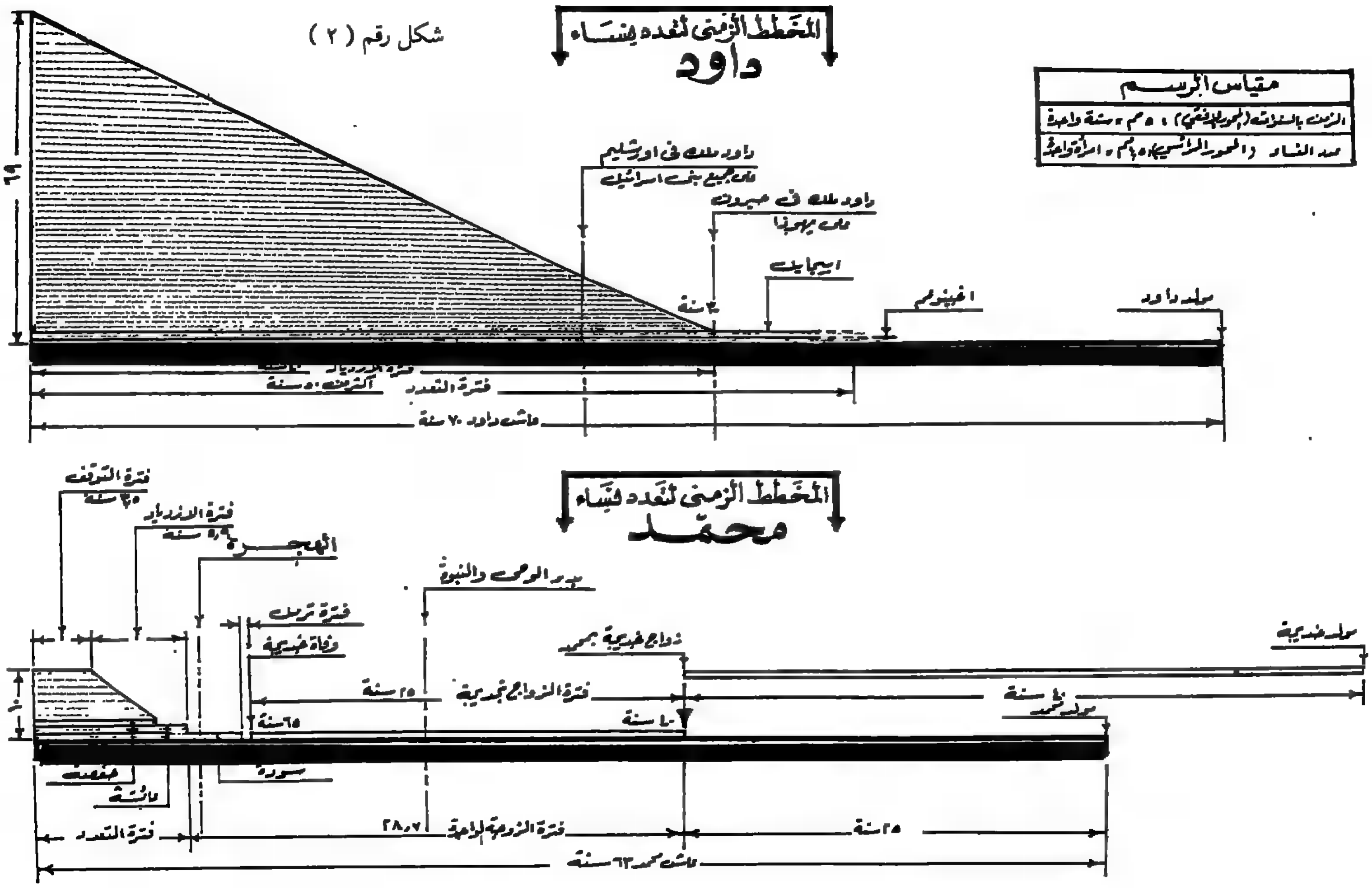
المخطط الزمني لتعدد نساء
داود
مقياس الرسم
داود ملك في اورشليم
داود ملك في حبرون
ابيجايل
اخينوعم
مولد داود
٣٠ سنة
فترة التعدد
عاش داود ٧٠ سنة
المخطط الزمني لتعدد نساء
محمد
فترة التوقف
فترة الازدياد
الهجرة
بدء الوحي والنبوة
فترة ترمل
وفاة خديجة
زواج خديجة بمحمد
مولد خديجة
مولد محمد
٢٥ سنة
فترة الزواج بخديجة
٥٠ سنة
٢٥ سنة
٤٠ سنة
سودة
عائشة
حفصة
فترة التعدد
٢٨،٧
فترة الزوجة الواحدة
عاش محمد ٦٣ سنة

شبكة العلاقات الزوجية والعائلية

شكل رقم (٣)

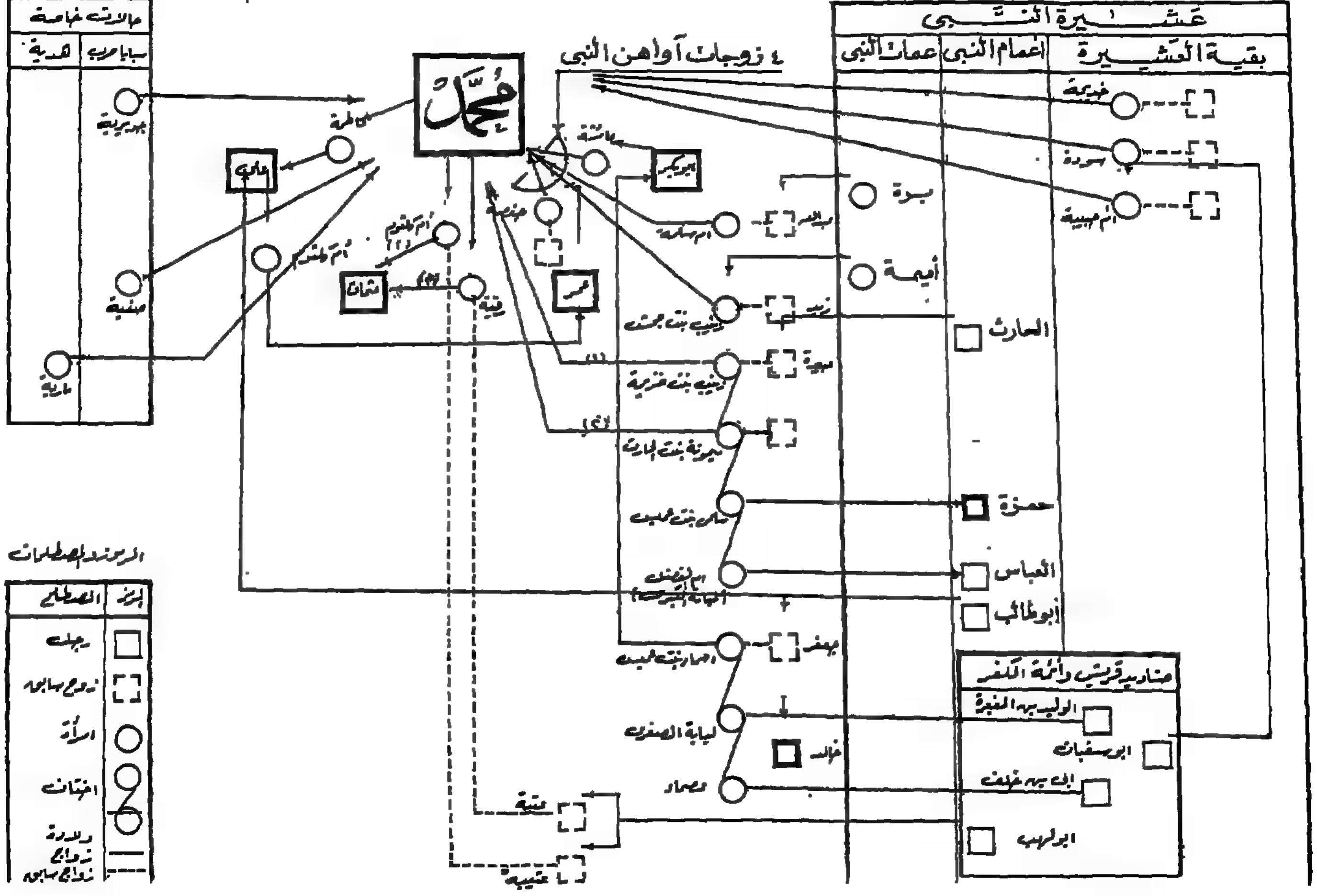

الازدياد حتى آخر سنى عمر داود ـ بأبيشج الشونمية ـ فبلغت ٤٠ سنة ، بينما بدأ محمد فترة الازدياد بعائشة قرب نهاية العام الهجرى الأول ، وانتهى بيمونة بنت الحارث فى عمرة القضاء قرب نهاية العام الهجرى السابع ، فبلغت فترة الازدياد أقل من ٦ سنوات .

ـ توقف محمد بعد ذلك عن الزواج حتى نهاية حياته ، وكانت فترة التوقف هذه نحو ٣ر٥ من السنوات ، بينما لا يعرف لدواد فترة توقف حيث استمر الازدياد حتى نهاية حياته .

ـ أمضى محمد أكثر من ٢٨ سنة من حياته صاحب زوجة واحدة ، فقضى ٢٥ سنة مع خديجة ، أعقبتها فترة ترمل ، ثم نحو ٣ سنوات مع سودة الى أن جاءت عائشة .

ـ توفيت خديجة وعمرها ٦٥ سنة ، وكان عمر محمد صلى الله عليه وسلم ٥٠ عاما ، فقضى معها كل شبابه الى أن دخل شيخوخته .

*

هذا ، وترينا شبكة العلاقات الزوجية والعائلية ـ شكل (٣) ـ الصلات التى قامت بين رسول الله وأصحابه ، الأحياء منهم والشهداء ، وهم الذين كان لهم الدور البارز فى نشر الاسلام .

فهذه الصلات الزوجية ربطت أسماء لها بريقها الاسلامى مثل : أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، وهؤلاء جاهدوا أعظم الجهاد فى سبيل الاسلام بأموالهم وأنفسهم ، ثم كانوا فيما بعد الخلفاء الراشدين الذين أعلنوا « لا اله الا الله » للناس من المحيط الأطلسى غربا الى حدود الصين شرقا .

فلقد تزوج النبى ﷺ عائشة بنت أبى بكر ، وحفصة بنت عمر .

وتزوج على فاطمة بنت محمد ﷺ .

ثم هناك سبع نســاء أخوات هن زينب بنت خزيمة ، وميمونة بنت الحارث ، وسلمى بنت عميس ، وأم الفضـل (لبـابة الكبرى بنت الحارث) ، وأســماء بنت عميس ، ولبـابة الصغرى بنت الحارث ، ثم عصماء بنت الحارث . وهؤلاء النســوة أمهن جميعا هى هنـد بنت عوف بن زهير ، ولدتهن من آباء مختلفين ، ثم كانت بهن صـهرا الى ســادة قريش وكبرائها .

ولقـد تزوج النبى منهن أختين : الأولى ، زينب بنت خزيمـة (أم المســاكين) التى بقيت معـه بضـعة شـهور ، ثم توفاها الله . وكانت أرمـلة لعبيـدة بن الحـارث شـهيد بدر ، وابن الحـارث عم النبى .

وأما الثانية ، فكانت ميمونة بنت الحارث ، أرملة فى الســادسة والعشرين من عمرها ، وهبت نفسها للنبى ، وكانت آخر زوجاته .

ولقد كانت أختهما الثالثة سلمى بنت عميس زوجـة لحمزة عم النبى ، بطل غزوة بدر الكبرى ، وأســد الله يوم أحـد ، ثم شـهيد أحـد .

وكانت أختهما الرابعة أم الفضل زوجة للعباس عم النبى .

وكانت أختهما الخامســة أسـماء بنت عميس زوجـة لجعفر بن أبى طالب ، ابن عم النبى ، وشـهيد غزوة مؤتـة . وقـد تزوجهـا أبو بكر فيما بعـد .

وكانت أختهما الســادسة لبابة الصغرى زوجة للوليد بن المغيرة الذى كان من أئمة الكفر ، والمحاربين للاســلام . وقد أنجبا خالد بن الوليد ، سيف الله المسـلول الذى لم يهزم فى معركة قط ســواء فى جاهليته ، أو بعـد اسـلامه ، وكان بطل الفتوحات الاسلامية فى عهد الخلفاء الراشـدين .

ثم كانت أختهما السابعة عصماء زوجة لأبى بن خلف ، واحدا من أئمة الكفر الذين آذوا النبى صلى الله عليه وسلم كثيرا ، واستمر يحاربه حتى قتل فى أعقاب أحـد .

ولقد تزوج النبى صلى الله عليه وسلم أم سلمة ، أرملة عبد الله ابن عبد الأسد صاحب الهجرتين . وقد شهد بدرا وأحدا وكان ابن برة عمة النبى صلى الله عليه وسلم .

كذلك تزوج النبى صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش ، ابنة أميمة عمة النبى صلى الله عليه وسلم .

وكان أبو لهب عم النبى صلى الله عليه وسلم قد زوج ابنه عتبة من رقية بنت النبى صلى الله عليه وسلم . كما أن أخاه عتيبة تزوج أختها أم كلثوم . فلما قام النبى صلى الله عليـه وسلم يدعـو النـاس الى الاسلام ، حاربه عمه أبو لهب حربا شرسـة دفاعا عن أصنامه ودين آبائه ، وأمر ابنيه بمفارقة ابنتى النبى صلى الله عليه وسلم .

فتزوج عثمان رقيـة بمكة ، وهاجرت معه الى الحبشة ، ثم عادا حث توفيت فى شـهر رمضـان ، على رأس تسـعة عشر شـهرا من الهجرة .

بعد ذلك تزوج عثمان أختها أم كلثوم ، ودخـل بها فى جمـادى الآخرة من السنة الثالثـة من الهجرة ، وعاشت معه الى أن توفيت فى شعبان من السـنة التاسعة من الهجرة .

وتزوج عمر بن الخطـاب أم كلثوم بنت على بن أبى طالب ...

وهكذا نجـد أن الصلات الزوجية والعائلية بين النبى صلى الله عليه وسلم وكل من أصحابه وأعدائه ، كانت تمثل شبكة كبيرة متداخلة ، ذات أثر خطير فى النضال من أجل الدعوة الى الاسلام .

* *

خصوصية التشريع

ان خصوصية التشريع مبدأ مقرر فى التشريعات الدينية ، كما تؤكده الدراسة المقارنة لهذه التشريعات . وما يعنينا فى هذا المقام هو اعطاء بعض الأمثلة التى تؤكد هذا المبدأ .

● من شريعة موسى :

« قال الرب لموسى : كلم الكهنة بنى هارون وقل لهم :

١ ــ لا يتنجس أحد منكم لميت فى قومه ، الا لأقربائه الأقرب اليه : أمه وأبيه وابنته وأخته . وأخته العذراء القريبة اليه التى لم تصر لرجل ، لأجلها يتنجس . كزوج لا يتنجس بأهله لتدنيسه ..

٢ ــ امرأة زانية ، أو مدنسة لا يأخذوا ، ولا يأخذوا امرأة مطلقة من زوجها ، لأنه مقدس لالهه ..

٣ ــ واذا تدنست ابنة كاهن بالزنا فقد دنست أباها . بالنار تحرق .

٤ ــ والكاهن الأعظم بين اخوته ، الذى صب على رأسه دهن المسحة .. لا يأتى الى نفس ميتة ولا يتنجس لأبيه او امه ..

٥ ــ هذا يأخذ عذراء . أما الأرملة والمطلقة والمدنسة والزانية ، فمن هؤلاء لا يأخذ ، بل يتخذ عذراء من قومه امرأة ــ سفر اللاويين ٢١ : ١ ــ ١٥ » .

تقرر شريعة موسى أن « من مس ميتة انسان ما يكون نجسا سبعة أيام .. كل من مس ميتا ميتة انسان قد مات ، ولم يتطهر ، ينجس مسكن الرب . فتقطع تلك النفس من اسرائيل ..

هذه هى الشريعة . اذا مات انسان فى خيمة ، فكل من دخل الخيمة وكل من كان فى الخيمة يكون نجسا سبعة ايام .

وكل اناء مفتوح ليس عليه سداد بعصابة فانه نجس (!)

وكل من مس على وجه الصحراء قتيلا بالسيف ، أو ميتا ، أو عظم انسان ، أو قبرا يكون نجسا سبعة أيام ــ سفر العدد ١٩ : ١١ ــ ١٦ » .

فشريعة موسى صارمة فى أشـياء كثيرة . ومنها اعتبار من مس انسانا ميتا يكون نجسـا ، عليه التطهير والا فعقوبته الموت قتلا .

فمن الفقرات السابقة نجد أنه :

اذا مس الاسرائيلى العادى ــ من غير الكهنة ــ ميتا ، فانه يتطهر ولا شىء عليـه بعد ذلك . أما الكاهن فغير مسموح له بمس الميت الا لأقربائه الأقرب (الفقرة رقم ١) .

وأما الكاهن الأعظم ــ أو رئيس الكهنة ــ فمحرم عليـه مس ميت ولو كان أباه أو أمه (الفقرة رقم ٤) .

واذا كانت الفقرة رقم (٢) لم تورد الأرملة من بين أصناف النساء اللاتى يحرم على الكاهن الزواج بهن ، ومن ثم فيسمح له أن يتزوج الأرملة ، فان الفقرة رقم (٤) قد حرمت على الكاهن الأعظم أن يفعل ذلك ، وقصرت زواجه على العذراء فقط .

كذلك تجعل شريعة موسى القتل عقوبة للزنا (سـفر اللاويين ــ الاصحاح ٢٠) ، وتشتد العقوبة لتصـير احراقا بالنار : « اذا اتخذ رجل امرأة وأمها ، فذلك رذيلة . بالنار يحرقونه واياهما ، لكى لا يكون رذيلة بينكم ــ سـفر اللاوين ٢٠ : ١٤ » .

أما فى حالة زنا ابنة الكاهن فعقوبتها مشـددة ، وهى الاحراق بالنار ، وليس القتل (الفقرة رقم ٣) .

مما سـبق يتبين أنه رغم أن القضية أو الجريمة واحدة ، الا أن التشريع أو العقوبة تختلف بالنسبة للأفراد المتميزين .

**

● **في المسيحية :**

منذ بدأ المسيح دعوته فى بنى اسرائيل وهو حريص على تأكيد التزامه بناموس موسى وتعاليم النبيين من بعده . فلقد أعلن ذلك فى مستهلها ، فى موعظة الجبل (متى ٥ : ١٧ ــ ١٩) : كما ألزم تابعيه والمؤمنين به فى آخر لقاء جماهيرى له ، بتنفيذ كل ما يقوله الكتبة والفريسيون باعتبارهم القائمين على أمر شريعة موسى (متى ٢٣ : ١ ــ ٣) .

وبعد سنوات من رحيل المسيح ، **ظهر بولس اليهودى فجأة بين التلاميذ** . ولما جاء الى أورشليم « حاول أن يلتصق بالتلاميذ . وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ . فأخذه برنابا وأحضره الى الرسل ــ أعمال الرسل ٩ : ٢٦ ــ ٢٧ » .

ثم استطاع أن يجعل نفسه رسول المسيحية الأكبر ومشرعها ، فأفتى بآرائه الشخصية فى الكثير من القضايا التى لا تزال تثير جدلا حتى الآن . وقد اعترف بذلك صراحة فى رسائله ، كما اعترف **بأنه يظن ان عنده روح الله** ــ فقال :

« أما الباقون **فاقول لهم انا ، لا الرب** : ان كان أخ له امرأة غير مؤمنة وهى ترضى أن تسكن معه فلا يتركها ..

أما العذارى فليس عندى أمر من الرب فيهن ، ولكنى أعطى رأيا ــ (١) كورنثوس ٧ : ١٢ ، ٢٥ » .

« لست أقول هذا على سبيل الأمر بل باجتهاد آخرين ... **أعطى رأيا فى هذا ايضا** ، لأن هذا ينفعكم ــ(٢) كورنثوس ٨:٨،١٠» .

« **واظن انى انا ايضا عندى روح الله** ــ (١) كورنثوس ٧ : ٤ » .

ثم كان من تشريع بولس أن أحل لنفسه كل الأشياء ، فقال :

« **كل الأشياء تحل لى** ، لكن ليس كل الأشياء توافق .

كل الأشياء تحل لى ، لكن لا يتسلط على شىء ..

كل الأشياء تحل لى ، لكن ليس كل الأشياء توافق .

كل الأشياء تحل لى . ولكن ليس كل الأشياء تبنى ـ (١) كورنثوس ٦ : ١٢ ، ١٠ : ٢٣ » . .

ان شريعة موسى ، بل وكل الشرائع ، تعلم متبعيها أن هناك : حلالا وحراما . وهناك طاهرا ونجسا ، وعلى كل مؤمن بها أن يعرف هذا وذاك : « للتمييز بين المقدس والمحلل ، وبين النجس والطاهر . ولتعليم بنى اسرائيل جميع الفرائض التى كلمهم الرب بها ، بيد موسى ـ سفر اللاويين ١٠ : ١٠ ـ ١١» .

ولقد كان من نتاج قول بولس فى تحليل كل الأشياء له ، أن اندفع أهل كورنثوس فى طريق الزنا الفاحش وارتكاب الموبقات . وفى هذا يقول المفسرون ، على استحياء ، تعليقا على تشريع بولس فى تحليل كل شىء له : « **ربما كان هذا القول من اقوال بولس اخذه بعض اهل قورنتس فتوسعوا فى تفسيره ، حتى وصلوا الى حد الاباحية** »(١) .

على أن ما يعنينا الآن ، هو تأكيد مبدأ خصوصية التشريع فى المسيحية . فلقد أحل بولس كل الأشياء لنفسه ، وان بقى بعضها محرما على غيره .

* *

■ **فى الاسلام :**

١ ـ حذر الله نبيه من الركون الى فتنة الكفار ، فقد يعرضون عليه عروضا فيها مكر ومداهنة ، كاقتراح حل وسط ـ بزعمهم ـ بين الشرك والتوحيد ، وأشباه ذلك من أحابيل الشيطان التى لا تنتهى . فقد « اعترض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالكعبة الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى ، والوليد بن المغيرة ،

---

(١) العهد الجديد ـ منشورات دار المشرق ـ بيروت .

وأمية بن خلف ، والعاص بن وائل السهمي ، وكانوا ذوى أسنان فى قومهم ، فقالوا : يا محمد ، هلم فلنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، فنشترك نحن وأنت فى الأمر ، فان كان الذى تعبد خيرا مما نعبد ، كنا قد أخذنا بحظنا منه ، وان كان ما نعبد خيرا مما تعبد ، كنت قد أخذت بحظك منه ، فأنزل الله تعالى فيهم :

﴿ قل يا ايها الكافرون ، لا اعبد ما تعبدون ، ولا انتم عابدون ما اعبد ، ولا انا عابد ما عبدتم ، ولا انتم عابدون ما اعبد ، لكم دينكم ولى دين ﴾ (سورة الكافرون)[1] .

ولقد عرف الله نبيه حقيقة أمرهم ، فقال : **﴿ فلا تطع المكذبين ، ودوا لو تدهن فيدهنون ﴾** (القلم : ٨ ـ ٩) .

وكان أمر الله اليه صريحا أن يبلغ الرسالة ويجابه المشركين دون تردد ، فقال سبحانه :

﴿ يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ (المائدة : ٦٧) .

﴿ فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين ﴾ (الحجر : ٩٤) .

فاذا فتن المشركون الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ، كان عذابه مضاعفا :

﴿ اذن لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا ﴾ (الاسراء : ٧٥) .

الحق أن هذه الآيات لجديرة بالتدبر من جانب المكذبين ، فوجودها فى القرآن بهذه الصيغة ، آية حق وصدق : القرآن حق ، والرسول صلى الله عليه وسلم صادق .

ان الفتنة والاختبار قاعدة عامة يتعرض لها كل الناس ، وعلى

---

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ـ ص ٧٨

رأسهم الأنبياء : يفتنون فى أنفسهم ويفتنـون فى عالمهم المحيط بهم من كل جانب •

وها هو المسـيح قد تعرض للفتنـة من الشيطان ، لكنه استعصم بما حفظه من التوراة ، وبما علمه الله ، فمرت التجربة بسلام •

« اصعد يسوع الى البرية ليجرب من ابليس • فبعـد ما صـام أربعين نهارا وأربعين ليـلة ، جـاع أخيرا • فتقـدم اليـه المجـرب وقال له : ان كنت ابن الله فقل أن تصير هـذه الحجارة خبزا • فأجاب وقال : مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ، بل بكل كلمـة تخرج من فم الله •

(وهذا المكتوب جاء فى سفر التثنية ٨ : ٣) •

ثم أخذه ابليس الى المدينة المقدسة وأوقفه على جنـاح الهيكل ، وقال له : ان كنت ابن الله فاطرح نفسـك الى أسفل • لأنه مكتوب انه يوصى ملائكته بك ، فعـلى أيديهم يحملونك لكى تصـدم بحجر رجلك •

قال له يسوع : مكتوب ايضا ، لا تجرب الرب الهك •

(والمكتوب الذى أشار اليه ابليس جاء فى المزمور ٩١ : ١١ — ١٢ أما المكتوب الذى أشار اليه المسيح فقد جاء فى سفر التثنية ٦ : ١٦) •

ثم أخذه أيضا ابليس الى جبل عال جدا ، وأراه جميع ممالك العالم ومجدها • وقال له : أعطيك هذه جميعها ان خررت وسجدت لى •

حينئذ قال له يسوع : اذهب يا شيطان • لأنه مكتوب : للرب الهك تسجد ، واياه وحده تعبد •

(وهذا المكتوب جاء فى سفر التثنية ٦ : ١٣ ، ١٠ : ٢٠ — سفر يشوع ٢٤ : ١٤ — وسفر صموئيل الأول ٧ : ٣) •

« ثم تركه ابليس — انجيل متى ٤ : ١ — ١١ » •

« ولما أكمل ابليس كل تجربة ، فارقه الى حين ــ انجيل لوقا ٤ : ١٣ » .

٢ ــ أنذر الله زوجات النبي صلى الله عليه وسلم بمضاعفة العذاب عقابا لما قد يقع منهن من خطايا كبرى وفواحش ، فهن لسن مثل باقي النساء من هذا الجانب . انهن زوجات نبي يأتيه وحي الله وصاحب رسالة كبرى للناس أجمعين ، فليعرفن موقعهن جيدا ، وليترفعن عن كل صغار يتدنى اليه غيرهن من النساء ، فقال سبحانه :

﴿ يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ، وكان ذلك على الله يسيرا ﴾ (الأحزاب : ٣٠) .

واقتضى عدل الله ورحمته أن يكون ثوابهن مضاعفا حين يستقمن على أمر الله وشرعه ، فقال سبحانه :

﴿ ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما ﴾ (الأحزاب : ٣١) .

٣ ــ حرم الله على نبيه التزوج بغير من كن معه ، وقد توقف صلى الله عليه وسلم عن أخذ زوجات أخريات منذ نزول هذا الأمر الالهي حتى نهاية حياته ، ولمدة أكثر من ثلاث سنوات ، فقال سبحانه :

﴿ لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك ، وكان الله على كل شيء رقيبا ﴾ (الأحزاب : ٥٢)

٤ ــ نزلت بعد ذلك آية تحديد الزوجات بما لا يتعدى أربعا ، مع تفضيل الاكتفاء بزوجة واحدة مخافة عدم العدل بينهن :

﴿ وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم ، ذلك ادنى الا تعولوا ﴾ (النساء : ٣) .

« وقـد كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع نسـوة ، فعرض عليهن المفارقة مع المتاع لمعاشهن ، فلم تقبل أيتهن أن تدع المفخرة أن تكون أم المؤمنين ، فأبقاهن كلهن برخصة من الله حبالة نكاحة بشرط ألا يطـأ الا الأربع منهن ، فقبلن الشرط »[1] وقـد كان ذلك اكراما لهن ، قرت به أعينهن ، وذلك استقامة مع قول الله سبحانه الى نبيه :

« ترجى من تشـاء منهن وتؤى اليك من تشـاء ، ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ، ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن ، والله يعلم ما فى قلوبكم ، وكان الله عليمـا حليمـا » (الأحزاب : ٥١)

ويقول القرطبى فى تفسير هـذه الآية : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد هم بطـلاق بعض نسـائه ، فقلن له : اقسـم لنـا ما شئت . فكان ممن آوى عائشة ، وحفصة ، وام سلمة ، وزينب ، فكان قسمتهن من نفسـه وماله سـواء بينهن . وكان ممن أرجى : سـودة ، وجويرية ، وأم حبيبة ، وميمونة ، وصفية » .

هذا ـ ولـمـا كانت شريعـة موسى تحرم على الكاهن ـ كمـا رأينا ـ أن يأخذ « زانية أو مدنسـة » . ولـمـا كان داود نبيا حـل عليـه « روح الرب » منذ مسحه صموئيل ، وكان يقول فى وحيـه : « روح الرب تكلم بى ، وكلمته على لسـانى » ، فهو اذن أكبر من كاهن ، بل انه الذى يعين الكاهن الأكبر أو يعفيه ، ومن ثم تفرض عليه شريعة موسى ألا يأخذ « زانية أو مدنسة » . ولـمـا كان ابنه أبشالوم قـد زنى بسرارى أبيـه العشر اللاتى أبقاهن أبوه لحفظ البيت ابان ثورة ابنه ضـده ، فقـد وجب على داود أن يفارقهن فـورا ويقطع صلته بهن ، وفقا لشريعة موسى .

لكن ما فعله داود هو أن أبقاهن فى بيته ، وكان يعولهن ولكن

---

(١) سيرة ابن هشام ص ٢٤٩ (تعليق المحقق محمد حميد الله) .

لم يدخل اليهن » ، وذلك اكراما لهن حتى لا يتعرضن لمهانات أخرى ، أو يقعن تحت رجل آخر بعد أن كن تحت داود مسيح الرب .

●

ان خصوصية التشريع ــ اذن ــ تفتح بصيرة الناس لتفهم ما كان من أمر النبى صلى الله عليه وسلم ونسائه ، فتسمو بتفكيرهم بعيدا عن التدنى وسوء الظن ، وتنقذهم بذلك من عقاب الهى دونه عقاب مريم وهارون حين عابا على موسى تعدد زوجاته باتخاذه امرأة كوشية .

وبمقتضى خصوصية التشريع ، أبقى النبى صلى الله عليه وسلم نساءه فى بيته دون تسريح ، اكراما لهن ، وقد رفعت أقدارهن بعد أن صرن « أمهات المؤمنين » ، ومن ثم حرم الله الزواج بهن من بعده ، فقال سبحانه : « النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم ، وازواجه امهاتهم ، وأولوا الأرحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا ، كان ذلك فى الكتاب مسطورا » (الأحزاب : ٦)

« وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده أبدا ، ان ذلكم كان عند الله عظيما » (الأحزاب : ٥٣) .

وبمقتضى خصوصية التشريع ، فرض على النبى صلى الله عليه وسلم قيام الليل الا قليلا ، وذلك منذ أوائل نزول الوحى بالقرآن ، وقبل أن تفرض الصلاة على أمته ، فكان أمر الله اليه : « يا ايها المزمل . قم الليل الا قليلا . نصفه أو انقص منه قليلا . أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا . انا سنلقى عليك قولا ثقيلا » (المزمل : ١ ــ ٥) .

وكذلك فرض على النبى صلى الله عليه وسلم التهجد بالليل ، فيقوم للصلاة بعد نوم : « ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا » (الاسراء : ٧٩) .

وذكر ابن كثير فى معنى قوله تعالى : « نافلة لك » :

« أنك مخصوص بوجوب ذلك وحدك ، فجعلوا قيام الليل واجبا فى حقه دون الأمة » .

وبمقتضى خصوصية التشريع ، كان النبى صلى الله عليه وسلم يصوم صوم الوصال ، أى يصل يوما بيوم آخر أو أكثر دون أن يفطر ، لكنه نهى المسلمين عن ذلك . يقول ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم اتموا الصيام الى الليل » (البقرة : ١٨٧) :
« عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تواصلوا .
قالوا : يا رسول الله ، انك تواصل . قال : « فانى لست مثلكم ، انى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى » .

وعن عائشة رضى الله عنها ، قالت : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال رحمة لهم ، فقالوا : انك تواصل . قال : « انى لست كهيئتكم ، انى يطعمنى ربى ويسقينى » .

فقد ثبت النهى عنه من غير وجه ، وثبت انه من خصائص النبى صلى الله عليه وسلم » .

وبمقتضى خصوصية التشريع ، ان النبى صلى الله عليه وسلم لا يورث ، وذلك خلافا لما عليه حال بقية المسلمين الذين حدد الله لكل منهم نصيبا مفروضا . فقد قال أبو بكر : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : انا لا نورث ، ما تركناه صدقة » .

وعن أبى هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تقسم ورثتى دينارا ولا درهما . ما تركت بعد نفقة نسائى ومؤنة عاملى فانه صدقة »[1] .

*

(١) نهاية الأرب ص ٣٩٦

مما سبق يتبين أن ابقاء النبى صلى الله عليـه وسلم على زوجاته دون مفارقة لمن زدن عن أربع ، انما يتفق وخصوصية التشريع ، ويقدم أفضل مواءمة بين تشريع القصر على أربع نسـاء آواهن اليـه هن : عائشة وحفصـة وأم سـلمة وزينب بنت جحش ، وبين الابقـاء على الأخريات بمقتضى خصوصية التشريع المعمول بها فى الشرائع السابقة ، والتى يلاحظ أنها جاءت فى الاسلام لتلقى على النبى صلى الله عليه وسلم اعباء واجهادات شتى ، فكانت بحساب الدنيويات مغرما ، لا مغنما ، وكانت مشقات ومسئوليات .

**

● **هؤلاء الراؤون ...**

لقـد رأينا أن تعدد زوجات محمد صلى الله عليه وسلم ليس بدعا فى سلوك الأنبياء ورجـال الوحى الالهى . ولم تكن واحـدة منهن دافع نزوة طارئة ، أو شـهوة جامحة كتلك التى أصـابت داود حين رأى بتشبع عارية وهى تستحم ، ففقد السيطرة على نفسه تماما (كما ورد فى كتابهم المقدس) . ولقد كانت عنده الفرصة كاملة أن يضبط نفسه خلال الفترة الزمنية التى استغرقتها عملية ارسال رجاله لاحضارها اليه ، بعد أن تنتهى من غسلها ، وترتدى ملابسها ، وتهبط من سطح منزلها ... الخ . ان أقل من تلك الفترة كاف لاعـادة التوازن النفسى الى رجـال أقل من داود كثيرا فى مقام القربية من الله ، رجال يقول فيهم القرآن الكريم :

﴿ **اذا مسـهم طائف من الشـيطان تـذكروا فـاذا هـم مبصرون** ﴾ (**الأعراف : ٢٠١**)

ولقـد أجمعت الروايات المتناقضة التى تحدثت عن قصـة زواج النبى صلى الله عليـه وسلم بزينب بنت جحش ، على أنه أصر على أن يبقيها زيد فى عصمته ولا يطلقها . فماذا يريد الخائضون فى هذا الحديث من النبى صلى الله عليه وسلم أن يفعل أكثر من هذا ! ولكن ما الحيلة فى القلوب المريضة ! انها قلوب ليس لها من شـفاء الا يوم الحسرة ...

ان تاريخ الأنبياء حافل بتلك المواقف وأشباهها . فمن قبل كان يحيى معتزلا الناس ، عازفا عن الدنيا ، شديدا على نفسه ، فلم يعجب ذلك بنى اسرائيل . ولما كان المسيح يخالط الناس ويتناول من صنوف الطعام والشراب ما يشبع شهواته ، فلم يعجب ذلك بنى اسرائيل أيضا . فقد قال لتلاميذه « **شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم .. ثم تناول كاسا (من الخمر) وشكر** وقال خذوا هذه واقتسموها بينكم — لوقا ٢٢ : ١٤ — ١٦ » ، وفى هذا يقول الانجيل على لسان المسيح : « جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب ، فيقولون به شيطان . جاء ابن الانسان (المسيح) يأكل ويشرب ، فيقولون هو ذا انسان أكول وشريب خمر — متى ١١ : ١٨ — ١٩» .

ويقول **جون فنتون** فى تعليقه على هذه الفقرة : « لقد دعا كل من يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا) والمسيح الى التوبة ، لكن اليهود لم يستجيبوا لهما . فاليهود يشبهون أولادا سيئى المزاج مثيرين للخصام ، لا يعجبهم شىء . لقد عاش يوحنا بينهم ناسكا متقشفا فقالوا به شيطان ، ولما لم يكن المسيح متقشفا فقد قالوا انه ماجن ملحد »[1] .

*

وكما أنه : **لا حياء فى العلم** ، حيث يتعلم الدارسون تكوين الأعضاء الجنسية وتشريحها ووظائفها ، كذلك : **لا حياء فى الدين** ، حيث توجد تعاليم وآداب : يجب على المؤمن اتباعها حين يمارس الجنس ممارسة شرعية ، فتتحقق بذلك الاستفادة الكاملة من حكمة خلق « **الزوجين : الذكر والانثى** » ، ويرتقى الانسان بغريزته هذه حين يمارسها تحت ضوابط وقيم ، فلا يغفل خلال لحظاتها عن أداء ما عليه من واجبات . لا حرج — اذن — **أن نذكر تعاليم النبى** صلى الله عليه وسلم فى هذا الجانب الخطير من حياة البشر ، والذى تكون ثمرته

---

(1) J. Fenton : Saint Matthew, p. 180.

مولد انسان ... الانسان أعظم اختراع ، الذى كرمه الله بالخلافة ، وسخر له كل ما فى الكون ، اذ يقول الحق فى قرآنه : « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » (الجاثية : ١٣) .

يقول أبو حامد الغزالى فيما استخلصه من تعاليم النبى صلى الله عليه وسلم فى آداب الجماع : « يستحب أن يبدأ باسم الله تعالى ويقرأ : قل هو الله أحد ـ أولا ، ويكبر (يقول : الله أكبر) ويهلل (يقول : لا اله الا الله) ، ويقول : بسم الله العلى العظيم ، اللهم اجعلها ذرية طيبة ان كنت قدرت أن تخرج ذلك من صلبى ..

واذا قربت من الانزال ، فقل فى نفسك ولا تحرك شفتيك : الحمد لله « الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا ، وكان ربك قديرا » (الفرقان : ٥٤)

وليغط نفسه وأهله بثوب . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغطى رأسه ويغض صوته .. وفى الخبر (حديث ابن ماجه) : (اذا جامع أحدكم أهله ، فلا يتجردان تجرد العيرين) أى الحمارين . ثم اذا قضى وطره فليتمهل على أهله حتى تقضى هى أيضا نهمتها .. ثم القعود عنها ايذاء لها .. فانها ربما تستحى »[1] .

والعدل بين النساء واجب مفروض ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان له امرأتان فمال الى احداهما دون الأخرى ، جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل »[2] .

●

ان الغذاء ضرورة للابقاء على حياة الانسان . لكن ممارسة الجنس ضرورة للابقاء على نوع الانسان واستمرار بقائه على وجه

---

(١) احياء علوم الدين ــ الجزء الرابع ص ٧٣٣
(٢) المرجع السابق ص ٧٣٠

الأرض . ومن هنا كانت ممارسة الجنس وفق شريعة الله ـ بالزواج ـ بناء حياة ، وضرورة جسد ، وسكن نفس ، ومن ثم كانت نعمة تفضل الله بها على عباده ، فأعطى كل زوج زوجه المقابل . فحين استسلم داود لشهوته أمام تلك المرأة العارية وزنى بها ثم تآمر على زوجها فقتله بمكيدة فى الحرب (حسب رواية كتابهم المقدس) جاءه التبكيت من النبى ناثان يذكره بما أعطاه الله من أنعم ، فيقول له « هكذا قال الرب له اسرائيل : أنا مسحتك ملكا على اسرائيل (نعمة اولى) ... وأنقذتك من يد شاول (نعمة ثانية) .. وأعطيتك بيت سيدك (نعمة ثالثة) ... ونساء سيدك فى حضنك (نعمة رابعة) ...

لماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشر فى عينيه ، قد قتلت أوريا الحثى بالسيف ، وأخذت امرأته لك امرأة ... ـ صموئيل الثانى ١٢ : ٧ ـ ٩ » .

ان ممارسة الجنس شرعا ـ بالزواج أو التسرى ـ هى بمقتضى نصوص الكتاب المقدس نعمة تستوجب شكر الله . فما بال أقوام من المنافقين ، همزة لمزة ، جعلوا من تعدد نساء محمد صلى الله عليه وسلم أحاديثهم الصاخبة ، ومزاميرهم البالية ، ينعقون بها صباح مساء ، عبر القرون ! آن لهم أن يرجعوا الى الكتاب يقرأون فيه تبكيت المسيح لهم ولأمثالهم :

« لا تدينوا لكى لا تدانوا . لأنكم بالدينونة التى بها تدينون ، تدانون . وبالكيل الذى به تكيلون ، يكال لكم .

ولماذا تنظر القذى الذى فى عين أخيك ، وأما الخشبة التى فى عينك فلا تفطن لها . أم كيف تقول لأخيك : دعنى أخرج القذى من عينك ، وها الخشبة فى عينك .

يا مرائى ! أخرج أولا الخشبة من عينك ـ متى ٧ : ١ ـ ٥ » .

* * *

الباب الثانى

تعدد الزوجات

- تعدد الزوجات فى اليهودية .
- تعدد الزوجات فى المسيحية .
- حقيقــة المقــال .
- الواقع بين النظرية والتطبيق .
- تعدد الزوجات فى الاسلام .

تعـدد الزوجات فى اليهودية

ان تعـدد الزوجات جائز شرعا فى اليهودية ، ولم يرد فى أسـفار العهد القديم تحديد لعدد النسـاء اللاتى يسمح بالجمع بينهن . فهذه الأسـفار تذكر تعـدد الزوجات كأمر مفروغ منه ، لكنها تنظم الأمور التى تترتب عليه : « اذا كان **لرجـل امرأتان** : احـداهما محبـوبة والأخرى مكروهة ، فولدتا له بنين ، المحبوبة والمكروهـة . فان كان الابن البكر للمكروهة ، فيوم يقسم لبنيه ما كان له ، لا يحل له أن يقـدم ابن المحبـوبة بكرا على ابن المكروهـة البكر . بل يعرف ابن المكروهة بكرا ليعطيه نصيب اثنين من كل ما يوجـد عنـده ، لأنه هو أول قدرته ، له حق البكورية ــ تثنية ٢١ : ١٥ ــ ١٧ » .

ولقـد عـدد الأنبياء زوجاتهم قبـل التوراة ، كما فعل ابراهيم ويعقوب . كما عدد الأنبياء بعد التوراة ، كما فعل موسى وجـدعون وداود وسليمان ، وقد بينا ذلك سلفا بتفصيل ، وكما فعل غيرهم ، مثل ألقانة أبو صموئيل النبى ، ألذى كان « له امرأتان : اسم الواحدة حنة (أم صموئيل) ، واسم الأخرى فننة ــ صموئيل الأول ١ : ٢ » .

وبمقتضى تعدد الزوجات نما الشعب الاسرائيلى وتكاثر ، ولقـد عرفنا فيما سـبق بعضا من أخبار قضاته الذين أقامهم الله لقيادته بعد يشوع وقبل تأسيس المملكة . فقد كان لجدعون ٧٠ ولدا ، ولابصان ٣٠ ابنا و ٣٠ ابنة ، ولعبدون ٤٠ ابنا و ٣٠ حفيدا « يركبون على سبعين جحشا ! ــ قضاة ١٢ : ١٤ » .

وكذلك يائير الجلعادى الذى « قضى لاسرائيل اثنتين وعشرين سنة . وكان له ثلاثون ولـدا يركبـون على ثلاثين جحشـا ! ــ قضاة ١٠ : ٣ ــ ٤ » .

ان **الكتاب المقدس** يبدأ فى صـفحاته الأولى بالحـديث عن خلق

العالم ، ثم خلق الانســان الأول آدم وزوجه ، ثم يحدد للبشر مهمتهم فى الحياة بتحقيق واجبين :

الأول : التناسل بكثرة لمــلء الأرض .
الثانى : التسلط على الأرض وما فيها .

وفى هذا يقول : « خلق الله الانســان .. ذكرا وأنثى خلقهم . وباركهم الله وقال لهم : اثمروا ، واكثروا ، واملأوا الأرض ، واخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض ــ تكوين ١ : ٢٧ ــ ٢٨ » .

ومن هذا المنطلق ، وعملا على تكاثر الشعب الاسرائيلى صــاغ علماء بنى اسرائيل هذه المهمة فى قوانين ملزمة ، مثلما جاء فى كتــاب : **الأحكام العبرية(١)** .

يقول الكتاب الســابع ــ فى النكاح ــ المــادة ٣٩٣ :

« النكاح بنية التناسل ودوام حفظ النوع الانسانى فرض على كل يهودى . ومن تأخر عن أداء هذا الفرض وعاش عزبا بدون زواج كان سببا فى غضب الله على بنى اسرائيل » .

*

ان التناسل لا يتم الا بالزواج ، وليس بالخصى واعتزال النساء . كذلك التكــاثر لا يتم الا بالحض على الزواج واباحــة تعــدد الزوجات .

والتناسل والتكاثر كانا منذ البدء مشيئة الله وأمره للناس جميعا .

* * *

---

(١) تأليف المسيودى بغلى من علماء اللغــات القــديمة ــ نقله الى العربية محمد حافظ صبرى ، وقد علق عليه وجعل عنوانه : المقابلات والمناظرات .

تعــدد الزوجات فى المسيحية

أعلن المسيح فى مستهل دعوته الاطار العــام لتعاليمــه ، فقــال مخاطبا الجموع التى تبعته ووقفت تستمع اليه من بنى اسرائيل :

« لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لانقض بل لاكمــل . فانى الحق أقول لكم : الى أن تزول الســماء والأرض ، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل .

فمن نقض احــدى هذه الوصايا الصغرى وعلم النــاس هكذا ، يدعى أصغر فى ملكوت الســموات . وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات ــ متى ٥ : ١٧ ــ ١٩ » .

وفى نهاية دعوته ، دعا المسيح تابعيه وكل بنى اسرائيل أن يتمسكوا بكل ما يأمرهم به الحفــاظ على شريعــة موسى من كتبــة وفريسيين . وفى هذا يقول الانجيل :

« حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلا : على كرسى موسى جلس الكتبــة والفريسيون فكل ما قالوا لكم ان تحفظوه فاحفظــوه وافعلوه . ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا ، لأنهم يقولون ولا يفعلون ــ متى ٢٣ : ١ ــ ٣ » .

وبين بداية دعوة المسيح ونهايتها ، نجده فى كل حين مرتبطا تماما بناموس موسى ، حريصا عليــه ، داعيا الى الاستمساك به ، بدءا من الوصايا حتى أدق تفاصيل الشريعة اليهودية .

لقد تقدم اليه واحد قائلا : « أيها المعلم الصالح ، أى صــلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية ؟

فقال له : لمــاذا تدعونى صالحا ! ليس أحــد صالحا الا واحد ، وهــو الله .

ولكن ان أردت أن تدخل الحياة ، فاحفظ الوصايا .

قال له : أية الوصايا ؟

فقال يسوع : لا تقتل . لا تزن . لا تسرق . لا تشهد بالزور . أكرم أباك وأمك ، وأحب قريبك كنفسك ــ متى ١٩ : ١٦ ــ ١٩ » .

وحين شفا أبرصا قال له : « اذهب أر نفسك للكاهن ، وقدم عن تطهيرك ما أمر به موسى شهاة لهم ــ مرقس ١ : ٤٤ » .

« وقال له واحد من الجمع : يا معلم ، قل لأخى أن يقاسمنى الميراث .

فقال له : يا انسان ، من أقامنى عليكما قاضيا أو مقسما ! ــ لوقا ١٢ : ١٣ ــ ١٤ » .

من هذا ــ وغيره ــ يتبين أن المسيح لم يأت بشريعة جديدة ، وانما جاء ليحافظ على شريعة موسى وتعاليم النبيين من بعده ، ويدعو بنى اسرائيل الى السمو الأخلاقى والتخفيف من الماديات . فاذا كانت شريعة موسى تسمح بالقصاص ، وهذا حق وعدل ، فالأفضل منه ولا شك العفو والتسامح ... وهكذا .

*

لكننا نجد فى الأناجيل تشريعات تنسب للمسيح ، تناقض تشريعات موسى وتهدمها من أساسها .

ان ناموس موسى يسمح بالطلاق ، ويجعله حقا مقصورا على الزوج ، دون الزوجة . وفى هذا يقول :

« اذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها ، فان لم تجد نعمة فى عينيه لأنه وجد فيها عيب شىء ، وكتب لها كتاب طلاق ودفعه الى يدها وأطلقها من بيته ، ومتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر .

فان أبغضها الرجل الأخير ، وكتب لها كتاب طلاق ودفعه الى يدها

واطلقها من بيتــه أو اذا مات الرجل الأخير الذى اتخذها له زوجــة ، لا يقدر زوجها الأول الذى طلقها أن يعود يأخذها لتصير له زوجــة ــ تثنية ٢٤ : ١ ــ ٤ » .

فهذا انجيل مرقس ينسب للمسيح تعليما يقول فيه للفريسيين الذين حاولوا استدراجه والايقاع به :

« من طلق امرأته وتزوج بأخــرى يزنى عليها . وان طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر تزنى ــ ١٠ : ١١ ــ ١٢ » .

ولقد ورد هذا القول فى انجيل متى بصيغة مغايرة مع التكرار فى موضعين مختلفين : الأول ، فى موعظــة الجبــل ، فى ٥ : ٣١ ــ ٣٢ ، والثانى فى موضع الاستدراج من الفريسيين ، فى ١٩ : ٩

فهنا نجد الطلاق مسموحا به فى حالة واحدة ، هى حالة ارتكاب الزوجة ــ **وليس الزوج** ــ جريمة الزنا ، فقال فى الاصحاح رقم ٥ : « ان من طلق امرأته **الا لعلة الزنا** ــ **يجعلها** تزنى . ومن يتزوج مطلقة فانى يزنى » .

ثم جــاء هــذا القول بصــيغة مغايرة فى الاصــحاح رقم ١٩ ، حيث سكت عن أن طلاق الرجل امرأته ، الا لعلة الزنا ، يجعلها تزنى ، واستبدل ذلك بالحديث عن الزوج الذى يطلق امرأته ويتزوج بأخرى ، فقال :

« ان من طلق امرأته **الا بسبب الزنا** وتزوج بأخرى يزني . والذى يتزوج بمطلقة يزنى » .

وقد اتفق لوقا (١٦ : ١٨) مع مرقس ومتى فى أشياء . وخالفهما فى أشياء ... فهو قد اتفق مع مرقس فى أن : « كل من يطلق امرأته ويتزوج بأخرى يزنى » .

واتفق مع متى فى أن « كل من يتزوج بمطلقة من رجل يزنى » ، خلافا لمرقس الذى لم يذكر شـيئا من هذا .

واتفق مع مرقس ، وخالفا كلاهما متى فى أنهما لم يجعلا حالة الزوجة الزانية استثناء يعطى لزوجها الحق فى الطلاق ، فلقد أبطلا الطلاق تماما .

*

لقد اختلفت الأناجيل معا ، وأكثر من هذا ذلك الخلاف الحادث بين التراجم القديمة والتراجم الحديثة فى اللغات المختلفة .

ان الدراسة التفصيلية لهذا الموضوع تتطلب عمل جداول ، توضع فيها مختلف النصوص الواردة فى أناجيل مرقس ومتى ولوقا ، فى صورها المختلفة ، وفى تراجمها القديمة والحديثة ، ثم تقارن معا ، آخذين فى الاعتبار أقوال علماء المسيحية فيها ، وأن التراجم الحديثة جاءت لتصحح التراجم القديمة ، وترتقى بقراءاتها الى النص الأصلى المفقود الذى يحاول العلماء دائما بدراساتهم الوصول اليه .

وحتى نجنب القراء كثيرا من التفاصيل التى قد يرى البعض أنها لا تعنيه كثيرا ، لذا نكتفى باعطاء ملخص لأحاديث الطلاق التى وردت فى الأناجيل ، والعلاقة غير المباشرة لهذا الطلاق بموضوعنا الرئيسى وهو : **تعدد الزوجات فى المسيحية** ، على أساس مقارنة النصوص فى ثلاث تراجم مختلفة للأناجيل صدرت فى اللغة الواحدة ، ثم مقارنتها معا فى ثلاث لغات هى : العربية ، والانجليزية ، والفرنسية .

● من انجيل مرقس :

ونبدأ الآن بقول مرقس : « تقدم الفريسيون وسألوه : هل يحل للرجل أن يطلق امرأته ؟ ليجربوه . فأجاب وقال لهم : بماذا أوصاكم موسى ؟ فقالوا : موسى أذن أن يكتب كتاب طلاق ، فتطلق . فأجاب يسوع وقال لهم : من أجل قساوة قلوبكم كتب لكم هذه الوصية . ولكن من بدء الخليقة ذكرا وأنثى خلقهما الله . من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته . ويكون الاثنان جسدا واحدا . اذ ليسا بعد اثنين بل جسد واحد . فالذى جمعه الله لا يفرقه انسان .

ثم في البيت سأله تلاميذه أيضا عن ذلك . فقال لهم :

من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزني عليها . وان طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر تزني ـ مرقس ١٠ : ٢ ـ ١٢ » .

يقول دنيس نينهام في تفسيره لانجيل مرقس : « ان الفهم الكامل لهذه الفقرة يقتضي موازنتها مع خلفية عادات الزواج اليهودي أيام المسيح . فحسب هذه العادات نجد :

(أ) كان الزنا يعني دائما اتصالا جنسيا بين امرأة متزوجة ورجل آخر خلاف زوجها . فالمرأة تزني على زوجها ، لكن الرجل لا يزني على زوجته ، انما هو يزني فقط على رجل آخر متزوج ..

(ب) حسب الشريعة اليهودية ، فان المرأة لا تستطيع تطليق زوجها. أما القانون الروماني فانه يختلف عن ذلك . كما رأينا (حيث يسمح للزوجة بتطليق زوجها) .

وعلى كل حال ، فهناك قراءة أخرى مشهود بصحتها تماما ، قال بموجبها يسوع : (ان تركت امرأة زوجها وتزوجت بآخر . فقد زنت) ...

وقد رأى بيركت في هذا اشارة (من يسوع) الى هيروديا (التي ذكرها مرقس في ٦ : ١٧ وما بعدها) ، والتي كانت قد تركت زوجها لكي تعيش مع انتيباس (أخيه) »[1] .

●

● من انجيل متى :

أما متى ، فانه يقول في موعظة الجبل ، على لسان المسيح ، حسب ترجمة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط (بروتستانت) : « قيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق . وأما أنا فأقول لكم :

(1) D. Nineham : Saint Mark, p . 266.

ان من طلق امرأته ، الا لعلة الزنا ، يجعلها تزنى . ومن يتزوج مطلقة فانه يزنى - ٥ : ٣١ - ٣٢ » .

ويقول متى ، حسب ترجمة منشورات دار المشرق (كاثوليك) :

« .. أما أنا فأقول لكم : من طلق امرأته الا فى حالة الفحشاء ، عرضها للزنا . ومن تزوج مطلقة ، فقد زنى » .

ويتفق هذا مع ترجمة لوى سيجو الفرنسية ، أما الترجمة الفرنسية المسكونية فانها تقول « .. يدفعها للزنا » بدلا من « عرضها للزنا » .

ويقول جون فنتون فى تفسيره لانجيل متى : « لم يذكر استثناء لهذا الأمر فى مرقس ١٠ : ١١ ، أو فى لوقا ١٦ : ١٨ ، وانما فى متى فقط (هنا ، وفى ١٩ : ٩) سمح بالاستثناء فى حالة الفحشاء . وليس من الواضح ما اذا كانت الفحشاء تعنى زنا قبل الزواج (واكتشف فيما بعد) أو زنا بعد الزواج (وهذا أكثر احتمالا) .

وبالنسبة لعبارة الاستثناء التى أوردها متى ، فلنلاحظ ما جاء فى ١٦ : ١٩ ، ١٨ : ١٨ (كل ما تربطونه فى الأرض يكون مربوطا فى السماء ، وكل ما تحلونه فى الأرض يكون محلولا فى السماء) ، عن سلطة الربط والحل المعطاة للرسل ، أى سلطة تكييف القوانين وعمل الاستثناءات . ويبدو أن السماح بالطلاق فى حالات معينة ، يعتبر مثالا على استخدام الكنيسة الأولى لتلك السلطة . ولنلاحظ ما جاء فى الرسالة الأولى لأهل كورنثوس ٧ : ١٢ وما بعدها ، حيث يعطى بولس آراءه فى مسائل الزواج ، كما أنه يفرق بصراحة ووضوح بين رأيه وبين أمر الرب (فهو يقول : وأما الباقون ، فأقول لهم ، انا لا الرب ، ان كان أخ له امرأة غير مؤمنة وهى ترتضى أن تسكن معه فلا يتركها .. وأما العذارى ، فليس عندى أمر من الرب فيهن ، ولكننى أعطى رأيا) .

على أن التمييز في فقرات متى هذه (٥ : ٣٢ ، ١٩ : ٩) بين الأمر الأصلى للرب ، وبين تشريع الكنيسة ، قد غلفه الغموض »(١) .

٭

كذلك ، يقول متى فى مماحكة الفريسيين حول موضوع الطلاق :

« وجاء اليه الفريسيون ليجربوه قائلين له : هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب ؟

فأجاب وقال لهم : أما قرأتم أن الذى خلق من البدء ، خلقهما ذكرا وأنثى . وقال : من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ، ويكون الاثنان جسدا واحدا . اذا ليسا بعد اثنين بل جسد واحد . فالذى جمعه الله لا يفرقه انسان .

قالوا له : فلماذا أوصى موسى أن يعطى كتاب طلاق ، فتطلق .
قال لهم : ان موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا فهذه العبارة قد حذفت من التراجم

واقول لكم : ان مطلق امرأته الا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزنى . والذى يتزوج بمطلقة يزنى .

قال له تلاميذه : ان كان هكذا أمر الرجل مع المرأة فلا يوافق أن يتزوج .

فقال لهم : **ليس الجميع يقبلون هذا الكلام** ، بل الذين أعطى لهم . لأنه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم . ويوجد خصيان خصاهم الناس . ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات .

من استطاع ان يقبل فليقبل ـ متى ١٩ : ٣ ـ ١٢ » .

---

(١) J. Fenton : Saint Matthew, p. 90 .

أما بقية التراجم الأخرى ، فانها تسقط تعليم المسيح الذى يقول : « والذى يتزوج بمطلقة يزنى » . فهذه العبارة قد حذفت من التراجم العربية الحديثة مثل : ترجمة منشورات دار المشرق ، وترجمة منشورات المطبعة الكاثوليكية ببيروت — وحذفت من التراجم الفرنسية[1] : لوى سيجو ، والمسكونية ، وأورشليم . كذلك حذفت تلك العبارة من التراجم الانجليزية الحديثة[2] مثل : القياسية المراجعة ، والعهد الجديد الأصلى ، وانجليزية اليوم .

يقول جون فنتون فى تعليقه على هذه الفقرة (١٩ : ٣ — ١٢) من انجيل متى :

« لقد اعاد متى ترتيب الأحداث المذكورة فى مرقس ١٠ : ٢ وما بعدها . ففى مرقس ، نجد أن يسوع قد سأل الفريسيين عما أمر به موسى ، فأجابوه ، وعندئذ قال يسوع : ان ذلك أمر به بسبب قساوة قلوبهم ، ولم يكن كذلك منذ البدء .

لكن متى يعيد ترتيب هذا بحيث ترد الاشارة الى ما فى سفر التكوين (يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ...) قبل الاشارة الى ما فى سفر التثنية (عن السماح بالطلاق) ، وبذلك فان يسوع لا يسأل الفريسيين عما أمر به موسى (خلافا لما ذكره مرقس) .

كما أن متى اضاف : (لكل سبب) و (الا بسبب الزنا) ، كما حذف ما ذكره مرقس من أن الأقوال الأخيرة (ليسوع عن منع الطلاق) قد قيلت بصفة شخصية للتلاميذ (فى البيت) ، كما انه حذف القول الذى توقع امكانية قيام المرأة بتطليق زوجها .

---

(١) LA BIBLE- tr. Louis Segond; TRADUCTION OECUMENIQUE de LA BIBLE; LA BIBLE de JERUSALEM

(٢) REVISED STANDARD VERSION; THE ORIGINAL NEW TESTAMENT; TODAY'S ENGLISH VERSION.

وبالنسبة للاستثناء الذى ذكره متى هنا : (الا بسبب الزنا) وذكره فى ٥ : ٣٢ ، فان هذا الاستثناء لا يوجد فى اى موضع آخر فى أسفار العهد الجديد .

ان معظم المفسرين متفقون على أن هذه الكلمات لم ينطق بها يسوع ، لكنها اضيفت فيما بعد بواسطة الكنيسة التى لها السلطة فى اصدار القوانين »(١) .

هذا ، ومن الملاحظ أنه بعد أن قال المسيح : « ان من طلق امرأته الا بسبب الزنا (أو الفحشاء) وتزوج بأخرى يزنى . والذى يتزوج بأخرى يزنى » قال له تلاميذه : « ان كان هكذا أمر الرجل مع المرأة ، فلا يوافق أن يتزوج » ، آنذاك « أدرك التلاميذ ــ حسب حاشية ترجمة منشورات المطبعة الكاثوليكية ــ أن يسوع ألغى الطلاق الغاء تاما » .

كما يلاحظ أيضا ، أن المسيح عقب على تعليق تلاميذه الذى يستصعبون فيه تعليم المسيح حول الطلاق والزواج ، فكان رده : « **ليس الجميع يقبلون هذا الكلام** » .

ثم بعد أن ذكر أمر الخصيان ــ وما يعنيه من حض على قتل الرغبة الجنسية ليس بالصبر والمقاومة فقط ، وانما باتلاف أعضاء الجهاز التناسلى وتعطيلها ــ فقد أردف قائلا: « **من استطاع أن يقبل فليقبل** » .

ليس الأمر ــ اذن ــ على صورة الزام ، ولكنه مجرد استحسان ينفذ حسب الطاقة والاستطاعة . ان هذا ما ينطق به الانجيل ...

*

■ **من انجيل لوقا :**

« كان الفريسيون أيضا يسمعون هذا كله وهم محبون للمال فاستهزأوا به . فقال لهم : أنتم الذين تبررون أنفسكم قدام الناس ...

---

(١) المرجع السابق ص ٣١١

زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس . كل من يطلق امرأته ويتزوج بأخرى يزنى . وكل من يتزوج بمطلقة من رجل يزنى ـ ١٦ : ١٤ ـ ١٨ » .

يقول جورج كيرد في تفسيره لانجيل لوقا : « ان الكلمة التى ترجمت (نقطة) تعنى حقيقة خطا دقيقا أو ذيلا زخرفيا فى أعلى حرف الكتاب أو أدناه . وحين يقال انه لا يمكن الغاء الذيل الزخرفى لحروف الناموس ، فان هذا يعنى أن كل الناموس ، كلمة كلمة ، وحرفا حرفا ، بكل دقائقه وزخارفه العبرية ، تبقى سارية المفعول الى الأبد . ان هذا يمكن أن يقوله اى حبر ، لكنا لا نستطيع تصوره على شفتى يسوع ، وخاصة فى ضوء الواقع ، اذ أن العبارة التالية لهذا القول تتضمن تغييرا فى ناموس موسى خاصا بالطلاق .. ان ما ذكره مرقس فى ١٠ : ١ ـ ١٢ ، يساعدنا على ادراك ان يسوع لم يكن يشرع ، لكنه كان يشير الى المعايير الأخلاقية العليا التى تصبح فى مقدور أولئك الذين يعيشون بنعمة الملكوت وقدرته .

لقد قال يسوع ان موسى سمح بالطلاق بسبب قساوة قلوبكم : فحيثما تكون قساوة القلب تنحل الزيجات ، ويجب ان يحمى الطلاق المجتمع من شر اكبر .. ولكن ، هناك فقط فى الملكوت ، حيث يوجد الشفاء من قساوة القلب ، يصبح المثل الأعلى قابلا للتطبيق »(١) .

* *

---

(١) G. Caird : Saint Luke, pp. 189 - 190,

حقيقــة المقــال

ماذا قال المسيح ــ بالضبط ــ فى موضوع الزواج والطلاق ؟

ان هذا سؤال يتعلق بموضوع أكبر وهو : ماذا قال المســيح ــ بالضبط ــ فى تعاليمه ومواعظه ؟

لقد اختلفت الأقوال التى تنسب للمسيح فى الموضوع الواحــد ، واختلفت الروايات التى تتحدث عن المسيح فى الحادث الواحد . وبين الحين والحين تظهر تراجم حديثة تعيب ما يعترى التراجم القديمــة من قصــور وما تمتلىء به من أخطاء . فالمشكلة الرئيسية المســتعصية التى تواجه العلماء هى : **مشكلة النص**، وهم يحاولون جاهدين الوصــول الى « **النص الأصــلى** » بدراسات مضنية . وأساليب مختلفة . ولمــا كان قد سبق معالجة مشكلة النص فى دراسة سابقة[1] ، فيكتفى الآن بمســه مســا خفيفــا قبــل محــاولة الاجــابة على الســؤال الذى طرحناه أعلاه .

*

يقول **المدخل الى العهد الجــديد** ــ نقلا عن **الترجمــة الفرنســية المسكونية** ــ فى موضوع **نص العهد الجديد** :

« ان نص العهد الجديد قد نسخ ثم نسخ طوال قرون كثيرة بيــد نســـاخ صــلاحهم للعمــل متفاوت . وما من واحد منهم معصـــوم من مختلف الأخطــاء التى تحول دون أن تتصف أية نسخة كانت ، مهما بذل فيها من الجهد . بالموافقة التامة للمثال الذى أخذت عنه .

يضاف الى ذلك أن بعض النســـاخ حاولوا أحيانا . عن حسن نية ،

---

(١) راجع كتاب المؤلف : اختلافات فى تراجم الكتاب المقدس .

أن يصوبوا ما جاء فى مثالهم ، وبدا لهم أنه يحتوى أخطاء واضحة ، أو قلة دقة فى التعبير اللاهوتى . وهكذا ادخلوا الى النص قراءات جديدة تكاد أن تكون كلها خطأ .

ومن الواضح أن ما أدخله النساخ من التبديل على مر القرون ، تراكم بعضه على بعضه الآخر ، فكان النص الذى وصل آخر الأمر الى عهد الطباعة مثقلا بمختلف ألوان التبديل ، ظهرت فى عدد كبير من القراءات .

كان الآباء ، لسوء طالعنا (نحن المسيحيين !) ، يستشهدون به فى أغلب الأحيان عن ظهر قلبهم ، ومن غير ان يراعوا الدقة مراعاة كبيرة ، فلا يمكننا ، والحالة هذه ، الوثوق التام فى ما ينقلون الينا .

المثال الأعلى الذى يهدف اليه علم نقد النصوص ، هو أن يمحص هذه الوثائق المختلفة ، لكى يقيم نصا يكون أقرب ما يكون من الأصل الأول .ولا يرجى فى حال من الأحوال الوصول الى الأصل نفسه ..

هدف أصحاب النقد الباطنى أن يوضحوا بجلاء نوع التدخل الذى قام به الناسخ ، والأسباب التى دعته الى ذلك التدخل ، فيسهل بعد ذلك الارتقاء الى الروايات القديمة التى تفرعت منها سائر الروايات المحرفة .

وبوسعنا اليوم أن نعد نص العهد الجديد نصا مثبتا اثباتا حسنا ، وما من داع الى اعادة النظر فيه الا اذا عثر على وثائق جديدة » (١) !

* *

يأتى بعد ذلك عاملان رئيسيان ، تبين الأناجيل بوضوح ، أن لهما أعظم الأثر فى ما نسب للمسيح من مواعظ وتعاليم ، وهما : دائرة

---

(١) العهد الجديد ـ منشورات دار المشرق ـ الطبعة العاشرة .

التبشير بالانجيل ، وتوقع نهاية العالم سريعا . وفيما يلى نبذة عن كل منهما .

● دائرة التبشير بالانجيل :

١ ــ قبل أن تحمل مريم العذراء بابنها المسيح ، كانت بشارة الملاك اليها تبين أن رسالة المسيح تختص بالشعب الاسرائيلى فقط ، اذ قال لها :

« ستحبلين وتلدين ابنا .. يعطيه الرب الاله كرسى داود أبيه . ويملك على بيت يعقوب الى الأبد . ولا يكون لملكه نهاية ــ لوقا ١ : ٣١ ــ ٣٣ » ومن المعلوم أن المسيح لم يملك على بيت اسرائيل يوماً واحدا ، لأن مملكته لا تعنى سوى رسالته وسلطانه الروحى . فقد قال بوضوح : « مملكتى ليست من هذا العالم ــ يوحنا ١٨ : ٣٦» .

« وأما يسوع ، فاذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا ، انصرف ايضا الى الجبل وحده ــ يوحنا ٦ : ١٥ » .

٢ ــ ولقد حدد المسيح لنفسه ولتلاميذه ، مجال عمله ودائرة التبشير التى ينبغى التجول فيها ، فبين بكل وضوح أن رسالته تختص بالشعب الاسرائيلى فقط ، فقال قولته الشهيرة : « لم أرسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة ــ متى ١٥ : ٢٤ » .

وكان ذلك هو أمره المؤكد الى تلاميذه : « هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا : الى طريق أمم لا تمضوا . والى مدينة للسامريين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحرى الى خراف بيت اسرائيل الضالة ــ متى ١٠ : ٥ ــ ٦ » ومن الملاحظ أن المسيح قد أخرج السامريين من دائرة عمله ، رغم أنهم يؤمنون بموسى والتوراة ، كما سبق أن أخرج الأمميين الذين لا يؤمنون بموسى والتوراة .

٣ ــ واذا ما انقضت هذه الحياة ، ثم جاء يوم القيامة ، فان دينونة المسيح وتلاميذه تنحصر فى أسباط اسرائيل الاثنى عشر . فلقد

سأله بطرس : « ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك ، فماذا يكون لنا ؟ فقال لهم يسوع : ألحق أقول لكم أنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد . متى جلس ابن الانسان على كرسي مجده ، تجلسون انتم أيضا على اثنى عشر كرسيا تدينون أسباط اسرائيل الاثنى عشر — متى ١٩ : ٢٧ — ٢٨ » ورغم هذا الوضوح في تحديد دائرة التبشير المسيحي الحقيقي ، فاننا نجد انجيل مرقس ينسب للمسيح قوله لتلاميذه ، كتعليم أخير : « اذهبوا الى العالم أجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها — مرقس ١٦ : ١٥ » ونسب اليه مثل ذلك في خاتمة انجيل متى (٢٨ : ١٩) ، وكذلك انجيل لوقا (٢٤ : ٤٧) .

ان حقيقة هذه الأقوال التي تتحدث عن تبشير العالم بالانجيل تتضح حين نعلم الآتي :

ان خاتمة انجيل مرقس التي تتكلم عن ظهور المسيح — الأعداد من ٩ الى ٢٠ ، والتي تشتمل على العدد ١٥ الذي يتكلم عن تبشير العالم بالانجيل — ليست من عمل مرقس كاتب ذلك الانجيل ، ولكنها اضافات أدخلت اليه حوالي عام ١٨٠ م ، أي بعد أن سطر مرقس انجيله بنحو ١٢٠ عاما .

يقول نينهام في تفسيره لانجيل مرقس : « انه على الرغم من أن هذه الأعداد (٩ — ٢٠) تظهر في أغلب النسخ الموجودة لدينا من انجيل مرقس (مثل نسخة الملك جيمس وغيرها) الا أن الترجمة القياسية المراجعة مصيبة تماما في اعتبارها غير شرعية ، منزلة اياها من النص الى الهامش .. ان هذه الفقرة لا يمكن تحديد تاريخها بالضبط . ويمكن القول بأنها أصبحت تقبل كجزء من انجيل مرقس حوالي عام ١٨٠ م »(١) .

وبالنسبة لما جاء في خاتمة انجيل متى (٢٨ : ١٩) من حديث عن التبشير بالانجيل بين جميع الأمم ، فان العلماء يشكون فيها لأسباب

---

(١) D. Nineham : Saint Mark . pp. 449 - 450,

يذكر منها ادولف هرنك : « لم يرد الا فى الأطوار المتأخرة من التعاليم المسيحية ، ما يتكلم عن المسيح وهو يلقى مواعظ ويعطى تعليمات بعد أن أقيم من الأموات ، وأن بولس لا يعلم شيئا عن هذا .

وأن صيغة التثليث هذه (التى تقول : عمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس — وهى الشطر الثانى من العدد ١٩) غريب ذكرها على لسان المسيح ، ولم يكن لها نفوذ فى عصر الرسل . وهو الشىء الذى كانت تبقى جديرة به لو أنها صدرت عن المسيح شخصيا »[١] .

وبالنسبة لما جاء فى خاتمة انجيل لوقا عن تبشير جميع الأمم . فان القارىء يستطيع الحكم على مصداقية الفقرة التى تشتمل على ذلك بمجرد قراءتها . فهى تنسب للمسيح قوله : « كان ينبغى أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات فى **اليوم الثالث** . وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا **لجميع الأمم** مبتدئا من أورشليم — ٢٤ : ٤٦ — ٤٧ ».

ومن المعلوم — حسب روايات الأناجيل الثلاثة متى ومرقس ولوقا ، أن المصلوب علق على الصليب يوم **الجمعة** . ووجدت المقبرة خالية **فجر الأحد** . وبالحساب البسيط يتبين أنه لم يدفن « **فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال** » . حسب النبوءة التى أوردها متى فى ١٢ : ٤٠ ، وانما كانت مدة الدفن — حسب قول الأناجيل : يوم واحد ، وليلتان ، على أحسن الفروض . وبذلك تكون مصداقية الحديث عن تبشير جميع الأمم بالانجيل ، مساوية تماما لمصداقية الحديث عن القيامة فى اليوم الثالث ، وهو شىء لا يتفق وأبسط الحسابات .

بهذا يتبين من دراسة الأناجيل ان رسالة المسيح خاصة « بخراف بيت اسرائيل الضالة » ولا غير .

*

(١) A. Harnack : HISTORY OF DOGMA , Vol. I, p. 79

وحين تتبع النشاط التبشيرى لتلاميذ المسيح ، بعد رفعه ، نجده منحصرا فى اليهود . ان هـذا ما ينطق به سفر أعمال الرسل قبل دخول بولس مجتمع التلاميذ . ومن أمثلة ذلك :

« أما الذين تشتتوا من جراء الضيق الذى حصل بسبب استفانوس ، فاجتازوا الى فينيقية وقبرس وأنطاكية . وهم لا يكلمون أحدا بالكلمة الا اليهود فقط – أعمال الرسل ١١ : ١٩ » .

« فهذان (برنابا وبولس) سافرا فى البحر الى قبرس . ولما صارا فى سلاميس ناديا بكلمة الله فى مجامع اليهود – أعمال الرسل ١٣ : ٤ – ٥ » .

« أتيا (بولس وسيلا) الى تسالونيكى حيث كان مجمع اليهود . فدخل بولس اليهم حسب عادته ، وكان يحاجهم ثلاث سبوت من الكتب – أعمال الرسل ١٧ : ١٠ – ١٢ » .

ولما يئس بولس من التبشير بين اليهود خراف بيت اسرائيل الضالة – فقد فضل أن ينتقل للتبشير بين الأمم الأخرى ، بدافع من نفسه . فقد كان « يشهد لليهود بالمسيح يسوع ، واذ كانوا يقاومون ويجدفون . نفض ثيابه وقال لهم : دمكم على رؤوسكم . أنا برىء . من الآن أذهب الى الأمم – أعمال الرسل ١٨ : ٥ – ٦ » .

وبهذا يتبين أيضا أن تلاميذ المسيح مارسوا التبشير بين اليهود فقط ، حتى جاء بولس الذى خرج بالمسيحية الى العالم . مخالفا قول المسيح : « ما جئت الا لخراف بيت اسرائيل الضالة » .

ويترتب على ما سبق ان تعاليم المسيح ومواعظه ، وحتى تشريعاته – أن صح هـذا التعبير – لا بـد أن توجه الى الاسرائيليين . ووفق مفاهيم اسرائيلية . ولا علاقة لها بالرومان . حكام فلسطين آنذاك ، أو القانون الرومانى .

* *

● توقع نهاية العالم سريعا :

لقد اعتقد المسيحيون الأوائل أن نهاية العالم وشيكة الحدوث ، وأن كثيرا من الذين عاصروا المسيح سوف يشهدون تلك النهاية المفزعة ، حيث « تظلم الشمس ، والقمر لا يعطى ضوءه ، والنجوم تسقط من السماء ، وقوات السماء تتزعزع . وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ، ويبصرون ابن الانسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير . فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السموات الى أقصائها ــ متى ٢٤ : ٢٩ ــ ٣١ » .

لقد كان لهذه الأفكار أثرها الخطير فيما خلفه المسيحيون الأوائل من كتابات . وفى هذه تقول دائرة المعارف البريطانية :

« ان امتداد الكنيسة المسيحية فى أوروبا خلال القرن الأول ، يبدو فى نظرنا كأنه بداية عهد جديد فى التاريخ . لكن هذه الحركة كان ينظر اليها من زاوية أخرى بالنسبة للذين شاركوا فى امتدادها (من المسيحيين الأوائل) ، فقد كانت فى نظرهم نهاية بدلا من أن تكون بداية . لقد اعتقدوا أن نهاية الزمان قد غشيتهم ، وان اكتمالها وشيك وسوف لا يتأخر كثيرا .

ان مؤلفات عصر الرسل والحواريين التى كتب أغلبها تحت تأثير هذا الاعتقاد ، لم يقصد مؤلفوها أن تكون مرجعا دائما لكنيسة تبقى عبر العصور لتكافح على وجه الأرض . لقد كتبت هذه المؤلفات تباعا لتوافق احتياجات الجيل الذى توقع أن يعيش نهاية التاريخ ، وبداية افتتاح رسمى لملكوت الله »(١) .

ويقول جون فنتون فى تفسيره لانجيل متى : « لقد اعتقد متى أن العالم المعاصر (للمسيح) ، والذى يمتلىء بالخطيئة والمرض والموت ،

---

(١) ENCYCLOPAEDIA BRITANNICA , 1960, Vol. 2, p. 514.

سوف يأتى الى نهايته سريعا • وأن يسوع سوف يأتى بمجد ، وأن كل انسان سيكون اما من المباركين أو من الملعونين (٢٥ : ٣١) •

ولقد اعتقد متى أن هذا سوف يحدث سريعا قبل أن يكون رسل المسيح قد أكملوا التبشير فى كل مدن اسرائيل (١٠ : ٢٣) ، وقبل أن يكون بعض معاصرى يسوع قد ماتوا (١٦ : ٢٨) ، وقبل أن يفنى ذلك الجيل الذى عاصر المسيح (٢٤ : ٣٤) •

ومن الواضح ان هذا كله لم يحدث كما توقعه متى •

ورغم أن انجيل متى هو أحد كتب العهد الجديد الذى ذكر بوضوح حدوث النهاية السريعة للعالم ، فاننا فى الواقع نجد أن أغلب كتاب العهد الجديد قد عبروا عن هذه العقيدة •

وفى اعتقاد كثير من العلماء ، أن يسوع نفسه كان يتطلع الى عودته سريعا الى الأرض بعد وفاته ، فى مجد وبهاء »(١) •

ولقد كان لفكرة نهاية العالم سريعا والمجىء الثانى للمسيح ، أثرها فى كتابات المسيحيين الأوائل ، **فبرزت الدعوة الى التسامح المثالى ، والبعد عن متطلبات الحياة ، والدعوة الى ابطال الزواج وتكريس الرهبنة •**

ويتفق العلماء على « أن العهد الجديد يعتبر مجموعة من الكتب سطرها أشخاص ، ولو أنهم اختلفوا كثيرا فى أشياء أخرى ، فقد اتفقوا فى أنهم يعيشون فى عالم يتجه سريعا الى نهايته •

فهو عالم قد ينجب فيه الرجال والنساء أطفالا ، لكن احدا منهم لم يتطلع الى جيل تال •

ان السبب الرئيسى فى انعدام التفكير فى الغد ، هو أن ذلك الغد

---

(١) J. Fenton : Suint Matthew, pp. 21 - 22.

سـوف لا يأتى . وبناء عليه كان الحض على عدم الزواج ، واهمال تربية الأولاد ، وفقـدان روح الجمـاعة ، وعـدم الاهتمام بامور الدنيا . ان كل هذا واضح فى العهد الجديد .

ومع الاعتراف الكامل بحقيقة أن يسوع وتلاميذه كانوا يتوقعـون النهاية الوشيكة للعالم . فان الدراسة المتأنية للمعتقدات اليهودية التى شاعت فى الفترة من عهد المكابيين (١٦٨ ق.م) حتى مطلع القرن الأول الميلادى . تبين أن هذه الفكرة لم تكن خرافة تختص بالمسيحيين وحدهم . لكنـه التوقـع العـام للشـعب اليهـودى (وهـو كما سطر لوقا : ان ملكوت الله عتيد أن يظهر فى الحال ــ ١٩ : ١١) .

ان هذا الاعتقاد قد دفعهم للحرب مع روما عام ٦٦ م ، وهى الحرب التى انتهت بانقراض ولاية اليهودية وتدمير أورشليم عام ٧٠ م »[1] .

لقد سيطرت هذه الخرافة على تفكير معـاصرى القـرن الأول الميلادى ، حتى ان بولس ــ الذى سطر وحده أكثر من ربع صفحات العهد الجديد ــ كان يتوقع أن يبقى حيـا الى أن يعـود المسـيح ، فيلاقيه مع الآخرين فى الهواء ! ، فهو يقول : « اننا نقول لكم هذا بكلمة الرب : اننا نحن الأحيـاء الباقين الى مجىء الرب ، لا نسبق الراقدين . لأن الرب نفســه بهتـاف بصـوت رئيس ملائكتـه وبوق الله ، سوف ينزل من السماء . والأموات فى المسـيح سيـقومون أولا . ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعا معهم فى السحب ، لملاقاة الرب فى الهواء ــ (١) تسالونيكى ٤ : ١٥ ــ ١٧ » .

وكان ذلك معتقد يوحنا الذى سطر رسائله بعد بولس ، وقال فيها : « ايها الأولاد : هى الساعة الأخيرة ــ (١) يوحنا ٢ : ١٨ » .

لقد كانت رسائل بولس هى أقدم كتابات مسيحية ، وبالتالى فانها

---

(١) دائرة المعارف البريطانية ــ جـ ٢ ص ٥٢٣ .

أثرت فى الأناجيل والكتب المسيحية الأخرى ، ســواء تلك التى قبلتها الكنيسة فيما بعد باعتبارها قانونية ملزمة للمســيحيين ، أو تلك التى بقيت خارج القانون . ولقد كانت فكرة نهاية العالم سريعا والمجىء الثانى للمسيح ، من المعتقدات التى سيطرت على بولس تماما ، وتحت تأثيرها كتب تعاليمه وآراءه فى الزواج والبتولية وغير ذلك .

يقول رولاند بينتون فى كتابه الجنس والحب والزواج : « لقــد كان بولس أول من أشــار باعاقة الزواج . وكان السبب فى ذلك . حسب رايه ، هو توقع عودة الرب سريعــا عنــدما يتوقف الزواج . وقد اتخذ وجهة نظر محافظة . تحت هــذه الظروف . فيما يتعلق بكافة العلاقات الاجتماعية ((١) كورنثوس ٧ : حسن للرجــل أن لا يمس امرأة . ولكن بسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته . وليكن لكل واحدة رجلها .. الوقت منــذ الآن مقصر ، لكى يكون الذين لهم نســاء كأن ليس لهم نســاء .. والذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه . لأن هيئة هذا العالم تزول) . فكل وضع اجتماعى جسدى ، بالنســبة له ، ســيان ، ويبقى كما هو حتى تأتى النهاية الوشيكة . ليبق ، اذن ، كل على حاله ، ســواء أكان : عبدا أو حرا ، متزوجا أو غير متزوج ..

على أن بولس سمح بالزيجات للمرة الثانية ، على أنها تنازل فقط (المرأة مرتبطة بالناموس ما دام رجلها حيا . ولكن ان مات رجلهــا فهى حرة لكى تتزوج بمن تريد فى الرب فقط . ولكنها أكثر غبطة ان لبثت هكذا بحسب رأيى . وأظــن انى انا ايضــا عند روح الله ــ (١) كورنثوس ٧ : ٣٩ ــ ٤٠) .

أما سفر الرؤيــا فقــد ذهب أبعــد من هــذا ، وأوحى بفكرة غير مسيحية من أساسها . فهناك ترنيمة تمدح ١٤٤٠٠٠ من الرجال الذين لم تنجسهم النســاء . هم جماعة مختارة يتبعون الحمل حيثما يذهب (هؤلاء هم الذين لم يتنجسوا مع النساء لانهم اطهار ــ رؤيا ١٤ : ٤) .

وفى العهد الجديد ، نجد أن المرأة خاضعة للرجل ، لأنها خلقت بعده ((١) كورنثوس ١١ : ٨ ــ ٩) ، أو لأنها كانت مسئولة عن سقوطه (... آدم لم يغو ، لكن المرأة أغويت ، فحصلت فى التعدى ... (١) تيموثاوس ٢ : ١٥ ــ ١٨) ولقد كانت زينة النساء موضع ذم (لا تكن زينتكم الزينة الخارجية من ضَفر الشعر والتحلى بالذهب ولبس الثياب ، بل زينة الروح ... (١) بطرس ٣ : ٣) .

أما حض بولس على عدم اقامة زيجات جديدة بسبب المجىء الوشيك للرب ، فقد فقد صلته بذلك المجىء ، حيث ان الرب لم يجىء ، وبدىء بعد ذلك فى ارجاء الموعد المتوقع لذلك المجىء بالتدريج .. وما دام الأمر كذلك ، فقد تم استبعاد فكرة عدم تشجيع الزواج التى قامت على أساس أن الوقت مقصر »[1] .

* * *

والآن ، وعلى ضوء ما قدمناه من وجود المشكلة الخاصة بنصوص العهد الجديد ، وأن تعاليم المسيح لم تصدر الا بمفاهيم اسرائيلية ولا علاقة لها بالقانون الرومانى ، وأن مؤلفى أسفار العهد الجديد وقعوا تحت تأثير عقيدة تزعم انتهاء العالم سريعا مع عودة المسيح ثانية ، وهى عقيدة اعتبرتها **دائرة المعارف البريطانية** خرافة بعد أن كذبها الواقع ، فاننا نعود الآن لمحاولة الاجابة على السؤال الذى تصدر هذا الفصل ، وهو : ماذا قال المسيح ــ بالضبط ــ فى موضوع الزواج والطلاق ؟

نبدأ معالجة هذا الموضوع بمراجعة التراجم الحديثة وما أدخلته من تعديلات على التراجم القديمة ، فنلاحظ الآتى :

١ ــ تم اسقاط الشطر الثانى من متى ١٩ : ٥ ، الذى يقول :

---

(1) Roland Bainton : Sex, Love and Marriage, pp. 24 — 27 .

« والذى يتزوج بمطلقة يزنى » ، وبذلك يسقط هذا القول أيضا من متى ٥ : ٣٢ ، ومن لوقا ١٦ : ١٨

٢ ـ انفرد مرقس بقوله فى ١٠ : ١٢ « ان طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر تزنى » . وهذا القول لا مكان له فى بيئة اسرائيلية كالتى عاش فيها المسيح وتلاميذه ، حيث يسود الناموس والمفاهيم الاسرائيلية التى تربى الشعب اليهودى عليها عقائديا واجتماعيا ، وتقوم أساسا على أن الطلاق حق من حقوق الزوج ، وليس من حقوق الزوجة ، وأن تعدد الزوجات مشروع ، يمارسه الرجال وفق شريعة موسى .

والصحيح فى قول مرقس هذا ، هو تلك القراءة التى شهد بصحتها العلماء ، وتقول : « ان تركت امرأة زوجها وتزوجت بآخر تزنى (أو : فقد زنت) » .

وهذا حق واضح ، وموقف اتخذه المسيح تعضيدا ليوحنا المعمدان الذى ندد بهروب هيروديا من زوجها ، وذهابها للعيش مع هيرودس أخى زوجها . فقد تزامن نشاط يوحنا والمسيح فترة من الوقت ، قبل أن يلقى يوحنا فى السجن :

« بعد هذا جاء يسوع وتلاميذه الى أرض اليهودية ومكث معهم هناك ، وكان يعمد . وكان يوحنا أيضا يعمد فى عين نون بقرب ساليم ، لأنه كان هناك مياه كثيرة ، وكانوا يأتون ويعتمدون . لأنه لم يكن يوحنا قد ألقى فى السجن ـ يوحنا ٣ : ٢٢ ـ ٢٤ » .

٣ ـ تعدل الشطر الأول من قول متى فى ٥ : ٣١ ، والذى نسبه للمسيح فى موعظة الجبل ، ليكون حسب التراجم الحديثة : « من طلق امرأته ، الا فى حالة الفحشاء ، عرضها (أو : يدفعها) للزنا » . وهذا واضح أيضا اذ أن المطلقة غير مرغوب فى زواجها ، حسب التقاليد الاسرائيلية ، لدرجة أن شريعة موسى تضعها جنبا الى جنب مع المدنسة والزانية اللاتى يحظر على الكاهن أن يتزوج منهن (لاوين ٢١ : ٧) .

ولهذا فان المطلقة قد تبقى بلا زواج ، فتتعرض بذلك للسقوط في الزنا .

وعندما يتعرض الانسان لشيء ما ، فليس بالضرورة أن يحدث له ذلك الشيء ، فهو قد يحدث أو لا يحدث . ان هذا مشهود في حياة الناس اليومية .

وبالنسبة للاستثناء الذي ذكره متى بقوله : « الا في حالة الفحشاء (أو : الزنا) » فقد شك فيه العلماء باعتباره ليس من أقوال المسيح ، ولكنه اضافة من عمل آباء الكنيسة فيما بعد . هؤلاء الآباء الذين أخذوا سلطة التحريم والتحليل باسم المسيح ، بينما يشهد التاريخ على ما كان عليه حالهم خلال المجامع التي عقدوها عبر القرون ، والتي غالبا ما تذكر في المناظرات الدينية بين مختلف الفرقاء . فقد حدث في الحوار الذي جرى في مدينة ليبزج بألمانيا عام ١٥١٩ بين مارتن لوثر والدكتور آك حول سلطة البابا . فقد « حاول أن يستخدم أقوال الآباء في اقناع لوثر ، وشدد آك على أن الذي لا يعترف بسلطان بابا روما ، لا يعتبر عضوا في كنيسة يسوع المسيح . وعندما سأله لوثر : ماذا تقول ــ اذن ــ في الذين قدموا حياتهم وعاشوا الايمان المسيحي بكل تقوى وقداسة ؟ ... واستطرد أيضا يقول : ما رأيك في موقف بولس الذي وبخ بطرس علانية ؟ هل كان بطرس معصوما من الخطأ ؟

وواصل دفاعه بالقول : وما رأيك في المجامع ، فقد حكم الواحد على الآخر وحرمه ، فمن هو الحارم الحقيقي ، ومن هو المحروم الحقيقي » ؟(1)

وللعلماء الحق في شكهم في ذلك الاستثناء الذي وضعه متى لسبب

---

(١) مارتن لوثر ــ الدكتور القس حنا جرجس ص ٩٢

بسيط ، وهو أن المرأة المتزوجة التى تزنى ، عقوبتها القتل حسب ناموس موسى : « اذا وجد رجل مضطجعا مع امرأة زوجة بعل ، يقتل الاثنان ، الرجل المضطجع مع المرأة والمرأة . فتنزع الشر من اسرئيل — تثنية ٢٢ : ٢٢ » فلا مكان هنا للحديث عن الطلاق ، حيث كان الاسرائيليون أيام المسيح واعين لذلك ، كما تؤكده رواية المرأة الزانية التى ذكرها يوحنا (ف ٨ : ٣ — ١١) ، اذ جاء بها الكتبة والفريسيون الى المسيح ليقيم عليها الحد .

٤ — ما ذكره متى فى موعظة الجبل ، سواء فى صيغتها القديمة ، أو صيغتها المعدلة التى تقول : « من طلق امرأته ، الا فى حالة الفحشاء ، عرضها (أو : يدفعها) للزنا — ٥ : ٣١ » ، لا علاقة لها من قريب أو بعيد بتعدد الزوجات . فكل ما يدعو اليه هذا التعليم — حتى لو أضفنا اليه العبارة التالية له ، والتى تقول : من تزوج مطلقة فقد زنى — هو الحض على عدم الطلاق والتنديد به ، اذ يمكن الزواج بغير المطلقة والبعد بذلك عن مخالفة هذا التعليم .

٥ — ما ذكره مرقس فى ١٠ : ١١ من أن : « من طلق امرأته وتزوج غيرها زنى عليها » يعتبر نصا مقيدا يربط الزواج اللاحق بطلاق سابق ، ومن هنا فانه ينهى عن ذلك .

ولا يعتبر هذا نهيا عن تعدد الزوجات ، لأن هذا الذى طلق الزوجة الأولى ، وتزوج غيرها ، الزوجة الثانية ، لا يزال يعيش مع زوجة واحدة ، فهو لم يعدد زوجاته . فمثله كمثل من ماتت زوجته ، فتزوج غيرها . وهذا يؤكد بوضوح أن هدف هذا التعليم — ان صح قوله بهذه الصيغة — هو التنديد بالطلاق .

وماذا يحدث لو تزوج رجل بامرأتين ، أو أكثر ، فى وقت واحد ، ولأول مرة فى حياته ، دون أن يمارس طلاقا سابقا ؟

لا يوجد نص واحد صريح يمنع مثل هذا .

بل انا لنجد فى الأمثال التى ضربها المسيح — من واقع الحياة —

وأصدر أحكامه فيها صراحة أو ضمنا ، ما يؤيد عـدم تعريضه بتعدد الزوجات . وذلك فى مثل العذارى :

« يشبه ملكوت السموات عشر عذارى أخذن مصابيحهن وخرجن للقـاء العريس . وكان خمس منهن حكيمـات وخمس جاهـلات . أما الجاهلات فأخذن مصابيحهن ولم يأخذن معهن زيتا . وأما الحكيمات فأخذن زيتا فى آنيتهن مع مصابيحهن . وفيما أبطأ العريس نعسن جميعهن ونمن . ففى نصف الليل صـار صراخ : هو ذا العريس مقبل فاخرجن للقائه . فقامت جميع أولئك العذارى وأصلحن مصـابيحهن . فقالت الجاهلات للحكيمات : أعطيننا من زيتكن فان مصابيحنا تنطفىء . فأجابت الحكيمات قائلات : لعله لا يكفى لنـا ولكن . بل اذهبن الى الباعة وابتعن لكن .

وفيما هن ذاهبات ليبتعن جاء العريس والمستعدات دخلن معه الى العرس واغلق الباب .

أخيرا جـاءت العـذارى أيضا قائلات : يا سـيد افتح لنـا . فأجاب وقال : الحق أقول لكن : انى ما أعرفكن . فاسهروا اذن لأنكن لا تعرفن اليـوم ولا الساعة التى يأتى فيهـا ابن الانسـان — متى ٢٥ : ١ — ١٣ » .

فهذا المثل يقر بتعدد الزوجـات الذى سـمح به ناموس موسى . ومارسه الآباء والأنبياء ، ومارسه الشعب الاسرائيلى ، كما مارس الطلاق أيام المسـيح ، لكنـه ينـدد فقط بتقاعس العذارى الجاهلات وعدم استعدادهن ليوم الزفاف .

وقبل هذا المثـل مبـاشرة ، ضرب المسـيح مثـلا آخـر هـو مثل الوكيل الأمين . حيث يقول : « من هو العبد الأمين الحكيم الذى أقامه سـيده على خدمه ليعطيهم الطعام فى حينه . طوبى لذلك العبـد الذى اذا جاء سيده يجده يفعل هكذا . الحق أقول لكم : انه يقيمه على جميـع أمواله .

ولكن ان قال ذلك العبد الردىء فى قلبه : سيدى يبطىء قدومه . فيبتدىء يضرب العبيد رفقاءه ويأكل ويشرب مع السكارى . يأتى سيد ذلك العبد فى يوم لا ينتظره وفى ساعة لا يعرفها . فيقطعه ويجعل نصيبه مع المرائين.هناك يكون البكاء وصرير الأسنان ــ متى٢٤ : ٤٥ ــ ٥١».

فالعلاقات بين السيد وعبيده فى هذا المثل مشروعة ومعروفة، ولكن سلوك السيد مع عبيده يتحدد وفق سلوكهم . وهنا حدث المديح لذلك العبد النشط المطيع . كما حدث التنديد بذلك العبد الردىء .

كذلك فان العلاقات بين العريس وعرائسه العشر مشروعة ومعروفة ، ولكن سلوك العريس مع عذاراه يتحدد وفق سلوكهن . وهنا حدث المديح للعذارى المستعدات ، كما حدث التنديد بالعذارى الغافلات . **وكان هذا المثل اقرارا بتعدد الزوجات .**

٦ ــ حين أعطى المسيح تعاليمه التى ذكرتها الأناجيل عن الطلاق والزواج ، كان هناك فى الشعب الاسرائيلى رجال للواحد منهم زوجات عديدات .

فما الحكم بالنسبة لهذا الوضع ، اذا كان الواحد منهم لم يطلق ايا من نسائه ، ولم يضف اليهن زوجة جديدة ؟

الذى لا شك فيه ، أن مثل هذا الوضع العادى لا يخضع لأى نص من جميع النصوص التى أوردها متى ومرقس ولوقا ، وتحت أى صيغة من الصيغ ، سواء أكانت حسب التراجم القديمة أو الحديثة . ومن ثم يبقى كل رجل منهم على حاله ، يعيش فى مشروعية مع زوجاته وسراريه العديدات .

ان هذا يؤكد ، مرة اخرى ، مشروعية تعدد الزوجات .

٧ ــ لقد رأينا سلفا أن ناموس موسى حدد أنواع النساء اللاتى يمكن للكهنة الزواج منهن . فقد « قال الرب لموسى : كلم الكهنة

بنى هرون وقل لهم .. امرأة زانيـــة ، أو مدنســة لا يأخـذوا ، ولا يأخذوا امرأة مطلقة من زوجها ـ لاويين ٢١ : ١ ، ٧ » .

وهذا يعنى بداهة أن الكاهن يستطيع الزواج بامرأة من النوعين الآتيين : **عذراء ، أو أرملة** .

أما بالنسبة للكاهن الأعظم ، فليس أمامه الا نوع واحـد فقط ، « **فهذا يأخذ امرأة عذراء** ـ لاويين ٢١ : ١٣ » .

ومعنى ذلك بداهة : أنه يحرم على الكاهن الأعظم الزواج من بقية أنواع النســاء وهن : الأرملة ، والمطلقة ، والمدنســة ، والزانية ، وهذا ما قرره النص فى لاويين ٢١ : ١٤

قياســا على ذلك نقرأ تعاليم بولس فيما يتعلق بزواج الأســاقفة والشــمامسة . فهـو يقـول : « يجب أن يكون الأسـقف بلا لوم **بعل امرأة واحدة** ، صاحيا ، عاقلا ، محتشما .. **غير مدمن خمر** ..

ليكن الشمامســة كل **بعل امرأة واحدة** (١) ـ (١) تيمـوثاوس ٣ : ٢ ، ١٢ » .

ان هذه الصيغة ، تعنى بداهة ، ان الاقتصار على امرأة واحــدة انمـا هو متعلق بطبقــة الأكليروس . أما الآخرون وبقيــة الشعب ، فلا يخضعون لنظام الزوجة الواحدة ، وبالتالى فان لهم نظاما آخر يسمح بتعدد النســاء ، سواء كن زوجات أو سرارى .

٨ ـ حين تكلم متى عن مماحكة الفريســيين مع المســيح حــول

---

(١) — « the husband of one wife » (R. S . Y .)
— « remain married to one wife (The Orig nal New Testnment)
— « moris d'une seule femme » (T. O. B.)
— « maris d'une seu e femme » (La Bible de Jerusa em)

موضوع الطلاق ، وقوله لهم : « من طلق امرأته الا لفاحشة (أو : لعلة الزنا) وتزوج غيرها فقد زنى ـ ١٩ : ٩ » ، استصعب التلاميذ هذا الأمر : فقال لهم : « **ليس الجميع يقبلون هذا الكلام** » .

وبعد أن ذكر أمر الحضيان ، قال **«من استطاع أن يقبل فليقبل»** .

فاذا كان هذا تشريعا أو تعليما قصده المسيح ، هل يتركه على هذه الصورة التى تعترف بتفاوت استطاعة الناس قبوله ، أم يضعه فى صورة ملزمة ؟!

ان ما عقب به المسيح قائلا : « من استطاع أن يقبل فليقبل » يعنى بداهة ترك التقيد بتعاليمه تلك حسب استطاعه الناس . فتعاليمه هذه المتعلقة بالطلاق والزواج ، استحسان وليست الزاما .

٩ ـ يذكر مرقس أنه فى مماحكة الفريسيين مع المسيح حول موضوع الطلاق ، أنه استشهد فى رده عليهم بما جاء فى سفر التكوين ٢ : ٢٤ عن خلق الانسان ذكرا وأنثى منذ البدء ، فقال : « من بدء الخليقة ذكرا وأنثى خلقهما الله . من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه **ويلتصق بامرأته** . ويكون الاثنان جسدا واحدا . اذن ليسا بعد اثنين ، بل جسد واحد . **فالذى جمعه الله لا يفرقه انسان** ـ ١٠ : ٦ ـ ٩ » .

وهنا تجدر الاشارة الى الآتى :

(١) تعدلت فى التراجم العربية الحديثة للكاثوليك ـ الصادرة عن دار المشرق ـ : عبارة : « ويلتصق بامرأته » ، لتكون : **« ويلزم امرأته »** .

(٢) لم يستخدم كاتب انجيل مرقس الأصلى هذه العبارة : « ويلتصق بامرأته » أو « ويلزم امرأته » التى جاءت فى ١٠ : ٧ ، ولكنها أضيفت فيما بعد . ولذلك حذفتها التراجم الحديثة ـ مثل ترجمة

منشورات المطبعة الكاثوليكية ـ فأصبحت تقرأ هكذا : « لذلك يترك الرجل أباه وأمه » ، فقط .

واهمية ذلك هو بيان ما تتعرض له النصوص من حذف ، أو اضافة ، او كليهما ، عبر التاريخ .

(٣) تعنى كلمة « جسد واحد » ، كما يقول جون فنتون ، أن الزوج والزوجة « صارت علاقتهما محكمة على نحو ما يكون بين أعضاء الأسرة الواحدة ، أو كالعلاقة بين أوصال الجسم الواحد »[1] ، كالذراعين والرجلين وما شابه ذلك .

فهما انسانان ، لكل شخصيته المستقلة ، ونفسه وما جبلت عليه ، ولكن العلاقة الزوجية ربطتهما كأعضاء فى الجسد الواحد . ولقد طور يوحنا هذا الفكر حتى انه قال : « **ليكون الجميع واحدا** ـ ١٧ : ٢١ »

ولقد جرى القول أحيانا بأن فكرة الجسد الواحد هذه توحى بأن يكون للرجل امرأة واحدة ، وهذا ينفيه ما قاله يوحنا عندما جعل الجميع واحدا ، وكان يعنى بذلك تلاميذ المسيح والمؤمنين به .

وينفيه كذلك ما اصطلح الناس على فهمه عبر العصور ، وفى مختلف الثقافات ، من التعبير بالوحدة عن جمع من الناس ، أيا كان عددهم ، عندما يربطهم فكر واحد ، أو يعبرون عن مشاعر واحدة . يقول دنيس نينهام : « ان هناك ما يدعو الى التفكير فى أن ما جاء فى سفر التكوين ١ : ٢٧ (ذكرا وأنثى خلقهم) كان يجرى الاستشهاد به لتدعيم نظام الزوجة الواحدة ، ضد نظام تعدد الزوجات ، **لكن يبدو ان يسوغ استخرج منه معنى جديدا ، فراى انه يمنع الطلاق .**

---

(1) J. Fenton : Saint Matthew , p. 309.

لقد كان برهانه الجدلى ، بلا شك ، يقوم على أنه اذا كان الزواج يجعل الرجل وزوجته جسدا واحدا ، فان هذا يعنى بوضوح ، خلق علاقة بينهما تكون فى واقعيتها وعدم تفككها مثل رابطة الدم التى تربط الرجل بأقاربه . (انظر ما جاء فى سفر التكوين ٢٩ : ١٤).»[1] .

وهذا الذى أشير اليه يذكر قول لابان الى ابن أخته يعقوب : « انما أنت عظمى ولحمى » .

(٤) من الواضح أن استخدام المسيح لما ورد فى سفر التكوين من أن الزوجين صارا جسدا واحدا ، انما كان تدعيما للحض على منع الطلاق ، بدليل أنه عقب على ذلك بقوله : « فالذى جمعه الله لا يفرقه انسان » .

ان الحديث عن الرجل والمرأة كجسد واحد ، ليس اذن حديثا عن نظام الزوجة الواحدة ، ولكنه حديث عن استمرارية العلاقة بينهما ، ومن ثم فهو حديث يتعلق بالطلاق ، وليس بتعدد الزوجات .

١٠ ــ لقد جاء المسيح معلما وواعظا ورحمة من الله ، فاذا كان فى تعاليمه الأساسية تحريما للطلاق وتعدد الزوجات ، هل كان يغفل هذا الجانب الخطير فى حياة الناس من ذكره أو الاشارة اليه فى انجيل يوحنا ؟!

لقد خلا هذا الانجيل تماما من كل ما يتعلق بهذا الموضوع .

١١ ــ أجمع علماء المسيحية على أن ما ينسب للمسيح من منع الطلاق يعتبر نقضا صريحا وواضحا للناموس ، وذلك خلافا لما سبق أن أعلنه فى مثل قوله : « ما جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ... » أو قوله : « زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس » .

---

(١) D. Nineham : Saint Mark, p. 265.

وفى هذا تقول الترجمة الفرنسية المسكونية فى تعليقها على ما جاء فى لوقا ١٦ : ١٨ : « **ان هذا التحريم للطلاق التقليدى يعتبر واحدا من أكثر تعاليم المسيح نقضا صريحا لناموس موسى** » .

*

■ **الخلاصـــة :**

بعد هــذا الذى رأيناه ، وما حدث لنصوص الطلاق والزواج المذكورة فى الأناجيل بتراجمها المختلفة ، نجد أنه لا يمكن التأكد من حقيقة مقال المسيح فى موضوع الطلاق والزواج .

هل قال المسيح ، مثلا :

« من طلق امرأته ، الا لعلة الزنا (أو : الا فى حالة الفحشاء) :

— جعلها زانية (الكتاب المقدس للكاثوليك) ، أو

— عرضها للزنا (المطبعة الكاثوليكية) ، أو

— يدفعها للزنا (الفرنسية المسكونية) .

ان الفرق بين هذه الصيغ الثلاث واضح وكبير .

نحن — اذن — أمام احتمالات ...

لكن هناك قاعدة فقهيــة عامة ، تعارف عليها النـاس فى مختلف العصور والبيئات ، قاعدة تقول :

ان ما تسرب اليه الاحتمال ، سقط به الاستدلال .

لقد عرفنــا ما قالته الكنيسة فى العهــد الجــديد وأســـفاره :

« **ما من داع لاعادة النظر فيه الا اذا عثر على وثائق جديدة** » .

فهذه النصوص التى بين أيدينا ، نصوص احتماليــة ومؤقتــة ، معرضـــة للتغيير والتبديل على ضوء ما يستجد من بحوث ودراسات .

ولقد ســبق أن دخــل التصحيح والتعــديل على فقرات تتعلق بموضوع أخطر بكثير من موضوع الطلاق والزواج ، ألا وهو موضوع

العقيدة . فلقد أسقطت التراجم الحديثة تلك الفقرة التى وجـدت فى الرسالة الأولى ليوحنا ، وجعلت الثلاثة واحدا ، اذ كانت تقول :

« (٦) والروح هو الذى يشهد لأن الروح هو الحق .

(٧) فان الذين يشهدون فى السـماء هم ثلاثة : الآب ، والكلمـة ، والروح القدس ، وهؤلاء الثلاثة هم واحد ـ » : ٦ ــ ٧ » .

لقد اختفت فقرة التثليث هذه (العدد ٧) من التراجم الحديثة . واختفى بذلك النص الوحيـد فى أسـفار العهد الجديد الذى قال : « وهؤلاء الثلاثة هم واحد » . فكان بذلك البرهان الوحيـد لعقيدة التثليث طوال القرون المـاضية .

وقياسـا على ذلك ، فمن المتوقع أن تتعرض نصوص الطـلاق والزواج التى أوردتها الأناجيل لتعديلات تجعلها تستقر على صيغ أكثر اتفاقا وأكثر تحديدا ووضوحا .

والى أن يحدث ذلك ، والعلم عنـد الله ، فلنا أن نقرر أصـولا ومفاهيم عامة ، تستقى من المحتوى الكلى لأسـفار الكتاب المقدس ، نجملها فيما يلى :

(١) ان المسيح الذى ألزم نفسه بالحفـاظ على ناموس موسى ، لا يمكن أن ينقض ذلك الناموس بتحريم الطلاق وتعـدد الزوجات .

(٢) وأنه اذا كان مسيح الأناجيل قد اعتقد أن نهاية العالم وشيكة . وأنها سوف تحدث مصحوبة بعودته الى الأرض خلال الجيـل الذى عاصره واستمع الى مواعظه ، أو خلال القرن الأول الميلادى على أكثر تقدير ، فانه :

ــ قد يحض الناس على نبذ الطلاق ، فلا داعى لفسـخ وحـدة أسرية طالمـا كانت نهاية الحيـاة وشيكة . فهـو لا يحرم الطـلاق ، حفاظا على شريعة موسى ، لكنه يكره الناس فيه .

ـ كذلك فانه قد يحض الناس على عدم الاكثار من الزواج ، وقد يحببهم فى البتولية ، طالما كان الوقت مقصرا ، والعالم فى ساعته الأخيرة . لكنه لا يحرم الزواج ولا تعدد الزوجات ، حفاظا على شريعة موسى .

ان مراجعة ما تذكره الاصحاحات الأولى من الكتاب المقدس عن قصة الخلق وتاريخ الانسانية والأحداث الهامة ، تبين حسبما تذكره دائرة المعارف البريطانية ، الآتى :

«تقدر النسخة العبرية للفترة من بدء الخلق حتى الطوفان ١٦٥٦ عاما ، بينما يبلغ تقديرها فى النسخة السامرية ١٣٠٧ عاما ، وفى النسخة الاغريقية ٢٢٦٢ عاما .

كذلك تقدر النسخة العبرية للفترة من الطوفان حتى دعوة ابراهيم ٣٦٥ عاما ، بينما هى فى النسخة السامرية ١٠١٥ عاما ، وفى النسخة الاغريقية ١١٤٥ عاما .

ان هذه الأرقام ترجع الى أصول بابلية ، ولكنها عديمة القيمة التاريخية . وحتى لو أخذنا بوجهة النظر التى تقدر عام ١٤٩١ ق.م . تاريخا لخروج الاسرائيليين من مصر ـ رغم أنه تاريخ مبكر أكثر من المحتمل ـ فان تاريخ بدء الخليقة يرجع الى عام ٤١٥٧ ق.م حسب النسخة العبرية (والى عام ٥٣٢٨ ق.م. حسب النسخة الاغريقية)»[١] .

واذا أخذنا التقدير المرتفع لتاريخ بدء الخليقة ليكون عام ٥٣٢٨ ق.م ، حسب روايات النسخة الاغريقية ، فان هذا يعنى أنه ، ونحن الآن فى عام ١٩٨٩ م ، قد انقضى نحو ثلث عمر البشرية ولم يعد المسيح الى الأرض وفق نبوءاته التى حددها بجيل ، لا تتعدى مدته نحو ٤٠ عاما .

---

(١) دائرة المعارف البريطانية ـ الجزء الثالث ص ٥١٠

لقـد أثبت الواقع ــ والواقع دائما خير برهان ــ أن الموقف يحتاج الى مراجعة شاملة للنصوص ، واعادة النظر فيما استسلم له الناس من تقاليد متوارثة ، ارتقوا بها الى مستوى الشريعة المقدسة .

لقد فرض الكتاب المقدس الأخذ بحقيقة الواقع ، واعتباره معيارا صحيحا للحكم على صدق النبوات ، فقال :

« ان قلت فى قلبك ، كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب . فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر ، فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب ، بل بطغيان تكلم به النبى ، فلا تخف منه ــ تثنية ١٨ : ٢١ ــ ٢٢ » .

* * *

الواقع بين النظرية والتطبيق

ما أسهل بناء القصور فى الهواء ...

فاذا ما استيقظ الوعى وواجه الواقع ، أدرك الحقيقة ، وأن الأمر لم يكن سوى أضغاث أحلام ...

هكذا الحال فى شتى مجالات الحياة ، ومن ضمنها مجال التشريع وسن القوانين التى تنظم حياة الناس .

فبعض التشريعات تصدر وكأنها تختص بمخلوقات غير بنى آدم ، وما جبلوا عليه من ضعف فطرى ، وما أودع فيهم ــ وفق حكمة الخالق جل وعلا ــ من غرائز لا يستطيعون تجاهلها ، فتفشل مثل تلك التشريعات عند التطبيق ، وتدفع الناس الى التمرد عليها وانكارها عمليا .

وهناك تشريعات أخرى تراعى مختلف العوامل المؤثرة فى سلوك البشر ، وتوازن بين ما جبل عليه الناس ، وما هو مستهدف من الارتقاء بهم فكرا وسلوكا ، فتنجح عند التطبيق ، وتتحقق الأهداف المرجوة منها .

ويزداد الأمر خطورة عندما تكون التشريعات دينية : ففى الحالة الأولى ، يكون ثمن التمرد عليها باهظا ، اذ تكون العقوبة شديدة فى الآخرة ، وأما فى الحالة الثانية ، فانها تضمن بتوازنها ، الخير للناس فى الدنيا والآخرة .

ونريد الآن أن ننظر فى بعض التشريعات والتعاليم المسيحية على ضوء الواقع ، لنرى مقدار المواءمة بين النظرية والتطبيق .

* *

اولا ـ تحريم الطلاق وتعدد الزوجات فى المسيحية

لا يحتاج الأمر فى موضـوع الطلاق الى كثير بيان • فالأمر واضح تماما ، حيث تمرد الغرب المسيحى على ذلك التشريع الدينى الذى حرم الطلاق ، واستبدله بتشريع مدنى أباح له الطلاق •

• الطلاق فى فرنسـا :

« كان الطلاق فى فرنسـا محرما فى عصر الاقطاع ، وفى القـانون القديم حتى اعلان الثورة (عام (١٧٨٩) ، وجل ما كان يمكن التماسه هو طلب الفرقة (الهجر) اذا تعذر اتفاق الزوجين ومعاشرتهما ••

الا أن مفهوم الطلاق قد تغير تماما بعد ثورة عام ١٧٨٩ وأجيز الطلاق بقانون ٢٠ أيلول (سبتمبر) سـنة ١٧٩٢ ، وقـد جـاء فى الأسباب الموجبة لهذا القانون : ان الرغبة فى الطلاق تنبعث عن الحرية الشخصية ، وان ارتباط الزوجين مع عدم انحلال رابطة الزوجية معناه فقـدان الحرية •• فالطـلاق يمكن حصـوله فى هـذا القـانون ، تارة بمعرفة القضاء لأسباب مختلفة (الزنا ، سوء المعاملة ، العقـوبة ، الجنـون ، الغيـاب الطويل) ، واخرى برضا الزوجين المتبادل بتقديم تصريح لموظف الأحوال الشخصية باعلان الطلاق ، أو عند عـدم اتفاق الزوجين بسبب مغايرة الطباع والأخلاق •

وقد الغى هذا القانون الفرقة (الهجر) لأنه اعتبره تدبيرا ناقصـا لا يوجد ما يبرر بقاءه •

وبقى الحال على هذا المنوال الى عام ١٨٠٤ الذى وضـع فيـه القانون المدنى الفرنسى ، فقبل فكرة الطلاق ولكنه قيـده بالمواد ٢٢٩ وما بعـدها ، وأصبح الطلاق لا يمكن ايقاعه الا عن طريق القضـاء ، ولأسباب معينة واقعة تحت الحصر وهى : الزنا ، صـدور العقوبة ، سـوء المعـاملة ، الاهـانة الجسـيمة ، واعيـد الفراق الجسـدى ليتيح للأشخاص المتدينين طلبه بدلا من انحلال الزواج كليا •

وفى عام ١٨١٤ ، بعد عودة الملكية الى فرنسا ، ورد فى دستور هذا العام أن مذهب الدولة هو الكاثوليكى ، فحرم قانون سنة ١٨١٦ الطلاق وأجاز الفراق مراعيا مبادىء الكنيسة . وبقى الأمر كذلك حتى عام ١٨٨٤ ، حيث بدت نزعة شعبية فى اجازة الطلاق ، فجاء قانون ٢٧ تموز (يوليو) سنة ١٨٨٤ الذى أكمل بقانون ١٨٨٦ فأعاد الطلاق لفرنسا . وهذا القانونان اللذان عدلا المواد ٢٢٩ وما يليها من القانون الفرنسى لا تزال أحكامهما مرعية الى اليوم مع ملاحظة التعديل الذى حصل فى ١٢ نيسان (ابريل) سنة ١٩٤٥ الذى ساوى بين الزوجين فى طلب الطلاق .

فأسباب الطلاق اليوم بالقانون الفرنسى محصورة بما يلى :

١ ـ زنا احد الزوجين على الاطلاق .

٢ ـ الحكم على احدهما بعقوبة شائنة .

٣ ـ سوء معاملة احد الزوجين للآخر او تعذيبه او اهانته اهانة جسيمة اذا كان من شأنها الاخلال بالواجبات الزوجية وصيرورة البقاء فى الحياة الزوجية صعبا »[1] .

*

● الطلاق فى سويسرا :

« يستطيع كل من الزوجين فى سويسرا أن يطلب الطلاق فى حالة الزنا .. ولأحد الزوجين طلب الطلاق اذا وقع عليه اعتداء من الآخر ، او تعذيب ، او اهانة جسيمة .

ويجوز طلب الطلاق :

١ ـ اذا حكم على احد الزوجين بعقوبة شائنة ، أو سلك سلوكا مخلا بالشرف من شأنه جعل الحياة الزوجية غير ممكنة بالنسبة لطالب الطلاق .

٢ ـ فى حالة هجر الزوج زوجته عن نية سيئة مدة سنتين ، وفى حالة عدم تقديم مسكن شرعى لها بلا سبب مشروع .

---

(١) الطلاق فى الاسلام : مولانا محمد على ص ١٩ ــ ٢١

٣ ـ اذا اصاب أحدهما مرض عقلى جعل الحياة الزوجية متعذرة على شرط استمرار المرض مدة ثلاثة أعوام مع ثبوت تعذر شفائه طبيا »(١) .

*

● **الطلاق فى ألمانيا :**

« أجاز القانون الألمانى الطلاق لأسباب معينة :

١ ـ الحكم على احد الزوجين بالزنا . ولا يقع الطلاق اذا رضى أحد الفريقين بالزنا ..

٢ ـ اعتداء احد الزوجين على حياة الآخر .

٣ ـ هجر احد الزوجين الآخر عن سوء قصد . ويتحقق سوء القصد :

(أ) اذا حكم على الزوج بالمسكن الشرعى ، ولم ينفذ هذا الحكم مدة سنة كاملة رغم رضوخ الزوجة له .

(ب) اذا هجر الزوج زوجته عاما كاملا ولم يعاشرها .

(جـ) اذا أخل أحد الزوجين بالواجبات الزوجية أو سلك سلوكا شائنا بحيث تتعذر الحياة المشتركة .

ويعتبر استعمال العنف نحو أحد الزوجين اخلالا بالواجبات الزوجية .

٤ ـ اصابة احد الزوجين بمرض عقلى واستمرار هذا المرض مدة ثلاثة أعوام ، ووصول المرض لدرجة جعلت الرابطة المعنوية بين الزوجين معدومة مع فقد كل أمل فى الشفاء »(٢) .

*

---

(١) المرجع السابق ص ٢١ ـ ٢٢
(٢) المرجع السابق ص ٢٢ ـ ٢٣

● الطـلاق فى انجلترا :

« بعد صـدور هذا القانون (عام ١٨٥٧) يمكن تلخيص أسباب الطلاق فى انجلترا بالرجوع اليه والى اجتهاد المحاكم كما يلى :

١ ـ زنا الزوجة : يجوز للزوج أن يستحصل على حكم بالطلاق اذا ارتكبت زوجته فعل الزنا أثناء الزوجية •

٢ ـ حق الزوجة بالطلاق : يحق للزوجة أن تطلب حل عقـدة الزواج اذا ثبت للمحكمة أن زوجها ارتكب أثناء قيام الزوجية :

(أ) فعل الزنا مع أحد محارمه •
(ب) زواجه بأخرى •
(جـ) اغتصابه الاناث •
(د) ارتكابه اللواطـة •
(هـ) اقدامه على فعل الزنا جبرا ، وبدونه يجوز طلب الهجر •
(و) ارتكابه الزنا مع الهجر بلا سبب مشروع مدة سنتين فأكثر •
(ز) تمنعه عن تنفيذ حكم القاضى بالمعاشرة الزوجية •
(ح) اقدامه على الزنا بعـد الحكم بوجوب العودة الى المعاشرة الزوجيـة •
(ط) اساءته معاملة زوجته واستحصال الزوجة على حكم بالهجر بسبب ذلك ، واقدام الزوج على الخيانة الزوجية من جديد »[1] •

*

من الواضح ـ اذن ـ أن السماح بالطلاق فى حالة واحدة ، هى الزنا ، حسبما قرره انجيـل متى وحـده دون سـائر الأناجيـل التى حرمته ، قد أوقع المسيحيين فى عنت شـديد ، وسـاقهم سـوقا الى الخروج عليـه ، ودعاهم الى اصـدار تشريعات أخرى تعالج مختلف

---

(١) المرجع السـابق ص ٢٣ ـ ٢٤

الحالات التى تجعل استمرار الحياة الزوجية فرضـا مستحيلا . ومن ثم تسمح بالطلاق فى تلك الحالات المختلفة ، ولا تقصره على حالة الزنا .

لقد صار الطـلاق شرعة فرضتها ظروف الحيـاة على المجتمعات المسيحية ، يعمل بموجبها عنـد الاقتضاء ، تماما مثـل فريضـة حلف اليمين . فالعالم المسيحى يمارس الحلف على الانجيل كل يوم : بدءا من رؤسـاء الدول . وأصحاب المناصب الكبرى . حتى جميع الشـهود فى المحاكم ... الخ . ان هذا اجراء ارتضـاه البشر جميعا كاحدى الوسائل الممكنة لتحقيق الاستيثاق . وتذكير الضمير الانسانى بمسئولياته .

المسيحى يحلف بالانجيـل الذى يقول على لسـان المسـيح : « سمعتم أنه قيـل للقـدماء : لا تحنث ، بل أوف للرب أقسـامك . **واما انا فاقول لكم : لا تحلفوا البتة – متى ٥ : ٣٣ – ٣٤ »** . أى تناقض أوجع من هـذا ..

يحلف المسيحى . كل يوم ، بالانجيل الذى يقول له : لا تحلف ... ان هـذا وحـده يكفى للحكم على مـدى مـلاءمة بعض ما جاء فى الانجيل من تعاليم ، خاصا بتنظيم حياة البشر على هذه الأرض ...

* *

وأما تقييد الزواج ومنع تعـدد الزوجات ، فقـد حـدث التمرد خلسة فى القرون المـاضية ، واجتاح مختلف الطبقات حتى وصـل فى القرون الوسطى الى أعلى الرؤوس فى طبقة الكهنوت .

● **اعترافات :**

يقول الدكتور **لويس عوض** فى كتـابه : **ثورة الفكر** « كانت الفضائح فى روما ، مركز البابوية ، تزكم الأنوف . الأصل فى العقيدة الكاثوليكية أن رجال الدين لا يتزوجون ، وأن الرهبان ومنهم الكرادلة والبـابوات ، ينـذرون لله ثلاثة نذور يوم يدخلون باب الدير : نذر العفة ، ونذر الفقر ، ونذر الطاعة . وها نحن نرى **البابا اسكندر السادس**

(١٤٣١ ــ ١٥٠٣) جهارا نهارا ، له ثلاثة أولاد غير شرعيين هم : سيزار بورجيــا درق أوربينــو (١٤٧٥ ــ ١٥٠٧) ، ولوكريس بورجيــا (١٤٨٠ ــ ١٥١٩) ، ودون كانديا .

وها نحن نرى البابوات يبيعون صكوك الغفران ، وها نحن نرى البابوات يرهبون مخالفيهم بقرارات الحرمان ، وها نحن نرى رجــال الدين من رأس الكنيسة الى أصــغر كاهن يكنزون المــال ويقتنــون الضــياع .

لقد ساءت سمعة الكنيسة فى عصر سافونا رولا (١٤٥٢ ــ ١٤٩٨)

حتى غدا الناس يتندرون بقولهم عن قسيس : ان سمعته الطيبة تتنافى مع انتســابه للكنيسة . وكان اسـم رجــال الدين مرادفا للطفيليــة والكسل ، وكانت العامة تقلد أصوات أجراس الأديرة قائلة : داندو ! داندو ! ، أى : هات ! هات ! ...

وكانت خلافة البابا اينوتشسنتو الثــامن (الذى اعتــلى الكرسى البابوى من ١٤٨٤ الى ١٤٩٢) فاقعة الفســاد ، كولاية خلفه زير النساء البــابا اسـكندر الســادس . فقــد اشــتهر اينوتشسنتو الثــامن بأنه كان رجل المحسوبية وخراب الذمة ، كما أنه كان اول بابا يعترف علنــا بأبنائه غير الشرعيين ، وكان دأبه توسيع أملاك أسرته .

وقد جرت كل هذه الرذائل مجرى التقاليد فى البلاط البابوى ، حتى ان تغير اسـماء البابوات لم يعــد يعنى شيئا ، فكلهم سواسية فى شهوة السلطان والتملك والاقبال على الملذات »(١) .

* *

ويعطى رولاند بينتون لمحة سريعة عما وصل اليه الحال ، وما اقترح

---

(١) ثورة الفكر : الدكتــور لويــس عــوض ص ١٣٣ ــ ١٣٤ ، ١٤٠ ــ ١٤١.

لعلاجه من مسكنات . فيقول : « يمكن للمرء أن يدرك الى أى حد كان لوثر يرفع من شأن الزواج ويجعله فوق العزوبة التى وصمها بأنها تهرب من المسئولية الاجتماعية . ولقد كان دفاعه عن الزواج فى مستهل هجومه على تبتل رجال الاكليروس والرهبان شديداً . وكان السبب فى ذلك أن الممارسات التى قاومها كانت فظيعة . **فلقد كانت ممارسة رجال الاكليروس للتسرى مشاهدة فى كل مكان . باعتباره شرعا مقبولا ، كما كان يتغاضى عن الشذوذ الجنسى ، دون أدنى مبالاة .**

لقد اجتاحت هذه الرذيلة الكنيسة فى القرون الوسطى ..

وفى صراع لوثر ضد هذا الفساد ، فانه أكد على سماح بولس بالزواج كعلاج فقد كان يقول **ان نبضة الجنس قوية لدرجة انه لا يقدر على العفة الا القليل** . قد يتجافى بعض الناس عن الشهوة الجنسية . أما أن يكونوا أعضاء فان هذا يتطلب التحرر من تسلط الجنس . ولا يقدر على ذلك الا الذين منحوا القوة . **من أجل ذلك ، قد يكون الرجل المتزوج اكثر عفة من الراهب** ، كما أن فرض العصمة على الذين لم يمنحوا نعمة العفة ، **انما هو بمثابة الحكم عليهم بجهنم أو بتذوق عذاب المطهر** . فلا يحق للبابا بعد اليوم أن يمنع ذكرا وأنثى من التزاوج الا اذا كان يحق له منع الطعام والشراب . **بل ان الزواج بامرأتين قد يسمح به أيضا ، كعلاج لاقتراف الاثم ، أى كبديل عن الاتصال الجنسى غير المشروع »(١) .**

* *

رأينا ما أدت اليه تشريعات كبت الجنس وتجاهله ، وكيف أسفر الواقع عن تمرد قوى على تلك التشريعات . بل وممارسة الشذوذ الجنسى بين طبقة الكهنوت ، الذين يفترض فيهم أن يكونوا مثالا يحتذى . وفى مواجهة للواقع ، بدأ التفكير جديا فى الدعوة الى الزواج

(١) R. Bainton : Sex , Love and Marriage, pp. 83 - 85

بدلا من تلك الدعاوى البالية التى كانت تنفر منه ، بل وأكثر من ذلك رؤى فى اباحة زواج الرجل بامرأتين حلا مشروعا ، كعلاج لمنع السقوط فى الزنا . ويعنى هذا بداهة الاعتراف بنظام تعدد الزوجات كصمام أمان ، يستخدم عند اللزوم للحفاظ على بنية المجتمع سليمة ومتماسكة ، فتكون العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة فى النور ، تحت السمع والبصر ، بدلا من تلك العلاقات السرية الآثمة التى تختلط فيها الأنساب ، وتضيع بسببها الحقوق والكرامات .

* *

● **دعوات للاصلاح :**

حين نلقى نظرة على أنماط التفكير الاصلاحى لعلاج المشاكل التى تعانى منها المجتمعات المسيحية بسبب تحريم الطلاق وتعدد الزوجات ، نجدها تشير جميعا ، بطريق مباشر أو غير مباشر ، الى أن الحل يكمن نظام تعدد الزوجات . ونكتفى هنا بعرض مثالين من هذا التفكير .

*

المثال الأول ـ السماح للرجل بتعدد النساء ، تكون الأولى هى الزوجة والأخريات سرارى :

منذ نحو مائة عام ، كتب عالم اللغات القديمة دى بغلى فى كتابه : **الأحكام العبرية** ، دراسة مقارنة عن تشريعات الزواج والطلاق فى اليهودية والمسيحية والاسلام ، وما عليه الحال من أعراف وتقاليد تحكم هذه الأمور فى بعض شعوب الأرض وقبائلها .

وقد تحدث عن نظام الزوجة الواحدة ، وشريعة تعدد الزوجات ، وقارن بينهما مستخدما تعبير البلاد المتمدنة ، ويقصد به البلاد التى يسكنها العنصر الأوربى فقط ، كما استخدم تعبير : البلاد غير المتمدنة ، ليعنى بقية بلاد العالم ! وكان مما كتبه : « أما فى البلاد المتمدنة ، المحرم فيها تعدد الزوجات ، **فان الأسباب الداعية الى تعدد الزوجات موجودة** ولكن طرق الحصول على قضاء الشهوة عند

الضرورة الداعيـــة اليهـا ، تختلف عن طرق البــلاد غير المتمــدنة فى الاسم والصفة . فيتخذ بعض الرجال الأخدان سرا وعلانية اذ يقضون شهوتهم مع المومســات والعاهرات . وهما طريقتـان مفضـلتان عن تعدد الزوجات عند الناس (!) ، الا أن فيهمـا الضرر على النســاء والأولاد ، فلا يستحسنان من هذه الوجهة .

ان تعدد الزوجات مباح فى أغلب بلاد المعمــورة ما عدا أوروبا ، ولكن لا تظن أن تحريمه فى أوروبا قديم جدا ، فقد كان مباحا حتى عهد النصرانية . وأعظم دليــل عليــه زواج الملك شــارلمـان بأكثر من واحدة . وما كان يفعله القسس مدة انتشار تعدد الزوجات فى أوروبا ، انهم كانوا يامرون الناس المتزوجين بأكثر من واحدة ، أن يختاروا لهم من بينهن واحدة يطلق عليها اسم زوجة ، وعلى غيرها اسم خدن .

ونحن وان كنـا نسلم بأن أحسن زواج يشرع هو الزواج بامرأة واحــدة ، وأن أحســن نظام عائلى لا يتـأتى الا اذا اقتصر الزوج على زوجة واحدة ،ولكنا لا نرى فى تعدد الزوجات ما رآه فيه غيرنا من الفظاعة والمغايرة للطبيعة ، وما يصفه بعض بسطاء العقول ، بل نحن على خلافهم نجد فيــه كثيرا من الفوائد الحسية والمعنوية ، ونراه اقرب الى الطبيعة البشرية خصوصا طبيعة الرجال ..

واقل ما فى تعدد الزوجات من الفوائد الحسية تحسين النســل . وأما كون النسل يتحسن بهذه الواسطة فظاهر مشاهد فى الحيوانات جميعا ، لأن الناس يختارون القوى من الذكور للتلقيح ، ولا يختارون الضعيف ردىء البذرة .

وان أحسن شكل لاباحة تعدد الزوجات هو قصر الزوجيــة على امرأة واحدة تكون الزوجة الحقيقية للرجل ، مع اباحة اتخاذ الأخــدان

والسرارى ، فبذلك تجتمع مزايا التزوج بامرأة واحدة ، ومزايا تعـــدد الزوجـات .

لقد قلنا ان أحسن شكل ، وأكمل نظام للزواج هو اقتصار الرجل على نكاح امرأة واحدة ، الا أن الجارى فى العالم يخالف هذه الســنة الشريفة . فلا تجد بلدا يخلو من زيجات مغايرة لأحكام هذا الزواج حتى المحرم فيها تعدد الزوجات تحريما قطعيا (مثل المجتمعات المسيحية) ، وذلك لأسباب جمة تضطر الرجل أو المرأة الى مخـالفة شرع الزواج وحدوده . منها : ميل الذكر بفطرته الى تعدد الزوجات ، ومنها : موانع بدنية تطرأ على المرأة فتحرم الرجل من الاجتماع بها وتمنعه عنها مددا بعضها قصيرة ، وبعضها طويلة كالحيض والنفاس واشتغالها بالرضاع . ومنها : غياب الرجال فى الخدمة العسكرية واضطرارهم الى ترك نسائهم أثناءها لصعوبة الجمع بين معيشة الزوجية والخدمة العسكرية ..

كل هذه الأسباب كانت نتيجتها اختــلال ســنة الزواج الصحيح الكامل ، وتنويع صور اجتماع الرجل بالمرأة ..

ان الاقتصار على زوجة واحدة لم يات بالغرض المقصـود منه حيث لم يمح أنواع الزيجات الأخرى . وغاية ما فى الأمر ان النـاس ينظرون الى تلك الأنواع بعين غير العين التى ينظرون بها الى الزواج ، وأن النساء المتخذات للاستفراش بهذه الأنواع صرن مغبونات بشريعـة النكاح ، لأن مضار التسرى واتخاذ الخدن والاســتفراش غير المشروع عائدة عليهن وحدهن ، كما أن عقاب الزنا والسفاح لا يصيب فى الغالب غير النســاء ..

ولقد نسخ هذا التسرى الرومانى بحكم النصرانية ، ولكن الأوربيين لا يزالون يتخذون الأخدان ولم يتبعوا شرعهم الدينى فى تحريم تعـــدد الزوجات .. ولا يعاقبون على التسرى واتخاذ الأخدان ، ويغضون الطرف عنه ولو انه غير جائز شرعا »(١) .

❊

---

(١) المقابلات والمناظرات ص ٣٣٨ ــ ٣٥١

المثال الثانى ـ اعادة النظر فى موقف المسيحية من تعدد الزوجات :

ألقى هوارد رووت محاضرة فى كليـة اللاهوت بكامبردج ، عام ١٩٦٢ ، كان موضوعها : مشاكل الجنس الأخلاقيـة وكان مما جاء فيها : « يجادل الناس فى مسائل الجنس على المكشوف ، ويقتربون منها بوجهات نظر متضاربة • ونجد فى الأمور الجنسية أن التأصيل الأخلاقى الجامد هو عدو للفهم الأخلاقى • انها لحقيقة محزنة وغير قابلة للانكار ، ان الكنيسـة غالبا ما فشلت فى ادراك ذلك • وقـد خدعت بصـيرتها الأخلاقية بغية التمتع باحترام مظهرى • واحيانا ما كانت تعالج المشاكل الجنسية كما لو كان حسمها يتم بالقواعد المكتوبة •

ان هذه عبارات جافة وصريحة ، ولن نربح سـوى القليـل اذا فكرنا بعمق فى الأسباب التى أوصلتنا الى حالتنا الحاضرة ، على الرغم من أن فهم تلك الأسباب قد يعمق بصيرتنا بحق ••

لقد استمسكت المسيحية منذ نشأتها الأولى ، بأن التحقيق المثالى لمطالب طبيعتنا الجنسية ، يكمن فى نظام الزواج بامرأة واحدة • وكثيرا ما افترض أن المبدأ الرئيسى فى المسيحية ، هو بكل بساطة ، جعل كل ممارسـة جنسية خارج الزواج بامرأة واحدة تعتبر خطأ ، وكل ممارسة جنسـية فى نطـاق ذلك الزواج تعتبر صحيحة • ان الأمور لا تسـير هكذا ••

فعندما تتحدث عن مثالية الزواج بامرأة واحدة ، ونوحى بأن ذلك هو الوضع الذى يتم فيـه اشـباع مطالب طبيعتنا الجنسـية بطريقة كاملة وصحيحة ، فاننـا نكون فقط قد بدأنا وصف مشـاكل الجنس الأخلاقيـة ••

وهناك اعتبار آخر • يجب أن يؤخذ فى الحسبان على الرغم من أننا نستطيع الاقتراب منـه فقط بالتأمل الحذر • ان الانسان فى العالم الذى نعرفه ، حيث البلاد المسـيحية بخلفيتها الاغريقيـة واليهـودية ،

لا يستطيع تجاهل مثالية الزواج بامرأة واحدة .. لكنى لا أرى سببا يدعو المسيحيين ، أو غيرهم ، الى التطرف فى التأكيد على أن هذا النظام المثالى هو نوع من المطلق الأبدى ، مثل طبيعة الله ، ونجد ، فى واقع الأمر ، شواهد فى العهد الجديد تحذرنا من هذا الافتراض .

لقد جاء أعداء المسيح ليجربوه حول هذا الموضوع ، فقال لهم : فى الملكوت لا يزوجون ولا يتزوجون . انى لا أدعى فهم ما يتضمنه هذا القول ، لكنه يوحى ، على الأقل ، بأن الزواج قد شرع للبشر (فى هذه الدنيا) وفقا لاحتياجاتهم وقدراتهم ، فى أزمنة وأماكن معينة .

وقد قال المسيح أيضا ، فى موضع آخر ، ان شريعة موسى فيما يتعلق بالطلاق قد أعطيت لهم بسبب قساوة قلوب الرجال . وهنا أرجو ألا يساء فهمى عندما أقول ، بوجه خاص ، ان مثالية الزواج قد أعطيت لنا بسبب قساوة قلوبنا ، أى بسبب حاجتنا الى النظام والتوجيه اللذان يوفرهما لنا . وبصرف النظر عن كلمات المسيح هذه ، نجد أن القديس بولس اعتبر الزواج ، لأسباب مختلفة ، خيرا لا شك فيه ، اذ : التزوج أصلح من التحرق . أما اعتباره البتولة أفضل من الزواج فهذا واضح لا جدال فيه .

ان هذين الايحاءين اللذين نجدهما فى العهد الجديد كافيان لجعلنا نتانى قبل ان نعلن ان التزوج بامراة واحدة هو المثالى الوحيد الممكن ، وفيه الحل لمشاكل الجنس الأخلاقية .

لقد كان هناك كثير من البحوث المخلصة ، فى السنوات الأخيرة ، عن المطالب الاجتماعية التى يجب أن تفرضها الديانة المسيحية ، مثلا ، على مجتمع يمارس تعدد الزوجات . هل هو مستحيل على رجل متعدد الزوجات أن يصير مسيحيا ؟ وهل الدين المسيحى يستلزم أن يطلق الرجال زوجاتهم المعولات ، ومن ثم يحكمون عليهن عمليا بالفقر والعوز ؟ وهل نظام تعدد الزوجات ، يعتبر فى كل الأحوال ، استخداما سيئا للجنس ؟

ليس من السهل الاجابة على هذه الأسئلة ، الا أن الحاحها علينا واهميتها الواقعية ، تجعل انه من الأمور الجوهرية بالنسبة لنا أن نبقى مفتوحى الفكر ، وأن نتذكر أن الزواج ، مثل السبت ، قد جعل للانسان ، ولم يجعل الانسان للسبت(١) .

ومن ناحية أخرى ، نجد أنه من الأهمية بمكان أن نلاحظ التغيرات التى حدثت فى الجماعة الدينية العظيمة ، حيث تعدد الزوجات أمر عادى : أقصد بذلك الاسلام .

أعتقد انه من الحق أن نقول ان ممارسة التزوج بامرأة واحدة أخذ فى الازدياد ، وأن بعض المفكرين المسلمين يشجعون على ذلك بالاشارة الى ما جاء فى تعاليم محمد فبينما يسمح القرآن بتعدد الزوجات ، مثلما يفعل العهد القديم ، فان النبى قال ان على الرجل الا يتزوج باكثر ممن يستطيع أن يسوى بينهن فى المعاملة والاعزاز . وبما أن القليل من الرجال هم الذين يستطيعون معاملة أكثر من زوجة واحدة بنفس مشاعر الحب ، فقد كان النبى فى الحقيقة ، لا يشجع على تعدد الزوجات . ان هذا هو السبيل الذى تحركت فيه البصيرة الأخلاقية لأحد الأديان من جيل لآخر ..

ان كل شىء فى ميراثنا الثقافى ، والذى تتحمل المسيحية مسئوليته الى حد بعيد ، يجعل من الصعب علينا أن نكون موضوعيين وصادقين فى

---

(١) عاب اليهود على المسيح فعل تلاميذه حين لم يحفظوا الراحة يوم السبت ، اذ « ابتدأ تلاميذه يقطفون السنابل وهم سائرون . فقال له الفريسيون : انظر ، لماذا يفعلون فى السبت ما لا يحل ؟ فقال لهم : أما قرأتم قط ما فعله داود حين احتاج وجاع هو والذين معه ، كيف دخل بيت الله .. وأكل خبز التقدمة الذى لا يحل أكله الا للكهنة ، واعطى الذين كانوا معه أيضا : ثم قال لهم : السبت انما جعل لأجل الانسان ، لا الانسان لأجل السبت - مرقس ٢ : ٢٣ - ٢٧ » .

مناقشتنا لهذه المشاكل . فالمسيحيون غالبا ما يتسرعون فى الاعتقاد بأن أى اقتراب من الجنس يشكك فى التعاليم المسيحية التقليدية ، لا بد وأن يكون خاطئا ، ومن ثم فلا حاجة للبحث فيه بمثل تلك العناية والاهتمام اللتان تحظى بهما على الفور مسائل جبلية ، مثلا ، تتعلق بالعقيدة »(1) .

•

أما بعد ...

لقد كانت تلك صيحة ضاع صداها سريعا فى أعقاب صوت ذلك الانفجار الرهيب الذى عرف فى الغرب ، آنذاك ، باسم الثورة الجنسية .

* *

(1) H. Root : GOD , SEX & WAR, pp. 33 - 55.

ثانيا — التعاليم الأخلاقية فى الأناجيــل

في دراسة مقارنة عن هذا الموضوع الذى يعتبر ثانى الموضوعات أهمية بعد العقيدة فى أى دين من الأديان . يقول : ج. ويلز(١) — بجامعة لندن — فى كتـابه : « يسوع المسيحيين الأوائل » ،ما تقتبس بعضا منه ، واضعين اياه بين علامات الاقتباس .

« لقد جرى التوكيد أحيانا على أنه مهما كان ضعف الدليــل على معجزات يسوع ، فانه يقف شـامخا باعتباره معلما أخلاقيا ملهما ، ونابغة فى مجال السـلوك الأخلاقى ، مما يؤكد كونه شخصية تاريخية .

وفى واقع الأمر ، ان جميع التعاليم الأخلاقية المقبولة فى الأناجيــل يمكن اكتشافها فيما سجله الكتبة الوثنيون السالفون ،كما سلم بذلك الأسقف ثرول وول(٢) . ويقتبس فارير(٣) تعليم عدم الأنانية من سنيكا ، والحب الأخوى لكل الجنس البشرى من كل من سنيكا وشيشرون والمحبة من هذين الاثنين وغيرهما ، والعفو ، والتسامح والرفق من كتاب وثنيين كثيرين .

وما كان يعتبره المصرى القديم واجبا عليه تجاه جاره ، نجده فى قائمة من الأمور المرعية تعرف باسم : (الاعتراف السلبى) وقد اقتبسه بدج من بردية من القرن الرابع عشر قبل الميلاد .

ويعتقد أن تلك القائمة كانت ترتلها كل نفس رحلت الى العـالم الأخر ، عند محاسبتها » . ومن أمثلة ما تحتويه تلك القائمة :

« ١ — لم ارتكب اثما ...　　　　٤ — لم أسرق .

---

(١) G. Wells : The Jesus of The Early Christians, PP. 55 - 72.

(٢) Trirlwall, Bishop C. (historian of Greece) : Letters, leterary and theological, London, 1881 - PP. 37 - 38.

(٣) Farrer, J. A. : Paganism and Christian'y, London, 1891, Chapter IX.

٥ ــ لم أقتل رجلا أو امرأة ٠ ٦ ــ لم أخسر المكيال ٠

٧ ــ لم أمكر بأحد ٠٠٠

١١ ــ لم أتفوه بكلام ردىء ٠٠٠

١٤ ــ لم يشتعل قلبى غيظا ٠٠٠

١٩ ــ لم أغتب أى انسان ٠٠

٢١ ــ لم أرتكب زنا أو لواطا ٠ ٢٢ ــ لم أدنس نفسى ٠

٢٣ ــ لم أضطجع مع زوجة انسان ٠

٢٤ ــ لم أجعل أى انسان فى خوف ٠٠٠

٢٦ ــ لم أجعل نفسى أصم عند سماع كلمات الحق والعدل ٠

٢٧ ــ لم أجعل أى شخص آخر يبكى ٠

٢٨ ــ لم أتفوه بسباب أو تجديف (ضد المقدسات) ٠٠٠

٣٥ ــ لم ألوث المـاء الجارى ٠

٣٦ ــ لم أكن متفاخرا فى كلامى ٠٠٠

٣٨ ــ لم أتصرف بغطرسة ٠ ٣٩ ــ لم أعرف المحاباة ٠

٤٠ ــ لم أزد فى ثروتى الا بالوسائل المشروعة ٠٠٠ » ٠

هذا ــ ويستطرد ويلز قائلا :

« يعزو المفسرون المسيحيون الى يسوع تعاليم اخلاقية غير موجودة فى الأناجيل وعندما نقرأ الأناجيل بقصد اكتشاف معيار الصـلاح الذى يدافعون عنه ، نجدها تحتوى على تعاليم اخلاقية اقل عموما مما هو مفترض » ٠

*

● **من انجيل مرقس :**

« فى واقع الأمر ، لا نجد شيئا فى انجيــل مرقس ، انه يسـجل معجزة تلو الأخرى ليقنعنا أن يسوع كان هو المسيا ، لكنه غير مهتم

بما كان يعظ به . وهو يكرر التلميح الى تعاليم (الانجيل) و (يسوع) دون أن يخبرنا بمكوناتها (١ : ١٥ ، ٢١ ، ٣٩ ، ٣ : ١٤) ... الخ .

ويخلو هذا الانجيل من موعظة الجبل . كما أن التعاليم التى فى الاصحاح الرابع ليست أخلاقية ، لكنها تتكون من أمثال ملكوت الله .

وتأتى أول اشارة عن تعليم أخلاقى فى الاصحاح السابع حيث يدين يسوع : (الفسق والسرقة والقتل والزنا والطمع والخبث والمكر والعهر والعين الشريرة والتجديف والكبر والجهل) .

وقد دعا فى الاصحاح الثامن الى انكار النفس . كما ينصحنا فى الاصحاح التاسع بقطع أيدينا وأرجلنا وقلع أعيننا اذا كانت هذه الأعضاء ستعثرنا . لأنه خير (أن تدخل ملكوت الله أعور من أن تكون لك عينان وتطرح فى جهنم النار) وفى الاصحاح التالى (العاشر) يحرم يسوع الطلاق ، ويعيد اختصار الوصايا المعتادة : (لا تقتل ، لا تزن ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، لا تسلب ، أكرم أباك وأمك) .

ويقتبس الاصحاح الثانى عشر وصايا العهد القديم : (تحب الرب الهك ... تحب قريبك كنفسك) . ويضيف يسوع الى هذه من عنده (ما جاء فى الاصحاح العاشر) : (اذهب بع كل ما لك وأعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء)» .

● **من انجيل لوقا :**

« يسجل لوقا أحاديث أكثر (ليسوع) ، ولكن يصعب فى الغالب اكتشاف أى مبدأ أخلاقى فيها . فمثلا يبدأ يسوع – فى الاصحاح السادس – موعظة الجبل بتطويب المساكين والجياع والباكين والمكروهين ، ثم هو يلعن الأغنياء والشباعى والضاحكين وأصحاب الشهرة . ولا يدرك أى مبدأ أخلاقى حتى العدد ٢٧ : (أحبوا أعداءكم .. لا تدينوا) .

وهو يستمر فى التشديد على التبادلية (المعاملة بالمثل) والرحمة وأخيرا فانه يمدح الايمان (٧ : ٥٠) ، ويشهد على انكار النفس ، بل انه يحض تلاميذه على الاستشهاد (٩ : ٢٣ ــ ٢٤) .

كما يخبرهم بأن (الأصغر فيكم جميعا هو يكون عظيما) (٩ : ٤٨) وعندما يقولون انهم وجدوا انسانا يخرج الشياطين باسمه ومنعوه لأنه (ليس يتبع معنا) ، يأمرهم يسوع ألا يمنعوه (لأن من ليس علينا فهو معنا) وبالمناسبة ، فان هذا نقيض لما فى انجيل متى ١٢ : ٣٠ حيث يعطى يسوع تعليما مخالفا : (من ليس معى فهو على ، ومن لا يجمع معى فهو يفرق) .

بعد ذلك يبدأ رحلته الى أورشليم . ويستقبل بجفاء فى قرية للسامريين ويسأله تلميذاه الساخطان (يعقوب ويوحنا) : (أتريد أن تقول أن تنزل نار من السماء فتفنيهم ؟ ــ لكن يسوع ــ التفت ونهرهما) .

وحسب (الترجمة المعتمدة) (الملك جيمس) نجده قد أردف قائلا :(لأن ابن الانسان لم يأت ليهلك انفس الناس ، بل ليخلص) . ونظرا لأن هذه الكلمات غير موجودة فى المخطوطات الأربع الأقدم ، فقد شطبتها (الترجمة المراجعة) .

ان هذا يبين لنا الطريقة التى كانت توضع بها مختلف أساليب التعبير على لسان يسوع ليتفوه بها خلال تاريخ انشاء الوثائق (المسيحية) » .

● من انجيل متى :

« اذا صرفنا النظر عن التناقضات ، واتقينا ببساطة تلك التعاليم ذات الصبغة الأخلاقية الواضحة ، فاننا نستطيع تصنيفها كالآتى :

من الاصحاح الخامس :

١ ـ كن وديعا ومتواضعا .

٢ ـ كن رحيما . ٣ ـ كن تقيا .

٤ ـ أطلع الشريعة اليهودية . ٥ ـ تجنب الغضب .

٦ ـ كن غافرا ومسترضيا .

٧ ـ تجنب التفكير فى الزنا .

٨ ـ لا تطلق زوجتك الا لعلة الزنا .

٩ ـ لا تحلف . ١٠ ـ لا تقاوم الشر .

١١ ـ كن محسنا . ١٢ ـ أحب عدوك .

ومن الاصحاح السادس :

١٣ ـ لا تكن متفاخرا فى عمل الخير .

ومن الاصحاح السابع :

١٤ ـ لا تدين . ١٥ ـ لا تعط القدس للكلاب .

١٦ ـ افعل بالآخرين ما تريد أن يفعلوه بك .

١٧ ـ لا تقل كلاما تافها .

ومن الاصحاح التاسع عشر :

١٨ ـ كن مستعدا لترك كل شىء وكل شخص من أجل يسوع » .

*

وفى استعراض لهذا القانون الأخلاقى ، يقول ويلز :

« ان رقم ٩ يبدو أنه يريد أن يقول : (قل الصدق دائما) .. واذا أغفلنا مؤقتا أرقام ٤ ، ٨ ، ١٥ ، ١٨ فاننا نستطيع استخلاص مبادىء يسوع الأخلاقية فى التشديد على : التواضع ، والرحمة ، والنقاء ، وتجنب الغضب ، والمغفرة ، والصدق ، وعدم مقاومة الشر ، والاحسان

والتبادلية (المعاملة بالمثل) ٠ان التركيز هنا على الوداعة ، وهى الفضيلة الملحوظة بين الشعوب المقهورة فى الامبراطورية الرومانية — الذين جاء منهم المسيحيون الأوائل — حيث كان ضغط الفقر هائلا لدرجة ان الحياة لم تكد تستحق العيش » .

*

● من انجيل يوحنا :

« يوجد اختلاف صارخ بين تعاليم الأناجيل المتشابهة (متى ومرقس ولوقا) وتلك التى فى انجيل يوحنا . فالأولى تهتم أساسا بكيفية دخول ملكوت الله ، أما فى يوحنا فان الموضوع الرئيسى هو يسوع نفسه ، شخصه ومجده . فقد أخبرنا مثلا أنه : (قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن) ، (أنا هو القيامة والحياة) .

ففى هذا الانجيل يعطى يسوع ما أسماه شميدل تكرارا مستمرا لقضايا غيبية تتعلق بشخصه ، ولا توجد به أمثال على الاطلاق . وقد جاء ذكر ملكوت السموات مرتين .

لقد اعتقد شميدل — وقد لقيت وجهة نظرة قبولا واسعا — أن الخلافات بين التعبيرات الصوفية فى الانجيل الرابع وبين الخطب والأحاديث فى الأناجيل المتشابهة عظيمة لدرجة انها لا يمكن أن تكون قد صدرت عن شخص واحد » .

**

● كيف راعى المسيح قانونه الأخلاقى :

ويقول ويلز : « ان ما يصدمنا هو أن الأناجيل تظهر لنا يسوع نفسه غير قادر على تنفيذ اغلب تلك القواعد الأخلاقية الثمانية عشر ..

ان سلوكه ازاء القاعدتين ٤ ، ٥ يصيبنا بصدمة كبيرة .

اذا كان تجنب الغضب ضروريا جدا ، فلماذا « نظر حوله اليهم بغضب —

مرقس ٣ : ٥ » ؟ ! وبالنسبة لرقم ١ ، فالبرغم من أنه يقول فى فقرة واحدة انه وديع ومتواضع الفؤاد ، فانه يصرح فى الاصحاح التالى مباشرة بأنه « أعظم من سليمان — متى ١١ : ٢٩ ، ١٢ : ٤٢ » .

وهو يخبر تلاميذه أن يذهبوا الى مدن اسرائيل ليعلنوا أن ملكوت السموات وشيك ، وأن أى مدينة لا تؤمن بهم ، فحسب قوله ، سيكون عقابها مرعبا يوم الدينونة ، وسيكون حظها أشد سوءا من تلك المدن سيئة السمعة (متى ١٠ : ٥ — ١٥) ان عدم الايمان بدعاواه النبوية صار جريمة لا تغتفر . وكذلك نجد فى مرقس ١٦ : ١٦ أن يسوع الذى أقيم من الأموات يعلن أن كل من اعتمد وقبل تعاليمه يخلص ، بينما (من لم يؤمن يدن) . **ان مثل هذه المواقف يصعب وصفها بالتسامح .**

كذلك ، نجد أن يسوع ، بينما هو يحرم الذم من ناحية (من قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم — متى ٥ : ٢٢) اذا به ينغمس فيه من ناحية أخرى (أيها الجهال والعميان — متى ٢٣ : ١٧) ، (يا غبى هذه الليلة تطلب نفسك منك — لوقا ١٢ : ٢٠) .

ان كل انسان يعلم أنه علمنا أن نحب جيراننا ، بل وحتى أعداءنا (رقم ١٢) ، ومع ذلك فانه يحقر الكتبة والفريسيين ، داعيا اياهم : مرائين وحيات وأفاعى (متى ٢٣ : ٢٩ ، ٣٣) .

وبجانب اخفاق يسوع فى الحفاظ على المعيار الأخلاقى فانه لا يؤيد دائما اى معيار متسق .

فبالرغم من أن علينا أن نحب أعداءنا ، فقد أخبر التلاميذ : (ان أخطأ اليك أخوك .. ولم يسمع لك .. فليكن عندك كالوثنى والعشار — متى ١٨ : ١٧) . **فمن الواضح أن هناك صنفين لا يحبان (هما : الوثنيون والعشارون) ..**

وأن تعليم يسوع فيما يختص بمن يكون له الخلاص ، مليئة بالتناقضات . ففي متى ١١ : ٢٨ يصور لنا كمن يقول للشعب (تعالوا الى يا جميع المتعبين .. وأنا أريحكم) .

ولكن فى مرقس ٤ : ١٢ يقول انه يتعمد أن يكون غامضا للشعب لكى لا يفهموه ، وبالتالى لا تكون لهم فرصة للتوبة والخلاص ، فهو يقول لتلاميذه : (قد أعطى لكم أن تعرفوا سر ملكوت الله ، وأما الذين هم من خارج فبالأمثال يكون لهم كل شيء ، لكى يبصروا مبصرين ولا ينظروا ، ويسمعوا سامعين ولا يفهموا ، لئلا يرجعوا فتغفر لهم خطاياهم) .

ماذا نقول فى اله يتعمد أن يكون غامضا لكى لا يخلص أولئك الذين يسمعوه ؟! ..

كذلك يوجد عدد من الفقرات التى تعد بالخلاص ليس لقلة مختارة من أفراد الطائفة الجديدة لكن أيضا لأولئك الذين يقيمون الشريعة اليهودية ، ويتوافق مع هذا ما يعلن أحيانا من أن الناموس يعتبر مطلقا وخالدا ، وهكذا نجد يسوع يقول فى لوقا ١٦ : ١٦ — ١٧ ان : (زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس) ..

ويقول يسوع فى متى ٥ : ٧ : (لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل ، فانى الحق أقول لكم الى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل) .

ان تعبير (الناموس والأنبياء) يدل على المكون الدينى الكلى للعهد القديم ، لأن (الناموس) كان الاسم اليهودى الشائع لأسفاره الخمسة الأولى ، و (الأنبياء) تعنى الأسفار من يشوع الى الملوك الثانى ، ومن أشعيا الى ملاخى .

وهكذا ، فان يسوع يقول ان أقل الوصايا أهمية ، وأصغر حرف من الناموس متماثلان فى كونهما خالدين ..

ولكن يسوع ، بعد هذا التسليم الجلى بسلطان الناموس ، فانه يقدم على ادخال تغييرات كبيرة عليه .

ان ناموس موسى يسمح بالطلاق ، لكن يسوع يحرمه الا لعلة الزنا ، ويسمح الناموس بالحلف لكنه يحرمه ..

ان واحدة من أكثر التناقضات حدة فى الوثائق (المسيحية) هو ما نجده بين الفقرات التى تدخر الخلاص لليهود ، وتلك التى تستبعدهم منه لصالح السامريين والأمميين .

فنجد متى ، فى بضع فقرات ، يتبنى وجهة نظر ضد اليهود ، فهو يقول مثلا فى ٨ : ١٠ — ١٢ ان كثيرين ، وليس اليهود ، سيكون لهم الخلاص ، وان ملكوت الله سينزع منهم ويعطى لأمة أخرى (٢١ : ٤٣) ..

وفى واقع الأمر ، فان متى يجعل يسوع يتبنى عادة وجهة نظر تقتصر على الانحياز لليهود ، فهو يبرر رفضه أول مرة شفاء ابنة المرأة الكنعانية — كما فى ١٥ : ٢٤ — بقوله : (لم أرسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة) . وعندما يرسل تلاميذه الاثنى عشر لتحذير الشعب من أن ملكوت السموات قريب فانه يعطيهم تعليمات بألا يبلغوا بشارتهم الى الأمميين أو السامريين ، ولكن فقط لليهود (١٠ : ٥) .

ان هذه التعليمات المنحازة لليهود قد حذفها كل من مرقس ولوقا . وبينما يتعهد متى بأن يكون لليهود فرصة أخرى للتوبة ، وأما السامريين فلا ، فان لوقا يجعل يسوع يقول مثل السامرى الطيب ، حيث يوضع السامريون فى أفضل صورة ، واليهود فى أدنى صورة . ان هذا المثل قد ضرب من أجل غرض واضح وهو بيان :

(من هو قريبى) ؛ ومن ثم نعلم من المقصـــود عندما نؤمن بمحبة جارنا كمحبتنا لأنفســـنا (١٠ : ٢٧ ــ ٢٩) •

اذا كانت الوصية المعادية للسامريين هى ما تفوه به يسوع ، فان المثال المدافع عن السامريين ليس من قوله • واذا كان أحد هذه الأقوال قد وضـــع زيفا على لســـان يسوع ، فعندئذ قد تأكد بوضوح كيف يمكن ان يحدث أى شىء بمنتهى السهولة » •

* *

ونضيف الآن الى التعاليم الأخلاقية التى نسبها كتبة الأناجيل الى المسيح ، ثم أظهروه للناس وقد تحلل منها لصعوبتها ، ما هو شائع بين الناس مثل قوله : « من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا ــ متى ٥ : ٣٩ » •

ففى رواية يوحنـــا عن استجواب ذلك الذى قبضوا عليه أمام رئيس الكهنة يقول : « ســـأل رئيس الكهنة يســـوع عن تلاميذه وعن تعليمه أجابه يســـوع : أنا كلمت العـــالم علانية • أنا علمت كل حين فى المجمع وفى الهيكل حيث يجتمع اليهود دائما • وفى الخفاء لم أتكلم بشىء • لمـــاذا تســـألنى أنا ؟ اســـأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم • هو ذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت أنا •

ولمـــا قال هـــذا لطم يسوع واحد من الخدام كان واقفا قائلا : أهكذا تجاوب رئيس الكهنة ؟!

اجابه يسوع : ان كنت قد تكلمت رديا فاشهد على الردى وان حسنا فلماذا تضربنى ؟! ــ يوحنا ١٨ : ١٩ ــ ٢٣ » •

لقد احتج يسوع الأناجيل على ضربه على خده ، ولم يدر الخد الآخر لتلقى مزيد من اللطمات •

وهكذا تتهاوى القصور الأخلاقية التى بنيت فى الهواء • فالدعوة الى

محبة الأعداء قد نقضها موقفه من الكتبة والفريسيين ، بل ومن العشارين والوثنيين .

وتقبل المزيد من اللطمات قد انهار امام لطمة واحدة . وهكذا فعل كتبة الأناجيل بالمسيح وتعاليمه الشيء الكثير ..

* *

● تعاليم المسيح الأخلاقية وتعاليم السابقين :

يقول ويلز : « ان التعاليم الأخلاقية للمسيح التى ذكرها متى فى موعظة الجبل (٥ : ١) قــد جعلها لوقا مختصرة فى موعظة ســهل (٦ : ١٧) . وهما وان كانت تعبيراتهما تتماثل أحيانا فانها تختلف فى أحيان أخرى .

فحسب رواية لوقا ، يقول المسيح : (طوباكم أيهــا المساكين .. طوباكم أيها الجياع الآن ــ ٦ : ٢٠ ــ ٢١) بينما يقول المســيح فى رواية متى : (طوبى للمساكين بالروح .. طوبى للجيــاع والعطــاش الى البر ــ ٥ : ٣ ــ ٦) .

كذلك يقــول لوقا : « ويل لكم أيها الأغنيــاء ، لأنكم قد نلتم عزاءكم ــ ٥ : ٢٤ » وهذه غير موجودة فى رواية متى .

وعلى كل حال فان كل فقرات هذه التعاليم قد وجدت لها نظائر فى الآداب اليهودية ، المتقدمة والمتأخرة ومستقلة تماما عن أى تقاليــد مســيحية (انظر المتمــاثلات التى اســتخرجها روبرتســون) (١) ، وان الكتابات التى تنتظم مثل هــذه الحكم الأخلاقية لأغراض الوعظ والتعليم ، كانت موجودة فى الطائفة اليهودية قبــل نشــأة المســيحية

(١) J. Robertson : Christianity and Mythology, pp. 404 ff.

مباشرة . ويمكن تبيان هاتين النقطتين من : (كتاب أسرار اخنوخ) .. وهو كتاب غير مسيحى ، واقدم من أى انجيل من الأناجيل ..

ان بعض فقراته متماثلة بشكل مدهش لأجزاء من موعظة الجبل . فهناك مثلا : طوبى لمن يقيم السلام) (كتاب أخنوخ ٥٢ : ٢ ، انجيل متى ٥ : ٩) .

وكذلك : « سوف لا احلف .. لا بالسماء ولا بالأرض ولا باى مخلوق آخر مما صنعه الله .. اذا لم يكن فى الناس صدق ، دعهم يحلفون بكلمة : نعم . نعم أو لا ، لا» (أخنوخ ٤٩ : ١ ، متى ٥ : ٣٤ ــ ٣٧) .

ونجد فى الاصحاح الثانى والأربعين (من كتاب أخنوخ) التطويبات الآتية التى تشبه ما فى الانجيل من حيث أن عددها تسعة ، وأن أغلبها توليفة من المزامير والأنبياء وآداب يهودية أخرى :

طوبى لمن يخشى اسم الرب ، ويخدم دائما أمام وجهه ويقدم عطاياه بخوف وباستمرار فى حياته ، ويعيش كل حياته بارا ثم يموت .

طوبى لمن يحكم بالعدل ، لا من اجل مكافاة بل من اجل البر ، غير منتظر أى شىء فى المقابل ..

طوبى لمن فيه الصدق ..

طوبى لمن تسرى المحبة على شفتيه ، ويمتلىء قلبه بالشفقة .

ان كل هذه الأدلة تبين أن الأسلوب الوعظى لموعظة الجبل لم يكن فقط مما قبل المسيحية ، بل ان نظم الحكم الأخلاقية معا ، والمنتخبة من التقاليد اليهودية السابقة ، لم يكن مجهولا بأية حال من الأحوال عند بداية العصر المسيحى »(١) .

* * *

---

(١) G . Wells. The Jesus of The Early Christians, pp. 69 - 71.

تعـدد الزوجات فى الاســـلام

عرف تعدد الزوجات قبل الاسلام ، سواء فى البيئة العربية أو فى غيرها من البيئات والمجتمعات .

وعرف فى الديانات السابقة ، فقد عرف فى شريعة موسى ، ومارسه الآباء والأنبياء الســابقون .

وعرف فى صــدر المسيحية ، ثم مورس عمليا ، سرا أو جهرا عبر القرون ، فكان لبعض المسيحيين أكثر من امرأة ، تحت أى مسمى من المسميات . ولقد كان العرب قبل الاسلام يمارسون التعدد دون رابط أو تنظيم ، فلما جاء الاســلام حدده ، بما لا يتعدى أربع زوجــات ، مع ضرورة مراعاة العدل . وفى هــذا يقــول القرآن العظيم فى مطلع سورة النساء ، التى استفتحت بطلب التقوى ، ثم تذكير الناس جميعــا باخوتهم فى الانســانية ، بحكم أنهم جاءوا فى هذه الحياة نتيجة التزاوج بين الرجل الأول آدم ، والمرأة الأولى ، التى خلقت منه : ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحــدة وخلق منهــا زوجهــا وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، ان الله كان عليكم رقيبا .**

وآتوا اليتامى أموالهم ، ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ، ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم ، انه كان حوبا كبيرا .

وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتــامى فانكحوا ما طاب لكم من النســاء مثنى وثــلاث وربــاع ، فان خفتم ألا تعدلوا فواحـــدة أو مــا ملكت أيمانكم ، ذلك أدنى الا تعولوا ﴾ (النساء : ١ ــ ٣) .

فعلى المسلم الذى تزوج بواحدة ، ثم أراد أن يعدد بالزواج من ثانية ، مثلا ، أن يقف أمام آيات الله هــذه ، ثم يراجع ضميره أمام هذا

السؤال : هل هو مزمع أن يعدل بينهما جهد طاقته ؟ فان وثق فى نفسه ، أقدم على الزواج ، وان خشى عدم العدل ، فكلام الله مبين :

« فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم » . اى ، كما قال ابن كثير : « ان خفتم من تعداد النساء أن لا تعدلوا بينهن - كما قال تعالى : « ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » - فمن خاف من ذلك ، فليقتصر على واحدة ، أو على الجوارى السرارى » .

ولقد بين القرآن فى الآية رقم ١٢٩ من نفس السورة ، استحالة العدل المطلق بين النساء ، فقال : « ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ، وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما » .

ان القاضى فى كل زمان ومكان ، يفترض فيه أن يتوخى العدل ، ورغم ما يبذله الواحد منهم ، مخلصا فى سبيل ذلك ، فقد يجانبه العدل . والعالم كله يعترف بهذا الواقع ، بدليل أنه يجعل المحاكم درجات أو مراحل ، حيث تقوم المرحلة الثانية ، فى أغلب الأحيان ، بتصحيح أحكام المرحلة الأولى ، وهكذا .

والأمر فى العلاقات الزوجية صعب ، ذلك أن الزوج يستطيع العدل بين زوجاته فى أمور المعيشة ، لكن شيئا واحدا لا يملكه ، أو بتعبير أدق ، لا يملك استمراريته ، ألا وهو الميل القلبى . من هنا استحال العدل ، وصرف النظر عن تحقيق نسبة ١٠٠٪ ، ويكتفى بما دون ذلك ، بشرط ألا يتردى الى الحضيض ، وذلك بأن يميل عن واحدة منهن كل الميل ، فينحاز الى الأخرى كل الانحياز .

وفى هذا ذكر ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : « فلا تميلوا كل الميل » : أى فاذا ملتم الى واحدة منهن ، فلا تبالغوا فى الميل بالكلية ، « فتذروها كالمعلقة » أى فتبقى هذه الأخرى معلقة .. لا ذات زوج ، ولا مطلقة » .

ومن هنا نستطيع أن نفهم لماذا استفتحت سورة النساء بأمر الناس بتقوى الله ، والتحذير من ظلم النساء ، ومراعاة العدل ، فجاء فيها هذا القول الكريم :

﴿ واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، ان الله كان عليكم رقيبا ﴾ ..

﴿ فان خفتم الا تعدلوا فواحدة ﴾ ..

﴿ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ، وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما ﴾ .

*

هذا ، وبعد أن نزلت آيات قصر الزوجات على أربع فأقل ، قام المسلمون الذين عددوا زوجاتهم بتسريح من زدن عن أربع . فهذا غيلان ابن سلمة الثقفى كان قد أسلم وتحته عشر نسوة ، فقال النبى ﷺ « **اختر منهن أربعا** » ونفس الشىء حدث مع عميرة الأسدى ، فقد قال : أسلمت وعندى ثمان نسوة ، فذكرت للنبى ﷺ ، فقال : « **اختر منهن أربعا** » .

*

بعد ذلك ، وبمراجعة واقع البشرية وتجاربها الأسرية ، يتبين لنا أن تعدد الزوجات حسبما جاء فى الاسلام ، انما هو رحمة من الله ، تؤخذ بحقها ، وخاصة عندما يتعرض الناس ، أمما وأفرادا ، لحالات لا تستقيم فيها حياتهم الا بهذه الرخصة .

فعلى مستوى الأمم والجماعات : لا يوجد أدنى ضمان بجعل عدد النساء مساويا لعدد الرجال ، بحيث يكون لكل أنثى ذكر يتزوجها . فالناس جميعا لا يملكون من هذا الأمر شيئا ، اذ أن الأمر كله لله :

﴿ لله ملك السموات والأرض ، يخلق ما يشاء ، يهب لمن يشاء

اناثا ويهب لمن يشاء الذكور . أو يزوجهم ذكرانا واناثا ، ويجعل من يشاء عقيما ، انه عليم قدير ﴾ (الشورى : ٤٩ ـ ٥٠) .

وإذا حدث تساو فى فترة ما بين عدد كل من الذكور والاناث ، فلا يوجد أدنى ضمان لاستمرارية ذلك التساوى المؤقت ، بفعل عوامل كثيرة منها : الموت الطبيعى ، والأوبئة والكوارث المختلفة ، ثم هناك الحروب التى درجت عليها البشرية منذ نشأتها ، وكان أكثر ضحاياها حتى عصرنا الحاضر ، من الرجال دون النساء .

ولقد تنبأ أشعياء بما سيكون عليه الحال فى المستقبل حين تحصد الحرب الرجال ، وتترك الأيتام والأرامل من النساء بلا عائل . فيكون الحل الوحيد الذى يرتضينه عن طيب خاطر ، هو تعدد الزوجات ، ولو بواقع سبع نساء لكل رجل . وفى هذا يقول :

« رجالك يسقطون بالسيف ، وأبطالك فى الحرب . فتئن وتنوح أبوابها وهى فارغة تجلس على الأرض .

فتمسك سبع نساء برجل واحد فى ذلك اليوم ، قائلات : نأكل خبزنا ونلبس ثيابنا . ليدع فقط اسمك علينا . انزع عارنا ـ أشعياء ٣ : ٢٥ ـ ٢٦ ، ٤ : ١ » .

وإذا تحقق ذلك التوازن الافتراضى لفترة ما ، فلا يوجد أدنى ضمان لامكانية تزاوج أى ذكر بأى أنثى ، أو العكس . فهناك عشرات العوامل النفسية والمادية التى تتحكم فى اقامة علاقة أسرية بين الزوجين : الذكر والأنثى ...

وأما على مستوى الأفراد : فلا يوجد أدنى ضمان بعدم حدوث عقم ، أو مرض طويل أو مستعصى الشفاء ، أو غير ذلك مما يعوق تحقيق مطالب الانسان المرجوة من الزواج .

من أجل ذلك ، وغيره كثير ، رحم الله البشر ، فسمح لهم بالطلاق ،

وان اعتبره عملا بغيضا . فقد قال رسول الله : ما أحل الله شيئا أبغض اليه من الطلاق »[1] .

ان هناك حالات صارخة ، لا علاقة لها بزنا الزوجة ، تتطلب وفق أبسط معايير الانسانية والرحمة وما يقال صباح مساء عن المحبة ، أن يحدث الطلاق . ويعالج برتراند رسل مثل هذه الحالات فيقول : « لقد كانت تعاليم الكنيسة ، وما زالت الى الآن ، أن العزوبة أفضل . أما أولئك الذين يجدون ذلك مستحيلا فيسمح لهم بالزواج ، فلقد قال القديس بولس : التزوج أصلح من التحرق . ولقد فعلت الكنيسة ما في استطاعتها لضمان أن الشكل الوحيد للعلاقة الجنسية التي سمحت بها تتضمن قدرا قليلا من المتعة وجزءا كبيرا من الألم ، وذلك بجعل الزواج رباطا غير قابل للحل .. لنأخذ ، على سبيل المثال ، مسألة الوقاية من مرض الزهري ، اذ المعروف أنه باتخاذ الاحتياطات مقدما ، فان خطر العدوى بهذا المرض تتضاءل شدته . ومع هذا ، فان المسيحيين يعارضون نشر معرفة هذه الحقيقة ، حيث انهم يعتقدون أنه من الخير معاقبة الخاطئين . فهم يعتقدون بأن في ذلك كل الخير ، لدرجة أنهم راغبون في أن يمتد العقاب الى زوجات الخاطئين وأطفالهم . ويوجد الآن في عالمنا المعاصر آلاف مؤلفة من الأطفال الذين يعانون من الزهري منذ ولادتهم ، والذين كان في الامكان الا يولدوا ، لولا رغبة المسيحيين في أن يروا الخاطئين يعاقبون . انى لا أستطيع أن أفهم كيف يمكن لتعاليم تؤدى الى هذه القسوة الشيطانية ، أن تعتبر ذات تأثير طيب على الأخلاقيات »[2] .

ومن أجل استمرارية الحياة ، سمح لهم بتعدد الزوجات وفق ضوابط مادية وأخلاقية .

---

(١) رواه أبو داود .

(٢) Bertdand Russll : Way I am not a Christian, pp. 20-21.

أما اذا أساء المسلمون استخدام هاتين الرخصتين ، فالذنب عليهم ، والعيب فيهم ، ومثلهم حينئذ ، كمثل مريض وصف له الطبيب دواء يتعاطاه بقدر ، فأسرف فيه ، فهلك ، فتلك سنن الأشياء التى أكدتها خبرات الحياة .

﴿ فلن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا ﴾
(فاطر : ٤٣)

* *

الباب الثالث

مكانة المرأة

- مكانة المرأة فى اليهودية ▪
- مكانة المرأة فى المسيحية ▪
- المرأة فى مسيحية المسيح ▪
- المرأة فى مسيحية بولس ▪
- المرأة فى ظل الكنيسة ▪
- مكانة المرأة فى الاسلام ▪

مكانة المرأة فى اليهودية

● **المرأة هى المسئولة عن الخطيئة البشرية الأولى :**

تقول قصة الخلق فى الكتاب المقدس : «أخذ الرب الاله آدم ووضعه فى جنة عدن ليعملها ويحفظها . وأوصى الرب الاله آدم قائلا : من جميع شجر الجنة تأكل أكلا . وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها . لأنك يوم تأكل منها موتا تموت .

وقال الرب الاله : ليس جيدا أن يكون آدم وحده . فأصنع له معينا نظيره ..

أوقع الرب الاله سباتا على آدم فنام . فأخذ واحدا من أضلاعه وملأ مكانها لحما . وبنى الرب الاله الضلع التى اخذها من آدم امرأة واحضرها الى آدم .

فقال آدم : هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى . هذه تدعى امرأة لأنها من امرء أخذت .. وكان كلاهما عريانين آدم وامرأته وهما لا يخجلان .

وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التى عملها الرب الاله . فقالت للمرأة : أحقا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة ؟!

فقالت المرأة للحية : من ثمر الجنة نأكل . وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة فقال الله : لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا .

فقالت الحية للمرأة لن تموتا . بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه ، تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر ..

فأخذت من ثمرها وأكلت . واعطت رجلها ايضا معها فأكل . فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان ..

وسمعا صوت الاله ماشيا فى الجنة عند هبوب ريح النهار . فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الاله فى وسط شجر الجنة . فنادى

الرب الاله آدم وقال له : أين أنت ؟ . فقال : سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فاختبأت . فقال : من أعلمك أنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها ؟

فقال آدم : المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت .

فقال الرب الاله للمرأة : ما هذا الذى فعلت ؟!

فقالت المرأة : الحية غرتنى فأكلت .

فقال الرب الاله للحيـــة : لأنك فعلت هـــذا ، ملعونة أنت من جميع البهائم ... على بطنك تسعين وترابا تأكلين كل أيام حياتك ..

وقال للمرأة : تكثيرا أكثر أتعـاب حبلك . بالوجـع تلدين أولادا . والى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك .

وقال لآدم : لأنك سمعت لقول امرأتك .. ملعونة الأرض بسببك . بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك .. بعرق وجهـك تأكل خبزا حتى تعود الى الأرض التى أخذت منها . لأنك تراب والى تراب تعود ..

وقال الرب الاله : هو ذا الانســان قد صار كواحـد منا عارفا الخير والشر . والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا الى الأبد . فأخرجه الرب الاله من جنة عدن ليعمل الأرض التى أخذ منها — تكوين ٢ : ١٥ — ٢٥ ، ٣ : ١ — ٢٤ » .

ان قصة الخلق ، على هذه الصورة ، تثير كثيرا من التساؤلات ...

ونورد هنا بعض الأقوال التى جاءت تعليقا على قصة خلق السموات والأرض والانسان فى أسـفار الشريعة الخمســة نقلا عن الترجمـة الفرنسية المسكونية . فالعلماء يعتقدون أن تأليف هذا السفر استغرق عدة أجيال ، وأن مؤلفيه قد اقتبسوا من روايات وتقاليد كثيرة كانت متداولة فى منطقة الشرق الأدنى القديم . فهم يقولون فى المدخل الى سفر التكوين : « لا بد من التذكر بأن سفر التكوين لم يؤلف دفعة واحدة ، بل جاء نتيجة عمل أدبى استمر عدة أجيال ..

لم يتردد مؤلفو الكتاب المقدس ، وهم يروون بداية العالم والبشرية ، أن يستقوا معلوماتهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من تقاليد الشرق الأدنى القديم ، ولا سيما من تقاليد ما بين النهرين ومصر والمنطقة الفينيقية الكنعانية . فالاكتشافات الأثرية منذ نحو قرن تدل على وجود كثير من الأمور المشتركة بين الصفحات الأولى من سفر التكوين وبين بعض النصوص الغنائية والحكمية الخاصة بسومر وبابل وطيبة وأوغاريت .. لكن علم الآثار يدل أيضا على أن المؤلفين الذين أعادوا النظر فى الفصول الأولى من سفر التكوين وأضفوا عليها اللمسات الأخيرة لم يكونوا مجرد مقلدين عميان ، بل أحسنوا اعادة معالجة المصادر المتوفرة بين أيديهم ..

بديهى أن المقارنة بين نص الكتاب المقدس والروايات المتعلقة ببداية العالم أو بأبطال العصور القديمة لا تخلو من الفائدة فى نظر قارىء الكتاب المقدس . فهناك كثير من الشواهد عن الماضى الأدبى فى الشرق الأدنى القديم ، نذكر منها الرواية البابلية عن خلق العالم عن يد الاله مزدوك ومغامرات جلجامش البطل ..

وضعت روايات الآباء فى زمن يبعد كثيرا عن الأحداث العائدة اليها)).

*

ثم يقول العلماء تعليقا على بعض فقرات خلق آدم وحواء وطردهما من الجنة :

ــ يبدو أن مصدر رواية خلق المرأة (٢ : ١٨ ــ ٢٤) هو تقليد مستقل . فكلمة انسان فى الآية ١٦ تدل على الرجل والمرأة ، كما هو الحال فى ٣ : ٢٤ ، ٣ : ١ ــ ٣ الذى يتبع ٢ : ١٧ يقتضى أن تكون الوصية (بعدم الأكل من الشجرة) قد فرضت على الرجل والمرأة ..

ـ يقع الحكم على المذنبين الأولين (آدم وحواء) فى نشـاطاتهما الأساسـية ..

ـ **فالمرأة لا تكون شريكة الرجل ، ولا تساويه (٢ : ١٨ ـ ٢٤) ، بل تمسى فتنة الرجل ، وهو يستعبدها لتلد له الأولاد ..**

ـ تصدر شجرة الحياة عن تقليـد مواز لتقليد شـجرة المعرفة (بالخير والشر) .

ـ **الانسان قابل للموت بطبيعته** (راجع الآية ١٩ : بعرق وجهك تأكل خبزا حتى تعود الى الأرض التى أخذت منها ، لأنك تراب والى تراب تعود) لكنه يطمح الى الخلود الذى سيحصل عليه فى آخر الأمر » .

*

من الواضح الآن ، أن ما ذكره علماء الكتاب المقدس خاصا بسفر التكوين وما جاء فيه من روايات خلق السموات والأرض والانسـان وخطيئته الأولى ، قد وضع مصداقية هذه الروايات موضع تساؤل ، وليس هذا هو بيت القصيد ، اذ أن هناك كثيرا من الروايات الأخرى لها نفس القدر من المصداقية ، لكن خطورة ما جاء فى رواية الخطيئة الأولى وطرد الانسان بسببها من الجنة ، أنه استمر حتى اليوم يلهب الفكر الاسرائيلى لمدة تزيد عن اثنين وثلاثين قرنا ، ثم الفكر المسيحى لمدة تقرب من عشرين قرنا ، بمفاهيم عن المرأة ، تبين الآن أن مصداقيتها موضع تساؤل .

فالمرأة ، وفق ما سـبق بيانه ، هى المسئولة عن الخطيئة الأولى وما ترتب عليها من شقاء للبشرية . **فالمرأة شيطان الرجل ...**

ولهـذا جـاء عقابها مضاعفا : فمتاعب حبلهـا كثيرة ، وولادتها بالوجع ...

وهنا يلح سؤال : ان اناث الحيوانات تحمل وتلد بمتاعب وأوجاع كثيرة ، فهل يحدث لها ذلك بسبب خطيئة ارتكبتها جداتها فى الأزل ؟! ...

ان عقاب المرأة لم يقتصر على آلام الحمل والولادة ، ولا على

متاعب الحياة الأخرى التى تشترك فيها مع الرجل ، بل تعداه الى تسلط الرجل عليها ، فهو سيدها » وفق نص الكتاب المقدس » وهى « لا تكون شريكة الرجل » ولا تساويه ، بل تمسى فتنة الرجل ، وهو يستعبدها لتلد له الأولاد » » وفق نص علماء الكتاب المقدس .

**

● زوجة العبد وأولادها ملك لسيده :

« اذا اشتريت عبدا عبرانيا ، فست سنين يخدم وفى السابعة يخرج حرا مجانا .. ان أعطاه سيده امرأة وولدت له بنين أو بنات ، فالمرأة وأولادها يكونون لسيده ، وهو يخرج وحده .

ولكن ان قال العبد : أحب سيدى وامرأتى وأولادى » لا أخرج حرا ، يقدمه سيده الى الله .. ويثقب سيده اذنه بالمثقب » فيخدمه الى الأبد ـ خروج ٢١ : ٢ ـ ٦ » .

*

● المرأة تباع وتشترى :

« اذا باع رجل ابنته امة ، لا تخرج كما يخرج العبيد ـ خروج ٢١ : ٧ » .

« قال بوعز للشيوخ ولجميع الشعب : أنتم شهود اليوم قد اشتريت كل ما لأليمالك .... وكذا راعوث الموآبية ، امرأة محلون قد اشتريتها لى امرأة ـ راعوث ٤ : ٩ ـ ١٠ » .

وراعوث هذه جدة داود .

●

● نجاسة ولادة الأنثى ضعف نجاسة ولادة الذكر :

اذا حبلت امرأة وولدت ذكرا ، تكون نجسة سبعة أيام .. ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يوما فى دم تطهيرها .

وان ولدت انثى ، تكون نجسة أسبوعين .. ثم تقيم ستة وستين يوما فى دم تطهيرها ـ لاويين ١٢ : ١ ـ ٥ » .

●

● **الميراث للذكور فقط :**

« اذا كان لرجل امرأتان : احداهما محبوبة والأخرى مكروهة ، فولدتا له بنين ، المحبوبة والمكروهة . فان كان الابن البكر للمكروهة ، فيوم يقسم لبنيه ما كان له ، لا يحل له أن يقدم ابن المحبوبة بكرا على ابن المكروهة البكر . بل يعرف ابن المكروهة بكرا ليعطيه نصيب اثنين من كل ما يوجد عنده لأنه هو أول قدرته ، له حق البكورية ـ تثنية ٢١ : ١٥ ـ ١٧ » .

● **ولا ترث الاناث الا عند فقد الذكور :**

«تقدمت بنات صلفحاد ....ووقفن أمام موسى.... قائلات : أبونا مات فى البرية .. ولم يكن له بنون . لماذا يحذف اسم أبينا من بين عشيرته لانه ليس له ابن !! أعطنا ملكا بين اخوة أبينا . فقدم موسى دعواهن أمام الرب .

فكلم الرب موسى قائلا : بحق تكلمت بنات صلفحاد ، فتعطيهن ملك نصيب بين اخوة أبيهن ، وتنقل نصيب ابيهن اليهن .

وتكلم بنى اسرائيل قائلا : أيما رجل مات وليس له ابن ، تنقلون ملكه الى ابنته . وان لم يكن له ابنة ، تعطون ملكه لاخوته . وان لم يكن له اخوة ، تعطون ملكه لاخوة ابيه . وان لم يكن لأبيه اخوة ، تعطوا ملكه لنسيبه الأقرب اليه من عشيرته فيرثه .

فصارت لبنى اسرائيل فريضة قضاء ، كما أمر الرب موسى ـ عدد ٢٧ : ١ ـ ١١ » وهكذا يتحول الميراث الى الذكور فقط ، اذا لم يوجد للميت ابنة ترثه .

●

● **عقوبات خاصة بالنساء فقط :**

قطع اليد : « اذا تخاصم رجلان بعضهما بعضا ، رجل وأخوه ، وتقدمت امرأة أحدهما لكى تخلص رجلها من يد ضاربه ومدت يدها وأمسكت بعورته ، **فاقطع يدها ولا تشفق عينك** ــ تثنية ٢٥ : ١١ ــ ١٢ » .

الاحراق بالنار : « اذا تدنست ابنة كاهن بالزنا ، فقد دنست أباها . **بالنار تحرق** ــ لاويين ٢١ : ٩ » .

**

ومن هذا المنطلق الفكرى الخاص بمسئولية المرأة عن الخطيئة الأولى ، وجلبها المتاعب للجنس البشرى ، وضرورة تسلط الرجل عليها « واستعبادها لتلد له الأولاد » ، فقد ترجم هذا الفكر الى قوانين تحكم أحوال الأسرة ، مثلما جاء فى كتاب : **الأحكام العبرية** ، ونذكر منها :

● **فى الزواج والطلاق والانفاق :**

ــ المادة ٤٠٢ : « ما أسعد من رزقه الله ذكورا ، **وما اسوا حظ من لم يرزق بغير الاناث** . نعم ، لا ينكر لزوم الاناث للتناسل ، الا أن **الذرية كالتجارة** سواء بسواء . فالجلد والعطر كلاهما لازم للناس الا أن النفس تميل الى رائحة العطر الزكية وتكره رائحة الجلد الخبيثة . فهل يقاس الجلد بالعطر » !!

ــ المادة ٤٠٧ : « اذا لم تدخل الزوجة على زوجها بمال على ذمة الزوجية ، فلا يكلف الزوج بأن ينفق عليها فى غير الحاجيات اللازمة التى لا بد منها . أما اذا دخلت عليه بمال ، فيجب عليه التوسع فى النفقة بقدر حاله » .

ــ المادة ٤١٣ : « سلطة الزوج على الزوجة فى أمر التربية

وتعليم أمور الدين والدنيا مطلقة لا حدود لها ، فعليه أن يستعملها فى محلها مع الحكمة والاعتدال » .

ــ المادة ٤١٤ : « متى خرجت الزوجة من بيت أهلها ودخلت بيت زوجها ، صار له عليها حق الطاعة التامة والامتثال الكلى فى جميع ما يامرها به . فعليها ألا تخالفه فى شىء مما يطلبه منها ،بل تمتثل له كما تمتثل الجارية لسيدها » .

ــ المادة ٤١٨ : « مهما بلغت ثروة الزوجة ومهما كان مقدار المال الذى دخلت به للاعانة على حوائج الزوجية ، فانه يجب عليها القيام بالأعمال اللازمة لبيتها صغيرة كانت الأعمال أو كبيرة ، لأن البطالة تؤدى الى فساد الأخلاق . وليس لها مفارقة زوجها لأى سبب كان حتى لو اصيب بعجز او صار مقعدا ، واحتاج للسؤال لأجل النفقة عليها » .

ــ المادة ٤١٩ : « جميع مال الزوجة ملك لزوجها ، وليس لها سوى ما فرض لها من المهر فى عقد الزواج تطالب به بعد موته ، أو عند الطلاق اذا وقعت الفرقة . فكل ما دخلت به من المال على ذمة الزوجية ، وكل ما تلتقطه ، وكل ما تكسبه من سعى وعمل ، وكل ما يهدى اليها فى عرسها ، ملك حلال لزوجها يتصرف فيه كيف شاء ، بدون معارض ولا منازع » .

ــ المادة ٤٢٦ : « اذا ماتت الزوجة ولم تعقب ذرية من الأولاد ، فزوجها وارثها الشرعى » .

ــ المادة ٤٢٨ : « الأسباب التى يحل معها الطلاق ، ثلاثة : الزنا ، والعقم ، وعيوب الخلقة وعيوب الخلق » .

ــ المادة ٤٢٩ : « يحل للرجل أن يطلق زوجته اذا اشيع عنها الزنا ولو لم يثبت عليها الزنا فعلا . كما يحل له طلاقها اذا اتضح له بعد الزواج أنها كانت سيئة السلوك » .

ـ المادة ٤٣٠ : « يجب على من لم يرزق من زوجته بذرية بعد معاشرتها عشر سنوات ، أن يفارقها ويتزوج غيرها » .

ـ المادة ٤٣٣ : « ليس للمراة أن تطلب الطلاق مهما كانت عيوب زوجها حتى ولو ثبت عليه الزنا » .

ـ المادة ٤٣٤ : « متى نوى الزوج الطلاق حرمت عليه معاشرة زوجته . فبمجرد عزمه على مفارقتها وجب عليه الاسراع الى طلاقها » .

*

● فى الميراث :

ـ المادة ٣١٣ : « اذا لم يكن للميت ولد ذكر فميراثه لابن أخيه ، وان لم يكن له ابن ابن فالميراث للبنت . وان لم يكن له بنت فالميراث لأولاد البنت ، واذا لم يكن له حفدة فلأولاد أولادهم الذكور . واذا لم يكن له أولاد حفدة من الذكور فالميراث لبنات الحفدة » .

ـ المادة ٣١٥ : « اذا لم يعقب الميت ذرية ولا نسلا من ذكر أو أنثى ، أولادا أو حفدة ، أو من نسلهم ذكورا أو اناثا ، فميراثه لأصوله . وأحق الأصول بميراث الميت ابوه وله كل التركة ، واذا لم يكن له أب ، فجده ثم أصوله من أبيه » .

* *

أما بعد ...

ان نصوص « الكتاب » و « الأحكام » تنطق بحقيقة مكانة المرأة فى اليهودية ، ولا حاجة بنا الى تعليق ...

* * *

مكانـــة المرأة في المســيحية

■ تمهيـــد :

يقول مايكل هارت في كتـــابه : المـائة : أعظم النـاس أثرا في التاريخ ، عند الكلام عن المسيح : أن « المسيحية لم يؤسسها شخص واحد ، وانما أقامها اثنان : المسيح والقديس بولس . ولذلك يجب أن يتقاسم شرف انشائها هذان الرجلان .

فالمسيح قد أرسى المبادىء الأخلاقية للمســيحية ، وكذلك نظرتها الروحية وكل ما يتعلق بالسلوك الانساني . أما مبادىء اللاهوت فهي من صنع القديس بولس . فالمسيح هو صاحب الرســالة الروحيــة ، ولكن القديس بولس أضاف اليها عبادة المسيح . كما أن القديس بولس هو الذي ألف جانبـــا كبيرا من العهد الجديد ، وكان المبشر الأول للمسيحية في القرن الأول للميلاد ..

ولهذه الأسباب ، فان عـددا من الباحثين يرون أن مؤسس هــذه الديانة المسيحية هو القديس بولس وليس السيد المسيح ..

وليس من المنطق في شيء أن يكون السيد المسيح نفسه مسئولا عن الذي أضافته الكنيسة أو رجالها الى الديانة المسـيحية . فكثير ممـا أضافوه يتنافى مع تعاليم المسيح نفسه ..

واذا كانت العلوم تطورت في العالم الغربي المسيحي ، فليس من المنطق أن يقال ان المسيحية هي المسئولة عن نهضة العلوم في العشرين قرنا المـاضية . فلم نجـد في شروح رجال الدين المسيحي من يقول ان المسيحية تدعو الى التأمل في الكون أو الدعوة الى التفكير العلمي . ومن المؤكد أن تحول الامبراطورية الرومانية الى المسيحية ، قد صاحبه

فى نفس الوقت انحطاط رهيب المستوى للتكنولوجيا والاهتمام بالعلم .. ولم يكن ليسوع أى دور سياسى فى حياته . ولا كان للمسيحية أثر سياسى .. والحقيقة أن (مبادئه) لم تلق رواجا واسعا بين الناس ، ولا حتى هى مقبولة عند الناس .. فأكثر المسيحيين يرون أن الدعوة لأن : تحب أعداءنا ، اسراف فى المثالية لا يمكن تطبيقه الا فى عالم خيالى . ونحن عادة لا نطبق هذا المبدأ ، ولا نتوقع من الآخرين أن يفعلوا ذلك . ولا حتى ننصح أطفالنا أن يمشوا على هداه . وكذلك معظم تعاليم السيد المسيح ظلت محيرة » .

ويقول مايكل هارت عن بولس : ان « القديس بولس لم يتزوج » بل لم يقرب امرأة . وكان له رأى فى المرأة والجنس والزواج ، وهذا الرأى قد ترك اثرا عميقا فى الفكر الأوربى . يقول فى رسالته الأولى الى أهل كورنثوس : أقول لغير المتزوجين وللأرامل : انه خير لهم أن يبقوا مثلى ..

ويقول فى رسالته الى تيموثاوس : ان على المرأة أن تتعلم فى سكون وخضوع ، ولا أسمح لها بأن تتسلط على الرجل . فآدم قد خلقه الله قبل حواء .

والقديس بولس انما يردد أفكارا شائعة فى زمانه . ولكن السيد المسيح لم يكن يبشر بشىء من هذا الذى قاله بولس الرسول ..

وبولس الرسول هذا هو المسئول الأول عن تحويل الديانة المسيحية من مجرد طائفة يهودية الى ديانة كبرى . وهو المسئول الأول عن تأليه المسيح . بل ان بعض فلاسفة المسيحية يرون انه هو الذى أقام المسيحية ، وليس المسيح » .

*

بين مسيحية بولس ومسيحية المســيح

لقد كان ما قدمناه عرضا اجماليا ، فحواه أن هنــاك مســيحيتان مختلفتــان همــا : مسيحية المسيح ، ومسيحية بولس . فلننظر الآن فى محتوى كل منهما فيما يتعلق بعدد محدود من المعتقدات الأســاســية التى كان لها أعمق الأثر فى السلوك المســيحى عبر القرون ، وخاصــة فيما يتعلق بالمرأة .

١ ـ الخطيئة الأصلية :

اعتقد بولس أن حواء هى التى أخطأت أولا ، ثم أغوت آدم فانقاد وراءها وأخطأ ثانيا ((١) تيموثاوس ٢ : ١٢ ــ ١٤) ، وبناء على هــذه الفرضية وضع بولس نظريته فى الخطيئة الأصلية ، أو ما يقال له خطيئة آدم المتوارثة . فهو يقول : « بانســان واحــد دخلت الخطيــة الى العالم وبالخطية الموت . وهكذا اجتاز الموت الى جميع الناس ، اذ اخطأ الجميع ــ رومية ٥ : ١٢ » .

وفى هذا يقول وليم باركلى : « لقد كان كل الناس ، حسب تفكير بولس ، متورطين فى خطيئة آدم . فهذا هو لب الاصحاح الخامس من رســالته الى أهل رومية .. ان هذا القول بالنسبة لنا يعتبر جــدلا غريبا ، لكنه يتفق مع تفكير اليهــودى الذى كان يعتقــد تماما بفكرة التضــامن »(١) .

ويقول تشارلز دود : كيف جاءت الخطيئــة الى الطبيعة البشرية هذا سؤال لا يعطى عنه بولس اجابة كافية .

---

(١) W . Barclay : The Mind of St. Paul, p. 138 .

فهو تارة يرجع ذلك الى خطيئة تاريخية ارتكبها جد الانسانية فى غابر الزمان .. لكنا نجد بولس فى بعض الفقرات ، يقترح مصادر أخرى لخطيئة البشر . فقد كانت خلفية عالمه المعاصر تعتقد بوجود حكام العالم ، من الأرواح الجوهرية (القوى الخفية) التى لها بعض العلاقات الخاصة بالعالم المادى ..

واذا كان القول بتناقل البشر خطيئة آدم يمثل تعليما يهوديا ، فان القول بنظرية الأرواح الجوهرية يأتى بالأحرى من الأفكار الاغريقية . ولو أن أيا منها لا يقنعنا بشىء »(1) .

ويمضى بولس الى أبعد من ذلك ، اذ يجعل الخطيئة سببا للموت الطبيعى . يقول باركلى : « لقد رأى بولس أن الخطية لم تحدث موتا روحيا وأخلاقيا فحسب ، بل احدثت كذلك الموت الجسدى . لقد جاء الموت الى العالم مع مجىء الخطية (اجتاز الموت الى جميع الناس ـ رومية ٥ : ١٢) ، وأن الخطية قادت الى الموت (ملكت الخطية فى الموت ـ ٥ : ٢١) ، وأن أجرة الخطية هى الموت ـ ٦ : ٢٣) . أى أنه عن طريق الخطية وبسببها ، دخل الموت الى العالم . فالخطية تهدم الحياة الروحية والأخلاقية والجسدية »(2) .

*

ان قول بولس بأن الخطيئة قادت الى الموت الجسدى ، ينقضه تماما الآتى :

١ ـ تقول قصة الخلق الأول ، ان الجنة التى وضع فيها آدم ، كان بها شجرتان هما : شجرة الحياة ، وشجرة معرفة الخير والشر : « وغرس الرب الاله جنة عدن شرقا . ووضع هناك آدم الذى جبله . وأنبت الرب الاله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل .

---

(1) C. Dodd : The Meaning of Paul for Today, pp. 62 - 63.

(2) W. Barclay : The Mind of St. Paul, p. 142.

وشجرة الحياة فى وسط الجنة ، وشجرة معرفة الخير والشر — تكوين ٢ : ٨ — ٩ »

وكان أمر الله الى آدم : « من جميع شجر الجنة تأكل أكلا ، واما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها » .

وبعد أن عصى آدم وزوجه وأكلا من شجرة معرفة الخير والشر ، « قال الرب الاله : هوذا الانسان قد صار كواحد منا ، عارفا الخير والشر .

والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة ايضا ويأكل ويحيا الى الأبد . فأخرجه الرب الاله من جنة عدن ليعمل الأرض التى أخذ منها — تكوين ٣ : ٢٢ » .

ان هذا النص واضح فى أن الانسان الأول ، رغم ارتكابه الخطيئة الأولى ، قد كان من الممكن أن يحيا الى الأبد ، أى لا يذوق الموت أبدا ، وذلك بأن يأكل من شجرة الحياة . ولما كان الرب قد أخضعه أصلا لسلطان الموت ، مثلما أخضع الكائنات الحية الأخرى التى خلقت قبله لسلطان الموت — من نبات وحيوان وطيور ، فى البر والبحر والجو ، فقد طرده من الجنة حتى لا يأكل من شجرة الحياة ويحيا الى الأبد . فلا علاقة ، اذن ، بين الخطيئة والموت الجسدى أو الموت الطبيعى .

٢ — تقول كتب الشريعة الخمسة فى بيان معنى قول الرب : والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا الى الأبد » ان : « الانسان قابل للموت بطبيعته (راجع الآية ١٩) » .

والآية المشار اليها هى التى تقول : « بعرق وجهك تأكل خبزا حتى تعود الى الأرض التى أخذت منها . لأنك تراب والى تراب تعود » .

فالموت الطبيعى قضاء على الانسان ، سواء أخطأ أو لم يخطىء . ذلك هو الناموس العام . واذا كانت هناك حالات خاصة ، فانها

لا تعتبر مقياسا يحكم كل الناس ، فخبرات الحياة تقطع بوجود مثل هذه الحالات فى شتى المجالات .

فالكتاب المقدس يتحدث عن أبرار من ذرية آدم وحواء ولدوا قبل المسيح بآلاف السنين ورضى الله عنهم ونقلهم الى الأبدية دون أن يذوقوا الموت :

« سار أخنوخ (ادريس) مع الله ، ولم يوجد لان الله أخذه ــ تكوين ٥ : ٢٤ » .

وتحدث عنه كاتب الرسالة الى العبرانيين ، فقال :

« بالايمان نقل اخنوخ لكى لا يرى الموت ، ولم يوجد لأن الله نقله ، اذ قبل نقله شهد له بأنه قد أرضى الله ــ عبرانيين ١١ : ٥ » .

٣ ــ يقول الكتاب المقدس ان هناك من خلق الله من أخطأ ، لكن الله لم يقض عليه بالموت ، لأن طبيعته ألا يموت ، انما عذبه الى الأبد . وهؤلاء الذين أخطأوا ، أسماهم الكتاب المقدس ، ملائكة ، وقال فيهم بطرس : « الله لم يشفق على ملائكة قد أخطأوا ، بل فى سلاسل الظلام طرحهم فى جهنم ، وسلمهم محروسين للقضاء ــ (٢) بطرس ٢ : ٤ » .

وقال فيهم يهوذا ، أخو المسيح الذى ذكره متى فى ١٣ : ٥٥ ، ان « الملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم ، بل تركوا مسكنهم ، حفظهم الى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام ــ يهوذا : ٦ » .

فهؤلاء رغم أنهم أخطأوا ، الا أنهم لم يموتوا موتا يناسب طبيعتهم غير المادية ، مثل تحلل طاقتهم وفنائها ، لأنهم ملائكة ، يقول فى مثلهم الانجيل : « لا يستطيعون ان يموتوا أيضا ، لانهم مثل الملائكة ــ لوقا ٢٠ : ٣٦ » .

وجدير بالذكر أن خطيئة هؤلاء الملائكة ، الذين دعاهم الكتاب المقدس أبناء الله ، كانت ــ كما تقول حاشية العهد الجديد للكاثوليك ــ أنهم : « استسلموا للفجور (سفر التكوين ٦ : ١ ــ ٢) » .

وهذه الفقرة ، هى التى تتحدث عن غواية النساء الجميلات (بنات

الناس) لأبناء الله (الملائكة) ، وتولد عن ذلك الزنا جيل من الجبابرة ، فهى تقول : « وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات ، أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات . فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا .. بعد ذلك أيضا اذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادا . هؤلاء هم الجبابرة » .

وتقول كتب الشريعة الخمسة تعليقا على هـذه الفقرة ، ان « اليهودية اللاحقة ، وجميع المؤلفين المسيحيين الأولين تقريبا ، رأوا فى (بنو الله) ــ ابناء الله ــ هؤلاء ملائكة مذنبين » .

فمما سبق ، وغيره كثير ، يتبين أنه لا صحة على الاطلاق للقول بأن الخطيئة قادت الى الموت الجسدى .

*

لقد جاءت هذه التعاليم فى مسيحية بولس ،اما مسيحية المسيح ، فقد خلت من كل حديث عن خطيئة آدم الأولى وتعدى حواء ، والزعم بأنها خطيئة متوارثة علقت بالذرية دونما فكاك .

لقد تكلم المسيح فى موعظة الجبل ، وفى غيرها ، عن : الذنوب ، والمذنبين ، وغفران الزلات (متى ٦ : ١٢ ــ ١٥) .

وحدد المسيح الخطايا والنجاسات التى تلوث الانسان بأنهـا : « أفكار شريرة ، قتل ، زنا ، فسق ، سرقه ، شهادة زور ، تجديف . هذه هى التى تنجس الانسان ــ متى ١٥ : ١٩ ــ ٢٠ » .

ومن الناس ، فى كل زمان ومكان ، وفى أيام المسيح ، من اشتهر بارتكاب هذه الخطايا ، ومن ثم عرفوا بالخطاة أو المذنبين . ولقد عاب الفريسيون على المسيح مخالطته أولئك الخطاة ، فقالوا لتلاميـذه : « لمـاذا يأكل معلمكم مع العشارين والخطاة ؟!

فلما سمع يسوع قال لهم : لا يحتاج الأصحاء الى طبيب ، بل المرضى .. لأنى لم آت لأدعو أبرارا ، بل خطاة الى التوبة ـ متى ٩ : ١١ ـ ١٣ » .

لقد كان هؤلاء الخطاة جزءا من بنى آدم ، درجوا على ارتكاب المحرمات المعروفة لدى البشر ، وكان الأبرار . جزءا آخر من بنى آدم حفظوا أنفسهم من تلك الخطايا ، فنجوا . ولا علاقة لهؤلاء وهؤلاء بخطيئة آدم ، اذ لو كانت متوارثة حقا ، حسب نظرية بولس ، لكان الجميع خطاة فى نظر المسيح . وهذا ما لا يستطيع اى مكابر ان يزعمه .

هذا ، وتقول الراهبة كارن ارمسترونج : « من الواضح أن معتقد الخطيئة الأصلية شيء جوهرى فى المسيحية حسبما نفهمها الآن ، ومع ذلك فانه لم يظهر فى شكله النهائى قبل القرن الرابع . ان المسيح لم يتكلم ابدا فى الأناجيل ، ولو مرة واحدة ، عن خطيئة آدم ، أو عن تأثيرات الخطيئة الأصلية فى كل واحد منا . ولعله قد يروعه هذا المعتقد ، حسبما تعلمناه . لقد كان المسيح ، بالطبع ، يهوديا ، ورغم أن سفر التكوين كتاب يهودى ، فلا يوجد مثل هذا المعتقد ـ معتقد الخطيئة الأصلية ـ فى اليهودية . انه اختراع مسيحى بكل معنى الكلمة ..

ان الخطيئة فى اليهودية شيء مختلف عنها فى المسيحية ، فهى فى اليهودية ليست تدميرا كليا . فبالرغم من أن الله يعاقب اليهود ، فى العهد القديم ، عندما يخطئون ، فانه سوف يعفو عنهم دائما . فلا يوجد على الاطلاق أى فكرة تقول بأن كل الناس يرثون خطيئة متأصلة فى طبيعتهم ، تحكم عليهم بالخلود أبدا فى عذاب جهنم الا اذا أرسل الله مخلصا لهم . فمن المؤكد أنه فى أيام المسيح ، كان بعض اليهود ينتظرون مسيا ، لكن لم يوجد أى يهودى ينتظر المسيا (الذى يرفع خطايا العالم) .

لهذا . فان معتقد الخطيئة الأصلية . انما هو من اختراع المسيحية ، ولقد كان له أعمق الأثر فى الفكر الغربى . فهو يعلمنـا أن طبيعتنا شر ميئوس منها ، وقد جعل الدين ، بالنسبة لكثير من الناس ، عملا لا أمل فيه: فهو معركة الشعور بالاثم مع نفس تظهر أنها ترفض الخلاص . ورعب من جهنم ، وأخيرا ــ فانه بسبب الطريقة التى صنع بها هذا المعتقد ــ فهو خوف من الجنس وكراهية للنساء .

لقد كان القديس بولس هو الذى ورثنا معتقد الخطيئة الأصـلية فى المسيحية »(1) .

* *

٢ ــ الالتزام بالناموس :

أكد المسيح على ضرورة الالتزام بالناموس فى كل حين ، كما رأينا سلفا ، فى مثل قوله : « زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس ــ لوقا ١٦ : ١٧ »

ولمـا كان الناموس يقول :« اذكر يوم السبت لتقدسه . ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك . وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب الهك . لا تصنع عملا ما ــ خروج ٢٠ : ٨ ــ ١٠ » .

فقد حرص المسيح على احترام هذه الوصية حتى نهاية العالم ومجىء يوم الدينونة ، فقـال : « صلـوا لكى لا يكون هربكم فى شـتاء ولا فى سبت ــ متى ٢٤ : ٢٠ » .

لم يعرف المسيح ، اذن ، يوم الأحد ، لكنه عرف يوم السبت ودعا الى تقديسه ...

---

(1) K . Armstrong : THE GOSPEL ACCORDING TO WOMAN, pp. 26 - 29.

أما بولس فقد أبطل الناموس ، وهاجمه بعنف . فكانت تعاليمه نقيضا لتعاليم المسيح . فهو يقول :

« قد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس . سقطتم من النعمـة ــ غلاطية ٥ : ٤ » .

« نعلم ان الانسان لا يتبرر بالناموس ، بل بايمان يسوع المسيح .. لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما ــ غلاطية ٢ : ١٦ » .

« جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة ..

« قـد كان الناموس مؤدبنا الى المسيح لكي تتبرر بالايمان . ولكن بعد ما جاء الايمان لسنا بعد تحت مؤدب غلاطية ٣ : ١٠ ــ ٢٥ » .

* *

٣ ــ كيفيـة الخلاص :

تقول مسيحية بولس ان مصالحة الانسـان مع الله اقتضت قتـل المسيح على الصليب : « ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه ــ روميـة ٥ : ١٠ » .

« اني لم أعزم أن اعرف شـيئا بينكم الا يسـوع المسـيح واياه مصلوبا ــ (١) كورنثوس ٢ : ٢ » .

وانتهى المطاف ببولس أن جعل المسيح لعنة !

« المسـيح افتدانا من لعنـة الناموس ، اذ صار لعنة لأجلنا . لأنه مكتوب : ملعون كل من علق على خشبة ــ غلاطية ٣ : ١٣ » .

لكن مسيحية المسيح ترفض الذبيحة البولسية ، وتؤكد أن الله يريد الرحمـة ، لا الذبيحـة ، ولو كانت ذبيحة حيـوان من عجول وتيوس ، فمال هؤلاء القـوم يريدونها ذبيحـة انسـان كان يرفض أن يمـوت ؟!

لقد قال المسيح لأولئـك المتحجرين من الفريسـيين ، أصـحاب الطقوس والذبائح : « اذهبوا وتعلموا ما هو :انى أريد رحمة لا ذبيحة ـ متى ٩ : ١٣ » .

وقال ثانية : « لو علمتم ما هو : انى أريد رحمـة لا ذبيحـة ـ متى ١٢ : ٧ » .

وهذا الذى قاله المسيح ، هو ما تعلمه من أسـفار العهد القديم ، اذ تقول : « بذبيحة وتقدمة لم تسر .. محرقة وذبيحة خطية لم تطلب مزمور ٤٠ : ٦ » .

« نجنى من الدماء يا الله .. لأنك لا تسر بذبيحة ، والا فكنت أقدمهـا . بمحرقة لا ترضى . ذبائح الله هى روح منكسرة ـ مزمور ٥١ : ١٤ ـ ١٧ » .

« ذبيحـة الأشرار مكرهة الرب . وصلاة المستقيمين مرضاته ـ أمثال ١٥ : ٨ » .

ان الأناجيل تشهد على أن فكرة قتـل المسيح ـ التى روج لهـا بولس ـ كانت غريبة تماما على تفكير المسيح ، فقد اسـتنكرها تماما وفزع منها حين أحس بالخطر يتهـدده . ونعرض بعضـا من هـذه المشـاهد :

فى جدال حاد بين المسيح واليهود ، قال لهم : « لمـاذا تطلبون ان تقتلونى .. وانا انسـان قد حدثكم بالحق الذى سمعه من الله . هذا لم يعمله ابراهيم ـ يوحنا ٧ : ١٩ ، ٨ : ٤٠ » .

وفى نهاية الفترة التى سبقت عملية القبض على ذلك الذى صلبوه ، قال المسـيح فى صـلاته لله : « وهذه هى الحياة الأبدية : أن يعرفوك أنت الاله الحقيقى وحدك ، ويسوع المسيح الذى ارسـلته .. العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته ـ يوحنا ١٧ : ٣ ـ ٤ » .

لقد اكتملت رسالة المسيح تماما قبل حادث الصلب ، فمن ذا الذى يفتى بما يخالف شهادة المسيح ؟!

وينطق كل مشـهد من مشـاهد المعاناة فى الحديقة ، أن المسيح

كان يرفض فكرة قتله رفضا تاما . فلقد أصابته حالة من الفزع والانهيار كلما تصور أن تلك ستكون نهايته :

« ابتدأ يدهش ويكتئب . فقال لهم : نفسى حزينة جدا حتى الموت .... وكان يصلى لكى تعبر عنه الساعة ان أمكن . وقال يا أبا الآب : كل شيء مستطاع لك . فأجز عنى هذه الكأس .. وصلى ثالثة قائلا ذلك الكلام بعينه ..

وظهر له ملاك من السماء يقويه . واذ كان فى جهاد ، كان يصلى باشد لجاجة ، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض — مرقس ١٤ : ٣٣ — ٣٦ ، لوقا ٢٢ : ٤٣ — ٤٤ » .

وأخيرا ، فان ذلك الذى قبضوا عليه وصلبوه ، كان يرجوهم حتى آخر لحظة ، أن يطلقوه ولا يقتلوه :

« اجتمعت مشيخة الشعب ورؤساء الكهنة والكتبة وأصعدوه الى مجمعهم قائلين : ان كنت أنت المسيح فقل لنا .

فقال لهم : ان قلت لكم لا تصدقون . وان سألت لا تجيبوننى ولا تطلقوننى — لوقا ٢٢ : ٦٦ — ٦٨ » .

من ذا الذى يجرؤ — اذن — على القول بأن المسيح جاء ليبذل نفسه طواعية ، فداء لخطايا البشر ؟!

*

نحن الآن أمام مسيحيتان : مسيحية المسيح التى تستقى أساسا من الأناجيل ، ومسيحية بولس التى سطرها فى رسائله ، ولا عجب فى ذلك . فتلك حقيقة مرة يعترف بها علماء المسيحية حين يقولون : « ان العهد الجديد كتاب غير متجانس ، ذلك أنه شتات مجمع . فهو لا يمثل وجهة نظر واحدة تسوده من أوله الى آخره ، لكنه فى الواقع يمثل وجهات نظر مختلفة »(١) .

فعلينا الآن أن ننظر مكانة المرأة فى كل من هاتين المسيحيتين .

**

---

(١) F. Grant : THE GOSPELS, p. 15.

المـرأة فى مسـيحية المسـيح

● **مواقف المسيح مع المرأة :**

كان المسيح رحيما بالمرضى ، فشـفى بأمر الله كثيرا من الأمراض والعاهات . يستوى فى ذلك الرجال والنساء . فشفى من النسـاء حماة بطرس (متى ٨ : ١٤ ــ ١٥) ، « وامرأة نازفة دم منـذ اثنتى عشرة سنة .. قالت فى نفسها : ان مسست ثوبه فقط شفيت . فالتفت يسوع وأبصرها فقال : ثقى يا ابنة . ايمانك قد شفاك . فشفيت المرأة من تلك الساعة ــ متى ٩ : ٢٠ ــ ٢٢ » .

« وكان يسـير فى مدينـة وقرية يكرز ويبشر بملكوت الله ومعه الاثنا عشر وبعض النسـاء كن قد شفين من أرواح شريرة وأمراض . مريم المجدلية التى خرج منها سبعة شياطين . ويونا امرأة خوزى وكيل هيرودس . وسـوسنة وأخـر كثيرات ، كن يخدمنه من اموالهن ــ لوقا ٧ : ١ ــ ٣ » .

وكما شفى النساء ، فقد شفى الرجال : « وفيما هو خارج من أريحا مع تلاميذه .. كان بارتيماوس الأعمى .. جالسا على الطريق .. فلما سـمع أنه يسـوع الناصرى ، ابتدأ يصرخ ويقول : يا يسوع ابن داود ارحمنى ..

فقال يسوع : اذهب . ايمانك قد شفاك . فللوقت أبصر وتبـع يسوع فى الطريق ــ مرقس ١٠ : ٤٦ ــ ٥٢ » . « وكان يسوع يطوف المدن كلهـا والقرى ويعلم فى مجامعها ويكرز ببشـارة الملكوت ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب . ولمـا رأى الجموع تحنن عليهم . اذ كانوا منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعى لها ــ متى ٩ : ٣٦ ــ ٣٩ » .

وفى كل هذا ، وغيره من الآيات التى صنعها المسيح ، كان يعلمهم أنه شـخصيا ليس له فضـل فى ذلك ، انما الفضـل كله لله . فكثيرا ما قال لهم « أنا لا أقدر أن افعل من نفسى شيئاً ــ يوحنا ٥ : ٣٠ » .

وكان ذلك هو ما علم به بطرس ، رئيس التلاميذ ، فقال على الملأ : « أيها الرجال الاسرائيليون ، اسمعوا هذه الأقوال : يسوع الناصرى رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات ،صنعها الله بيده فى وسطكم كما أنتم أيضا تعلمون ــ أعمال الرسل ٢ : ٢٢ » .

*

واذا كان المفترض أن يحب المسيح أصدقاءه وأعداءه على السواء ، وفق تعاليمه التى قال فيها : « أحبوا أعداءكم » ، فقد كان هنــاك بعضا من تابعيه ، ممن ميزه الانجيل بحب خاص ، يستوى فى ذلك الرجــال والنســاء . فقد « كان يسوع يحب موثا واختها (مريم) ولعازر ــ يوحنا ١١ : ٥ » .

وفى العشاء الأخير ، « كان متكئا فى حضن يســوع واحــد من تلاميذه ، كان يسوع يحبه يوحنا ١٣ : ٢٣ » .

*

على أن هناك موقفين للمسيح مع النساء لهما طابع شاذ ....

١ ــ مع المراة الكنعانية :

« خرج يســوع من هناك وانصرف الى نواحى صور وصيداء . واذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم ، صرخت اليه قائلة : ارحمنى يا سيد يابن داود . ابنتى مجنونة .

فلم يجبها بكلمــة .

فتقدم تلاميذه وطلبوا اليــه قائلين : اصرفها لأنها تصيح وراءنا .

فأجاب وقال : لم ارسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة .

فأتت وسجدت له قائلة : يا سيد ، اعنى !

فأجاب وقال : ليس حسنا ان يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب .

فقالت : نعم ، يا سيد . والكلاب أيضا تأكل من الفتات الذى يسقط من مائدة أربابها .

حينئذ أجاب يسوع وقال لها : يا امرأة ، عظيم ايمانك . ليكن لك كما تريدين . فشفيت ابنتها من تلك الساعة ـ متى ١٥ : ٢١ ـ ٢٨ » .

من الواضح أن المسيح لم يكن يريد الاستجابة لتلك المرأة البائسة الملهوفة ، والتى كانت تكتوى بنيران الحسرة والألم على فلذة كبدها المجنونة ، اذ أنه « لم يجبها بكلمة » .

ولما أزعجت التلاميذ بصراخها ، طلبوا منه أن يصرفها . فعلمهم أنه لا شأن له بغير بنى اسرائيل ، فهو لم يرسل الا اليهم . ورحمته قاصرة عليهم .

ولما كانت المرأة مطحونة تحت ضغط الحاجة الملحة ، فقد كانت مستعدة أن تفعل أى شئ بحكم غريزة الأمومة ، فأذلت نفسها حتى النهاية ، حيث « سجدت له » تستصرخه العون !

لكن رد المسيح فاجأها ، اذ جعلها من زمرة الكلاب . ومن ثم كل من ليس اسرائيلى ، فهو من الكلاب ...

فأراقت المسكينة آخر نقطة من ماء الكرامة الانسانية ، وأقرت بأنها من الكلاب المحتاجة لفتات مائدة أسيادها !

وهنا ، وهنا فقط ، استجاب لها المسيح ، فشفيت الابنة بقوة ايمان الأم !

*

٢ ـ مع أمه :

« كان عرس فى قانا الجليل . وكانت أم يسوع هناك . ودعى أيضا يسوع وتلاميذه الى العرس . ولما فرغت الخمر ، قالت أم يسوع له : ليس لهم خمر .

فقال لها يسوع : ما لى ولك يا امراة ! ـ يوحنا ٢ : ١ ـ ٤ »

ان كل اسرائيلى يعلم الوصية التى تتصدر الوصايا العشر التى تلقاها موسى ، والتى تقول : « أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض ـ خروج ٢٠ : ١٢ » .

وفى صراعه مع الكتبة والفريسيين حول اختراعهم لتقاليد أبطلوا بها وصايا الله ، طمعا فى كسب مادى رخيص ، قال لهم : « لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم ؟! فان الله أوصى قائلا : أكرم أباك وامك . ومن يشتم أبا أو اما فليمت موتا ! وأما أنتم فتقولون : من قال لأبيه أو أمه قربان هو الذى تنتفع به منى . فلا يكرم أباه أو أمه .

فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم . يا مراؤون ، حسنا تنبأ عنكم النبى أشعياء قائلا : باطلا يعبدوننى وهم يعلمون تعاليم هى وصايا الناس ـ متى ١٥ : ٣ ـ ٩ » .

هل يعقل ، بعد كل هذا ، أن يكون هذا هو موقف المسيح من أمه ؟!

*

كذلك ، « فيما هو يكلم الجموع ، اذا أمه واخوته قد وقفوا خارجا طالبين أن يكلموه . فقال له واحد : هوذا امك واخوتك واقفون خارجا طالبين أن يكلموك .

فاجاب وقال للقائل له : من هى امى ، ومن هم اخوتى ؟!

ثم مد يده نحو تلاميذه وقال : ها امى واخوتى ـ متى ١٢ : ٤٦ ـ ٤٩ » وأما حسب رواية لوقا ، فانه « اجاب وقال لهم : امى واخوتى هم الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها ـ ٨ : ٢١ » .

ومرة اخرى ، نبرىء المسيح عن مثل هذه المواقف ...

* *

● تعاليم المسيح حـول المراة :

جاءت أغلب هذه التعاليم فيما ذكره متى فى موعظة الجبـل ، اذ يقول على لسان المسيح : قد سمعتم أنه قيل للقدماء : لا تزن . وأما أنا فأقول لكم : ان كل من ينظر الى امراة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه فان كانت عينك اليمنى تعثرك ، فاقلعها وألقها عنك . لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك . ولا يلقى جسدك كله فى جهنم ..

وقيل : من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق . وأما أنا فأقول لكم : ان من طلق امرأته الا لعلة الزنا يجعلها تزنى . ومن تزوج مطلقة فانه يزنى ـ متى ٥ : ٢٧ ـ ٣٢ » .

لقد أثبت الواقع استحالة الاستغناء عن الطلاق ، بدليل أن الدول المسيحية سنت قوانين تبيح الطلاق . فهـل من مصلحة المرأة المطلقـة ألا تتزوج مطلقا ؟!

هذا ، ولمـا كانت المرأة تعنى ، بالدرجة الأولى ، تكوين الأسرة ، ومن ثم بناء المجتمع الانسانى ، كان من اللازم اعطاء لمحة عن الأسرة فى المسيحية .

*

● تعاليم المسـيح والأسرة :

يقول ويلز [1] : « على الرغم من المـألوف لدى علماء الأخلاق اليوم من أن تعاليمه (المسيح) قد عززت الحيـاة السعيدة للأسرة ، فانه يصعب التوفيق بين وجهة النظر هذه والنصوص التى تشجع الناس على تحطيم اسرهم لأسباب دينية : (ان كان أحد يأتى الى ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده واخوته وأخواته حتى نفســه أيضـا ، فلا يقدر أن يكون لى تلميذا ـ لوقا ١٤ : ٢٦) .

---

(١) G We ls, The Jesus of The Early Christians. p; 57

ويصدمنا بنفس القدر انتقاص الأنجيل من شأن الحياة الزوجية :

(قال له تلاميذه : ان كان هكـذا أمر الرجل مع المرأة فلا يوافق أن يتزوج • فقال لهم : ليس الجميع يقبلون هذا الكلام بل الذين أعطى لهم• لأنه يوجـد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ويوجد خصيان خصاهم الناس • ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات • ومن استطاع أن يقبل فليقبل ـ متى ١٩ : ١٠ ـ ١٢) » •

••

المراة فى مسيحية بولس

● مواقف بولس مع المراة :

كان يوصى النســاء اللاتى خدمنه ، ويدعــو الجميع ، رجــالا ونساء ، أن يسلموا بعضهم على بعض بقبلات مقدسة . فقد كانت تلك خواتيم رســائله : « أوصى اليكم بأختنا فيبى التى هى خادمة الكنيسة التى فى كنخريا كى تقبلوها فى الرب كما يحق للقديسين وتقدموا لهــا فى أى شىء احتاجتــــه منكم . لانها صارت مساعدة لكثيرين ولى انا ايضا .. سلموا على مريم التى تعبت لأجلنا كثيرا

سلموا على تريفينا وتريفوسا التاعبتين فى الرب .

سلموا على برسيس المحبوبة التى تعبت كثيرا فى الرب ..

سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة ـ رومية ١٦ : ١ــ١٦ ».

« سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدســة ـ (١) كورنثـــوس ١٦ : ٢٠ ، (٢) كورنثوس ١٣ : ١٢ » .

*

تعاليم بولس حــول المراة

● المراة مسئولة عن الخطيئة البشرية الأولى :

اعتنق بولس فكرة مسئولية المرأة عن الخطيئــة البشرية الأولى ، فهى التى أغويت ، وليس آدم ، وهى التى تعــدت حــد الله فوقعت فى الخطيئة وصارت معتدية . فهو يقول : « لست آذن للمراة ان تعلم ، ولا تتسلط على الرجل ، بل تكون فى سكوت .

لأن آدم جبل أولا ، ثم حواء . وآدم لم يغو . لكن المراة اغويت فحصلت فى التعدى ـ (١) تيموثاوس ٢ : ١٢ ـ ١٤ » .

● المراة دون الرجل :

« أريد أن تعلموا أن : رأس كل رجل هو المسيح •

واما رأس المراة فهو الرجل •

ورأس المسيح هو الله ••

كل امرأة تصلى أو تتنبأ ورأسها غير مغطى فتشين رأسها لأنها والمخلوقة شيء واحد بعينه • اذ المراة ان كانت لا تتغطى فليقص شعرها •

الرجل ليس من المرأة ، بل المراة من الرجل ••

الرجل لم يخلق من أجل المرأة • بل المراة من اجل الرجل — (١) كورنثوس ١١ : ٣ — ٩ » •

« لتصمت نساؤكم فى الكنائس ، لأنه ليس ماذونا لهن ان يتكلمن بل يخضعن ، كما يقول الناموس أيضا •

ولكن ان كن يردن أن يتعلمن شيئا ، فليسألن رجالهن فى البيت • لانه قبيح بالنساء ان تتكلم فى كنيسة — (١) كورنثوس ١٤ : ٣٤—٣٥» •

« أيها النساء : اخضعن لرجالكن ، كما للرب • لأن الرجل هو راس المراة • كما أن المسيح أيضا رأس الكنيسة ••

كما تخضع الكنيسة للمسيح ، كذلك النساء لرجالهن فى كل شيء — أفسس ٥ : ٢٣ — ٢٤ » •

*

● تعاليم بولس والأسرة :

دعا بولس الجميع — رجالا ونساء ، الى عدم الزواج ، ولا يلجأ اليه الا عند الخوف من الوقوع فى الزنا ، فقال :

« حسن للرجل ان لا يمس امراة • ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته ، وليكن لكل واحدة رجلها ••

أريد ان يكون جميع الناس كما أنا (بلا زواج) ..

اقول لغير المتزوجين وللأرامل انه حسن لهم اذا لبثوا كما أنا . ولكن ان لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا . لأن التزوج أصلح من التحرق ....

أنت منفصل عن امرأة فلا تطلب امرأة ..

المتزوج فيهتم فى ما للعالم كى يرضى امرأته — (١) كورنثوس ٧ : ١ — ٣٣ » .

ان تعاليما كهذه لكفيلة بهدم نظام الأسرة فى العالم كله ونتيجته الحتمية هى خراب العالم ...

انها تعاليم تخالف وصية الله الذى خلق الانسان ليعمر الكون ولذلك امره امرا بالزواج والتكاثر . لقد كانت هذه تعاليم الله منذ بدأ تكوين **اول اسرة** على وجه الأرض : « خلق الله الانسان على صورته .. **ذكرا وانثى** خلقهم وباركهم الله وقال لهم :

اثمروا ، واكثروا ، واملأوا الأرض — تكوين ١ : ٢٧ — ٢٨ » .

وبعد الطوفان كان أمر الله لنوح وبنيه بالتزاوج والتكاثر : « بارك الله نوحا وبنيه وقال لهم :

أثمروا ، واكثروا ، واملأوا الأرض — تكوين ٩ : ١ » .

هذا — ولقد أوصى الناموس وأسفار الأنبياء باكرام الأرملة . وجعلوها صنوا لليتيم الذى فقد أباه . **فقالوا :**

« **لا تسترهن ثوب الأرملة** .. اذا حصدت حصيدك فى حقلك ونسيت حزمه فى الحقل فلا ترجع لتأخذها . للغريب واليتيم **والأرملة** تكون ، لكى يباركك الرب الهك فى كل عمل يديك .

اذا خبطت زيتونك فلا تراجع الأغصان وراءك . للغريب واليتيم والأرملة يكون .

اذا قطعت كرمك فلا تعلله وراءك . للغريب واليتيم والأرملة يكون .. انا اوصيك ان تعمل هذا الأمر ـ تثنية ٢٤ : ١٧ ـ ٢٢ » .

« أبو اليتامى ، وقاضى الأرامل ، الله ـ مزمور ٦٨ : ٥ » .

« تعلموا فعل الخير .. اقضوا لليتيم . حاموا عن الأرملة ـ أشعياء ١ : ١٧ » .

ان ذلك كله معروف ، وصنيع ممتاز تعارفت عليه الشعوب ، سواء أوتيت كتابا من السماء ، أم عاشت على الفطرة . لكن بولس يفرق بين الأرملة العجوز التى تعدت الستين عاما والأرملة الشابة التى قد تتزوج ثانية ، على الرغم من أن مطالب الحياة لهذه الأخيرة أكثر من مطالب الأرملة العجوز . فهو يقول :

« لا تكتب امرأة فى سجل الأرامل ، الا التى بلغت ستين سنة ، ولم تتزوج غير مرة واحدة .. أما الأرامل الشابات فلا تقبلهن ، فانهن اذا أغناهن الترف عن المسيح ، رغبن فى الزواج ، واستوجبن القضاء ، لأنهن نقضن عهدهن الأول ـ (١) تيموثاوس ٥ : ٩ ـ ١٢ » .

وتقول ترجمة العهد الجديد للكاثوليك ، تعليقا على رأيه فى الأرامل الشابات :

« دعا بولس الأرامل فى (١) كورنثوس ٧ : ٨ ـ ٤٠ ، الى الامتناع عن الزواج ، ولكن الخبرة علمته بانه الأفضل للأرامل الشابات أن يتزوجن » .

وهكذا سارت الأمور فى التحليل والتحريم عبر القرون ...

ان تحريم ما أحله الله ، والتضييق على الناس ، قد أدى الى الاندفاع فى طريق الهلاك والتردى فى الخبائث .

ولنقرأ اعترافات بولس نفسه ، فهى غنية عن كل تعليق :

« لست أفعل ما أريده ، بل ما ابغضه فاياه افعل .. انى اعلم ان ليس ساكن فى ، اى فى جسدى ، شىء صالح .. لأنى لست أفعل الصالح الذى أريده ، بل الشر الذى لست اريده فاياه افعل ..

لكنى أرى ناموسا آخر فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى ويسبينى الى ناموس الخطية الكائن فى أعضائى . ويحى أنا الانسان الشقى ! من ينقذنى من جسد هذا الموت ؟! رومية ٧ : ١٥ ــ ٢٤ » .

« أبناء المعصية الذين نحن ايضا جميعا تصرفنا بينهم فى شهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد والأفكار ، وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضا ــ أفسس ٢ : ١ ــ ٢ » .

* *

لم تقتصر سلطة التشريع فى المسيحية على المسيح ، فقد امتدت الى بولس ، ثم الى آباء الكنيسة ، فهناك ما ذكره متى عن التفويض الذى أعطاه المسيح لبطرس قائلا : « أعطيك مفاتيح ملكوت السموات ، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا فى السموات ، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا فى السموات ــ ١٦ : ١٩ » .

ثم امتد هذا التفويض الى التلاميذ ، كما ذكر متى فى قول المسيح : « الحق أقول لكم : كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطا فى السماء ، وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولا فى السماء ــ ١٨ : ١٨ » .

وبعد رحيل المسيح وقيام التلاميذ ومن دخل فى زمرتهم بدعوة غير اليهود الى الايمان به ، تمسك اليهود الذين آمنوا به بضرورة ختان أولئك المؤمنين الجدد ، وذلك انطلاقا مما جاء فى الناموس الذى هو أساس الايمان للجميع ، وأسوة بما حدث للمسيح طفلا عندما ختنته أمه فى اليوم الثامن لميلاده حسب شريعة موسى (لوقا ٢ : ٢١) . فالختان عهد الله الأبدى لابراهيم ولنسله من بعده ، فقد « قال الله لابراهيم : وأما أنت فتحفظ عهدى ، أنت ونسلك من بعدك فى أجيالهم . هذا هو عهدى الذى تحفظونه : يختتن منكم كل ذكر ، فتختتنون فى لحم غرلتكم ، فيكون علامة عهد بينى وبينكم .. فى لحمكم عهدا ابديا . أما الذكر الأغلف الذى لا يختتن فى لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها ، انه قد نكث عهدى ــ تكوين ١٧ : ٩ ــ ١٤ » .

وبهذا قرر الكتاب المقدس أن الختان معيار أساسى للتمييز بين أبناء ابراهيم فى العقيدة ، أهل الختان ، وبين غيرهم من الذين نكثوا عهد الله ، أهل الغرلة .

لقد أحدثت مشكلة الختان التى أثارها اليهود المؤمنون فى أنطاكية بلبلة بين المسيحيين الأوائل ، فرؤى ضرورة الرجوع الى الرسل والمشايخ فى أورشليم وعقد بذلك أول مجمع مسيحى عام ٥٠ ميلادية انتهى فيه آباء الكنيسة الى نسخ الختان . فأرسلوا وفدا الى أنطاكية يقول : « قد رأى الروح القدس ، ونحن ، أن لا نضع عليكم ثقلا أكثر من غير هذه الأشياء الواجبة . أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام ومن الدم والمخنوق والزنا ، التى ان حفظتم أنفسكم منها فنعما تفعلون ــ أعمال الرسل ١٥ : ٢٨ ــ ٢٩ » .

فالعبارة التى تقول : « قد رأى الروح القدس ، ونحن » تبين بوضوح أن هناك ما يراه الروح القدس ، وهناك ما يراه آباء الكنيسة ، وقد اتفق الرأيان ــ هذه المرة ــ على نسخ الختان .

أما الخلاف بين الروح القدس وآباء الكنيسة فيسجله تاريخ المجامع المسيحية التى عقدت عبر القرون ، وادعى كل فريق أن الروح القدس كان معه ، ثم لعن الفريق الآخر وطرده من رحمة الله . وكانت هذه الحقيقة هى ما استشهد به مارتن لوثر فى حواره فى مدينة ليبزج ، بألمانيا ، عام ١٥١٩ ، حيث قال لخصمه : رجل البابا : « ما رأيك فى موقف بولس الذى وبخ بطرس علانية ؟ هل كان بطرس معصوما من الخطأ ؟ ..

وما رايك فى المجامع : فقد حكم الواحد على الآخر وحرمه ، فمن هو الحارم الحقيقى ، ومن هو المحروم الحقيقى »(١) ؟!

*

آباء الكنيسة ، اذن ، هم الذين شكلوا المسيحية عبر القرون ، وبموجب ما تمتعوا به من نفوذ وسيطرة على المسيحيين ، افرادا وشعوبا ، كانت سلوكيات الأغلبية الساحقة من أولئكم التابعين .

* *

(١) مارتن لوثر ــ ص ٩٢

دراسة تاريخية

لكى نستبين حقيقة وضع المرأة فى ظل الكنيسة ، يكفينا أن نعرض بعضا مما جاء فى كتاب :**إنجيل المرأة**(٢) ، الذى يعتبر دراسة وثائقية مدعمة بالأسانيد والشواهد والنصوص عن هذا الموضوع الحيوى والخطير ، قامت بها كارن ارمسترونج التى انتظمت فى سلك الرهبنة عدة سنوات ، ثم التحقت بالدراسات العليا بجامعة أوكسفورد .

*

● **لماذا سمى الكتاب « انجيل المراة » :**

تطالعنا الصفحة الأولى من هذا الكتاب ، والتى تحمل عنوانه الرئيسى ، بعنوان آخر فرعى يعبر عن مكنون الكتاب بقوله : **ابتداع المسيحية لحرب الجنس فى الغرب .**

بعد ذلك تخبرنا الكاتبة ، فى مقدمة الكتاب عن سبب تسميته هكذا ، فتقول : « لقد أسميت هذا الكتاب (**انجيل المراة**) ، لأنه يحكى قصة الحياة التى عاشتها النساء من خلال انجيل يسوع المسيح . ان كلمة (انجيل) تعنى ، طبعا ، أخبارا سارة ، ولكن على الرغم من أن المسيحية فى فجر تاريخها قد قدمت للمرأة رسالة ايجابية ، الا أنه يجب القول أنه منذ القرن الثانى ، **لم تكن المسيحية اخبارا سارة للنساء على الاطلاق . فلقد كانت مدمرة لهن الى اقصى حد** ، على الرغم من وجود عناصر فى أنماط التفكير والمشاعر المسيحية التى كان يمكن استخدامها بأفضل مما كان »(٣) .

●

(١) K. Armstrong : THE GOSPEL ACCORDING TO WOMAN.

(٢) المرجع السابق ـ المقدمة . وأرجو التنبيه الى أن النص المقتبس من هذا الكتاب سوف ينتهى بذكر رقم صفحته مباشرة ، دون الحاجة الى استخدام الهامش مرة أخرى .

■ **الجنس هو المشكلة :**

لقد كان هذا هو عنوان الفصل الأول الذى استفتحت به كارن ارمسترونج كتابها ، قائلة فيه :

« لقد كان الجنس هو مشكلة النساء الرئيسية فى العالم الغربى .. ففى ثقافتنا ، والحق يقال ، نجد أن الشعور بالاثم من الجنس ، والكبت الجنسى ، قد وضعا النساء فى موضع لا يطاق . لقد نظرت جميع الثقافات الى النساء على أنهن مخلوقات أدنى منزلة : فهن من ممتلكات الرجال ، وليست لهن حقوق استقلالية ، واعتبرن أضعف من الرجال ذهنيا وروحيا .. الا أنه فى الغرب ، كانت لدى النساء مشكلة صعبة جعلت الظلم المعتاد شاقا بصورة استثنائية .

انها مشكلة لا يشاركهن فيها ، على سبيل المثال ، النساء اليهوديات أو المسلمات . فالعالم المسيحى فى أوروبا وأمريكا تخللته كراهية الجنس والخوف منه ، ونظرا لأن الرجال قد لقنوا اعتبار الجنس شرا ، فانهم خافوا من النساء وكرهوهن ، هؤلاء اللاتى أوقعن بهن فى تلك الأمور الجنسية الخطرة . لقد شكلت المسيحية المجتمع الغربى ، وكانت هى الوحيدة بين الديانات الكبرى التى كرهت الجنس وخافت منه . وبناء على ذلك كانت الكراهية للنساء فى الغرب فقط ، باعتبارهن مخلوقات جنسية ، بدلا من مجرد السيادة عليهن لأنهن مملوكات أدنى ..

ان القرآن يعلم المسلم ، أنه قبل مباشرة الجنس ، فعليه أن يشكر الله من أجل هذه النعمة الكبيرة . وهو يسمح للرجال بأن يكون للواحد منهم حتى أربع زوجات ، لكن عليه أن يحترم كل امرأة ويدللها . ولقد كان (ما علمه) محمد واضحا فى أنه اذا عجز الرجل عن العدل بين النساء جنسيا وعاطفيا ، فيجب عليه الاكتفاء بزوجة واحدة . ومن المؤكد أن محمدا لم يعتقد أن النساء كن مثيرات للاشمئزاز جنسيا . فعندما

كانت تنزل بزوجته دورتها الشهرية ، كان يتكىء فى حجرها ، ويأخذ حصيرة صلاته من يدها ، قائلا : ان طمثك ليس فى يدك ، وكان يشرب من نفس الكوب ، قائلا : ان طمثك ليس فى شفتيك ...

وفى حقيقة الأمر ، نجد ان النساء فى فجر الاسلام كن يتمتعن بقدر كبير من الحرية .. ولقد مارس الاسلام نظام الحريم بعد اتصاله بالمسيحية البيزنطية التى كانت تعامل نساءها بهذا النظام .. على أنه بمجرد ذكر الاسلام ، يتبادر الى الذهن ذلك العرف البدائى الخاص بختان البنات[1] . ومع ذلك ، فيجب ألا نكون شديدى التعصب فى بريطانيا حول هذا الموضوع ، لأن الأطباء البريطانيين مارسوا هذا العمل فى القرن التاسع عشر على الفتيات لمنع الاستمتاع الجنسى الزائد .. ولقد كان التبرير لهذه العملية فى انجلترا هو تلك الاسطورة التى سادت المجتمع الفكتورى وكانت تقول ان الجنس شر . أما الاسلام فانه لا يقر هذا الدافع » (ص ١ ، ٢) .

*

● جذور المشكلة الجنسية :

« منذ القرن الثانى فصاعدا ، انتشرت هرطقات فى المسيحية تقول ان الجنس والجسد شر ، وباستمرارية تكرار ذلك فان الناس الذين اعتبروا أنفسهم مسيحيين فى كلا العالمين الكاثوليكى ثم البروتستانتى ، قد شجبوا العلاقات الجنسية وحظروها . ولقد كان اشمئزاز المسيحية من الجنس عميق الجذور ، واسع الانتشار ، لدرجة أن الهرطقات كانت تحاول دائما ايجاد حلول أفضل للمشكلة الجنسية من تلك التى تقدمها المسيحية التقليدية . وكانت الكاثارية

---

(١) الختان فى الاسلام سنه وليس فرضا . وبالنسبة لختان البنات فهناك تعاليم النبى التى تقضى بالتخفيف وعدم الجور فى هذه العملية .

احــدى هذه الهرطقات التى أثبتت أنها من القــوة بحيث لم تجد معها أســاليب المقاومة الهادئة ، اذ أنها انتشرت بسرعة فى جنوب فرنســا ، مما اضطر الكنيسة آخر الأمر الى شن حرب صليبية ضدها ، وقتــل أتباعها بالسيف . ولقد كانت الانكراتية ، التى ظهرت فى القرن الثانى ، هى أول الهرطقات المسيحية ضــد الجنس . وقــد أنتجت عددا من الكتب مثل : اعمال توما ، واعمال بولس وكان كلاهما يعلم أن الجنس مخز ومحط ، وأن البتولية فقط هى التى تدخلنا ملكوت السموات ..

وفى واقع الأمر ، نجد ان تاريخ الغرب البروتستانتى ، قــد تميز بتلك التناوبات المتطرفة الخطرة ، ما بين فجور جنسى وكبت جنسى . وأن تلك التناوبات كانت تتطابق دائما مع هبوط الحميــة الجنســية وصــعودها . انها ظاهرة يختص بها الغرب وحده ، والتى اســتطاع مؤرخو الجنس أن يعزوها الى المســيحية . فلقد خلقت المسيحية مناخا يستحيل فيــه اعتبار الجنس مجرد نشــاط . ان عليك كمسيحى اما أن تحبه بعنف أو تكرهــه بعنف ، فهــو اما نشــاط انســانى مترع بالخطيئة وشــهوة جنسية مدمرة ، واما أنه ممارســة جنســية يجب أن توضــع فيها المتعة الجنســية فى مرتبة تاليــة لانجاب الذرية . ان حظر منــع الحمل الذى لا تزال تدافع عنــه الكنيســة الكاثوليكية ، انما ينبع من ذلك الرعب من المتعة الجنســية ، والتى ترجع فكرته فى قدمها الى أوغسطين .

لقــد قادت هــذه الفكرة الكاثوليك ، فى بعض الأحيان ، الى تطرف يدعو الى السخرية ، مثلما حــدث لمفتى القرن الســابع عشر الكبير سواريز ، حين ذهب يتأمل بطريقة ملتوية حــالة (افتراضــية) لرجل وقع فى ورطة ، اذ بينما كان يمارس الجنس مع مومس ، فاذا به فجأة يداهمه الندم على فعلته هذه : فهل ينسحب من العملية الجنســية قبل اتمامها ، أم انه يستمر فيها ؟!

انه اذا انسحب ، فمن المحتمل ان يصير مذنبا بارتكاب خطيئة اكبر من مجرد ارتكاب الزنا ، الا وهى منع الحمل » ! (ص ٤٢ — ٤٦) .

* *

فكر آباء الكنيسة وتعاليمهم فى الجنس والمرأة والزواج

• **الجسد شر :**

كان القديس امبروز ، أسقف ميلانو فى القرن الرابع ، يعظ فى أمر الروح كنقيض للجسد الذى هو شر . « ولقد كانت تلك الفكرة مصدر الهام لتلميذه الكبير ، القديس اوغسطين ، الذى أصبح فيما بعد أسقفا لمدينة هبو فى شمال افريقيا ، وربما كان أكثر اللاهوتيين تأثيرا فى التاريخ المسيحى برمته بعد القديس بولس . فلقد كتب امبروز يقول : (فكر فى الروح بعد أن تكون قد تحررت من الجسد ، ونبذت الانغماس فى الشهوات ومتع اللذات الجسدية ، وتخلصت من اهتمامها بهذه الحياة الدنيوية) .

فبالنسبة لأمبروز كان الجسد مجرد خرقة بالية ملطخة بالأقذار ، تطرح جانبا عندما يتحد الانسان بالله الروحانى بالكلية . لقد كان أوغسطين يردد هذه الفكرة باستمرار ، فكم صلى قائلا : (آه ! خذ منى هذا الجسد ، وعندئذ أبارك الرب) !

وفى سير حياة كل القديسين المسيحيين الكبار ، نجد مثل هذا الارتياب فى الجسد . لقد اعتاد فرانسيس الأسيزى أن ينادى جسده قائلا : (أخى الحمار) ! ، كما لو كان الجسد مجرد بهيمة غبية شهوانية ، تستخدم لحمل الأثقال وكثيرا ما كان القديسيون يتعهدون اجسادهم باعتداء يومى من اجل اماتتها بالتعذيب الذاتى بطرق تقشعر من هولها الابدان » (ص ٢١) .

* *

● **والجنس شر :**

« فى القرن الثالث عشر الميلادى ، قال الفيلسوف اللاهوتى القديس **توما الاكوينى** : الذى ساد الفكر الكاثوليكى حتى عهد قريب ، أن الجنس كان دائما شر .. وعلى أي حال ، فان هذا الموقف السلبى لم يكن محصورا فى الكاثوليك ، فلقد كان **لوثر وكالفين** متأثرين الى أقصى حد بآراء أوغسطين . وحملا مواقفه السلبية تجاه الجنس والزواج الى قلب حركة الاصلاح الدينى مباشرة . لقد كره لوثر الجنس بشكل خاص ، على الرغم من أنه قد تزوج ومحا البتوليه فى حركته المسيحية . لقد كان يرى أن كل ما يستطيع الزواج عمله هو أن يقدم علاجا متواضعا لشهوة الانسان التى لا يمكن السيطرة عليها . فكم صرخ قائلا : (كم هو شيء مرعب وأحمق تلك الخطيئة ! ان الشهوة هى الشيء الوحيد الذى لا يمكن شفاؤه بأى دواء ، ولو كان حتى بالزواج الذى رسم لنا خصيصا من أجل هذه النقيصة التى تكمن فى طبيعتنا » (ص ٢٥) .

*

« انه لمن سوء الحظ أن أغلب آباء الكنيسة الغربيين ذوى التأثير القوى ، **كانوا مصابين بالعصاب** ، ورجالا عاطفيين بدرجة كبيرة . لقد كان ترتليان وجيروم وأوغسطين ، جميعهم من الذين تحولوا الى المسيحية خلال نوع عنيف ومتفجر من المعاناة والتجارب الدينية . فهم أناس سماهم **وليام جيمس** ، فى مؤلفه : **تنوع التجارب الدينية** ، بأنهم (ولدوا مرتين) . فهم (أنفس مريضة) لأن تحولهم كان مسبوقاً ، فى أحوال كثيرة ، بصراع رهيب مع أنفسهم . واطلالة عابسة على الحياة . أما النفس التى ولدت (مرة واحدة) فهى خلافا لذلك . لم تتحول الى المسيحية خلال تجربة صدمية ، لكنها كانت تقترب من الدين بطريقة تخلو من الاضطراب ، وتتقدم فى حياتها الدينية بهدوء ومنطقية ، دون حاجة الى اللجوء الى تجارب سيكولوجية دخيلة .

ويلاحظ ن . وليامز ، فى كتابه : فكرة السقوط والخطيئة الأصلية . أن هؤلاء النـاس الذين (ولدوا مرتين) كانوا يميلون لتبنى عقـائد لاهوتية حرفيـة متزمتة ، تماما مثل ما فعل آباء الكنيسـة الغربيين العاطفيين . ان هؤلاء الناس كانوا عاجزين عن الوصول الى اتفاق سلمى مع حياتهم الجنسية قبل تحولهم ، كما رأينا فى حالة القديس جيروم . لقد أدرك أوغسطين[1] تحـوله الى المسـيحية فى لغـة صراع جنسى . فكان يصلى قبل تحوله قائلا : (يارب ! امنحنى العفـة . لكن ليس بعد) ! ، فاهما ، بقدر ما كان يؤرقه ، أن المسيحية تعنى البتولية . فهـو يرى تحوله بالكلية ، كقرار اتخذه ضـد الجنس (الذى انغمس فيه سلفا) ففى لحظة التحول ، كان مقتنعا بأن المسيح قد خلصه تماما من شهوته الجنسية وحياته الأسرية .

---

(١) يقول الخورى يوحنا الحلو فى مقدمة ترجمته العربية لكتاب «اعترافات القديس أوغسطينوس » : « ولد أوغسطينوس فى تشرين التانى (نوفمبر) سنة ٣٥٤ من أب وثنى وأم مسيحية ، وكان له زملاء فى الدراسة « جروه وراءهم فى طريق الشر والفساد فى سن مبكرة ، ولم يخالفهم رأيا ، وأبى أن يتخلف عنهم فى مداعبة الاثم والارتماء فى أحضانه . وعجز والداه عن تأمين سفره الى قرطاجا لمتابعة دروسه ، فانفتح أمامه باب اللهو واسعا ؛ ولهـا بأقدس المحرمات ، وتعرف الى امرأة ساكنها واستولدها طفـلا سـماه أديودات .. وطلب أوغسطينوس الحقيقة فى شهوات الجسد ، فأخفق ، بيد أنه لم يكفر بها ولا انقطع عنها .. واستهواه المـانيون فمال الى خزعبلاتهم .. ثم انتقل الى روما ومنهـا الى ميلانو سـنة ٣٨٤ .. وعلمت والدته بسفره فلحقت به واخذت تلح عليه ليقطع علاقته الأثيمة بتلك التى ولدت له ابن الزنا المعروف . ولم يخيب أوغسطينوس هذه المرة رجاءها ، وأبعـد أم ولده عنه الى افريقيا ، مستبقيا لديه ابنه أديودات . بيد أن هجر تلك المسكينة على هذا النحو لم يكن مشرفا له ولأمه ، اذ كان من الأفضل أن يتزوجها بموجب الشرع ، بيد أنهما ارتضيا ذلك الحل مسايرة لتقاليد المجتمـع الرومانى الباليـة . ولدى قدومـه الى ميلانو تعرف أوغسطينوس الى امبروسيوس أسقف المدينة واسـتمع الى مواعظة ، فأعجبته بلاغتها .. واقتنع بضرورة العماد ثم ما لبث أن عدل عنـه حتى نهاية السنة الدراسية .. ثم أعاد النظر فى حياته كلها واعتمد فكان اهتداؤه الى الكثلكة حدثا صاعقا فى ميلانو » . وقد مات سنة ٤٣٠ .

لقد كان آباء الكنيسة الغربيين ، الذين كانوا الأكثر تأثيرا بسبب ألمعيتهم الذهنية وشخصيتهم القوية ، كانوا جميعا من النمط الدينى الذى نزع بهم الى النظريات اللاهوتية المتزمتة التى تعادى الجنس . لم تأت تسميتهم آباء من فراغ ، فمنهم تولدت المسيحية الغربية . لقد أصابتهم بعمق عدوى جو التقشف والزهد الذى شاع فى العصور القديمة المتأخرة . وكانت أمزجتهم العاطفية بجانب سوء فهمهم لنقاط دقيقة معينة فى الكلمات الاغريقية التى جاءت فى رسائل القديس بولس (مثل كلمة ساركس : الجسد) ، يعنى كل هذا أنه لم يكن بمقدورهم تزويد الكنيسة الجديدة بالمبادىء الجنسية السليمة .

لقد كان اللاهوتيون الاغريق ، من أصحاب الولادة (مرة واحدة) مثل سيريل السكندرى ، يكشفون عن تفسيرات أبعد كثيرا عن اثارة الرعب من معتقد الخطيئة الأصلية ، وكانوا أقل كثيرا فى معاداتهم للجنس . فبالنسبة لآباء الكنيسة الغربيين مثل أوغسطين ، أصبح الجنس والخطيئة متداخلين معا بطريقة لا انفصام لها ، وذلك لأسباب شخصية تتعلق بالزمان والمكان ، دون أن يكون لها أى مسوغ أو برهان من العهد الجديد . ولقد كان أوغسطين هو الذى صاغ معتقد الخطيئة الأصلية فى صورته النهائية ، وكانت نظريات أوغسطين اللاهوتية هى التى سادت الكنيسة خلال العصور المظلمة حتى حل محله الفيلسوف اللاهوتى توما الاكوينى » (ص ٣٠) .

*

« لقد سلم أوغسطين الى الغرب تراث الخوف من الخطيئة ، كقوة لا يمكن السيطرة عليها . فهناك فى لب كل تشكيل للعقيدة ، توجد المرأة حواء ، سبب كل هذه التعاسة ، وكل هذا الثقل من الذنب والشر ، وكل هذا الانغماس البشرى فى الخطيئة . لقد ارتبطت الخطيئة والجنس والمرأة معا فى ثالوث غير مقدس . فبالنسبة لذكر متبتل مثل

أوغسطين ، لا يمكن فصل هذه العناصر الثلاثة . وفى الغرب ، بقيت المرأة هى حواء الى الأبد ، هى اغراء الرجل الى قدره المشئوم . بل ان انجاب الأولاد الذى تعتبره ثقافات أخرى فخر المرأة الرئيسى وينبوع القدرات التى تمتلكها ، نجده فى المسيحية قد غلفه الشر باعتباره الوسيلة التى تنتقل بها الخطيئة » (ص ٣٢ — ٣٣) .

*

ويقول القديس جيروم : « اذا امتنعنا عن الاتصال الجنسى ، فاننا نكرم زوجاتنا . أما اذا لم نمتنع : حسنا ! فما هو نقيض التكريم ! سوى الاهانة » ! (ص ٤٣) .

*

« ان المسيحية قد خلقت أتعس جو جنسى فى أوروبا وأمريكا بدرجة قد تصيب بالدهشة كلا من يسوع والقديس بولس . ومن الواضح كيف كان لهذا تأثيره على النساء . فبالنسبة لأوغسطين الذى كان يناضل من أجل البتولية ، كانت النساء تعنى مجرد اغراء يريد أن يوقعه فى شرك ، بعيدا عن الأمان والاماتة المقدسة لشهوته الجنسية . أما كون العصاب الجنسى للمسيحية قد أثر بعمق فى وضع النساء ، فهذا ما يرى بوضوح من حقيقة أن النساء اللاتى التحقن بالجماعات الهرطيقية المعادية للجنس ، وصرن بتولات ، قد تمتعن بمكانة واحترام كان من المستحيل أن يحظين بهما فى ظل المسيحية التقليدية » (ص ٥١) .

*

« لقد كانت المسيحية مشغولة طيلة مئات السنين بجعل النساء يخجلن من أمورهن الجنسية . ولقد عرفت النساء جيدا ، كما قال أوغسطين ولوثر قبل عدة قرون ، أن تشريع الزواج كان مجرد دواء ضعيف المفعول لمعالجة شرور الجنس » (ص ٧٧) .

* *

■ **والمرأة اقذار :**

« لقد كان ينظر الى جسد المرأة باشمئزاز على نحو خاص ، كما كان مصدر ارباك لآباء الكنيسة ان يسوع ولد من امراة .

فكم ضغطوا بشدة ، فى موعظة تلو موعظة وفى رسالة تلو رسالة ، على أن مريم بقيت عذراء ، ليس فقط قبل ميلاد المسيح بل وبعده أيضا ..

لقد كتب **أودو الكلنى** ، فى القرن الثانى عشر : **« ان معانقة امراة تعنى معانقة كيس من الزبالة » .**

لقد كانت الأحشاء الخفية للمرأة ، والتى تتسم بالقذارة ، مع رحمها الذى لا يشبع ، موضع استقذار وفحش بشكل خاص . وكان الآباء راغبين فى التأكيد على أن يسوع لم يكن له الا أقل القليل من الاتصال بذلك الجسد البغيض » (ص ٢٣) .

*

« ولقد كتب اسقف فرنسى ، عاش فى القرن الثانى عشر ، ان كل النساء ، بلا استثناء ، مومسات ، وهن مثل حواء سبب كل الشرور فى العالم ..

وقال الراهب البنديكتى برنار دى موريكس ، دون مواربة ، فى اشعاره : انه لا توجد اية امراة طيبة على وجه الأرض .

وقال الراهب الانجليزى (اسكندر نكهام) ، انه نظرا لأن المرأة لا تشبع جنسيا ، فانها غالبا ما تصطاد بائسا حقيرا لينام معها فى فراشها ليشبع نهمها اذا كان زوجها غير موجود فى لحظة شبقها . ونتيجة لذلك ، كان على الأزواج أن يربوا أطفالا ليسوا من أصلابهم .

لقد ترسخت أسطورة عدم اشباع النساء جنسيا لدرجة أن روبرت بيرتون أشار اليها فى عام ١٦٢١ باعتبارها شكوى عالمية .

لقد انطبع فى وعى أوروبا الغربى ما أثاره جيروم وترتليان وأوغسطين وأتباعهم من كره للنساء وايقاع الرعب منهن فى النفوس » (ص ٧٠) ٠

*

● اغتيــال شخصية المرأة :

لقد حرص آباء الكنيسة على التوكيد على أن المرأة مصدر الخطيئة والشر فى هذا العالم ، ومن ثم يجب قهرها الى أقصى حــد واستهلاكها نفسيا تحت وطأة الشعور بالخزى والعــار من طبيعتها وكيانها البشرى ٠

ولقد اغتنموا كل فرصة تتعلق بالمرأة لبث روح الاحباط فيها ، ولو كانت تتعلق بزى ترتديه ٠

فقد كتب ترتليان ، فى القرن الثالث ، رسالة تعالج زى المرأة ، صدرها الى : « أفضل المحبوبات أخواته فى الايمان ، ثم ما لبث أن انزلق فيها من المحبة والاحترام الى هجوم مذهل ، اذ يقول :

(اذا وجد ايمان على الأرض عظيم مثل ما تتوقع أن تنعم به فى الســماء ، فما كان لأى واحدة منكن ، أفضل أخواتى المحبوبات ، اللاتى منذ أن عرفت الواحدة منكن الرب ، وعلمت حقيقة منزلتها ، أن تشتهى زيا كثير البهجة ، ولا أقول زيا ملفتا للنظر ٠

لقد كان حريا بها ان تخرج فى زى حقير ، وتسير مثل حواء ، ترثى لحالها ، نادمة على ما كان ، حتى يكون زيها الذى يتسم بالحزن ، مكفرا عما ورثته من حواء : العار ، واقصد بذلك الخطيئة الأولى ، ثم الخزى من الهلاك الأبدى للانسانية ٠ (فلقد قال الرب للمرأة) : تكثيرا أكثر أتعاب حبلك ٠ بالوجع تلدين أولادا ٠ والى رجلك يكون اشتياقك ، وهو يسود عليك (تكوين ٣ : ٦) ٠

الستن تعلمن ان كل واحدة منكن هى حواء ؟!

ان قضاء الله على جنسكن بالعقوبة موجود فى هذا العصر ، وبالتالى فان الشعور بالاثم يجب أن يكون موجودا أيضا .

أنتن المدخل الذى يلجه الشيطان : فأنتن باكورة من ذاق الشجرة المحرمة . وأنتن أول من تمرد على القانون الالهى ، وأنتن تلك المرأة التى أقنعته (بالأكل من الشجرة) ، اذ لم يكن لدى الشيطان القدر الكافى من الجسارة لكى يهاجم (آدم) .

لقد دمرتن بمثل هذه السهولة ، الرجل ، صورة الله .

وبسبب استحقاقتكن للعقوبة ـ التى هى الموت ـ كان على ابن الله أن يموت أيضا) .

ان هذا بالضبط هو نفس التعقيد من الأفكار . معبرا عنها بألفاظ أقل وضوحا ، مثلما نجده فى رسالة بولس الأولى الى تيموثاوس ، والتى تتحدث عن مظهر النساء ، وحواء ، والولادة .

وبالنظر لأول وهلة ، يبدو عجيبا أن هذا الهجوم الضخم ـ الذى يعتبر كل امرأة مسئولة مسئولية كاملة عن تدمير الرجل ، وعن صلب المسيح ـ يبدأ وينتهى بخصوص شىء من الواضح أنه غير مهم الى هذا الحد ، ألا وهو ملابس النساء .

ان ما يلهب هجوم ترتليان القاسى هو مجرد خوف غير منطقى ألبتة ، فبالمضى قدما فى رسالته نجد أنها تنصب كلها على الجنس » (ص ٥٤ ـ ٥٥) .

*

وبالنسبة لجيروم ، نجد « أن ما يفعله هو الافراط فى النظرة الجنسية للمرأة بسبب كبته الجنسى . فهو محبط بعنف ، لدرجة أنه يخبر النساء أنهن لا يشبعن جنسيا . لقد نسى هنا (فى رسالته) أنه يكتب الى فتاة صغيرة طيبة (تخدم فى الكنيسة) ، وقد طلبت منه

النصيحة (عن الحياة المسيحية) ، فحثها أن تقفل على نفسها بعيدا عن العالم ، اذ بمجرد أن تسير هنا وهناك ، فلسوف تلهبها شهوة الرجال .

لقد استغرق في الخيال الجامح لدرجة أنه قارنها في نهاية رسالته بامرأة مومس ، تماما كما بدأ ترتليان رسالته مخاطبا قارئاتها (أفضل محبوباتي) ومنهيها بأن كل واحدة منهن حواء .

المرأة ، اذن ، هي الد أعداء الرجل ، فهي المومس التي تغوي الرجل الى هلاكه الأبدي ، لأنها حواء صاحبة الغواية أبدا . وكما أن الخطيئة الأصلية ترتبط بالجنس ، فهكذا المرأة تماما ، هي حواء لأنها مثيرة جنسيا » (ص ٦٠) .

* *

● ونساء الأنبياء أيضا !

« بين الحين والحين نرى عداوة للقوى الجنسية للنساء وخوفا منها . ان أوغسطين يرى الخطر أيضا في النساء الفضليات اللاتي ذكرهن العهد القديم . وأحيانا يصل الى استنتاجات تثير السخرية . ففي محاولاته التوفيق بين الحياة الجنسية للآباء ، نجده يقدم لنا ابراهيم واسحق بأن الواحد منهما كان يعاشر زوجته جنسيا ، بغية أداء الواجب واستجابة لأمر الله بتأسيس السلالة المختارة ، لكن ذلك كان مصحوبا بنفور شديد . لقد كانا يفضلان الامساك عن ممارسة الجنس .

ان ابراهيم ، الذي يبدو (من قراءة سفر التكوين) أنه كان يتمتع بقوة جنسية هائلة ، لا بد وأن يقرأ كل هذا وهو منذهل تماما . .

ويستمر أوغسطين في استنتاجاته قائلا : ان اسحق كان أكثر حظا . فالكتاب المقدس يذكر أنه مارس الجنس مرة واحدة[1] ، وكان سعيد

---

(١) يقول سفر التكوين : « كان اسحق ابن أربعين سنة لما اتخذ لنفسه زوجة ، رفقة بنت بتوئيل الأرامي . . وصلى اسحق الى الرب

الحظ تماما اذ أنجب توأمين ، هما عيسو ويعقوب ، فلم يكن بحاجة لأن يمارسه مرة ثانية .

وعندما جاء الحديث عن يعقوب ، الذى كان له اثنا عشر ابنا ، وجد أوغسطين نفسه فى ورطة . فهو يقرر أن يعقوب كان يسره كثيرا أن يسير على نهج اسحق : فيمارس الجنس مرة واحدة فى حياته . لكن زوجتيه ليئة وراحيل استمرتا فى مضايقته بسبب شهوتهما العارمة ونهمهما الجنسى[1] ، مما اضطر هذا الأب المقدس الى التخلى عن مثله العليا ، مع أن ليئة وراحيل كانتا من النساء الطيبات . فبالنسبة لأوغسطين، كما كان الحال بالنسبة لسابقيه مثل جيروم ، كل النساء : مهما كن فاضلات : فجميعهن أعداء الرجال . ولقد كتب الى صديق له قائلا : (ما الفرق ؟! فمهما كانت : زوجا او اما ، فهى لا تزال حواء المغرية الى الحد الذى يجعلنا نحترس من كل امراة) !

فلا يوجد مكان لهذا العدو فى عالم الذكور : وفى حقيقة الأمر

= لأجل امرأته ، لأنها كانت عاقرا ، فاستجاب له الرب فحبلت رفقة .. فلما كملت أيامها لتلد اذا فى بطنها توأمان ــ ٢٥ : ٢٠ ــ ٢٤ » .

ان قول الكتاب المقدس أن رفقة كانت عاقرا ، يعنى أن اسحق جامعها كثيرا دون أن يحدث حمل ، ومن هنا قيل انها كانت عاقرا . فالقول بانه جامعها مرة واحدة ،هو مخالفة لما فى الكتاب المقدس ، واجتراء على الحق يدعو الى السخرية حقا .

(١) يقول سفر التكوين : « مضى رأوبين فى أيام حصاد الحنطة فوجد لفاحا (نباتا مخدرا) فى الحقل وجاء به الى ليئة أمه . فقالت راحيل لليئة (أختها) : أعطينى من لفاح ابنك . فقالت لها : أقليل انك أخذت رجلى ، فتأخذين لفاح ابنى أيضا . فقالت راحيل : اذن يضطجع معك الليلة عوضا عن لفاح ابنك . فلما أتى يعقوب من الحقل فى المساء ، خرجت ليئة للاقاته : وقالت : الى تجىء لأنى استأجرتك بلفاح ابنى . فاضجع معها تلك الليلة ــ ٣٠ : ١٤ ــ ١٦ » ومن العجيب فى الأمر أن يذكر أوغسطين من نساء يعقوب : ليئة وراحيل : ويترك زلفة وبلهة ، ومن هؤلاء النسوة الأربع جاء بنو اسرائيل .

لا يوجد مكان للمرأة على الاطـلاق فى خطـة الله (لخلاص العالم) »
(ص ٦١) .

*

● ثم كان التساؤل : لمـاذا خلق الله النساء ؟!

« ان أوغسطين تبدو عليه الحيرة عندما يتساءل عما اذا كان هناك سبب ، على الاطلاق ، من أجله خلق الله النساء . فليس فى امكان المرأة أن تكون صديقا ورفيقا معينا للرجل . ومع ذلك : (اذا كان ما احتاجه آدم هو العشرة الطيبة . فلقد كان من الافضل كثيرا ان يتم تدبير ذلك برجلين يعيشان معا كصديقين ، بدلا من رجل وامرأة) .

لقد كانت العلة الوحيدة (حسب رأيه) التى من أجلها خلق الله النساء هو انجاب الأولاد . ولقد كان لوثر يشـارك فى هذا الرأى ، فالوظيفة الوحيدة التى رآها للمرأة هى أن تنجب أولادا بقدر الامكان حتى يهتدى الكثير الى الانجيـل . فلم يهتم لوثر بتأثير كثرة الولادة على النساء ، اذ كتب يقول : (اذا تعبت النساء ، او حتى ماتت ، فكل ذلك لا يهم . دعهن يمتن فى عملية الولادة ، فلقد خلقن من اجل ذلك) » !
(ص ٦١ — ٦٢) .

*

● ثم كان تساؤل أحمق : هل المرأة انسان ؟!

« لقد شاركت البروتستانتية تماما فى كره النسـاء الذى ورثـه الآباء الى الكنيسة الكاثوليكية . فعندما ناقش اللوثريون فى وتنبرج مسألة ما اذا كانت النساء حقيقة من بنى الانسان ، لم يكونوا يناقشون شيئا جديدا . فلقد كان اللاهوتيون متحيرين دائما حول مكانة النساء فى خطة الله (لخلاص البشر) .

ولقد كان توما الأكوينى متحيرا تماما ، مثله مثلما كان أوغسطين

من قبل ، فيما اذا كان هناك داع ، على الاطلاق ، أن يخلقها (الله) ، كما قرر أن طبيعة المرأة هى النزوة والهوى ، فكتب يقول :

« فيما يختص بطبيعة الفرد ، فان المرأة مخلوق معيب وجدير بالازدراء ، ذلك أن القوة الفعالة فى منى الذكر تنزع الى انتاج مماثلة كاملة فى الجنس الذكرى ، بينما تتولد المرأة عن عيب تلك القوة الفعالة ، او حدوث توعك جسدى ، أو حتى نتيجة لمؤثر خارجى) .

ان القول بأن طبيعة الفرد فى النساء معيبة ، انما هى فكرة التقطها من آراء أرسطو فى علم الأحياء . فالذكر هو الانموذج او المعيار ، وكل امرأة انما هى رجل معيب » (ص ٦٢) .

*

« نحن معشر النساء لا نزال تحذر الواحدة منا الأخرى ، ومن المؤكد أن هذا يشكل واحدة من أتعس ما ورثناه من ماضينا المسيحى . ولا يدهشنا ، على أى حال ، أن بعض النساء لا يزال يتشكك فى البعض الآخر ، لأن ثقافتنا قد علمتنا أشياء كثيرة مفزعة فيما يتعلق بجنسنا .

ففى مجمع ماسون ، فى القرن السادس ، كان على الأساقفة أن يصوتوا على مسألة : ما اذا كان للنساء أرواح أم لا ؟! ولقد فاز اقتراح الموافقة بأغلبية صوت واحد .

واذا كانت هذه هى خلفية الكراهية للنساء ، فمن الذى يستطيع أن يوبخنا ، معشر النساء ، بسبب كراهية بعضنا البعض » (ص ٦٤) .

* *

● تأثير عبادة مريم على النساء :

فى عصر الحروب الصليبية ، « وفى هذا العالم الدينى العدوانى الذى اقتصر فقط على الذكور ، جاءت عبادة مريم العذراء . فلقد أقيمت

الكاتدرائيات ، فى كل أنحاء أوروبا ، تكريما لها ، وحلت محل القديس ميخائيل كبؤرة للعبادة والأساطير بين عامة الناس .. ان مريم تقف فى صف الفقراء والمنبوذين ، فهى تستطيع أن تدخل أناسا ، ممن سبق أن عينهم الله لجهنم ، الى ملكوت السموات ..

ومن المؤكد حقيقة ، على أى حال ، أنه لا الحب (المسيحى) النبيل ، ولا عبادة العذراء ، كان لهما أى أثر فى الوضع الفعلى للنساء داخل المجتمع . ومن المؤكد أن أيا منهما لم يوقف الدعاية الرسمية بكراهية النساء التى استمرت تطلقها الكنيسة . ان القديس برنارد الذى فعل كل ما استطاع لنشر عبادة العذراء فى الكنيسة ، كانت عداوته للنساء مريرة . فعندما جاءت اخته لزيارته فى الدير الذى يقيم فيه ، فانه استشاط غضبا ، لأنها كانت ترتدى لباسا جديدا . فقد كانت، كما قال ، مومس قذرة ، وكتلة من الروث .

ان العبادة الجديدة (لمريم) لم تجد نفعا فى تهذيب أفكاره عن أجساد النساء ، فقد بقيت تماما كما هى فى تقاليد ترتليان » (ص ٧٤) .

* *

● **هل الزواج عقوبة للنساء ؟!**

« انه لوثر الذى يجعل النساء منبوذات قسرا فى وحشة ، ومنفيات من عالم الرجال (فى زواج مسيحى) فبالنسبة للوثر ، وبعيدا عن تكريم النساء بالحض على الزواج كشىء اجبارى ، فانه يرى فى الزواج عقابا للمرأة . لقد كتب يقول :

(ان هذا العقاب ينبع ايضا من الخطيئة الأصلية ، وتتحمله المرأة مكرهة تماما كما تتحمل تلك الآلام والمتاعب التى وضعت على جسدها . ان السلطة تبقى فى يد الرجل ، وتجبر المرأة على طاعته حسب وصية الله .

فالرجل هو الذى يحكم البيت والدولة ، ويشن الحرب ، ويدافع عن

ممتلكاته ، ويفلح الأرض ، ويبنى ، ويزرع .. الخ . أما المرأة ، فعلى العكس من ذلك ، فهى مثل مسمار دق فى حائط . هى تجلس فى المنزل .. يجب أن تبقى المرأة فى المنزل ، وترعى الحاجات المنزليـة ، مثـل انسان حرم القدرة على ادارة تلك الشئون التى تختص بالدولة .. بهذه الطريقة تعاقب حواء) .

لم يتغير شىء ! قد يكون لوثر تصارع عقائديا مع روما ، ولكننا رأينـا ، من وقت لآخر ، كيف أن الكراهية المسيحية للمرأة لم تتأثر بالاختلاف الفكرى العقائدى . فلا تزال المرأة هى حواء ..

ان الصورة غير العادية للمراة ، كمسمار يدق فى حائط ، تكشف عن حقيقة مكانتها : فهى بائسة لا عون لها ، تساق ، ويدق على راسها .. لا يسعى وراءها من أجل اقامة مودة زوجية فيها دفء وراحة عائلية . فلا توجد أى حرارة متبادلة .. ولهذا خلا بدء تاريخ الزواج المسيحى من المحبة ، والمساواة ، وعيش الرجال والنسـاء معـا فى وئـام » (ص ٢٧٤ ــ ٢٧٥)

* *

● خلاص المرأة المسيحية يجعلها رجلا !

« على الرغم من أن الكنيسة فى الغرب قد لا تسـمح لعذاراها بالقيام بأعمال الرجال ، فقد كان اللاهوتيون واضحين فى أن العـذراء البتول قد أصبحت رجلا شرفيا . لقد كتب جيروم يقول :

(بما أن المرأة خلقت للولادة والأطفال ، فهى مختلفة عن الرجل كما يختلف الجسد عن الروح . ولكن عنـدما ترغب المرأة فى خـدمة المسيح أكثر من العـالم ، فعندئذ سـوف تكف عن ان تكون امراة ، وستسمى رجـلا) (تعليق جيروم على رسالة بولس الى أهل أفسس).

من المثير أن يقارن جيروم النساء بالجسد . فلقد رأينا كيف اعتبر

جسده عدوا له ، يجب أن يعانى الجوع ويموت بوحشية ، حتى يمكن للروح أن تتحرر ..

واذا استطاعت المرأة أن تحرر نفسها من أمورها الجنسية ، فقد أصبحت مخلوقا روحانيا ومذكرا . ان امبروز واضح تماما فى انه لكى تحصل المرأة على الخلاص بالنجاة من الخطيئة ، فيجب عليها ان تصبح ذكرا لقد كتب يقول :

(تلك التى لا تؤمن انما هى امرأة ، ويجب أن تصنف باسم جنسها (الأنثوى) ، بينما تلك التى تؤمن انما تتقدم نحو الرجولة الكاملة . وآنذاك تتخلى عن اسم جنسها (الأنثوى) ، وغوايات الشباب ، وثرثرة العجائز) .

فالبنسبة لأمبروز ، يعنى خلاص المرأة أن تطرح عنها أنوثتها ، وتصير انسانا كاملا بالغا سن الرشد ، أى تصير ذكرا » (ص ١٢٩) .

* *

نتائج هذا الفكر المسيحى الكنسى

● **تعاليم كنسية بتقييد ممارسة الجنس بين الزوجين !**

« بينما كانت المسيحية تنتشر ، انتشر معها ببطء أيضا كراهيتها للجنس والنساء . لقد كان الوعاظ جميعا ، بالطبع ، من الرجال ، وكانوا أيضا اما بتولا ، أو أجبروا رغما عنهم على البتولية ، وبذلك كانت نظرتهم للجنس معقدة . ولم تكن الرسالة الجنسية التى مست الناس العاديين (غير الأكليروس) أكثر كآبة وسلبية ، مما كان فى توجيهات الاعتراف التى حاولت الكنيسة من خلالها أن تسيطر على الحياة الجنسية للناس ، حتى أولئك المتزوجين .

وهكذا نجد أن المكفرات (وهى : ارشادات لرجال الدين حول الحكم فى مختلف خطايا المؤمنين) تبين أنه فى مطلع القرون الوسطى ،

كانت الكنيسة تحاول فرض امتناع كلى على ممارسة الجنس بين الزوجين . فلقد حظرت ممارسة الجنس أثناء : حمل المرأة ، والرضاعة .. كذلك حظرت ممارسة الجنس أثناء : الصوم الكبير ، وأيام الآحاد الأربعة السابقة للميلاد ، وأيام الآحاد والأربعاء والجمع ، وقبل تناول العشاء الربانى ..

ولقد كانت تعاليم المكفرات مهتمة بعدد مرات ارتكاب خطيئة العادة السرية ، وخاصة بين رجال الدين .

ان هذا يبين أن الناس كانوا يحاولون مراعاة هــذه القواعد . وانهم اجبروا بذلك على ممارسة العادة السرية ، نظرا لحظر أى متنفس جنسى آخر ..

كذلك كانت هناك مخاطر جسمانية أخرى ، فقــد كان ســوء التغذية والوجبات غير المناسبة ، شائعا فى أوروبا لفترات طويلة . ومن المعلوم جيدا أن هــذا يقلل الشهوة الجنســية . كما أن الوجبة غير الصحية تعنى أن كثيرا من الناس كانوا يعانون من أمراض جلدية مروعة تشوه المنظر . ولقد عانت النساء كثيرا من الآلام المهبلية وآلام المبايض التى جعلت الجماع عملية مؤلمة ، بل ومستحيلة ، كمـا كانت الأمراض التناسلية شائعة اضافة الى ذلك ، كانت رائحة النســاء والرجال منتنة . وحتى مع التسليم بأننا نتكلم عن مجتمع لا يهتم بالاستحمام ، كما تفعل الآن ، فقد اشتهرت النســاء الانجليزيات ، بين الأجنبيات ، برائحتهن المنتنة على وجه الخصوص . وكانت المداعبة قبل العملية الجنسية غير معروفة ، وخاصة بين القرويين ، فى انجلترا وفرنسا . وكان هناك أيضا الخطر الدائم من الحمــل ، فى عصر كان مولد الطفل محفوفا بمخاطر للمرأة ، وكثيرا ما انتهى بموت الطفل .

وهكذا كان انفجار الدعاية ضد الجنس ، والتى أشعلتها الكنيسة ، كأنها ضربت على وتر حساس عند كثير من الناس ، فرأوا أن الجنس ليس شيئا يحقق مطالب الحياة الزوجية أو يعززها » (ص ٣٥ ــ ٣٦) .

* *

● فجـور قسيس !

« منذ القرن الثانى عشر ، انتقلت الى جنوب أوروبا عدوى هرطقة الكاثارية ، التى كانت تعتقد أن الشر مطلق كما أن الخير مطلق ، وأن المـادة شر وفساد ، وكذلك أدين الجسد والجنس والزواج كأشـياء مادية مملوءة بالخطيئة • وقد اعتقد الكاثاريون أنه اذا لم يقدر الانسان أن يكون واحدا من البتوليين ، وهم الطبقة العليا ، فمن الأفضل أن يكون غير مقصور على امرأة واحدة بدلا من أن يتزوج ، لأن الزواج أضفى مباركة شرعية على شيء تأصل فيه الشر •

ولقد حدث فى قرية مونتايو الفرنسية ، التى انتقلت اليها بشدة عدوى الكاثارية ، أن تزوجت امرأة تدعى فابريس فى عائلة متهرطقة • ونظرا لأنها لم تعتنق فكر أولئك الهراطقة ، فقـد طردت خارج منزل زوجها ، حيث عاشت فى بؤس مقيم ، وكانت تكسب معيشتها من العمل فى احدى الحانات •

وعندما بلغت ابنتها جرازيدا واحدا وعشرين سنة ، استدعيت أمام محكمة التفتيش ، ليس فقط من أجـل الشـك فى انتمائها الى تلك الهرطقة ، بل أيضا لأنها كانت عشيقة قسيس الأبرشـية بيير كليرج ، الذى كان كاثاريا •• ولقد حفظت لنـا شهادة جرازيدا ، التى جاء فيها :

(منذ سبع سنوات أو نحو ذلك ، جاء بيير كليرج الى بيت أمى التى كانت خارج البيت تعمل فى الحصاد فى فصل الصيف • وقـد حرضنى على ممارسة الجنس معى فقبلت • كنت لا أزال عذراء ، عمرى أربعة عشر عاما ، على ما أظن ، أو خمسة عشر عاما ، فأخذنى الى مخزن الحبوب حيث يحفظ التبن ••

بعد ذلك كرر معاشرتى جنسيا حتى يناير التالى ، وكان ذلك أيضا فى بيت أمى • ولقد علمت امى بذلك ، لكنها تسامحت ، وكان أكثر ذلك يحدث فى النهـار •

وفى يناير ، زوجنى القسيس الى زوجى الراحل بيير ليزيير . واستمر بعد ذلك يعاشرنى جنسيا طيلة السنوات الأربع التى عاشـها زوجى . لقد علم زوجى بذلك ، لكنه لم يبد اى معارضـة . فعندما سألنى عن ممارستى الجنس مع القسيس ، أخبرته بالحقيقة ، فطلب منى أن أحرص على ألا يكون ذلك مع أى رجل آخر خلاف القسيس . على أننى وبيير (القسيس) لم نمارس الجنس أبدا أثناء تواجد زوجى بالبيت ، فلم يكن يحدث ذلك الا فى غيابه خارج البيت .

انى لم أكن أعلم أن (القسيس) بيير كليرج كان ابن عم لأمى فابريس .. ولو علمت ذلك ، ما تركته يمارس الجنس معى . ولأننى واياه كنـا نستمتع بذلك ، فلم أكن أعتقد أننى كنت أرتكب الخطيئة معـه » ! (ص ٣٨ ــ ٣٩) .

* *

■ اضطهاد المرأة دفعها الى الشك فى المسيحية :

كانت كريستين دى بيزان كاتبة عاشت فى القرن الخامس عشر ، وقد جمعت بين الثراء والثقافة العالية . ولقد أتعسها حال بنى جنسـها من النساء فتبنت قضيتهن ، كما جاء فى مؤلفها : كتاب مدينة السيدات . « فهى تخبرنا أنه فى كل قراءاتها الواسعة ، لم تجد شيئا سوى كراهية النساء . ان كل السلطات (تنتهى الى قرار واحد هو : أن سـلوك النساء يجنح الى الرذيلة ويمتلىء بالمعايب) . وعندما راجعت كريستين حياتها الخاصة بكل دقة ، وحياة صديقاتها من النساء ، فانها لم تجـد تبريرا لذلك القرار .. وتولد عندها ، اثر ذلك ، مشكلة كره الذات ..

لقد كانت آراء أكويناس وأوغسطين وكثير غيرهم سببا فى اقتناع كريستين بأنها كانت شيئا بغيضا ومخلوقا غير طبيعى . وكانت تتساءل بحرارة : هل خلق الله مثل هذا الخلق المرعب ، ومثل هذا الشىء الأثيم الذى تمثلت فيه المرأة ؟

لقــد اوصــلها ذلك ، حسبما تتذكر ، الى الكفران بصلاح الله !
فقد استحال عليها الاعتقاد فى أن الله الطيب الصالح قد صنع مخلوقا مثل المرأة .. وعلى الرغم من ادراكها الشخصى لبراءة النســاء ، فقد أصبحت مقتنعة بشدة أن النساء لا بد أن تكون شرا ، حسبما آخبرها بذلك مجتمعها وثقافتها ، فكتبت تقول :

(يا الهى ! كيف يحدث هذا ؟! لأنه ما لم أضل شاردة من ايمانى ، فيجب ألا أشك أبدا فى أن حكمتك اللانهائية وصلاحك الكامل المطلق ، لم يخلق أبدا أى شىء لم يكن خيرا ..

ومع ذلك ، أنظر الى هــذه الاتهامات التى حكم بها على النســاء وتقررت وفرغ منها ضدهم - انى لا أعلم كيف أفهم هذا التناقض !

فاذا كان الأمر كذلك ، أيها الرب الاله العادل ، انه فى الحقيقـه يسود الجنس الأنثوى مقت شديد ــ لأنك نفسك تقول ان شــهادة شاهدين أو ثلاثة يضفى عليها التصديق ــ فلماذا لا أشك فى أن هــذا هو الحقيقة !

واحسرتاه ، يا الهى ! لمــاذا لم تجعلنى اولد فى هذه الدنيا رجلا ، لتكون كل نزعاتى مكرسة لخدمتك على نحو أفضل ، وحتى لا أضــل فى أى شىء ، وأكون كامــلة مثــل الرجــل ، كمــا يقولون) !!
(ص ٨٣ ــ ٨٤) .

* *

● مذابح مروعة للنســاء :

دأب الفكر الكنسى المسيحى الغربى ، عبر قرون عديدة ، على اثارة جو متأجج بكراهية المرأة والخوف منها ، استمد جذوره الأولى ما تحكيه الصفحات الأولى من الكتاب المقدس عن الخطيئــة الأولى التى تضع مسؤليتها فى عنق حواء ، وتحملها بالتالى مسئولية كل المتاعب والآلام التى يعانيها الجنس البشرى على هذه الأرض . ثم جاءت فكرة الخطيئة المتوارثة التى غرسها بولس فى المسيحية على غير أساس ، كمــا

بينا سلفا وتعهدها آباء الكنيسة حتى كان أوغسطين الذى صاغ معتقد الخطيئة الأصلية فى صورته النهائية .

لقد كان هذا المعتقد ـ كما بينا سلفا أيضا ـ اختراعا من صنع المسيحية . ان خبرات الحياة تؤكد لنا كل يوم حقيقة ما قاله المسيح فى موعظة الجبل عن الذين يسيطرون على فكر الناس ومعتقداتهم طغيانا بغير علم ، فيجلبون لهم ـ ولتابعيهم ـ الشـقاء فى الدنيا والآخرة . فلقد قال فيهم المسيح قولة حق ومعيار صدق : « **من ثمارهم تعرفونهم . هل يجتنون من الشوك عنبا او من الحسك تينا .** هكـذا كل شجرة جيدة تصنع أثمارا جيدة . وأما الشجرة الردية فتصنع أثمارا ردية . لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثمارا ردية ، ولا شجرة ردية أن تصنع أثمارا جيدة . كل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا ، تقطع وتلقى فى النار . فاذن ، من ثمارهم تعرفونهم ـ متى ٧ : ١٦ ـ ٢٠ » .

وما كان لكل هذه المعتقدات التى ربطت الخطيئة والجنس والمرأة معـا وما ترتب عليها من عداوات بثتها الكنيسة الا أن تؤتى ثمارهـا المرة . وبلغت المرارة أقصى لسعاتها فى القرنين السادس عشر والسابع عشر حين اتخذ الرعب من المرأة أبشع صوره المتوحشة فى تلك المذابح الدموية التى تعرضت لها النساء فى الغرب المسيحى .

*

تقول كارن ارمسترونج: « ان أعمال القمع فى الحضارة الغربية لا ترى ظاهرة بوضـوح الا فى حالات الرعب الفجائى المتعاظم الذى يصاحب تلك الأعمال ، ويتفجر من وقت لآخر بعنف مذهل ثم يخمـد فجأة ، تاركا كل شخص مرتبكا ومتحيرا من ذلك الجنون الوقتى الذى سيطر على المجتمع ..

ان جنون القمع هذا لا يوجه الى مجرمين حقيقيين فى المجتمع أو ينزل بمن يناصبونه العداء حقا ، لكنه يصيب ضحايا يعملون كبش فداء لأمراض العصاب التى كبتها المجتمع ، ولم يكن له من وسيلة للتعبير

عنها سوى هذا الأسلوب العنيف واللاعقلانى . وكثيرا ما نسمى هذه الأعمال الجنونية : ((تعقب المتشيطنات وقمعهن))(١) بسبب الجنون الشهير الذى تفجر فى أوروبا خلال القرنين السدس عشر والسابع عشر ، خاصا بتعقب نساء السحر الأسود والتنكيل بهن .. وعلاوة على ذلك ، فان تعقب المتشيطنات وقمعهن قد فعل ما هو أكثر من مجرد اعطاء اسم لظاهرة غربية مزعجة وعجيبة .

فلقـد دمرت تلك الحملات ، الى أبعـد حـد ، العـلاقة بين الجنسين فى مجتمعنـا . لقـد حشـد تعقب المتشيطنات وقمعهن كل المخـاوف الدفينـة التى كانت تنمو تدريجيـا فى الغرب المسيحى . **ففى نهـاية القرن الخـامس عشر ، كان واضـحا تماما ان الكنيسـة قـد طبعت اوروبـا برعب من الأمور الجنسـية ، وكراهيـة للنسـاء ، تفجـرت كلهـا فى الحمـلات المتفرقـة لتعقب المتشيطنات وقمعهن .** لقد نما الذعر من ذلك أثناء القرن السادس عشر ، ووصل ذروته فى نهاية ذلك القرن ، واستمر حتى عام ١٦٨٠ عندما بدأت تلك النقمة فى

---

(١) تقول المعاجم ثنائية اللغة فى ترجمة الكلمة الانجليزية (Witch) : أنها : ساحر (ة) . عراف (ة) . بينما تقول المعاجم الانجليزية أحادية اللغة (أوكسفورد) أن هذه الكلمة تعنى : **امرأة** قيل أنها تستخدم السحر وخاصة للأغراض الشريرة . اى انها امرأة تستخدم السحر الأسود . وهـذا يبين أن الترجمة العربية الشـائعة لتلك الكلمة الانجليزية ليست دقيقة ، فهى ذاتها تستخدم لترجمة كلمات انجليزية أخرى شبه مترادفة لها . والأفضل أن تكون ترجمة كلمة (Witch) هى : امرأة السحر الأسود ، أو : امرأة متشيطنة .

كذلك تقول المعاجم ثنائية اللغـة فى ترجمة المصطلح الانجليزى : (Witch - hunt) ، أنها : مطاردة الساحرات (وتعذيبهن) . بينما تقول المعاجم أحادية اللغة ان هـذا المصطلح يعنى : شن حملة صـارمة لفضح المنشقين على المجتمع ، بزعم حمايته والعمل لمصلحته . فالأفضل أن تكون ترجمة هـذا المصطلح حسب ظروف اسـتحداثه تاريخيـا هى : تعقب المتشيطنات (أو : نساء السحر الأسـود) وقمعهن . ثم تكون ترجمته مجازا هى : تعقب المنشقين وقمعهم .

التبدد . ولقد كان للعالم الجديد فى أمريكا جنون تعقب المتشيطنات الخاص به ، كما حدث فى « سالم » عام ١٦٢٩ ، مسترجعا عصاب أوروبا على الجانب الآخر من الأطلسى .

لقد كان تعقب المتشيطنات وقمعهن ظاهرة دينية دبرتها الكنيسة ، ودعمتها معتقدات الناس الأتقياء والمخاوف التى حلت بالنساء المتعقبات ..

لقد كان تعقب المتشيطنات وقمعهن نتاجا محضا للحمية المسيحية . فقد كان ظاهرة غربية خاصة .. ولقد عانت بعض أجزاء أوروبا من قسوته أكثر من أجزاء أخرى ، فكانت حملات القمع فى أسبانيا وايطاليا والبرتغال وهولندا محدودة ومتفرقة ، كما كانت ضئيلة فى انجلترا ، على الرغم من اعدام المئات من النساء لهوايتهن أعمال السحر والتنجيم ، وتلك ظاهرة مختلفة تماما عن ظاهرة تعقب المتشيطنات . أما فى استكلندا وفرنسا والولايات الألمانية وسويسرا ، فقد كان جنون حملات القمع أسوأ ما يكون ، اذ يحدث أنه يتفجر بعنف فى منطقة ما ، ثم يتوقف فجأة ليندلع فى نفس المكان بعد سنوات .

وطوال حملات تعقب المتشيطنات وقمعهن ، كان يعتقد ان هناك شيطانا يمارس الجنس مع هؤلاء النسوة ، وكانت تعرف تلك الروح الشريرة باسم : الحضون . كما يعتقد أن تلك النساء المتشيطنات يمكنهن الطيران فى الهواء ليلا لحضور الاحتفال بيوم لراحة الأسبوعى ، حيث يعبدن الشيطان ، وينغمسن فى شعائر وحشية ، ويمارسن طقوسا جنسية عربيدية . وكان يعتقد كذلك ، أن هؤلاء النساء يمتلكن قوى سحرية ، اذ كن فى تحالف مع الشيطان من أجل تدمير الجنس البشرى ، كما كانت لهن القدرة على اثارة العواصف ، واتلاف المحاصيل ، واحداث العجز الجنسى للآخرين ، واصابتهم بالعقم والموت . **لقد كان تعقب المتشيطنات بدعة مسيحية** ، وكان ينظر اليها على أنها

واحـدة من أخطر أنواع الهرطقات لأنها كانت تعطى للشيطان التكريم الذى كان يجب أن يعطى لله . ولهذا كان الواجب على كل المسيحيين الأتقياء تعقب هؤلاء النســاء المتشيطنات اللاتى تعادين الله والمجتمع . فتلك مؤامرة يجب فضحها ، كما يجب اجبار هؤلاء المتشيطنات على الاعتراف بجرمهن ، والكشف عن أسماء زميلاتهن ورفقـاء المؤامرة . فلهـذا كان تبرير التعذيب ممكنا ، وقـد مورس بوحشية . حتى ان النساء اعترفن بأنهن متشيطنات حقا ، وقمن بوصف ممارستهن الجنس مع الشيطان ، وما كان يحدث فى حفل يوم الراحة الأسبوعى . وذلك حسب التلقين الذى تضمنته أسئلة المحققين .

لم يكن فى الاعتقاد بوجود نساء متشيطنات أى فكر منطقى . وقد ناقض كثيرا من المبادىء المسيحية بما فيها وصية المسيح بمحبة الأعداء . فما كان سوى اقتناعا عاطفيا ينبع من أعمال الكبت التى فرضتها المسيحية على أوروبا .. فطول قرون عديدة ، كان ينظر الى الجنس على أنه شر ، وأن النساء أعداء الرجل ، أما الآن فقد أصبح الجنس شيطانيا ، وأصبحت النساء هن العدو الرئيسى للمجتمع .

لقد اعتقد كثير من الناس بشدة فى وجود هؤلاء النساء المتشيطنات، وأن الواجب يفرض عليهم قتل الآلاف منهن . ومن الصعب الآن معرفة عدد النســاء اللائى قتلن خـلال الجنون الذى استمر مائتى عـام . وان كان بعض العلماء يؤكد انه قـد مات فى موجات تعقب المتشيطنات بقـدر ما مـات فى جميـع الحروب الأوروبيـة حتى عـام ١٩١٤ . فنادرا ما تركت اية امرأة على قيد الحيـاة فى بعض القرى السويسرية . فمن المحال ، اذن ، تقدير أعداد القتلى من هؤلاء النساء بدقة واقعية . لكن يبدو أن الأعداد كانت كبيرة بدرجة مفزعة .

لقـد كان معتقد شيطنة النســاء ، اذن ، خيـالا جامحا ضخما تراكم فى عقـول المسيحيين الغربيين ، معـبرا عن أعمـق مخاوفهم . كما كان مرضا عالميا نفخت فيه الحياة ديانة المحبة ... !

لقد تعلم المسيحيون أن النساء مخلوقات بغيضة ، وفاسقات جنسيا . ثم كانت المرأة المتشيطنة قمة ذلك الفسوق ، وكان الاعتقاد فى ممارستها الجنس مع الشيطان حقيقة رهيبة مسلما بها » (ص٨٨-٩١).

*

■ خرافة وثنيـة :

« ان الاعتقاد الوثنى القديم بأعمال التشيطن هذه ، تسلم معموديته المسيحية فى عام ١٤٨٤ عندما أصدر البابا انوسنت الثامن مرسوما بابويا مذهلا ، حيث يظهر منه أن قلقا جنسيا انتشر فى ألمانيا بصورة وبائية . فقد صار الرجال عاجزين عن ممارسة الجنس ، كما عجزت زوجاتهم عن الحمل . وقد أرجع ذلك الى النساء المتشيطنات (اللاتى استسلمن للشيطان ليمارس الجنس معهن) ، واللاتى أثرن بقوة السحر فى الجيران .

عندئذ كلف البابا اثنين من الآباء الدومينيكان هما : يعقوب شبرنجر ، وهينرش كريمر ، بتولى هذا الموضوع . وكانت نتيجة عملهما المشترك هو اصدار دليل عمل بعنوان : مطرقة المتشيطنات ، الذى كان كتيبا الغرض منه مساعدة المحققين فى تحرى أعمال المتشيطنات. ولقد حظى هذا الكتيب بمصادقة متأنية من جامعة كولونيا عام ١٤٨٧ ، ثم أصبح المصدر الرئيسى لديوان التفتيش حيث تكررت منه تسعة عشر طبعة .

ويحاول شبرنجر فى هذا الكتيب أن يبرهن على أن النساء قابلات لاغواء الشيطان أكثر من الرجال لأنهن أصلا مخلوقات فاسدات . ثم هو يطور نظرية اكويناس التى تقول بأن النساء أساسا هن مخلوقات بشرية مشوهة . لقد كتب شبرنجر يقول :

« يجب ملاحظة ان هناك عيبا فى تكوين المراة الأولى .. وحيث انها من خلال هذا العيب تكون حيوانا مشوها ، فانها دائما تخادع .. وهذا ما تبينه

دراسة اصل كلمة : « انثى » وتاريخها (فى اللغات الاوربية) ، لأن كلمة (Femina) تتكون من شقين هما : (Fe - Minus) (فالكلمة تتضمن معنى النقص) ، نظرا لأنها ضعيفة أبدا لا تستطيع التمسك بالايمان والمحافظة عليه .

« فهذا شىء يختص بصميم طبيعتها » (مطرقة المتشيطنات — ص ٤٤) .

كذلك كتب شبرنجر يقول : (ان كل اعمال شيطنة المراة انما تنبع من تحرقها الشهوانى الذى لا يشبع . فهناك (حسب الكتاب المقدس) ثلاثة لا تشبع ، واربعة لا تقول كفى : ذلك هو فم الرحم (سفر الأمثال : الاصحاح ٣٠) . وبناء على ذلك : فان النساء مستعدات لمعاشرة أى شخص حتى ولو كان الشيطان) (مطرقة المتشيطنات — ص ٤ .

فكما أن الجنس قد نظر اليه دائما على أنه مرتبط بالخطيئة الى أبعد حد ، فقد صار الآن مرتبطا بقوة الشيطان .

ويستمر مطرقة المتشيطنات فى القاء مسئولية الشهوة الجنسية على النساء . ان شبرنجر يشكر الله بحرارة على أن الرجال متحررون من تلك الشهوة الجنسية الملعونة ! ، وهم بالتالى متحررون من أعمال الشيطنة (فحيث انه (الرب) كان راضيا أن يحمل به (فى البطن) ويقاسى من أجلنا ، فقد أنعم على الرجال بهذا الامتياز) .

ان الانطباع المذهل من هذا القول ، هو ان الله لم يخلص النساء ، او لم يمت من اجلهن ، ولهذا اسلمهن الى الجنس ومن ثم الى الشيطان.

لقد كان هنالك ميل دائم الى دفع النساء بعيدا عن خطة الله لخلاص العالم ، أما الآن فان النساء لم تثن فقط من الدخول فى تلك الخطة ، بل انهن وضعن موضع العدو ، حيث تحالفن مع الشيطان ، عدو الله وعدو الانسان » (ص ٩٣ — ٩٥)

* *

● مأساة جين هارفيير :

« هناك قصة محزنة بطلتها جين هارفيير ، التى عرضت قضيتها على برلمان باريس فى عام ١٥٧٨ . • فعندما كانت طفلة ، أحرقت أمها كامرأة متشيطنة ، وباعتبارها ابنة لهذا النوع من النساء فقد تعرضت للجلد بأمر البرلمان . لكن البلية لم تنته بعد ، فان وصمة عار أمها جعلتها غريبة تماما عن المجتمع ، ولما كانت جين قد أجبرت باستمرار على التحرك من مسكن الى آخر ، وعلى تغيير اسمها ، لكى تهرب من لعنة التشيطن ، فقد وجدت نفسها أنها أصبحت فى آخر الأمر وحيدة تماما لدرجة أنها صارت تشعر بأنه لا يوجد من تتجه اليه سوى الشيطان .. لقد أصبحت جين مقتنعة أن أمها كرستها للشيطان .. واعترفت بأن شيطانا تعود أن يظهر لها على هيئة رجل طويل ، يرتدى ملابس سوداء ، متوشحا بسيف .. وأنه أصبح صديقها الوحيد ، وحبيبها الذى كانت تمارس الجنس معه الى أن بلغت الخمسين عاما عندما اتهمها جيرانها بالتشيطن ..

فعلى الرغم من ان جين اعترفت بان الروح الشريرة كانت تجامعها ليلا ، فلم يكن هذا كافيا فى نظر القضاة اذ لا بد ان تطبق عليها كافة سلسلة الاستجواب ، فعذبت الى ان اعترفت بانها كانت تطير فى الهواء ، وتشترك فى حفلات العربدة خلال يوم الراحة الاسبوعية ، وانها عبدت بعلزبول (رئيس الشياطين الذى زعم اليهود أن المسيح كان لا يخرج الشياطين الا بمساعدته ـ متى ١٢ : ٢٤) .

ان صنوف العذاب التى صبت على هؤلاء النساء البائسات قبل موتهن المحتوم ، لتبين بوضوح حجم الكراهية للنساء ، والتى كانت السبب فى نفث هذا الجنون . لقد كان ويير فى رعب مما رآه فى السجون ، وكان يلح على أن هؤلاء النساء المتهمات لم يكن هرطيقات ، وانما هن نساء بائسات جاهلات مريضات » (ص ١١٤) .

* *

خاتمـــة : وتعليـــق

ان هذا الموضوع لا يحتاج الى تعلّيق ...

على أن كارن ارمسترونج قد كفتنا مئونة التعليق ، فلقد كان لها ملاحظات وتعليقات نكتفى بذكر شىء منهـا تحت موضـوعين فرعيين فيمـا يلى .

*

● المسيحية والمحبـة :

تقول كارن ارمسترونج : « لقد كانت فكرة المحبة واحدة من أهم المثل العليا فى المسيحية ، فقد قال يسوع ان العلامة المميزة لأتباعه تكون بقدر ما يحمله الواحد منهم من محبة للآخرين . ولقد مدح القديس بولس المحبة أكثر من كل مواهب الروح التى تثير العجب . فبدونها يكون الانسان طبلا أجوف ، أو نحاسا يطن ، أو صنجا يرن . ولقـد ألح القديس يوحنا على أنه عنـدما يحب المسيحى جاره فانه آنذاك فقط يستطيع أن يحب الله بصدق . بل ان يسوع قال ان محبة الأصـدقاء ليست كافية ، فيجب على المسيحى أن يحب أعداءه أيضا ، الا أن الحب ليس من المثل العليا التى تسهل ممارستها . على انه يجب القول انه مهما كانت نظرياتها اللاهوتية الرسمية التى تختص بالمحبة ، فقد بقيت المسيحية واضـحة فى كونها اقـل فى جانب المحبة عمـا هى فى جـانب الكراهيـة .

نحن (فى الغرب المسـيحى) نسـعد جـدا بوصم الاسـلام بالعنف ، لكننـا نتنـاسى من اجـل راحتنـا ان تاريخنـا المسـيحى كان قصـة معتمـة من الحـروب الصـليبية والاضطهادات . لقد اعتقد المسيحيون فى أوروبا ، طيلة قرنين من الزمان ، أن واجبهم الدينى يحتم عليهم ذبح المسلمين واليهود فى الحروب الصليبية .

فلقد كان ينظر الى قتل أعداء المسيح والبلاد المسيحية ، كعمل مقدس يستحق المكافأة والتقدير ، وسبيلا يمارس من خلاله الرجل العادى (من غير رجال الدين) المحبة الكاملة لله ، تماما كتلك التى يمارسها الراهب فى الحياة الدينية .

ثم كان على المسيحيين ، فيما بعد ، أن يشنوا حروبا صليبية ضد المسيحيين الآخرين ، ليس فقط ابان محاكم التفتيش ، ولكن أيضا بعد الاصلاح الدينى ،حيث قام الكاثوليك والبروتستانت بقتل بعضهم البعض . وحتى عندما لم توجد قضايا اضطهاد فعلى ، فقد كانت المسيحية قاسية جدا ، لا تبالى بطريقة متوحشة ، وتستغل بأسلوب منافق جماعات كثيرة من الناس . ومن المؤكد أن النساء لم تكن الوحيدات اللاتى قاسين على أيدى المسيحية ، ولكنهن ، فى الحقيقة ، كن من أوائل الأعداء الذين ابتدعتهم . ان هذه الكراهية للنساء انما تنبع من عملية اسقاط نفسى للمخاوف والشعور بعدم الأمان الذى استقر فى عقول المسيحيين وقلوبهم . ولقد ابتدعت المسيحية ، خلال تاريخها الطويل ، صورا مماثلة أخرى لأعداء ، كانت تنمو فى الأذهان بعمليات اسقاط نفسى .

وهكذا ، بدءا من القرن التاسع ، صار المسلم عدوا للمسيحيين ، وكانت صورته عند المسيحيين فى اوروبا لا تمت الى الحقيقة على الاطلاق ، لكنها تظهر خليطا من الخوف والاعجاب اللذان شعر بهما المسيحيون نحو الاسلام ، الى جانب قلق دفين من اجل المسيحية ذاتها . وهكذا أيضا ، فى الوقت الذى اجتاحت فيه أوروبا الحروب العدوانية ، وكان يستفحل فيها تدريجيا مفهوم العنف المقدس الذى تفجر اخيرا فى الحروب الصليبية ، كان الاسلام يعرض بصورة خاطئة تماما على انه الدين العنيف ، غير المتسامح ، الذى ذبح أصحاب العقائد الأخرى . ومرة اخرى ، عندما حطمت اوروبا مخاوفها الجنسية ، كان ينظر الى المسلم أيضا ، وبصورة خاطئة تماما ، على انه انسان اباحى بغيض .

ان هذا لم يكن مجرد مسألة جهل بالحقائق ، فحتى عندما استطاع الناس معرفة الحقائق عن الاسلام ، فانهم استمروا فى ترديد الأحكام المسبقة القديمة عنه ، والتى كانت احتياجا عاطفيا للغرب طيلة قرون .

ولقد عانى اليهود أيضا بنفس الطريقة منذ نهاية القرن الحادى عشر ..

ان النساء لم تكن مجرد طبقة مثل العبيد أو الفقراء الذين لم يقم المسيحيون بعمل أى شىء للتخفيف عنهم فحسب ، بل انهم فى الواقع زادوا من معاناتهن . لقد كان يقال للفقراء على الدوام أن يتوافقوا مع الكنيسة : فهذا لوثر يحرض الأمراء على قتل الفلاحين الثائرين ، ولكن على الفلاحين أن يكونوا ثائرين ! ان الفلاح لم يكن شريرا لمجرد كونه فلاحا ، مثلما كان اليهودى شريرا لكونه يهوديا ، ومثلما كانت المرأة شريرة لأنها حواء ..

وكيفما كان الحال ، فان النساء لم تكن مجرد جماعة أساء المسيحيون معاملتها ، بل كانت النساء من أول أعداء المسيحيين ، اذ ارتبطن بالشيطان من أجل تدمير الرجال » (ص ٦٨ — ٦٩) .

* *

● **اثر الاسلام فى احترام الأم والزوجة المسيحية :**

« ان الكنيسة الكاثوليكية لم يكن لديها القدر الكافى من الكفاءة لكى تفرض آراءها فى الجنس بنفس القوة التى مارستها البروتستانتية . ولعل هذا هو السبب أنه فى البلاد الكاثوليكية ، مثل ايطاليا ، يوجد تقدير أكبر للجنس ، ويوجد تقدير أكبر — من بعض الأوجه — للنساء ، عما هو فى البلاد التى تعتبر تقليديا بروتستانتية ..

ان الأم الايطالية ، التى لها عميق الاحترام والنفوذ فى اسرتها ، انما تشبه فى ذلك النساء غير المسيحيات فى عالم البحر الأبيض المتوسط

مثل الأمهات العربيات المسلمات ، اكثر الى حد كبير من شبهها لأخواتها المسـيحيات فى انجلترا او المـانيا ، حيث لا تتمتع تلك الأمهات بنفس المكانة .. وفى اسـبانيا ، التى تاثرت بقوة بالاحتلال الاسلامى ، فقد تاثرت بالمفاهيم الاسـلامية الخاصة بالجنس والموقف من النساء ..

وعندما يعزل المسلم نساءه عن العالم ، فانما ذلك دليل على شـدة احترامه لهن بما يجعله يربا بهن عن مخالطة عالم الأسواق الخطر الدنىء .

وهناك شواهد على أن النسـاء الغربيات اللاتى استقر بهن المقام فى مملكة اورشليم ، ابان الحروب الصليبية فى القرون الوسـطى ، قد اكتسبن احتراما من المؤكد ان اخواتهن فى اوروبا لم يتمتعن به فى القرن الثانى عشر الذى اشتهر بكراهية النسـاء ، وانهن قـد اكتسبن هـذا الاحترام من اتصالهن بالاسـلام . وقـد بدا الكثير من نسـاء الصليبيين فى ارتداء الحجاب ، بعد أن راين المكانة والاحترام اللذان يوفرهما للنساء المسـلمات ..

وعندما حجز المسلمون نساءهم ـ حسب التقاليد ـ فى نظام الحريم داخل بيوتهم ، فذلك بسبب تقديرهم لهن ، واعتبارهن خاصتهم ، بينما حجز المسيحيون نساءهم خارج حياتهم ، لأنهم كانوا يكرهونهن ، فصارت النساء منفيات الى عالم منعزل يتسم بالوحشة » (ص ٤٢ ، ٦٣) .

* *

أما بعـد ...

هذا قليل اقتبسناه من كثير مما جاء فى الدراسة الحافلة التى قامت بها كارن ارمسترونج ، فكانت تأريخا وثائقيا للفكر المسيحى ، وتبيـانا ملموسا لأوضاع المرأة فى المسيحية عبر القرون ، ضمنتها كتابها المتميز : انجيل المراة ، الذى جاء فى ٣١٠ صفحة ، واعتمد على ١١٨ مرجعا .

ان كارن تملك امكانات البحث والدراسة عن حقيقة أوضاع المرأة فى اليهودية والمسيحية فقط وذلك بحكم نشأتها وبيئتها وانتمائها الفكرى والعقائدى . ولتوافر جميع المصادر والمراجع التى تحتاجها . أما كتابتها عن الاسلام ، فهذا شىء فوق طاقتها نظرا لاعتبارات كثيرة من أهمها : ندرة المراجع الأمينة التى يعتمد عليها فى التزويد بالمعلومات الصحيحة ، بدلا من تلك الغلالات الحالكة التى دأب غلاة الاستعماريين وأغلب المستشرقين وأشياعهم على نسجها حول الاسلام ونبيه والمرأة المسلمة والحريم ...

وان كادت كارن أن تفلت أحيانا من شباك تلك الخيالات المريضة ، فتعترف بأفضلية بعض المفاهيم والممارسات الاسلامية ، فانها فى أشد الحاجة الى دراسة عن الاسلام تستقى بأمانة من مصادره الأصلية الصحيحة .

*

ليس هنا مجال الحديث عن المرأة فى الاسلام ، ولكن يكفى أن نورد حادثا واحدا وقع فى صدر الاسلام ، كان بطلاه : امرأة من عامة المسلمين ، وعمر بن الخطاب ، الخليفة الثانى ... وعمر هو من هو : الحاكم العادل ، والفقيه الورع ، ومنظم الدولة الاسلامية الواسعة ومشيد أركانها ...

يقول ابن كثير : « ركب عمر بن الخطاب منبر رسول الله ﷺ ثم قال : أيها الناس ! ما اكثاركم فى صداق النساء ؟! وقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه ، والصدقات فيما بينهم أربعمائة درهم ، فما دون ذلك ؟! ولو كان الاكثار فى ذلك تقوى عند الله أو كرامة ، لم تسبقوهم اليها . فلأعرفن ما زاد رجل فى صداق امرأة على أربعمائة درهم .

ثم نزل . فاعترضته امرأة من قريش ، فقالت : يا أمير المؤمنين ! نهيت الناس أن يزيدوا فى مهر النساء على أربعمائة درهم ؟

قال : نعم . فقالت : أما سمعت ما أنزل الله فى القرآن ؟!

قال : وأى ذلك ؟

فقالت : أما سمعت الله يقول : « وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا ، أتأخذونه بهتانا واثما مبينا » ؟! (النساء : ٢٠) .

قال : اللهم غفرا ! كل الناس أفقه من عمر .

ثم رجع ، فركب المنبر فقال : أيها الناس ! انى كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء فى صدقاتهن على أربعمائة درهم ، فمن شاء أن يعطى من ماله ما أحب » .

ان دلالات هذه القصة كثيرة ، وان الذين يهتمون بقضية النساء ، لهم أكثر الناس استشهادا بها ، بحكم ما تبينه من مواقف ، وما تثبته من أحكام .

*

لقد صنع الاسلام من المرأة المسلمة ــ ابنة حواء أيضا ، بل وابنة الصحراء ــ انسانا كامل الأهلية : له حق الحياة والحرية والتعبير والقبول والرفض والجدال ، حتى ولو كان مع رأس الدولة ، جدالا قائما على العلم والمنطق ومغلفا بالتى هى أحسن . والخليفة العادل لم يلبث أن ينصاع الى الحق الذى بينته له امرأة من عامة رعاياه ، فما كان منه الا أن اعتلى منبر المسجد مرة أخرى ليعلن أمام الناس خطأ رأيه الأول فى تحديد صداق النساء .

لقد كان هذا يحدث فى الوقت الذى « كتب فيه البابا جريجورى الكبير خطابا الى أحد الأساقفة ، بدأه بقوله :

وصلنا تقرير لا نستطيع ذكره دون أن يحمر الوجه خجلا : انك تشرح قواعد النحو والصرف لبعض الأصدقاء » .

وقد علق برتراند رسل على هذا الحادث ودلالاته الخطيرة بقوله :

« لقـد اضطر الأسقف ، بحكم السلطة البابوية ، أن يكف عن القيام بهذا العمل الشرير ! ان اللســان اللاتينى لم يسـترد الحيـاة الا فى عصر النهضة »[1] .

*

ومهما يكن من شىء ، فان كارن ارمسترونج هى الأجدر بالكتابة عن أوضــاع المرأة فى المسيحية ، لاعتبارات منها :

انها ابنة الكنيســة ...

وانها ابنة الحضارة الغربية ...

فلطالما كان المسـيح يقول فى الانجيل : « اذهبوا وتعلموا ما هو . انى أريد رحمة لا ذبيحة ـ متى ٩ : ١٣ » وكان يردد بذلك مـا قاله هوشع فى أسفار العهد القديم (هوشع ٦ : ٦) . ولقـد ذهبت كارن وتعلمت ، ونقبت فى بطون الكتب ، وقامت بمسح شـامل لوضع المرأة فى المسيحية خلال تسـعة عشر قرنا ، فجاء كتـابها هـذا قائمـا على النصـوص والأسـانيد ، ولم يأت عبثـا أو خيـالا جامحـا كتلك المسخ الشيطانية التى تطلع علينا بين الحين والحين ، فتكتب فى أخطر الأمور ، مثل أمور الدين ، بأسلوب العبث والاسفاف الحقير ...

فلبئس ما كتبت تلك الحثالة من الكتاب ... ولبئس ما قرأت لها تلك القطعان من القراء ...

*

ان ما عرضته كارن أرمسترونج عن وضع المرأة فى ظل المسيحية فى الغرب ، يجعل الضمير الانســانى ينتفض صارخا :

« يا حسرة على العباد » !

* *

(1) B. Russel : Why I am not a Chrisitian ? p. 19.

مكانة المـرأة فى الاســـلام

● **آدم هو المسئول عن الخطيئة البشرية الأولى :**

رأينا كيف جعل **الكتاب المقدس** المرأة هى المسئولة عن الخطيئـة البشرية الأولى . فقد ألقى آدم اللوم عليها . فقال لربه : « المرأة التى جعلتها معى ، هى أعطتنى من الشجرة فأكلت » . واعترفت المرأة لربها أنها كانت البادئة بالمعصية بعـد أن أغوتها الحية ، فقالت : « الحيـة غرتنى فأكلت » .

وهكذا حملت اليهودية المرأة مسـئولية هذه الخطيئـة البشرية الأولى . وعلى خطاها سـار بولس . فوضع المسـئولية فى رقبة المرأة . ودافع عن الرجل الأول ــ آدم ــ واعتبره لم يتعد . فقال : « آدم لم يغو . لكن المرأة أغويت ، فحصلت فى التعدى » .

ولقد كان لهذه الأقاويل آثارها المدمرة على مكانة المرأة ومنزلتها فى اليهودية والمسيحية . ولمـا كان بولس هو المسـئول ــ كما رأينا ــ عن اختراع فكرة الخطيئة الأصلية المتوارثة فى بنى آدم ، فقـد ذاقت المرأة فى المسيحية ــ مسيحية بولس ــ الكثير والكثير عبر القرون .

وحين نأتى الى الاسلام نجده مخالفا تماما لمـا تقول به اليهودية والمسيحية من تحميـل المرأة وزر الخطيئـة الأولى وما ترتب عليها من شقاء . فالقرآن يحدد ــ بصريح العبارة ــ مسئولية آدم عن ذلك ، وان شـاركته امرأته المعصية بالأكل من الشجرة المحرمة ، بعـد أن استجاب آدم ثم امرأته لوسوسـة الشـيطان ، طمعـا فى الخلد وملك لا يبلى :

﴿ ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما . واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسـجدوا الا ابليس ابى . فقلنا يا آدم ان هـذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنـة فتشقى . ان لك الا تجوع

فيهـا ولا تعرى . وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى . فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هـل ادلك على شـجرة الخلد وملك لا يبلى . فاكلا منهـا فبدت لهما سوءاتهما وطفقـا يخصفان عليهما من ورق الجنـة ، وعصى آدم ربه فغوى ﴾ (طه : ١١٥ ــ ١٢١) .

لقد نسى آدم وعصى ، وتبعته امراته فعصت معه ، ولهذا كان هو المسئول الأول ...

*

هذا ، ولقد جاءت قصة آدم وابليس والعداوة بينهما فى سـبع سـور من القرآن هى ، حسب ترتيب المصحف ، كالآتى : البقرة ــ الأعراف ــ الحجر ــ الاسراء ــ الكهف ــ طه ــ ص .

كما جاء ذكر الحديث عن معصية الأكل من الشجرة المحرمة فى ثلاث سور هى : البقرة ــ الأعراف ــ طه .

وبتدبر ما جاء فى القرآن العظيم ، وما جاء فى الكتاب المقـدس خاصـا بآدم وزوجه وابليس والمعصية البشرية الأولى ، نلاحظ الآتى :

١ ــ كان ابليس أول العصاة فى هذه القضية ، فلم يطع أمر الله بالسـجود لآدم ، فقـد : **﴿ ابى واستكبر وكان من الكافرين ﴾** (البقرة : ٣٤)

٢ ــ وكان ابليس ، وفق منطقه المعوج ، يتصور نفسـه أفضـل من آدم بحكم مصدر تخليقه ، فهو قد جاء من نار ، أى من شىء ذى طبيعة طاقية يعبر عنها ــ الآن ــ بالاهتزازة وطول الموجة ، وأما آدم فقد جاء من طين مر بمراحل منتنة ، أى من شىء ذى طبيعة مادية يعبر عنـه بالأبعاد والأثقال وشغل حيز من الفراغ .

ومن هذا المنطلق الجهول ، قـال : **﴿ انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ﴾** (الأعراف : ١٢) .

« لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون »
(الحجر : ٣٣)

« أأسجد لمن خلقت طينا » ؟! (الاسراء : ٦١) •

ولقد حول العلم الحديث اليوم ، المادة الى طاقة ، ومن جزء ضئيل جدا من المادة تتحرر طاقة هائلة ، كما حدث على الأرض فى القنابل الذرية والتفاعلات النووية ، وكما يحدث فى الكون ، حيث تبقى الحياة على هذه الأرض — بأمر الله — وفق ما تستقبله من طاقات متنوعة من الشمس فى صورة ضوء وحرارة واشعاعات أخرى •

٣ — كان ابليس هذا من الجن الذين خلقوا قبل آدم وذريته :

« ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حما مسنون • والجان خلقناه من قبل من نار السموم » (الحجر ٢٦ ، ٢٧) •

« واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه » (الكهف : ٥٠) •

فهو من طبيعة نارية ، والنار تشاهد بألوان متدرجة الحرارة ، ففيها الأحمر والأزرق والأبيض •••

ولهذا قال المسيح : « رأيت الشيطان ساقطا مثل البرق من السماء — لوقا ١٠ : ١٨ » •

٤ — سمى القرآن هذا المخلوق الجنى — الذى كان أول العصاة فى هذه القضية — باسمه ، وهو : ابليس ، كما جاء فى السور السبع ، كالآتى : البقرة : ٣٤ ، الأعراف : ١١ ، الحجر : ٣١ ، الاسراء : ٦١ ، الكهف : ٥٠ ، طه : ١١٦ ، ص : ٧٤

ولم ينعته بالشيطان ، الا بعد عصيانه وطرده من رحمة الله ، كما جاء فى : البقرة : ٣٦ ، الأعراف : ٢٠ ، الاسراء : ٦٤ ، طه : ١٢٠

فهو قد استشاط حقداً على آدم وتأججت نيرانه ، فكان بعض ما نفثه برهان عداوة أبدية بينه وبين آدم وذريته ، اذ قال لربه :

﴿ أرأيتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتن الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا قليلا ﴾ (الاسراء : ٦٢) .

﴿ رب بما اغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين . الا عبادك منهم المخلصين ﴾ (الحجر : ٣٩ ، ٤٠) .

لقد استشاط ، وشاط أوكاد . فصار الشيطان .

٥ ـ استخدم القرآن الفعل : وسوس . وهو فعل رباعى يدل على تكرار الحدث لتكرار المقطع . فكانت معصية آدم ، ومن ورائه امرأته ، بعد محاولات متكررة من الشيطان . بدأها بآدم :

﴿ فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ﴾ (طه : ١٢٠) .

ولعله وسوس الى امرأة آدم على انفراد ، لكن المؤكد أنه فى احدى محاولاته المتكررة وسوس لهما معا ، واستطاع أن يخدعهما وهما بعد بريئين طاهرين ، حين أقسم لهما بالله على صدق دعواه ، فنسى آدم تعاليم ربه ، وأكل هو وزوجه من الشجرة المحرمة :

﴿ فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما وورى عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين . وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين ﴾ (الأعراف : ٢٠ ، ٢١)

٦ ـ ومهما يكن من شيء ، فان الله برحمته الواسعة ، قبل توبة آدم وزوجه . بعد أن اعترفا بالذنب ، وندما على المعصية ، وطلبا الغفران :

﴿ قالا ربنـا ظلمنا انفسـنا وان لم تغفر لنـا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ (الأعراف : ٢٣) .

﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتـاب عليه ، انه هو التواب الرحيم ﴾ (البقرة : ٣٧)

وخلاصة القول فى هـذه الخطيئة البشرية الأولى ، ما قاله القرآن فى آيتـين اثنتين فقـط :

﴿ وعصى آدم ربـه فغوى . ثم اجتباه ربه فتـاب عليه وهـدى ﴾ (طه : ١٢١ ، ١٢٢)

ليس فى الاسلام ، اذن ، قول بتوارث خطيئة لآدم يتناقلها الأحفاد عن الأجداد ، فما جاءت مثل تلك المزاعم الا فى مسيحية بولس ، والمسيح منها براء .

ان المسئولية ــ فى الاســلام ــ فردية ، وهو ما يتفق وعدل الله :

﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ (المدثر : ٣٨) .

﴿ الا تزر وازرة وزر اخرى . وان ليس للانسان الا ما سعى . وان سـعيه سـوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الاوفى . وان الى ربك المنتهى ﴾ (النجم : ٣٨ ــ ٤٢)

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ، ان وعد الله حق ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ (لقمان : ٣٣) .

٧ ــ وأخيرا ، وليس آخرا ، ما هى حقيقة العدو الأول لآدم : هل هى الحية ، كما يقول الكتاب المقدس ، أم هو ابليس الشيطان ، كما يقول القرآن العظيم ؟ للاجابة على هذا السـؤال الهـام ، نسـتعرض ما بين أيدينا من نصوص ومعلومات ، ثم لننظر ماذا يكون المقال .

تصنف التراجم الحديثـة ــ مثل الفرنسية المسكونية(١) ــ خلق

---

(١) كتب الشريعة الخمسة .

العالم حسب روايتين : الرواية الأولى ، وتنسب الى **المصدر الكهنوتى** ، وقد جاءت فى الاصحاح الأول من سفر التكوين ، ومطلع الاصحاح الثانى منه (أى أنها تشتمل على ١ : ١ — ٣٢ ، ٢ : ١ — ٤) .

أما الرواية الثانية ، فتنسب الى **المصدر اليهودى** . وقد اشتملت على بقية الاصحاح الثانى ، ثم الاصحاح الثالث بالكامل (٢ : ٤ — ٢٥ ، ٣ : ١ — ٢٤) .

وقد جاء فى هاتين الروايتين :

— « عمل الله وحوش الأرض كأجناسها والبهائم كأجناسها وجميع دبابات الأرض كأجناسها — ١ : ٢٥ » .

— « هذه مبادىء السموات والأرض حين خلقت . يوم عمل الرب الاله الأرض والسموات كل شجر البرية لم يكن بعد فى الأرض وكل عشب البرية لم ينبت بعد لأن الرب الاله لم يكن قد أمطر على الأرض .. وجبل الرب الاله آدم ترابا من الأرض ونفخ فى أنفه نسمة حياة ، فصار آدم نفسا حية .

وغرس الرب الاله جنة فى عدن شرقا ، ووضع هناك آدم الذى جبله — ٢ : ٤ — ٨ » .

— « وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التى عملها الرب الاله . فقالت للمرأة : أحقا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة ؟ فقالت المرأة للحية : من ثمر شجر الجنة نأكل . وأما من ثمر الشجرة التى فى وسط فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا .

فقالت الحية للمرأة : لن تموتا . بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر .

فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل .. فأخذت من ثمرها وأكلت ، وأعطت رجلها أيضا معها فأكل — ٣ : ١ — ٦ » .

ـ وبالنسبة للعقوبة التى استحقتها الحيـة : « قال الرب الاله للحية : لأنك فعلت هذا ، ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية . على بطنك تسعين وترابا تأكلين كل أيام حياتك ـ ٣ : ١٤ » .

فمن كل ما سبق يتضح أن الحية التى أغرت حواء ودفعت بها وبزوجها آدم الى ارتكاب الخطيئة البشرية الأولى ، كانت هى الحية الزحافة المعروفة التى تدب على الأرض . هى حيوان وليست مخلوقا شيطانيا ذا طبيعة طاقية كالجان وغيره .

فماذا يقول المفسرون ازاء هذا المأزق ؟

تقول كتب الشريعة الخمسة : « تمثل الحية هنا كائنا يقاوم الله ويعادى الانسان ، وهو العدو والشيطان فى نظر سفر الحكمة ثم فى العهد الجديد والتقليد المسيحى » .

ان هذا تعسف واضح ، فعندما يقال ان الحية هى الشيطان ، فان هذا اجتراء على الحق واستخفاف بالعقول ، أهون منه أن يقال : الماء تراب ، وذلك لأنهما ينتميان الى طبيعة مادية واحدة ، تتكون من تراكب الذرات والجزيئات .

ولمعرفة مصدر هذه المشكلة ، لنتذكر ما تقوله كتب الشريعة الخمسة عن مصادر سفر التكوين : « لم يتردد مؤلفو الكتاب المقدس ، وهم يروون بداية العالم والبشرية أن يستقوا معلوماتهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من تقاليد الشرق الأدنى القديم ، ولا سيما من تقاليد ما بين النهرين ومصر والمنطقة الفينيقية الكنعانية . فالاكتشافات الأثرية منذ نحو قرن تدل على وجود كثير من الأمور المشتركة بين الصفحات الأولى من سفر التكوين وبين بعض النصوص الغنائية والحكمية والليترجية الخاصة بسومر وبابل وطيبة وأوغاريت ، ولا عجب فى ذلك » (ص ٦٦) .

وتقول الترجمة الفرنسية المسكونية تعليقا على العبارة التى تقول : « وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية » ، ما يأتى :

« لقد كانت الحية تلعب دورا كبيرا فى الشرق القديم ، مثل قوة للاخصاب (فى كنعان) ، وكقوة سياسية (فى مصر) . وفى الملحمة البابلية المشهورة للبطل جلجامش ، فانها تسترق منه نبات الخلود . وبسبب دهائها فى الغواية ، فسيحصل الرجل والمرأة على معرفة تكشف لهما عن عورتيهما » .

وهكذا ، منذ البدء ، اختلطت الحقائق بالأساطير ...

لقد أعلن المسيح أن الذى بدأ القتال ضد البشرية منذ نشأتها كان هو الشيطان ، فقال محاجا اليهود :

« أنتم من أب هو ابليس(١) وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا . ذاك كان قتالا للناس من البدء ـ يوحنا ٨ : ٤٤ » .

فذاك الذى كان قتالا للناس من البدء ـ حسب قول المسيح ـ انما هو ابليس الذى صار يعرف ـ بعد تمرده وفسقه عن أمر الله وعداوته الشديدة لآدم وأهله ـ باسم الشيطان . واذا كانت بعض الحيات تهتز بسرعة كاهتزازة الجان ، ومثلها مثل عصا موسى التى ﴿ رآها تهتز كأنها جان ﴾(٢) واذا كان العرب قد دعوا بعض تلك الحيات باسم الشيطان ، فلا يمكن مساواة الحقيقة بالمجاز ، واعتبار الحية ، ذلك الحيوان الزاحف ، بأنها ابليس أو الشيطان ، ذلك المخلوق الجنى النارى .

انّ ريتشارد الصليبى ـ ملك انجلترا ـ الذى جاء فى القرن الثانى

---

(١) المفروض أن يقال : « أنتم من أب هو الشيطان » ، وذلك مقارنا بالتراجم الانجليزية التى تستخدم كلمة Devil (A. V. and R. S. V.) والتراجم الفرنسية التى تستخدم كلمة : « Diable (T. O. B.) »

(٢) القصص : ٣١

عشر الميلادى ليسفك الدماء على أرض فلسطين ويقتل فى يوم واحد ٢٧٠٠ أسيرا بالاضافة الى زوجاتهم وأطفالهم فى مذبحة عكا الشهيرة[١] فى أغسطس سنة ١١٩١ ، كان انسانا يمشى على رجلين . ولم يكن أسدا يمشى على أربع ، رغم شهرته الواسعة بأنه ريتشارد قلب الأسد ، بحيث لو طرح السؤال : من هو قلب الأسد ؟ لكانت الاجابة : ريتشارد ملك انجلترا ، فحين تتعلق الأمور بكلام الله ، لا بد من تحرى الحقيقة وتخليصها من الأباطيل والأوهام ، والفصل التام بين الحقيقة والمجاز .

والنتيجة التى لا مفر من التسليم بها هو أن قصة سقوط آدم وطرده وزوجه من الجنة ، فى حاجة ماسة الى اعادة كتابة تستبعد منها **الحية** . وتضع بدلها **الشيطان** ،وتجرى عليها ما تتطلبه من تعديلات . ولا أقول لكى تتفق فى هذا مع القرآن ، فانى أعلم أن الأغلبية الساحقة من غير المسلمين تستكبر عن الحق وخاصة اذا جاء من عند غيرهم ، ولكن أقول : لكى تتفق مع قول المسيح .

وما هذا التعديل الذى لا مفر منه بأخطر من تعديلات أخرى أدخلت على نصوص الكتاب المقدس ، ويأتى فى مقدمتها حذف فقرة التثليث من رسالة يوحنا الأولى (٥ : ٧) .

وأما الذين يستمعون الى الحق ، فأقول لهم ان هذا الوضع الذى نحن بصدده ، انما هو تفسير ملموس لقول الحق فى القرآن العظيم ، مخاطبا نبيه :

﴿ وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ﴾ (المائدة : ٤٨) .

*

(١) S . Runciman : A History of Crusades, Vol . 3,p.53.

النســـاء شـــقائق الرجـــال

ليس هذا كلامى ...

انه حديث سيدنا رسول الله ﷺ وتعاليمه للنـاس . وهو حديث رواه أبو داوود ونصه : « انما النساء شقائق الرجال » .

وهو يكفى ، بالاضافة الى ما سـبق بيانه من مسئولية آدم عن الخطيئة البشرية الأولى ، ليكون ملخصـا لمكانة المرأة فى الاسـلام . ولكن ، لتأخذ الدراسـة مجراها ، وليستوثق الناس حقيقة الأمر بدراسة المزيد من التفاصيل .

لنبدأ ، اذن ، بحث القضية من مختلف جوانبها ، مبتدئين من الأصل والمنشأ ، ومتدرجين عبر مختلف مراحل حياة المرأة .

* *

● **المرأة أم الخليقة :**

يقول **الامام الاكبر محمود شلتوت** ــ شيخ الأزهر سـابقا ــ فى معرض حديثه عن **المرأة فى نظر الاسلام** : « ان القرآن الكريم حينمـا تحدث عن الأصـل الذى تفرع منـه الانسـان ، جعـل المرأة شريكة فيه للرجل ، ومن مجموعهما تعددت القبائل والشعوب ، وانتسبت الأفراد بالبنوة لكل من الرجل والمرأة ، وبذلك كان الرجا أبا ، وكانت المرأة أما . واعتبر القرآن الكريم ذلك نعمة على الانسـان ، توجب عليـه الشكر ، وتوجب عليه تقوى الله ومراقبته ، وتوجب عليه النظرة المستقيمة الى أخيه الانسان الذى يشاركه فى معنى الانسـانية ، وفى نسـبته الى أصله الذى تكونا منه .

ومعنى هـذا أنه لا تفاضـل بينهما من جانب الانسـانية ، وأن التفاضـل انما يكون بما يكتسـبه الانسـان من الخـلال التى ترقى

بالانسانية الى المستوى الفاضل . ولعلنا نجد هذا فى مثل قوله تعالى :

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ﴾ (النساء : ١) .

وفى مثل قوله تعالى : ﴿ يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . ان أكرمكم عند الله اتقاكم ﴾ (الحجرات : ١٣)

وقد كان من فروع الاشتراك فى تلك العنصرية الانسانية ، أن سمى الرجل والدا . والمرأة والدة ، وجاءت التعاليم القرآنية بوضعهما معا موضع التكريم والاجلال . وما كانت الوصايا الكثيرة التى حثت على الاحسان (بالوالدين) الا أثرا لهذا الأصل الذى قرره القرآن فى أصل الانسان وتكوينه :

﴿ واعبدو الله ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا ﴾ (النساء : ٣٦)

﴿ وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ﴾ [1](الاسراء : ٢٣)

*

● اكرام الأم أضعاف اكرام الأب :

« والقرآن لا يقف فى هذا المقام عند حد التسوية بين (الوالدين) فى واجب الاحسان والاجلال ، بل يخطو خطوة ثانية فيرشد الى ما الوالدة من جهود مضنية فى تربية الأبناء ، ليس شىء منها للوالد ، وترى ذلك فى مثل قوله تعالى :

﴿ ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين ﴾ (لقمان : ١٤) .

---

(١) الاسلام : عقيدة وشريعة ـ الامام الاكبر محمود شلتوت ـ ص ٢٢٠ . ٢٢١

وفى قول الرسول ـ عليه السلام ـ جوابا عن سؤال رجل : **من أحق الناس بحسن صحابتى يارسول الله ؟**

قال : **امك** . قال : ثم من ؟ قال **امك** . قال : ثم من ؟ قال : **امك** . قال : ثم من ؟ قال : أبوك »[1] .

لقد أمر الاسلام بالاحسان الى الوالدين ،**حتى لو كانا كافرين** . ويقتضى الاحسان اليهما دوام الصلة ، والخدمة والعطاء ، والكلمة الطيبة ، والدعاء بالهداية لهما ان كانا ضالين ، وبالرحمة والمغفرة فيما وراء ذلك . فالقرآن العظيم يقول :

﴿ **وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، وصاحبهما فى الدنيا معروفا** ﴾ (لقمان : ١٥) .

ولقد اعتبر الاسلام السعى على الوالدين واكرامهما بمثابة الجهاد فى سبيل الله . فعن عبد الله بن عمر أن رجلا جاء الى النبى ﷺ يسأله يجاهد . فقال له النبى : « **احى والداك** » قال : نعم . قال : **ففيهما جاهد** » (رواه البخارى) .

ولقد كان للأم النصيب الأوفى من التكريم والرعاية والاحسان .

ففى حديث جامع لسيدنا رسول الله قال فيه :« **ان الله حرم عليكم : عقوق الأمهات** ، ومنع وهات ، **ووأد البنات** . وكره لكم : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، واضاعة المال » (رواه البخارى) .

وعن أسماء ابنة أبى بكر قالت : قدمت على أمى وهى مشركة فى عهد قريش ، اذ عاهدوا رسول الله ﷺ ومدتهم مع أبيها ، فاستفتت رسول الله ﷺ فقالت : « يا رسول الله ، ان أمى قدمت على وهى راغبة . أفأصلها ؟ قال : **نعم . صليها** » (رواه البخارى) .

---

(١) المرجع السابق ـ ٢٢١

وكان من تعاليم النبى ﷺ أن : **الجنـة تحت اقدام الأمهات**

روى أن رجلا جاء الى النبى ﷺ فسأله : « **هل لك من أم** » ؟ قال : نعم . فقال ﷺ : « **فالزمها ، فان الجنة تحت رجلها** » .

على أن دراسـتنا المقـارنة هـذه ، تتطلب وقفـات بين الحين والحين لبيـان ما بين اليهودية والمسيحية والاسلام من اتفاق فى أمور وخلاف فى أمور أخرى . ووقفتنـا الآن للتذكير بتعاليم المسـيح فى الانجيـل :

« كان جمـوع كثيرة سـائرين معـه ، فالتفت وقال لهـم : **ان كان أحد يأتى الى ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده واخوته وأخـواته ، حتى نفسـه أيضـا ، فلا يقدر ان يكون لى تلميذا** ــ لوقا ١٤ : ٢٥ ــ ٢٦ » !

*

● **الترحيب بالأنثى منذ ولادتها :**

يرحب القرآن الكريم بالأنثى منذ مولدها ويعتبرها هبة من الله تماثل هبة الذكر تماما ، بل انه ليجعلها فى الترتيب سابقة للذكر . فانجاب الاناث والذكور ، أو عدم الانجاب ، هى أمور بيد الله الخلاق العليم القدير .

﴿ **لله ملك السموات والأرض ، يخلق ما يشاء ، يهب لمن يشـاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور . أو يزوجهم ذكرانا واناثا ، ويجعل من يشاء عقيما، انه عليم قدير** ﴾ (الشورى : ٤٩ ، ٥٠) .

وكل هبة من الله ونعمة تتطلب الحمـد والشـكر . ولا يكون الشكر مجرد كلمات جوفاء تتردد ، بل انه يتمثـل فى الحفـاظ عليها ورعايتها وتنميتها وحسن استخدامها . فالزوجات والأبناء والحفـدة ، كلها من نعم الله التى تستوجب الشكر :

﴿ **والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنـين وحفدة ورزقكم من الطيبات . أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون** ﴾ (النحل : ٧٢)

*

ولقد سفه القرآن أعداء الأنثى ، فى كل زمان ومكان ، سواء أكانوا من عرب الصحراء ، أو ممن سكنوا القصور وعاشوا فى السهول الخضراء . أولئك الذين ساءهم انجاب الاناث ، وبلغ السفه أوجه حين كان الأب يئد ابنته ، فيدسها فى التراب حية حتى تموت . وفى هذا يقول :

﴿ واذا بشر احدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب . الا ساء ما يحكمون ﴾ (النحل : ٥٨ ، ٥٩) .

ثم يوم القيامة يخزيهم الله ويعاقبهم لقتل بناتهم الصغيرات دون ذنب جنينه : **﴿ واذا الموءودة سئلت . باى ذنب قتلت ﴾**

(التكوير ٨ ، ٩)

﴿ قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله ، قد ضلوا وما كانوا مهتدين ﴾ (الأنعام : ١٤٠) .

* *

■ حق الأنثى فى التربية والتعليم :

الاسلام دين العلم ، فكانت أول آية نزلت من كتاب الله : « **اقرأ** » ، وسمى كتاب الله : « **قرآنا** » .

والاسلام دين الخلق العظيم ، به مدح الله نبيه فقال : **﴿ وانك لعلى خلق عظيم ﴾** (القلم : ٤) .

وقال أسامة بن شريك : قلنا : يا رسول الله . ما خير ما أعطى الانسان ؟ فقال : « **خلق حسن** » (رواه ابن ماجه) .

وقال النبى ﷺ : « **اثقل ما يوضع فى الميزان خلق حسن** »
(رواه أبو داود والترمذى)

ومنذ بدأ رسول الله يدعو الناس الى الاسلام ، تضمنت دعوته الحض على حسن التربية ، وطلب العلم ، للرجال والنساء على السواء ،

بل وللاماء والعبيد مع الحرائر والسادة سواء بسواء . واقترنت دعوته هذه بالتطبيق العملى أسوة بكل تعاليمه ووصاياه .

لقد علم رسول الله الناس أن تربية البنات تربية حسنة ليس لها من جزاء فى الآخرة الا الجنة ، والنجاة بذلك من النار .

فقد قالت عائشة رضى الله عنها : جاءتنى امرأة معها ابنتان تسألنى ، فلم تجد عندى غير تمرة واحدة فأعطيتها ، فقسمتها بين ابنتيها ، ثم قامت فخرجت . فدخل النبى ﷺ فحدثته ، فقال : « من بلى من هذه البنات شيئا ، فأحسن اليهن ، كن له سترا من النار »
(رواه البخارى)

وعن أبى بردة عن النبى ﷺ قال : « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : الرجل تكون له الأمة ، فيعلمها فيحسن تعليمها ، ويؤدبها فيحسن ادبها ، ثم يعتقها ، فيتزوجها ، فله اجران ومؤمن أهل الكتاب الذى كان مؤمنا، ثم آمن بالنبى ﷺ فله أجران . والعبد الذى يؤدى حق الله وينصح لسيده فله أجران » (رواه البخارى) .

وقال رسول الله ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم .... »
(أخرجه ابن ماجه)

وكانت النساء يحتشدن لسماع النبى ﷺ والصلاة الجامعة معه ، من أجل التعلم .. ومن أجل التزاحم خصص النبى لهن بابا يسمى حتى الآن ، فى مسجد الرسول بالمدينة (باب النساء) .

ذكر البلاذرى فى فتوح البلدان نساء مسلمات تعلمن القراءة والكتابة ، يبلغ عدد المعروف منهن نصف عدد المعروف من الرجال الكتاب .

وروى أن الشفاء العـدوية (من قبيلة بنى عـدى رهط عمر بن الخطاب) طلب اليها النبى ﷺ أن تعلم زوجه ـ أم المؤمنين ـ حفصة بنت عمر بن الخطاب ، تحسين الخط وتزيين الكتـابة . وكانت أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر ، وأم المؤمنين أم سلمة ، رضى الله عنهما ، تقرآن ، وان لم تكتسـبا مهارة الكتابة »[1] .

*

● **المرأة اهل للمسئولية الكاملة :**

يقول الامام الأكبر محمود شلتوت : « ان الاسلام يقرر أيضـا فى تربيـة الفطرة التى خلقت عليهـا المرأة . وهى (**الانسانية ذات العقل والادراك والفهم**) أن المرأة ذات مسئولية مستقلة عن مسئولية الرجل : مسئولة عن نفسها ، وعن عبادتها ، وعن بيتها ، وعن جماعتها .

وهى لا تقـل فى مطلق المسـئولية عن مسئولية اخيهـا الرجل . وأن منزلتها فى المثوبة والعقوبة عند الله معقودة بما يكون منها من طاعة أو مخالفة . وطاعة الرجل لا تنفعها وهى طالحـة منحرفة ، ومعصـيته لا تضرها وهى صالحة مستقيمة .

﴿ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ﴾ (النساء : ١٢٤) .

﴿ فاستجاب لهم ربهم انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى ، بعضكم من بعض ﴾ (آل عمران : ١٩٥) .

وليقف **المتامل** عند هذا التعبير الالهى : **﴿ بعضـكم من بعض ﴾** ، **ليعرف كيف سما القرآن بالمراة حتى جعلها بعضـا من الرجل ، وكيف حـد من طغيان الرجل فجعله بعضا من المراة .**

وليس فى الامكان ما يؤدى به معنى المسـاواة أوضح من هـذه

---

(١) المرأة فى التصور الاسلامى : عبد المتعال الجبرى ـ ص ٥٦

الكلمة التى تفيض بهـا طبيعة الرجل والمرأة ، والتى تتجلى فى حياتهما المشتركة دون تفاضل أو سلطان : ﴿ للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ﴾ (النساء : ٣٢)[1] .

وليس أدل على مساواة المرأة فى المسئولية كالرجل سواء بسواء ، من أن للنساء حق البيعة كالرجال ، وهذا يعنى أهليتهن الكاملة للوفاء بمقتضيات العهود والمواثيق ، والتى تعتبر من أخطر الأمور فى الاسلام .

﴿ يا أيهـا النبى اذا جـاءك المؤمنـات يبايعنـك على ان لا يشركن بالله شـيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين ببهتـان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واسـتغفر لهن الله ، ان الله غفور رحيم ﴾ . (الممتحنة : ١٢) .

*

● المرأة انسان :

من عبقرية اللغة العربية ، التى نزل بها القرآن ، أن كلمة انسان تطلق على الذكر والأنثى سواء بسواء . فلا يقال فى العربية ، انسانة ، انما انسان فقط . ومثل ذلك كلمة زوج ، فالرجل زوج المرأة ، والمرأة زوج الرجل .

وتلك هى اللغة العالية التى جاء بها القرآن ، فى مثـل قـوله :

﴿ وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة ﴾ (البقرة : ٣٥) .

﴿ فاسـتجبنا لـه ووهبنـا له يحيى واصـلحنا له زوجه ﴾ (الأنبياء : ٩٠)

وعلى هذا ، فان كل خطاب للانسان ، أو حديث عنه ، أو تكليف له فى القرآن ، انما يعنى لزاما الذكر والأنثى ، سواء بسواء .

---

(١) الاسلام : عقيدة وشريعة ــ ص ٢٢٣ ، ٢٢٤

ولنقرأ على ضوء هذا قول الحق : ﴿ الرحمن • علم القرآن • خلق الانسان • علمه البيان ﴾ (الرحمن : ١ ـ ٤) •

فالرجل والمرأة من خلق الله ، والبيان خاصية يتميز بها الانسان : الذكر والانثى ، عن مخلوقات أخرى كثيرة •

﴿ ووصينا الانسان بوالديه حسنا ﴾ (العنكبوت : ٨) •

فالوصية للذكر والأنثى •

﴿ وأن ليس للانسان الا ما سعى • وأن سعيه سوف يرى • ثم يجزاه الجزاء الأوفى • وأن الى ربك المنتهى ﴾ (النجم : ٣٩ ـ ٤٢) •

فالحساب واقع على الذكر والأنثى لا محالة •

﴿ وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا • اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ (الاسراء ١٣ ، ١٤)

فهذا واقع لا شك فيه ، يوم القيامة ، يتعرض له الذكر والانثى • فالمرأة ، فى كتاب الله ، انسان كامل الأهلية •

*

● مسئولية المرأة العامة :

« واذا كانت المرأة مسئولة مسئولية خاصة فيما يختص بعبادتها ونفسها ، فهى فى نظر الاسلام أيضا مسئولة مسئولية عامة فيما يختص بالدعوة الى الخير ، والأمر بالمعروف ، والارشاد الى الفضائل ، والتحذير من الرذائل •

وقد صرح القرآن بمسئوليتها فى ذلك الجانب • وقرن بينها وبين اخيها الرجل فى تلك المسئولية ، كما قرن بينها وبينه فى مسئولية الانحراف

عن واجب الايمان والاخلاص لله وللمسلمين :

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، اولئك سيرحمهم الله ، ان الله عزيز حكيم » (التوبة : ٧١) .

« المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ، يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم ، نسوا الله فنسيهم ، ان المنافقين هم الفاسقون . وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها ، هى حسبهم ، ولعنهم الله ، ولهم عذاب مقيم »
(التوبة : ٦٧ ، ٦٨)

ان مسئولية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، هى أكبر مسئولية فى نظر الاسلام ، وقد سوى الاسلام فيها بصريح هذه الآيات بين الرجل والمرأة .

واذن ، فليس من الاسلام أن تكف المرأة عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، اعتمادا على ظن او وهم أنه شأن خاص بالرجال دون النساء .

وليس من الاسلام ان تلقى المرأة حظها من تلك المسئولية على الرجل وحده بحجة أنه أقدر منها عليه ، أو أنها ذات طابع لا يسمح لها أن تقوم بهذا الواجب . فللرجل دائرته ، وللمرأة دائرتها ، والحياة لا تستقيم الا بتكاتف النوعين فيما ينهض بأمتهما ، فإن تخاذلا أو تخاذل أحدهما ، انحرفت الحياة الجادة عن سبيلها المستقيم فليعلم ذلك نساؤنا ، وليفقهن حكم الله فيهن »(١) .

* *

● حق المرأة فى عقد الزواج :

لكى ندرك حقيقة عملية تحرير المرأة التى جاء بها الاسلام ،

---

(١) المرجع السابق ـ ص ٢٢٤ ، ٢٢٥

والحقوق التى اكتسبتها فى حيـاة النبى ﷺ ، علينا أن نلم بشىء مما كان عليه الحال فى الجاهلية ، ثم ما أدخله الاسلام من تشريعات .

يقول المستشار ابراهيم فوزى : « كان وضع المرأة الحقوقى فى الجاهلية شبيها بوضع الرقيق ، فقد كانت محرومة من جميع الحقـوق حتى من حق الحياة ، اذ كانت حياتها رهنا بمشيئة أبيهـا ، ان شـاء منحها هذا الحق ، وان شاء وأدها وهى حية منذ ولادتها .

وكانت المرأة تبقى خاضعة للولاية مدى حياتها . فقبل زواجها تكون خاضـعة لولاية أبيها أو لولاية من يليـــه من العصـبات الذكور ، عندما يكون الأب متوفيا ، فاذا تزوجت انتقلت الى ولاية زوجها . وكان يحق لوليها أن يزوجها لمن يشاء ويقبض ثمنها وهو المهر ، فيتصرف بـه كما يشـاء ويريد ، ان شـاء أخـذه كله ، وان شـاء صرفه كله أو بعضه على تجهيزها .

وبالاستناد الى هذا الوضع .. فقد كان الزواج يشكل عقد معاوضة كعقد البيع ، المتعاقدان فيه هنا الولى والزوج ، والمعقود عليـه هـو المرأة ، والبدل هو المهر الذى يدفعـه الرجل الى الولى مقابل تملكها .

وكان يجوز فى الجاهلية المقايضة بين امرأتين ، تكون كل واحدة مهرا للثانية ، كأن يزوج رجل ابنته أو أخته الى رجل آخر ، على أن يزوجه هذا ابنته أو أخته ، وهو ما كانوا يسمونه بنكاح الشغار ..

فى وسط تلك العادات والأعراف المتعلقة بعقـد الزواج ، جـاءت الشريعة الاسلامية فرفعت المرأة من منزلة الرقيق الذى يباع ويشرى ، الى منزلة الانسـان الحر ، فمنعت زواجها بدون ارادتها ، وألغت من عقد الزواج كل الأوصاف التى تجعل منه عقد معاوضة ..

فقد اشترطت الشريعة موافقة المرأة على زواجها ، وبدون موافقتها يكون العقد باطلا ، وأصبحت المرأة طرفا فى العقد بدلا من وليها .

روى البخارى عن امرأة (تدعى خنساء بنت خدام الأنصارية) زوجها أبوها من رجل بدون رضاها ، فأتت رسول الله ﷺ وشكت اليه أمرها ، فرد نكاحه .

وعن عبد الله بن عباس قال : جاءت فتاة بكر الى رسول الله فشكت له أن أباها زوجها من رجل وهى كارهة له ، فخيرها النبى ﷺ بين قبوله أو رفضه . (رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه).

وعن بريدة قال : جاءت فتاة الى رسول الله ﷺ ، فقالت : ان أبى زوجنى من ابن أخيه ليرفع بى خسيسته . فجعل النبى الأمر اليها . فقالت : قد أجزت ما صنع أبى ، ولكنى أردت أن تعلم النساء أن ليس للآباء من هذا الأمر شىء . (رواه النسائى والترمذى وابن ماجه وأحمد) .

وعن السيدة عائشة ، عن النبى ﷺ أنه قال : « لا تنكح الأيم حتى تستأمر ، والبكر حتى تستأذن » فقالت عائشة : يا رسول الله ، البكر تستحى . قال : « رضاها صمتها » . (رواه البخارى) .

وفى حديث آخر أن النبى ﷺ قال : « ليس للثيب مع الولى أمر » . (رواه النسائى وأبو داود) .

*

ولم تعتبر الشريعة الاسلامية المهر ثمنا للمرأة كما كان فى الجاهلية، وانما اعتبرته هبة من الرجل أو هدية ، وسمته (صداقا) كما نصت عليه الآية : ﴿ وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ﴾
(النساء : ٤)

يقول الطبرى فى تفسير هذه الآية : كان الرجل فى الجاهلية اذا زوج ابنته أخذ مهرها ، فنهاهم الله عن ذلك ، ونزلت الآية : ﴿ وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ﴾ .

وقد حرمت الشريعة الاسلامية نكاح الشغار الذى يقوم على مقايضة امرأة بامرأة أخرى ، فقال النبى ﷺ : « لا شغار فى الاسلام » (رواه الستة) .

*

وكان الجاهليون يعتبرون المهر .. ثمن المرأة ، وكانوا يغالون فيه فيعتبرونه علامة شرف .. فجاءت الشريعة الاسلامية (وخففت من غلوائهم) ..

فقال النبى ﷺ لرجل لم يكن عنده شىء يدفعه مهرا لخطيبته : « التمس ولو خاتما من حديد » . (رواه البخارى ومسلم) .

وفى حديث آخر أن النبى ﷺ ، قال لرجل لم يجد مهرا لخطيبته : « ما معك من القرآن » ؟ قال : معى سورة كذا ، وكذا ...

قال : « أتقرؤهن عن ظهر قلب » ؟ ... قال : نعم .
قال : « اذهب ، فقد زوجتكها بما معك من القرآن » . (رواه البخارى ومسلم) .

وقد رويت أحاديث عديدة عن النبى ﷺ كان يحض فيها على المهر اليسير ، فقال : « خير الصداق أيسره » (رواه أحمد) ..

لقد أطلقت (الشريعة الاسلامية) على المهر اسم : صداق أو نحلة ؟ بمعنى الهبة أو الهدية ، لكى تزيل من الأذهان الاعتقاد بأنه ثمن المرأة ، ولأن الهدية تعبير عن المودة والمحبة ، فقال النبى ﷺ : « تهادوا تحابوا »[1] (رواه البخارى) .

*

ويقول الامام الأكبر محمود شلتوت عن حق المرأة فى عقد زواجها :

---

(١) أحكام الأسرة فى الجاهلية والاسلام : ابراهيم فوزى — ص ٤٣ — ٤٦

« ما دام القرآن هو المصدر الأول للتشريع الاسلامى ، فانا اذا رجعنا اليه وجدناه يضيف بصريح العبارة هذا التصرف أيضا الى المرأة نفسها . ووجدناه فى الوقت نفسه يحذر الرجال أن يمنعوا المرأة من هذا الحق :

﴿ فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ﴾
(البقرة : ٢٣٠)

﴿ واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ﴾ (البقرة : ٢٣٢) .

﴿ فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن فى انفسهن بالمعروف ﴾
(البقرة : ٢٣٤)

وقد صحت الأحاديث الكثيرة فى وجوب استئذان المرأة عند زواجها ، وحتمت على الثيب أن تصرح بالاذن ، واكتفت من البكر ترخيصا لها أن تجرى على عادتها فى الحياء الذى يمنعها من التصريح ، وأن يكون منها ما يدل على الرضا ، **فالحق حقها ، والشان شانها ..**

وقال ابن القيم فى هذا المقام : (وهذا ــ يريد رضاها بالزواج وعدم اجبارها ــ هو ما ندين لله به ولا نعتقد سواه ، وهو الموافق لحكم رسول الله ، وأمره ونهيه ، وقواعد شريعته ، ومصالح أمته) ... الى أن قال : (ان البكر البالغة العاقلة الرشيدلة لا يتصرف أبوها فى أقل شيء من ملكها الا برضاها ، ولا يجبرها على اخراج اليسير منه الا باذنها ، فكيف يجوز أن يخرج نفسها منها بغير رضاها ؟! ومعلوم أن اخراج مالها كله بغير رضاها أسهل عليها من تزويجها بمن لا تختاره) .

هذا هو حق المراة فى العقود والتصرفات مدنية او شخصية ، كما يدل عليه القرآن ، وكما يدل عليه سنة الرسول وقضاؤه ، وكما تقضى به اصول الشريعة الاسلامية .

وكان من لوازم تحميل الاسلام المرأة مسئوليات الحياة ، عامةوخاصة، أن يفسح امامها مجال العلم ، ومجال العمل ، وقد تعلمت وعملت . وعرفنا المرأة الأدبية والطبيبة والفقيهة والمتصوفة القانتة ، وما اليهن من كل ما عرف مثله عن أخيها الرجل .

وكان كل ذلك أثرا لانسانيتها المساوية لانسانية الرجل ، وقد ظهر ذلك فى كثير من نواحى التشريع الاسلامى »(١) .

* *

المـرأة زوجـــة

■ **الزواج سكينة ومودة :**

يقول الامام الأكبر محمـود شلتوت : « ان الانسان من جهـة أخرى ، مطبوع على حب البقاء ، واذا كان لا سبيل الى بقائه بذاته ، وكان يؤمن بذلك من مشاهداته ، وصنيع الله فى آبائه وأجداده وسائر الأحياء ، فانه يرى أن سبيله الى البقاء انما هو النسل المعروف نسبته اليه ، يراه امتدادا فى بقائه ، واستمرارا لذكراه ، وخلودا لحياته ..

واذا كان الانسان محتاجا فى بقائه الى أبنائه وأحفاده ، وكان الزواج وحده هو السبيل اليهم ، فهو فى راحته القلبية ، وسكنه الى القلب الذى يحنو عليه ويشاركه السراء والضراء ، اشد حاجة من حاجته الى هؤلاء الأحفاد الذين لا ينعم بهم الا مع سكون القلب ، واطمئنان النفس ، وراحة الضمير . والى ذلك يشير قوله تعالى :

﴿ ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ (الروم : ٢١)

ولعل كل ذلك الذى تقرره فى ثمرات الزواج من جانبى البقاء والمودة ، هو قرة العين التى أطلق الله لسان عباده المقربين بدعائهم

---

(١) الاسلام : عقيدة وشريعة ــ ص ٢٣٢ ــ ٢٣٤

ايـاه بها : ﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين ﴾ (الفرقان : ٧٤) .

*

● الزواج ميثاق غليظ :

وقد نظر القرآن الكريم الى ما للزواج من هذه المكانة السامية فى حياة الفرد والأسرة والأمة ، فنوه بشأنه ، ورفعه عن أن يكون عقـدا تتم التزاماته بالايجاب والقبول وشهادة الشـهود ، فجعله (ميثاقا) تتحمل الضمائر التى تعرف معنى الميثاق مسئوليته ، وتكافح جهدها فى سبيل المحافظة عليه ، والوفاء به مما قد يعترضه من شدائد وصعوبات .

ثم لا يكتفى بجعله (ميثاقا) كيفما يكون ، تعتريه الرقة وخفـة المـيزان ، فيتعرض للنقض كلمـا أراد عابث أو مأفون ، بل جعـله (ميثاقا غليظا) وعهدا قويا يتعذر حله ، فيربط القلوب ، ويحفظ المصالح ، ويندمج به كل من الطرفين فى صـاحبه ، فيتحد شـعورهما وتلتقى رغباتهما .. واقرأ فى ذلك قوله تعالى :

﴿ وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا ، اتاخذونه بهتانا واثما مبينا . وكيف تاخذونه وقـد افضى بعضـكم الى بعض واخـذن منكم ميثـاقا غليظا ﴾ .
(النساء : ٢٠ ، ٢١)

ثم تدبر فى ذلك ما يوحى اليه قوله تعالى ، فى شأن العلاقة الزوجية:
﴿ هن لباس لكم وانتم لباس لهن ﴾ (البقرة : ١٨٧) .

تدبر ايحاء ذلك لتعلم أن العلاقة الزوجية أسمى فى معنى الترابط والاندماج من علاقات الصداقة والأبوة والبنوة ، وأنها ليست كما يظن من لا يفهمون حقيقتها ولا يعرفون وضعها فى الحياة ، عقدا كسائر العقود ثمراتها فى الانتفاع والملك والتسخير . وأعتقد أن الذين يضعون العلاقة الزوجية هذا الوضع ، هم قوم لم يشرق على قلوبهم النور الوضـاء

المنبعث من قوله تعالى : ﴿ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ﴾ .
(البقرة : ٢٢٨)

واذا كان المتتبع لكلمة (ميثاق) ومواضعها التى وردت فيها (فى القرآن) ، لا يكاد يجدها تأخذ مكانتها فى التعبير القرآنى الا حيث يأمر الله بعبادته وتوحيده ، والأخذ بشرائعه وأحكامه ، فانه يستطيع ـ وقد جاءت فى شأن الزواج ـ أن يدرك عن طريق قريب ، المكانة السامية التى وضع الله الزواج فيها ، وجعله فى التعبير عنه صنوا للايمان بالله وشرائعه وأحكامه .

هذه مكانة الزواج فى سنن الجماعة البشرية ، وفى حكم الله وكتابه ، ومنها يعلم مقدار جرم المعرضين عن الزواج فى حق أنفسهم وحق أمتهم وانسانيتهم ، وجرم هؤلاء الآخرين الذين يتخذونه ملهاة بها يعبثون ، أو عقد بيع أو شراء به يسخرون ويستعبدون »(١) .

*

ان المرأة سكن للرجل ، يجد فيها راحته ورضاء نفسه ...
والرجل سكن للمرأة ، تأمن فى كنفه ، وتسعد بجواره . . .
وبين الزوجين تكون علاقات نفسية وجسدية ذات طابع خاص ، لا مثيل لها فى سائر العلاقات الأخرى . ومن ثم لا مجال هنا للحديث عن سيادة أو تسلط أو امتلاك ...

فهناك علاقة عقلية يحكمها العدل :

﴿ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ﴾ (البقرة : ٢٢٨) .
﴿ فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ﴾ (النساء : ١٢٩) .

وهناك علاقة عاطفية تفيض مودة ورحمة :

﴿ وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ (الروم : ٢١) .

انها ، اذن ـ علاقات متبادلة ومتوازنة ...

---

(١) المرجع السابق ـ ص ١٤٢ ـ ١٤٨

ومع ذلك ، فقد عاد القرآن ليؤكد ضرورة مراعاة المرأة ومعاشرتها بالمعروف . فاذا كان الزواج قد جاء نتيجة حب ، أو جاء الحب بعد الزواج ، فان خبرات الحياة تؤكد أن عوامل الزمن وتقلبات الأحوال ، لا بد فاعلة فعلها فيما بين الزوجين من علاقات . قد يصل بها الى حد الكراهية .

وهنا يحض القرآن الرجل على التمسك بزوجته الى أقصى حد ، ويغريه بالصبر على ما طرأ على شعوره نحوها من بغض وكراهية ، فلعلها مع ذلك تكون خيرا له من كثيرات غيرها :

« وعاشروهن بالمعروف ، فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » (النساء : ١٩) .

يقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية : « طيبوا أقوالكم لهن ، وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم ، كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله كما قال تعالى : **« ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف »** . (البقرة : ٢٢٨) . وقال رسول الله ﷺ : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى » .

وكان من أخلاقه ﷺ ، أنه جميل العشرة ، دائم البشر ، يداعب أهله ، ويلطف بهم ويوسع نفقته ، ويضاحك نساءه حتى انه كان يسابق عائشة أم المؤمنين ، رضى الله عنها .. قالت : سابقنى رسول الله ﷺ فسبقته ، وذلك قبل أن أحمل اللحم . ثم سابقته بعد ما حملت اللحم ، فسبقنى ، فقال : « هذه بتلك » .

*

ادارة البيت المسلم :

ولقد بينت تعاليم الرسول كثيرا مما يتعلق بادارة البيت المسلم ، سواء بصورة عامة ، أو دخولا فى تفاصيل .

فالمرأة هى راعية البيت ، كما أن الحاكم هو راع للمحكومين .

فقد قال عبد الله بن عمر : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته :

الامام راع ومسئول عن رعيته .

والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته .

والمرأة راعية فى بيت زوجها ، ومسئولة عن رعيتها .

والخادم راع فى مال سيده ، ومسئول عن رعيته .

وكلكم راع ومسئول عن رعيته » (رواه البخارى) .

واذا جئنا الى موضوع الانفاق ، وما قد يقال أحيانا عن امساك بعض الرجال أيديهم مقابل اسراف بعض الزوجات ، نجد حديثا عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « اذا أنفقت المرأة من طعام بيتها ، غير مفسدة ، كان لها أجرها بما أنفقت ، ولزوجها أجره بما كسب ، وللخازن مثل ذلك ، لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئا » (رواه البخارى) .

ولقد قالت هند أم معاوية لرسول الله ﷺ : ان أبا سفيان رجل شحيح ، فهل على جناح أن آخذ من ماله سرا ؟ قال : « خذى أنت وبنوك ما يكفيك بالمعروف » (رواه البخارى) .

يقول المستشار ابراهيم فوزى : « لم يرد نص فى الشريعة يلزم المراة بالانفاق على نفسها من مالها ، ان كان لها مال ، او يلزمها بالانفاق على زوجها واولادها ، ان كان الزوج معسرا او عاجزا عن العمل وكانت هى موسرة .

وقد أخذ رجال الفقه الاسلامى بالنصوص التى تلزم الرجل بالانفاق على زوجته ، دون تمييز بين المرأة الميسورة والمرأة التى لا مال لها ، ودون النظر الى حالة الزوج عسرا أو يسرا ، وأعطوها حق الافتراق عنه اذا قصر بالانفاق عليها مهما كان معسرا »[1] .

---

(1) أحكام الأسرة فى الجاهلية والاسلام : ص ١١٠ ــ ١١١

ويقول الامام الأكبر محمود شلتوت : « ذلكم الحق الذى منحته الشريعة الاسلامية للمرأة من نحو (أربعة عشر قرنا) فلم تبح للرجل أن يأكل من مالها — فضلا عن تملكه والتصرف فيه — الا اذا كان عن طيب نفس منها : ﴿فان طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا﴾(١) (النساء : ٤)

هذا — ولقد حدث أن جاء رجل « الى عمر رضي الله عنه » يشكو خلق زوجته ، فوقف على بابه ينتظر خروجه ، فسمع امرأة عمر تستطيل عليه بلسانها وتخاصمه ، وعمر ساكت لا يرد عليها .

فانصرف الرجل راجعا ، وقال : ان كان هذا حال عمر مع شدته وصلابته وهو أمير المؤمنين ، فكيف حالى ؟!

وخرج عمر ، فرآه موليا عن بابه ، فناداه وقال : ما حاجتك أيها الرجل ؟

فقال : يا أمير المؤمنين ، جئت أشكو اليك سوء خلق امرأتى واستطالتها على ، فسمعت زوجتك كذلك ، فرجعت وقلت : اذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته ، فكيف حالى ؟!

فقال عمر : يا أخى ، انى احتملتها لحقوق لها على : انها لطباخة لطعامى ، خبازه لخبزى ، غسالة لثيابى ، مرضعة لولدى — وليس ذلك كله بواجب عليها — ويسكن قلبى بها عن الحرام . فانا احتملها لذلك .

فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ، وكذلك زوجتى .

قال عمر : فاحتملها يا أخى ، فانما هى مدة يسيرة .

وفى الصحيحين ، قال عليه الصلاة والسلام : « لا يفرك المؤمن مؤمنة ، ان كره منها خلقا ، رضى منها آخر »(١) .

*

---

(١) الاسلام عقيدة وشريعة — ص ١٥٥

ويقول الامام الأكبر محمود شلتوت : « قد تكلم الفقهاء كثيرا فى حق الرجل على المرأة ، وحق المرأة على الرجل . والحق الذى تهدى اليه الفطرة فى شأن الزوجين : هو ما قضى به النبى ﷺ بين على وابنته فاطمة : قضى على ابنته بخدمة البيت ورعايته ، وعلى زوجها بما كان خارجا عن البيت من عمل .

فعليها تدبير المنزل ورعاية الأطفال ، وعلى الرجل السعى والكسب » .

وفى القاعدة التى قرر القرآن بها المماثلة بين الزوجين فى الحقوق والواجبات، قرر على الرجل مسئولية الهيمنة والقوامة ، وجعله المكلف بحق المرأة فيما يصل بها الى الخير ويدفع عنها الشر ، فقال : « **وللرجال عليهن درجة** »(البقرة : ٢٢٨) . وهذه الدرجة ليست درجة السلطان ولا درجة القهر ، وانما هى درجة الرياسة البيتية الناشئة عن عهد الزوجية وضرورة الاجتماع ، هى درجة القوامة التى كلفها الرجل ، وهى درجة تزيد فى مسئوليته عن مسئوليتها . فهى ترجع فى شأنها وشأن أبنائها وشأن منزلها اليه : تطالبه بالانفاق ، وتطالبه بما ليس فى قدرتها ، وما ليس لها من سبيل اليه .

وهذه المسئولية أساسها فى تحميل الرجل اياها ، هو ما أشارت اليه الآية الكريمة التى تقول : « **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم** » (النساء : ٣٤) .

أمران قضت بتحملهما طبيعة الرجل :**القيام بمشاق الأمور** .

---

(١) المراة فى التصور الاسلامى — ص ١٥٣

وأساس ذلك ما أودع الله فيه من قوة البدن والعزم والعمل ، والانفاق فيما يحتاج اليه البيت من مطعم وملبس ، وما تنشرح به صدور الأبناء والأسرة •

ولقد يكون فى قوله تعالى : ﴿ بما فضل الله بعضهم على بعض ﴾ ، دون أن يقول : بما فضلهم عليهن ، اشارة واضحة الى أن هذا التفضيل ليس الا كتفضيل بعض أعضاء الجسم الواحد على البعض الآخر • وأنه لا غضاضة فى أن تكون اليد اليمنى أفضل من اليد اليسرى ، ولا فى أن يكون العقل أفضل من البصر ، ما دام الخلق الالهى اقتضى ذلك •

واذن ، فهى درجة طبيعية لا بد منها لكل مجتمع من المجتمعات ، قل ذلك المجتمع أو كثر • وليس من الحكمة فى نظر شرع أو وضع أن يترك مجتمع دون أن يعرف له رئيس يرجع اليه فى الرأى ، وعند الاختلاف ، وفى مهام الشئون •

واذا تصور مجتمع على هذا النحو ، ليس له محور يدور حوله ويعتصم به ، فهو مجتمع مآله حتما الى السقوط والانحلال • مجتمع صائر لا محالة الى الفوضى والاضطراب بالتنازع والتضارب وتناقض الرغبات • وبذلك ينقلب المجتمع رأسا على عقب ، تتفكك وحداته ، وتتناثر لبناته ، وتضيع الثمرات التى عقدت به ••

بنى الاسلام المجتمعات ، فى ادارتها وتنظيم شئونها — مع تعيين مصدر القوامة فيها — على أساس من الشورى وتبادل الرأى ••• فقال : ﴿ وامرهم شورى بينهم ﴾ (الشورى : ٣٨) •

ولم تكن الشورى أساسا لمجتمع الحاكم والمحكوم فقط ، وانما هى أساس لكل مجتمع ، حتى مجتمع الرجل وزوجه فى البيت والأسرة •

وقد جاء ذلك فى صريح القرآن فيما يتعلق بحق ابداء الرأى فى فطام الطفل ورضاعه . ولم يجعل للرجل ولا للمرأة حق الاستئثار به دون الرجوع الى صاحبه :

﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين . لمن اراد أن يتم الرضاعة . وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، لا تكلف نفس الا وسعها . لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده ، وعلى الوارث مثل ذلك ، فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما ﴾ (البقرة : ٢٣٣)

حقوق موزعة على الزوجين : ارضاع على الزوجة ، ونفقة على الزوج ، دون ارهاق ولا مشقة . ودون مضارة أو ايذاء . ثم تشاور فى الرأى وتراض من جهة الرضاع أو الفطام .

واذا كان للزوجة حق ابداء الرأى فى نظام تربية الولد وارضاعه ، واشترط القرآن فى ذلك ارادتها مع ارادة الرجل ، ورضاها مع رضاه ، فان ذلك يكون شأنها معه فى كل ما يعترضهما من شئون تحتاج الى التشاور والى تبادل الرأى .

كيف والمشورة بينهما مما يشعر المرأة بأنها ذات مسئولية مشتركة ، وأنها تعيش فى جو حياة مشتركة ، يهمها صلاحها . ويوغر صدرها فسادها ، فتكتل قواها ، وتجمع أمرها على الحفظ والصيانة ، وكمال الاشراف والرعاية .

اما ذلك الزوج الذى يمنح نفسه السلطان المستقل . والأمر النافذ القاهر ، تاركا زوجه وراء ظهره ، متاعا لا ينظر اليه الا حيث يريده ، فهو زوج دخيل على الحياة الزوجية التى رسمها الاسلام ، لا يمثلها ولا يكون مرآة لها . هو زوج لا يعرف معنى قوله تعالى : ﴿ واخذن منكم ميثاقا غليظا ﴾ . (النساء : ٢١) .

ولا معنى قوله تعالى : ﴿ هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ﴾
(البقرة : ١٨٧)

ولا معنى قوله تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ [1](الروم : ٢١) .

* *

● **مشاكل تهدد الحياة الزوجية :**

لا يخلو بيت من مشاكل ، وان اختفت حينا فلا بد أن تظهر فى آحيان كثيرة . فهذا واقع الحياة وهو واقع مشهود ومحسوس .

وفى سبيل الحفاظ على الحياة الزوجية واستمراريتها ، وضع القرآن تعاليما تعين الزوجين على تحقيق ذلك ، ان صدقت عزيمتهما . وتسير خطوات المعالجة متسلسلة كالآتى :

١ – **الزوجان يبدآن الاصلاح** : ان الزوجين هما أعلم الناس بما يدور بينهما ، وما يتهدد حياتهما الزوجية من شقاق بدت أعراضه فى جفاء وفتور فى العلاقات . وهما أقدر الناس على تدارك ذلك باجراء مراجعة شاملة لما كان بينهما ، واعتراف كل منهما لصاحبه بما بدر منه من اساءات ، قد يكفى لغفرانها وعد صادق بعدم التكرار ، مع كلمة رقيقة بالاعتذار .

﴿ وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا ، والصلح خير ، واحضرت الأنفس الشح ، وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا ﴾
(النساء : ١٢٨)

---

(١) الاسلام : عقيدة وشريعة – ص ١٥٥ – ١٦٠

٢ ــ **الحكمان يحاولان الاصلاح** : اذا عجز الزوجان عن الاصلاح بينهما ، وسارت الأمور الى الأسوأ ، فلا مناص من تدخل خارجى .

ويكون ذلك باختيار حكم من قبل الزوج ، وحكم من قبل الزوجة ، يفترض فى كل منهما أن يكون حريصا على استمرارية الحياة الزوجية مع رفع الضرر أو الأذى الذى لحق بأى من الزوجين . فالاصلاح بين الناس تعليم الهى لكل المؤمنين :

﴿ انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم ﴾ (الحجرات : ١٠) .

ولهذا كان الاصلاح بين الزوجين واجبا على المسلمين قبل أن تصل الأمور بينهما الى حد القطيعة التى لا يرجى معها اصلاح :

﴿ وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ، ان الله كان عليما خبيرا ﴾

(النساء : ٣٥)

* *

- **ابغض الحلال الى الله الطلاق** :

اذا فشلت كل الوسائل لتحقيق المصالحة بين الزوجين ، وأصر كل منهما على موقفه ، وبدت المعيشة بينهما مستحيلة ، فآخر الدواء الكى ، كما يقول المثل السائر مجازا من الطب البدوى ، أو البتر بلغة الطب الحديث .

لا مناص ، اذن ، من الطلاق الذى هو من المؤكد مطلب لأحد الزوجين ، بل انه قد يكون مطلب كليهما .

لقد فرض الله على الأزواج أن يعاشروا زوجاتهم بالحسنى ، فقال :
﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾ (النساء ١٩) .

وقـال النبى ﷺ فى حجـة الوداع : « **اتقـوا الله فى النسـاء** » (رواه مسلم) .

ولا يستطيع أحد أن يدعى أن مسئولية هدم بيت الزوجية تقع دائما على عاتق الزوج ، أو دائما على عاتق الزوجة ، بل انها تختلف من حالة لأخرى .

ولمـا كان الطلاق أبغض ما يسمح به الله ــ كما علمنـا سـيدنا رسـول الله فى حـديثه ــ صـار اللجـوء اليـه ، لا أقـول بعـد اسـتنفاد كل وسـائل الاصـلاح ، بل أقول بعـد اسـتنفاد كل طاقات الصـبر ، أمرا لا مفر منـه ، فلا بد أن تسـير الحيـاة بأقـل الخسائر والأضرار . ولا مانع أن يسمح بضرر أقل درءا لأضرار أكبر ، وشرور أفظع .

على ان الطـلاق لا يعنى الفرقة الدائمـة بين الزوجين الا فى حـالة خاصة ، وفيما عداها فهو تفرقة الى حين ، لعلها تكون عاملا نفسيا يسـاعد على تهـدئة النفوس الثـائرة ، وتضـميد الجراح الحقيقيـة أو المتوهمة ، بعـد أن يراجع كل من الزوجين موقفه . ويتبين له أن بيت الزوجية قد تصـدع . وأن افتراقهما ومحـاولة كل منهما الدخـول فى حياة زوجية جديدة قد تكون مخاطرة مجهولة المحاذير ، أهون منهـا تلك المعيشة التى خبراها بشرها وحلوها . بالاضافة الى ما يلحق الأولاد ، فلذات الأكباد ، من أذى وضرار لافتراق الأبوين .

وهنا يسير الطلاق وفق قيود وضوابط ، تعمل جميعها من أجـل كبح الفرقة الدائمة ، كالآتى :

١ ــ الطلاق فى طهر : **قال ابن كثير** : « طلق ابن عمر امرأته حائضا على عهد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : ليراجعها ــ فردها ، وقال **اذا طهرت فليطلق أو يمسك** » .

والاتفاق بين العلماء على أن الطلاق لا يصح الا اذا كانت المرأة فى طهر من غير جماع ، أو حاملا قد استبان حملها .

٢ ــ الرجوع عن الطلاق فى فترة العدة : تعرف العــدة بأنها المــدة التى تتربص فيها المرأة بعــد طلاقها أو وفاة زوجها ، كى يحل لها الزواج من غيره . وقد أمر الله باحصاء العدة نظرا لأهميتها فى الحياة الزوجيــة فقــال :

﴿ يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة ﴾ (الطلاق : ١)

وبالنسبة للمرأة العادية ، فقد حــدد القرآن العــدة بثلاثة قروء ، فقــال : ﴿ والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء ، ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله فى ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ (البقرة : ٢٢٨)

والقرء ــ لغة ــ هو الحيض ، وهو أيضا الطهر ، فهو من الأضداد ، وبذلك يكون على المطلقة أن تمكث بعد طلاق زوجها لها طلاقا صحيحا ، مدة ثلاثة قروء ، أى بعد وقوع ثلاث حيضات بعد الطلاق . قبل أن يحل لها الزواج بآخر . وبذلك قد تصــل مدة العدة ، للمرأة العادية ، نحو ثلاثة أشهر ، وقد تقل الى الشهرين . ويتوقف ذلك على مدة دورتها الشهرية وتوقيت ايقاع الطلاق فى فترة الطهر .

ولقد أمر الله بابقاء الزوجة المطلقة فى منزل الزوجيــة خــلال فترة العدة ، الا فى حالة ترديها فى البذاءة والفحشاء ، بل انه ــ سبحانه ــ كرمهــا كل التكريم حيث جعــل منزل الزوجيــة بيتهــا ، فقــال :

﴿ واتقوا الله ربكم ، لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينــة ، وتلك حدود الله ، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ، لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك امرا ﴾ (الطلاق : ١) .

لقد وضحت الحكمة من فترة العدة ، ومعيشة الزوجين خلالها فى بيت الزوجية الذى سماه الله بيتها ، وذلك لكى تستعيد النفوس صفاءها وتضمد الجراح ، ويبدأ تفكير الزوجين فى نبذ الطلاق الذى وقعا فيه .

وخلال مدة العدة يستطيع الزوج مراجعة زوجته واعادتها لعصمته ، دون حاجة الى عقد جديد أو مهر جديد . فكلمة ، أو غيرها ، تكفى لاستئناف الحياة الزوجية من جديد :

﴿ وبعولتهن احق بردهن فى ذلك ان ارادوا اصلاحا ﴾
(البقرة : ٢٢٨)

لكن الأمر ليس عبثا ، فقد حسبت عليه طلقة .

*

٣ ـ الطلاق مرتان : لقد سمح الله بايقاع الطلاق مرتين اثنتين فقط ، يستطيع الزوج خلال عدتهما مراجعة زوجته دون عقد ومهر . أما اذا أسرف الزوج على نفسه وأوقع بزوجته الطلقة الثالثة ، فقد بانت منه بينونة كبرى . وسواء انتهت الحياة الزوجية بالطلاق ، أم استعيدت مرة أخرى ، فقد أمر الله ـ سبحانه ـ بالمعروف والاحسان بين الزوجين .

﴿ الطلاق مرتان ، فامساك بمعروف او تسريح باحسان ، ولا يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله ، فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ، تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون . فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ، فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا أن يقيما حدود الله ، وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون . واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن

بمعروف ، ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا . ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه . ولا تتخذوا آيات الله هزوا ، واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ، واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم . واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن ، فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ، ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر . ذلكم أزكى لكم وأطهر ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ (البقرة ٢٢٩ — ٢٣٢)

هذا — ويسمح للزوج الذى طلق زوجته مرة واحدة ، أو مرتين . وانقضت عدتها دون أن يراجعها فيها ولم تتزوج بعد من رجل آخر . أن يعود الى الزواج منها بعقد جديد ومهر جديد .

ويحق للمرأة أن تجعل العصمة بيدها فى عقد الزواج ، كما يحق للزوجة أن تطلب الطلاق من القاضى بعد اثبات استحالة دوام العشرة مع زوجها .

وأيضا يحق للزوجة المطلقة أن ترث فى زوجها اذا مات قبل أن تنقضى عدتها .

*

يقول الامام محمود شلتوت : « لم يجعل الطلاق كلمة يلقيها الزوج على زوجه ، فتحرم أحدهما على الآخر تحريما أبديا لا رجعة فيه ولا التئاما ، وانما سلك به طريق العلاج . وكرر فى مراحله حتى يمتد أمد النظر والتبصر . فشرعه أولا مفرقا مرة بعد أخرى ، دفعات متعددة ليجرب الرجل نفسه بعد المرة الأولى والثانية ، ويروضها على الصبر والاحتمال ، ولتجرب المرأة أيضا نفسها . حتى اذا لم تفد التجارب وأوقع الطلقة الثالثة ، وضع أمامهما حاجزا ، وهو أنه لا يباح لهما

رجع الحياة الزوجية الا بعد شرط ، فى تصوره ما قد يمنع الرجل عن ايقاع هذه الطلقة الثالثة . وذلكم الشرط هو المشار اليه بقوله تعالى : « فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره » (البقرة : ٢٣٠) .

وما دام لم يصل الرجل الى الطلقة الثالثة ، فان الاسلام يغريه بالرجوع الى زوجه ، ويمكنها منه بكلمة (المراجعة) فقط دون تجديد عقد ما دامت فى عدتها ..

ان الطلاق فى جميع صوره التى يقع فيها ، ليس الا نوعا من اعطاء فسحة للزوجين يتدبران فيها أمرهما ، ولعلهما يجدان ما يدفعهما الى العودة الى الحياة الزوجية ، اما بكلمة المراجعة ، واما باجراء عقد آخر جديد يستأنفان به حياة زوجية جديدة ، بعد أن تمثل لهما شبح الافتراق الدائم المستمر .

واذن ، يكون الطلاق من هذه الوجهة ــ فيما عدا المكمل للثلاث ــ وسيلة من وسائل الاحتفاظ بالحياة الزوجية ، ويكون بمثابة العلاج يبتر بعض الأعضاء . أما المكمل للثلاث ، فقد بلغت فيه التجربة أقصى حد لها ، فضيق فيه أمر العلاج باشتراط أن تنكح المرأة زوجا غيره »[1] . وبشرط ألا يحدث ذلك وفق تدبير سابق من أى من الطرفين ، انما يأتى عرضا ساقته تقلبات الحياة .

ومهما تكن مرارة وضع الزوجين بعد افتراقهما بالطلاق ، فيجب ألا يكون ذلك نهاية الحياة لأى منهما . فلعل الله يعوض كلا منهما بمن هو خير ، فما ذلك على الله بعزيز . بل لعل هذا الأمل هو ما يبثه قول الله فى النفوس التى اكتوت بنار الفراق : « وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته ، وكان الله واسعا حكيما » (النساء : ١٣٠) .

* *

---

(١) المرجع السابق ــ ص ١٧٣ ــ ١٧٦

● **مسئوليات الرجل بعد الطلاق :**

فرض الله على الرجال معاشرة زوجاتهم بالمعروف ، فقال سبحانه :

﴿ **وعاشروهن بالمعروف** ﴾ (النساء : ١٩) .

واذا حدث طلاق ثم أرجع الرجل امرأته الى عصمته ، عاد القرآن ليؤكد مرة أخرى ضرورة امساكها بمعروف ، وليس من أجل ايقاع الضرر بها ، فقال :

﴿ **واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ، ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه** ﴾ (البقرة : ٢٣١)

أما اذا كان الفراق ، فقد أمر الله أن يكون ذلك أيضا بالمعروف والاحسان ، فقال :

﴿ **سرحوهن بمعروف** ﴾ (البقرة : ٢٣١) .

﴿ **تسريح باحسان** ﴾ (البقرة : ٢٢٩) .

ولما كان المعروف والاحسان يمكن أن يشتمل على جانب أخلاقى يتمثل فى المعاملة والسلوك ، وجانب آخر مادى يتمثل فى البذل والعطاء ، فقد أكد القرآن على قيام الرجل الذى طلق زوجته بدفع تعويض مادى لها ، سماه متعة ، به تقوم حياتها فى فترة ما بعد الطلاق الى أن يجعل الله لها مخرجا من أزمتها . وقد اعتبرت هذه المتعة حقا للمطلقة ، فقال سبحانه : ﴿ **وللمطلقات متاع بالمعروف ، حقا على المتقين** ﴾ (البقرة : ٢٤١)

﴿ **لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ، ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف ، حقا على المحسنين . وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن**

فريضة فنصف ما فرضتم الا أن يعفون أو يعفوا الذى بيده عقدة النكاح ، وأن تعفوا أقرب للتقوى ، ولا تنسوا الفضل بينكم ، ان الله بما تعملون بصير ﴾ (البقرة : ٢٣٦ ــ ٢٣٧) .

وبالنسبة للاسكان والانفاق ، وخاصة ذوات الأحمال منهن ، يقول الحق : **﴿ اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن ، وان كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن ، فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن ، واتمروا بينكم بمعروف ، وان تعاسرتم فسترضع له اخرى . لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ، لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها ، سيجعل الله بعد عسر يسرا ﴾** (الطلاق : ٦ ، ٧) .

*

لقد رأينا كيف يقوم الطلاق فى التوراة على مجرد ورقة مكتوبة يعطيها الرجل لمطلقته . ثم جاءت تعاليم الانجيل لتمنع الطلاق الا لعلة الزنا ، حسب قول متى . أما فى الاسلام فهناك مواجهة لواقع الحياة الذى برهن على حاجة الحياة الزوجية الى اللجوء الى الطلاق كمتنفس أخير وعلاج بغيض لا بد منه فى بعض الحالات . لكن هذا العلاج تسبقه خطوات واجراءات تكبح اللجوء اليه ، وتعقبه تبعات ومسئوليات يتحمل الرجل فيها الغرم المادى بوجه عام .

* *

■ **الأعباء المالية للرجل :**

ذكرنا ، فيما سبق ، بعض الأعباء المالية التى تلزم الشريعة الاسلامية الرجل بتحملها وخاصة فى مجال الانفاق على بيت الزوجية . **بل قبل ذلك فى مسئوليته عن تدبير المسكن المناسب لزوجته .**

ونريد الآن استعراض أهم تلك الأعباء المالية التى يلتزم بها الرجل فى حياته الزوجية والأسرية •

يقول الامام الأكبر محمود شلتوت ان الشريعة الاسلامية قضت « أن يحتمل الرجل نفقات الأسرة من زوجة ، وبنين ، وأقارب •

وأن يحتمل كذلك المهر الذى يقدمه للمرأة عنوانا على رغبته فيها ، وبذله ما يجب فى سبيل الاقتران بها •

وأن تحتمل المرأة تدبير البيت ، وشئون الحمل والوضع والتفرغ لحضانة الأطفال ، والقيام على أمرهم •

وفى ظل هذا الأساس نرى بالموازنة بين نصيب الرجل والمرأة ، أن المرأة أسعد حظا من الرجل فى نظر الاسلام :

أوجب لها مهرا لا حد لأكثره : « وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا » (النساء : ٢٠) •

وأوجب لها على الرجل : نفقتها ، وكسوتها ، وجميع ما تحتاج اليه بالمعروف لبيئتها ، حتى أوجب الخادمة والخادمتين : « لينفق ذو سعة من سعته » (الطلاق : ٧) •

وأوجب لها اذا ما طلقت : (نفقة العدة) على نحو ما وجبت لها فى حياتها الزوجية ، وأوجب لها (المتعة) ، وهى ما يبذله الرجل بعد طلاقها غير نفقة العدة ، مما تحفظ به نفسها وكيانها : « وللمطلقات متاع بالمعروف ، حقا على المتقين » (البقرة : ٢٤١) •

أما الرجل فهو كما قلنا مطالب بنفقته على نفسه وعلى أولاده وعليها ، وعلى نوائب الحياة كلها التى تنشأ من مكافحته فيها ، ثم على والديه وأقاربه اذا كانوا ضعافا أو فقراء •

واذن ، فبماذا يمتاز الرجل عنها »[1] !؟ -

ان الرجل مطالب بكافة الأعبـاء المـالية . أمـا المرأة . الزوجة ، فلا تطالب بأى شىء . ان جادت بشىء من مالها ، فذاك فضلها ، وان أمسكت فهذا حقها ، ولا تثريب عليها .

* *

■ ميراث المرأة :

اولا ـ نص القرآن الكريم على المساواة فى الميراث بين الذكر والأنثى فى حالات ، كالآتى :

١ ـ فيما بين الأخ والأخت لأم فى ارثهما من أخيهما ، اذا لم يكن له أصل من الذكور ولا فرع وارث .

« وان كان رجـــل يورث كلالة او امراة وله اخ او اخت فلكل واحـد منهما السدس ، فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث ، من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار ، وصية من الله ، والله عليم حليم» (النساء : ١٢)

يقول ابن كثير : « الدين مقدم على الوصية ، وبعده الوصية ثم الميراث . وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء ..

الكلالة مشتقة من الاكليل وهو الذى يحيط بالرأس من جوانبه ، والمراد هنـا من يرثه من حواشيه ، لا أصـوله ولا فروعه ، كما روى الشعبى عن أبى بكر الصديق أنه سـئل عن الكلالة فقال : الكلالة من لا ولد له ولا والد ..

وقال ابن أبى حاتم : حدثنـا يونس ، حدثنـا ابن وهب ، أخبرنا يونس عن الزهرى ، قال : قضى عمر ان ميراث الأخوة من الأم بينهم للذكر مثل حظ الأنثى .

---

(١) المرجع السابق ـ ص ٢٣٨

قال الزهرى : ولا أرى عمر قضى بذلك حتى علم ذلك من رسول الله ﷺ » .

٢ ــ فيما بين الأب والأم فى ارثهما من ولدهما ان كان له ولد :

﴿ ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد ﴾ (النساء : ١١)

ثانيا ــ نص القرآن على جعل نصيب الذكر ضعف نصيب الأنثى فى الميراث فى حالات ، كالآتى :

١ ــ فى حالة وجود أولاد للمتوفى ، ذكورا واناثا .

﴿ يوصيكم الله فى أولادكم ، للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ (النساء : ١١)

٢ ــ فى حالة التوارث بين الزوجين ، حيث يرث الزوج من زوجته ضعف ما ترثه هى منه .

﴿ ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد ، فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن ، من بعد وصية يوصين بها أو دين ، ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد ، فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم ، من بعد وصية توصون بها أو دين ﴾ (النساء : ١٢) .

ويلزمنا فى هذه الحالة ان نتذكر الأعباء المالية الملقاة على عاتق الرجل وقد اعفيت منها المرأة ، لنعلم الحكمة من التوريث هنا حسب قاعدة : ﴿ للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ فهذا عدل لا مراء فيه ، اقتضته الموازنة السليمة بين حقوق الرجل وواجباته ، مترجمة فى صورة مالية .

*

وبعد ... هذا مما أعطاه الاسلام للمرأة ، فأرونى ماذا أعطى الذين من دونه ! ... ﴿ لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين ﴾ . (مريم : ٣٨)

* *

● شـــهادة المرأة :

يتوقف الحكم فى مختلف القضايا بين الناس على شهادة الشـــهود وما تتم به البينـــة من أدلة قوية لا يتسرب اليهـــا الاحتمـــال ، وقرائن قطعية ، تتفاعل جميعها فى فكر القاضى ، فيصدر حكمه وفقا للقانون ، وهو مستريح الضمير .

وهناك أنواع من القضايا لا يتوقف الحكم فيها على مجرد اتفاق عدد من الشهود حول واقعة ما ، بل تكون المصداقية متوقفة على خبرة الشهود ونوعيتهم ، لا على عددهم .

مثال ذلك : تقارير الطب الشرعى ، وخبراء البصمات ، ومكافحـــة التزييف ... الخ .

والحق يقول ، وقوله الحق : **﴿ ولا ينبئك مثل خبير ﴾ (فاطر : ١٤) .**

ومن هنا تنوعت المواقف بالنسبة لشهادة المرأة .

١ ــ فهناك مواقف تكون فيها شهادة المرأة كشهادة الرجل تماما .

وفى هذا يقول الامام الأكبر محمود شلتوت : « نص القرآن على أن المرأة كالرجل ــ سواء بسواء ــ فى شهادات اللعان ، وهو ما شرعه القرآن بين الزوجين حينما يقذف الرجل زوجه وليس له على ما يقول شـــهود :

﴿ والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشـــهادة احدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين . والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين . ويدرؤا عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين . والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصـــادقين ﴾

(النور : ٦ ــ ٩)

أربع شهادات من الرجل يعقبها استمطار لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ، ويقابلها ويبطل عملها أربع شهادات من المرأة يعقبها استمطار غضب الله عليها ان كان من الصادقين »[1] .

* *

٢ ـ وهناك مواقف تكون فيها شهادة امراتين مكافئة لشهادة رجل ١٠

وذلك في مقام المعاملات المالية والتجارية ومعاملات الأسواق وما الى ذلك . ولقد جاء هذا في آية الدين ، التى تعتبر أطول آية في القرآن ، اذ يقول الله فيها :

« يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه . وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا ياب كاتب ان يكتب كما علمه الله ، فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا ، فان كان الذى عليه الحق سفيها او ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل ، واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى ، ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا ، ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله ، ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة وأدنى الا ترتابوا ، الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها ، واشهدوا اذا تبايعتم ، ولا يضار كاتب ولا شهيد ، وان تفعلوا فانه فسوق بكم ، واتقوا الله ، ويعلمكم الله ، والله بكل شيء عليم »
(البقرة : ٢٨٢)

يقول الامام الأكبر محمود شلتوت : « المقام مقام استيثاق على

---

(١) المرجع السابق ـ ص ٢٤١

الحقوق ، لا مقام قضاء بها . والآية ترشد الى أفضل أنواع الاستيثاق الذى تطمئن به نفوس المتعاملين على حقوقها .

وليس معنى هذا أن شهادة المرأة الواحدة ، أو شهادة النساء اللاتى ليس معهن رجل ، لا يثبت بها الحق ولا يحكم بها القاضى . فان أقصى ما يطلبه القضاء هو (**البينة**) . وقد حقق العلامة **ابن القيم** أن البينة فى الشرع أعم من الشهادة ، وأن كل ما يتبين به الحق ويظهره ، هو بينة يقضى بها القاضى ويحكم . ومن ذلك يحكم القاضى بالقرائن القطعية ، ويحكم بشهادة غير المسلم متى وثق بها واطمأن . واعتبار المرأتين فى الاستيثاق كالرجل الواحد ، ليس لضعف عقلها الذى يتبع نقص انسانيتها ويكون أثرا له ، وانما هو لأن المرأة — كما قال الأستاذ الشيخ محمد عبده : « ليس من شأنها الاشتغال بالمعاملات المالية ونحوها من المعاوضات ، ومن هنا تكون ذاكرتها فيها ضعيفة ، ولا تكون كذلك فى الأمور المنزلية التى هى شغلها ، فانها فيها أقوى ذاكرة من الرجل . ومن طبع البشر عامة أن يقوى تذكرهم للأمور التى تهمهم ويمارسونها ، ويكثر اشتغالهم بها » .

والآية جاءت على ما كان مألوفا فى شأن المرأة ، ولا يزال أكثر النساء كذلك ، لا يشهدن مجالس المداينات ، ولا يشتغلن بأسواق المبايعات ، واشتغال بعضهن بذلك لا ينافى هذا الأصل الذى تقضى به طبيعتها فى الحياة .

واذا كانت الآية ترشد الى أكمل وجوه الاستيثاق ، وكان المتعاملون فى بيئة يغلب فيها اشتغال النساء بالمبايعات وحضور مجالس المداينات ، كان لهم الحق فى الاستيثاق بالمرأة على نحو الاستيثاق بالرجل متى اطمأنوا الى تذكرها وعدم نسيانها » .

*

٣ ـ « وقد نص الفقهاء على أن من القضايا ما تقبل فيه شهادة المرأة وحدها .

وهى القضايا التى لم تجر العادة باطلاع الرجال على موضوعاتها ، كالولادة ، والبكارة ، وعيوب النساء فى القضايا الباطنية »[1] .

يقول الحق سبحانه : ﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ، ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ (البقرة : ٢٢٨) .

فهذه من المواقف التى تقبل فيها شهادة المرأة وحدها ، اعتمادا على صدق ايمانها ، واستثارة للوازع الدينى ، وازع الضمير اليقظ .

يقول ابن كثير فى تفسيره : قوله : ﴿ ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله فى ارحامهن ﴾ ، أى من حبل وحيض . قاله ابن عباس وابن عمر ومجاهد والشعبى .. وغير واحد . وقوله : ﴿ ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ ، تهديد لهن على خلاف الحق .

ودل هذا على أن المرجع فى هذا اليهن ، لأنه امر لا يعلم الا من جهتهن ، ويتعذر اقامة البينة غالبا على ذلك ، فرد الأمر اليهن ، وتوعدهن فيه لئلا يخبرن بغير الحق ، اما استعجالا منها لانقضاء العدة ، أو رغبة منها فى تطويلها ، لما لها فى ذلك من المقاصد ، فأمرت أن تخبر بالحق فى ذلك من غير زيادة ولا نقصان » .

● ●

● عقوبة لحماية سمعة المرأة :

نص القرآن على عقوبة لمن يتعرض كذبا بالسوء لسمعة المرأة ، تعرف بحد القذف ، وذلك نظرا لخطورة تلك الجريمة على حياتها وحياة أسرتها ومستقبلها .

﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا ، واولئك هم الفاسقون .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠

الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم ﴾ (النور : ٤ ، ٥)

وقد عد رسول الله قذف المحصنات من الكبائر ، فقال : « **اجتنبوا السبع الموبقات** » . قيل : وما هن يا رسول الله ؟

قال : (الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، **وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات** » (رواه البخارى ومسلم) .

وما من شك فى أن شعوب أوروبا ، ونساءها بوجه خاص ، كانت فى أشد الحاجة لتطبيق حد القذف على أولئك الظلمة من اهل السلطة الدينية واتباعهم ، الذين أثاروا موجات مجنونة ضد النساء عرفت باسم : **تعقب المتشيطنات وقمعهن** ، بزعم أن أولئك المضطهدات كن يمارسن الجنس مع الشيطان . **ولم يكن من شهود سوى الشبهات ،** وانتزاع الاعترافات منهن تحت وطأة التعذيب .

والا ، فأى عاقل هذا الذى يستطيع الشهادة بأنه رأى امرأة تمارس الجنس مع الشيطان ؟! ...

* *

وبعد ... لقد تعمدت أن تكون أغلب مادة هذا الفصل الخاص بمكانة المرأة فى الاسلام مما سطره قلم الامام الأكبر محمود شلتوت ــ شيخ الأزهر الأسبق ــ وذلك نظرا لكونه رأس أقدم مؤسسة تعليمية دينية تمتد جذورها لأكثر من ألف عام ، وتمتد اشعاعاتها العلمية والثقافية والروحية فى شتى أرجاء العالم الاسلامى ، لا بل أرجاء العالم كله . ويكفى التذكرة بأن أوروبا لم تعرف نظام **استاذ الكرسى** فى جامعاتها التى أنشئت بعد الأزهر بقرون عديدة ، الا نقلا عن الأزهر العريق .

كذلك أختتم هذا الفصل بما قاله فضيلة الامام الأكبر فى ختـام حديثه عن : المراة فى نظر الاسلام ، اذ قال :

« وبعد ... فهـذه عـدالة الاسلام فى توزيع الحقوق العامة بين الرجـل والمرأة وهى عدالة تحقق انهما فى الانسانية سواء » .

* *

الباب الرابع

حقائق ومواقف

- حضـــارة لا اله الا الله ..
  وتحرير الانســـان .
- هذا التلوث الجنسى .
- أوروبـــا .. مهـــلا !
- قضية الدجال الهندى .
- مقاطع شيطانية .
- حملة مسعورة على : عيسى ومحمد .
- بين شيطانيات : الهندى ..
  واليونانى !
- محاكمة الكاتب سلمان رشدى .
  وفق أحكام الكتاب المقدس .
- حقـــوق الانســـان .

يعرف التحضر ، فى أبسط صوره ، بأنه الارتقاء بالانسان من حالة التوحش والبداوة والجهل الى ما هو أفضل ، وذلك بالتعليم والتهذيب والعيش فى نظام اجتماعى قادر على تيسير الحياة وتطويرها ...

ويقول ى . هل فى كتابه : « **الحضارة العربية** » : « الحاجة أم الحضارات الانسانية ، ذلك أن النفس البشرية فطرت على شوق لا حد له الى الرفاهية والسيطرة والجمال والحق . وهذه الغايات هى الأهداف الأخيرة لكل طموح انسانى ، والسعى اليها هو العلة الجوهرية فى ارتقاء الانسانية .

فالمثل الأعلى للانسان يكمن وراء عدد لا يحصى من الحاجات ، وكلما حصل على واحدة منها اتسع مجال طموحه الى ما يليها .

وعلى هذا النهج تسير الحضارات كلها : الحاجات الجديدة تؤدى الى وجود أهداف جديدة ، والكدح فى سبيل هذه الحاجات هو الطابع الذى يميز الحضارة ، والحصول عليها هو خلق للحضارة نفسها ، وادخال أقوال آخرين فى مجالها هو نشر لهذه الحضارة »[1] .

ان النظر الى الحضارة من هذا المنطلق انما ينبع من مفهوم مادى بحت بالدرجة الأولى ، وان تخللته بعض اللمسات الفكرية التى تتحدث عن الحق والجمال . وهو تقرير خاطىء لأنه أسقط من حسابه العنصر الرئيسى المسئول عن الوجود الانسانى نفسه ، وكل تقرير أسقط عنصرا من العناصر المؤثرة فى عملية ما يعتبر تقريرا خاطئا بلا جدال .

ان حضارة صنعها الانسان بهذا المفهوم ، لهى حضارة مقضى عليها بلا شك ، لأنها لم تتعد أن تكون **حضارة المتاع** ...

(١) نقله الى العربية : الدكتور ابراهيم أحمد العدوى ــ ص ١١

لقد نسى الانســان خالق الوجود ... لقد نسى الاله .. !

وماذا يقى بعد ذلك ، بل وأى معنى لوجوده ، اذن ، وفيم الكفاح؟!

ان الانسان لا يقف وحده ، فى هذا الكون ، كما ادعى هكسلى ، ومن سبقوه ، ومن جاءوا بعده ...

ان هناك : الله ، والكون ، والانسان ... وعلى الانسان أن يعى ذلك تماما ، والا فالحياة عبث ، والمصير ضياع وشقاء ...

ومن هنا كانت حضارة الاسلام مختلفة عن غيرها من الحضارات ، وحق لها أن تسمى باسم : حضارة لا اله الا الله ...

ونقطـة البـدء فيها أن يعلم الانســـان : ﴿ انه لا اله الا الله ﴾ .
(محمد : ١٩)

ومعنى هذا أن يتعامل الانسان مع الله مباشرة ، دون واسطة ما ، كائنا من كان ...

فرسول الله ليس واســطة بين الله وخلقه ، انمــا هو داع الى الله ومعلم منهجه ، ومبين محتواه ...

﴿ وما محمـد الا رسـول قـد خلت من قبله الرسـل ﴾ .
(آل عمران : ١٤٤)

ثم لنقرأ جيدا قول الحق هذا ، لنعلم كيف يدعو الله الانسان ــ كل انسان ســواء أكان : رجلا أو امرأة ، متحضرا مغرورا أو متخلفا لا يدرى من أمر دنياه شيئا ... يدعوه ليتعامل معه ــ سبحانه ــ مباشرة وذلك على هدى منهجه ، فيقول مخاطبا نبيه :

﴿ وكذلك أوحينا اليك روحا من امرنا ، ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلنــاه نورا نهدى به من نشــاء من عبادنا ﴾
(الشورى : ٥٢)

آنذاك يضع الانسان عن كاهله أثقالا كاذبة ، تتمثل فى معتقدات خاطئة ، وخوف من قوى لا وجـود لها . ويفك أسـاراه وأغلاله التى قيدته بها تقاليد زائفة ، فينطلق نحو التقدم فى الحياة . ويعمل من أجل تخفيف آلامها والاستمتاع بها وفق منهج الله ، فيحقق لنفسـه ولغيره الخير والأمن فى الدنيا والآخرة .

حضارة الاسـلام ، اذن ، هى حضارة لا اله الا الله ، لأنهـا تعلم الانسان الحق والخير والجمال . وتدعوه الى التفكر والبحث والدراسة والابداع . وتجعل تخفيف أعباء الحياة وتوفير المتاع عبادة مثل سـائر العبـادات ...

*

• **قالوا عن حضارة الاسلام :**

تقول العالمـة الألمـانية الدكتورة **سيجريد هونكه** عن حضـارة الاسلام التى قامت على **لا اله الا الله** ، كما علم بذلك **محمد رسول الله**: « لو أوصى محمـد كل مؤمن ، رجـلا كان أو امـرأة ، بطلب العلم ، وجعـل ذلك واجبـا دينيـا . فهـو الذى يقـول للمؤمنين : **اطلبوا العلم من المهد الى اللحد** . ويرشد أتباعه دائما الى هذا ، فيخبرهم بأن ثواب التعلم كثواب الصيام ، وأن ثواب تعليمه كثواب الصلاة .

وكان محمد يرى فى تعمق أتباعه فى دراسـة المخلوقات وعجائبها ، وسـيلة للتعرف على قدرة الخالق . وكان يرى أن المعرفة تنير الايمان ، مرددا عليهـم : **اطلبوا العلم ولو فى الصين** .

والرسول يطلب الى علوم كل الشعوب ، فالعلم يخـدم الدين . والمعرفة من الله وترجـع اليـه . لذلك فمن واجبهم أن يصـلوا اليها وينالوها ، أيا كان مصدرها ولو نطق بالعلم كافر .

وعلى النقيض تماما يتســاءل بولس الرسول مقرا : **(ألم يصف الرب المعرفة الدنيوية بالغباوة) ؟ (١) .**

مفهومان مختلفان بل عالمـان منفصلان تماما ، حددا بهذا طريقين متناقضين للعلم والفكر فى الشرق والغرب .

وبهذا اتسعت الهوة بين الحضـارة العربية الشامخة ، والمعرفـة السطحية المعاصرة فى أوروبا . حيث لا قيمة لمعرفة الدنيا كلها .

ويعرف القديس **اوغسطينوس** محـور المعرفة قائلا : (أما الرب والروح فانى أبغي معرفتهما . فالبحث عن الحقيقة هو البحث عن الله ، وهذا لا يستدعى معونة من الخارج) . والمصدر الوحيد لتلك المعرفة هو **الكتاب المقدس .** وقصة الخليقة تعطى كل ما يحتاجه المرء من معلومات عن السماء والأرض والجنس البشرى . وأما أن يكون هناك سكان على الوجه الآخر من الأرض ، فقد نفاه أوغسطينوس بشدة **:(الكتاب المقدس لم يذكر مثل هذا الجنس من سلالة آدم) .**

وأما ما يدعيه بعضهم من أن الأرض كروية فهو كفر وضــلال . فمعلم الكنيسة لاكتانتيوس يتساءل مستنكرا : **(هل هذا من المعقول ؟! ايعقل ان يجن الناس الى هــذا الحد ، فيدخل فى عقولهم ان البـلدان والأشجار تتدلى من الجانب الآخـر من الأرض ، وان اقــدام النــاس تعلو رؤوسهم) ؟!** لقد كانت الأرض بالنسبة الى بعض الناس تلا تدور الشمس حوله ما بين الشروق والغروب ، وبالنسبة الى الآخرين مسطحا تحيط به المحيطات ..

ملعون من يقتنع أو يقبل الآن تفســيرا علميا لحوادث الطبيعة . خارج عن طاعة الرب من يشرح أسبابا طبيعية لبزوغ كوكب أو فيضان

---

(١) يقول بولس فى رسائله : « اختار الله جهال العالم ليخزى الحكماء .. واختار الله أدنياء العــالم والمزدرى وغير الموجود ليبطل الموجود ... ان كان أحد يظن أنه حكيم بينكم فى هذا الدهر ، **فليصر جاهـلا لكى يصير حكيما . لأن حكمة هذا العالم هى جهالة عند الله .** لأنه مكتوب الآخذ الحكماء بمكرهم . **وأيضا الرب يعلم أفكار الحكماء انها باطلة ــ** الرسالة الأولى الى أهل كورنثوس ١ : ٢٧ ــ ٢٨ ، ٢ : ١٨ ــ ٢٠ » .

نهر ، بل لمن يعلل علميا شفاء قدم مكسورة أو اجهاض امرأة . فتلك كلها عقوبات من الله ، أو من الشيطان ، أو هى معجزات أكبر من أن ندرك كنهها !

ما وصلت اليه الكنيسة وكهنتها فى المجال الدينى ، لم يكن عامل انقاذ للحضارة بل كان عائقا لها . لقد كانت أمامهم الفرصة ، تماما كالعرب ، بل ان فرصتهم كانت أكبر فى أن يأخذوا التراث العظيم ويتطوروا به فى درجات السلم المرقى ..

لكن الفكر الاغريقى ظل بالنسبة اليهم غريبا على الدوام . فحوالى عام ٣٠٠ ميلادية علق أسقف قيصرية اويزيبيوس ذلك المسلك لعلماء الطبيعة من الاسكندرية قائلا : (ان موقفنا هذا ليس جهلا بالأشياء التى تعطونها أنتم كل هذه القيمة ، وانما لاحتقارنا لهذه الاعمال التى لا فائدة منها . لهذا فاننا نشغل أنفسنا بالتفكير فيما هو أجدى وأنفع) .

ويظل هذا التفكير العقيم سائدا لا يتغير ، فيتحدث بمثل هذا فى القرن الثالث عشر ، القديس توما الأكوينى فيقول : (ان المعرفة القليلة لأمور سامية أجل قدرا من معرفة كبيرة موضوعها امور حقيرة) ..

ولقد بدت للسادة المهيمنين على الأمور ضرورة تحريم الكتب التى تهتم بالامور الحقيرة الدنيوية على المتعلمين ورجال الدين . ففى عام ١٢٠٦ نبه مجمع رؤساء الكنائس المنعقد فى باريس رجال الدين بشدة الى عدم قراءة كتب العلوم الطبيعية ، واعتبر ذلك خطيئة لا تغتفر .

وقضى هذا التفكير الضيق على كل موهبة ، وعاق كل بحث علمى ، واجبر كل المفكرين الذين لا تتفق اعمالهم ومعتقدات الكنيسة هذه على انكار ما قالوه من النظريات العلمية ، والا كان مصيرهم الحرق العلنى بالنار لكفرهم وخروجهم على المعتقدات الالهية .

ومن هنا فقط يتضح لنا تماما لماذا احتاجت الحضارة فى الغرب الفا من السنين قبل أن تبدأ فى الازدهار تدريجيا . مع أنها كانت لديها فرصة مناسبة لتبدأ قبل الحضارة العربية بقرنين أو ثلاثة ... وما ان انقضى قرن واحد من الزمان على الفتوحات الاسلامية حتى ازدهرت حضارة العرب وآتت أكلها مكتملة ناضجة ..

ان الاسلام لا يعرف وسيطا بين العبد والرب . ولم يكن لديه على الأقل فى تلك الظروف الحاسمة طبقة من الكهنة ولا تنظيمات وسلطات عليا مشرفة . **وحيثما كانت المسيحية تطغى نتيجة لتسامح المسلمين ، كان ذلك دائما يؤدى الى كساد العلوم واهمالها . ولعل افناء الطبقة العلمية العليا على يد الأسبان والمغول ، هو خير برهان على ما نقول .**

كانت الاحتكاكات بين الآراء المختلفة قد منحت الحركة الفكرية حيوية دائمة ، وحمت الاسلام من الجمود وأجبرته على أن يسلح نفسه علميا ، وأن يتطور بالقوى العقلية وينهض بها من سباتها . وساعده على ذلك المطالب العديدة المنبثقة من شعائر الدين أو من الحياة اليومية للشعوب .

واجبات عديدة ومسئوليات جسيمة : فمعالجة المرضى ضرورية ، وحماية الملايين من سكان المدن الكبيرة من الأوبئة ، وامدادهم بالدواء الناجع يتطلب أبحاثا علمية دقيقة . وأدخلتهم حاجات تلك الملايين فى عالم الحيوان والنبات ليدرسوه وينهضوا به . فنظم رى الأرض ومسحها ، ورصدت الكواكب وحركاتها ، ونظمت الرحلات ، وأخذ كل شىء مكانه وزمنه اللازم له ...

ففى كل حقل من حقول الحياة صار الشعار للجميع : **تعلم وزد معارفك قدر امكانك واينما استطعت .** وبأقدام ثابتة ونفوس مطمئنة ، تعرف حقها وتؤدى واجبها ، أقبل العرب على ما وجدوا من معارف ، فاغترفوا منها قدر جهدهم ، وما رأوا فيه نفعا لهم ..

لقد ذاقوا حلاوة العلم فازداد شوقهم الى البحث عنه ، ولم يعودوا يرضون بغير العلم والبحث بديلا . وبدا نوع فريد فى التاريخ من طرق الكشف عن كنوز المعرفة ، خصصت له البعثات الضخمة والأموال الطائلة ، بل واستخدمت لأجله الوسائل الدبلوماسية ، وخدمته سياسة الدولة الخارجية ..

ولو اردنا دليلا آخر على مدى الهوة العميقة التى كانت تفصل الشرق عن الغرب ، لكفانا أن نعرف ان نسبة ٩٥٪ على الأقل من سكان الغرب فى القرون : التاسع ، والعاشر ، والحادى عشر ، والثانى عشر ، كانوا لا يستطيعون القراءة والكتابة .

وبينما كان شارل الأكبر يجهد نفسه فى شيخوخته لتعلم القراءة والكتابة ، وبينما امراء الغرب يعترفون بعجزهم عن الكتابة او القراءة ، وفى الأديرة يندر بين الكهنة من يستطيع مسك القلم ، لدرجة أنه عام ١٢٩١ لم يكن فى دير جالينوس من الكهنة والرهبان من يستطيع حل الخط ـ بينما كان هذا كله يحدث فى الغرب ـ كانت آلاف مؤلفة من المدارس فى القرى والمدن تستقبل ملايين البنين والبنات ، يجلسون على سجادهم الصغير يكتبون بحبر يميل الى السواد فوق ألواحهم الخشبية ، ويقرأون مقاطع من القرآن حتى يجيدوها ، ويجودون ذلك معا بلحن جميل عن ظهر قلب ، ثم يتقدمون خطوة تلو الأخرى فى المبادىء لقواعد اللغة .

وكان الدافع الى كل هذا هو رغبتهم الصادقة فى أن يكونوا مسلمين حقا كما يجب أن يكون المسلم . فلم يجبرهم أحد على ذلك ، بل اندفعوا اليه عن رغبة وايمان ، لأن من واجب كل مسلم أن يقرأ القرآن .

فالكتاب المقدس لا يجد الناس اليه سبيلا ، اذا استثنينا الكهنة

ورجال الدين ، فهم وحدهم يستطيعون قراءته وفهم لغته . ومنذ عام ۸۰۰ ميلادية لم يعد الشعب يفهم المواعظ الملقاة باللاتينية ، حتى ان مجلس رؤساء الكنائس المنعقد فى مدينة تور أوصى بوعظ الناس باللغة التى يتكلمون بها . ولم تكن هناك حاجة تدعو الشعب فى تلك العصور الى تعلم اللاتينية ، بل لم تكن هناك أية رغبة فى تعليم الشعب أو تثقيفه .

وعلى خلاف ذلك ، كان الحال فى العالم الاسلامى ، فقد اهتمت الدولة بتعليم الرعية . ولم تلبث أن جعلت من التربية واجبا ترعاه ، فالأطفال من مختلف الطبقات يتعلمون التعليم الأولى مقابل مبالغ ضئيلة يقدر على دفعها الناس دون مشقة . ومنذ بدأت الدولة تعين المعلمين للمدارس ، أمكن للفقراء أن يعلموا أولادهم مجانا .

بل ان بعض البلدان العربية ، مثل أسبانية ، قد جعلت التعليم للجميع مجانا . وقد افتتح الحكم الثانى حوالى عام ۹٦٥ م فى قرطبة سبعا وعشرين مدرسة لأبناء الفقراء ، بالاضافة الى المدارس الثمانى التى كانت فيها فعلا .

وفى القاهرة ، أنشأ المنصور قلاوون مدرسة لليتامى ملحقة بالمستشفى المنصورى ، ومنح كل طفل فيها ، يوميا ، رطلا من الخبز ، وثوبا للشتاء ، وآخر للصيف ..

وانشأت الدولة المدارس العليا فى كافة المدن الكبيرة . وكان الطلبة يتناولون طعامهم مجانا ، بل ويتقاضون مرتبا صغيرا ، ويسكنون فى الأدوار العليا فى المدرسة دون مقابل . أما فى المهاجع فثمة المطبخ والمخازن والحمامات . وفى الطبقة الأرضية تلتف الفصول وقاعات المكتبة على شكل دائرى خلف ممرات مظللة تزينها الأعمدة ، وفى الوسط فناء فسيح تتوسطه نافورة ماء .

هنا يتعلم شباب العرب الطموح القرآن وقواعد اللغة والديانة والخطابة والأدب والتاريخ والجغرافية والمنطق والفلك والرياضة . ويساهم الطلاب فى المناقشات والمناظرات ، ويعيد معهم دروسهم مساعدون من طلبة الصفوف المتقدمة أو من الخريجين . وتبدو هذه المدارس كخلايا النحل الدائبة النشاط ، تخرج للجميع شهدا حلوا فيه شفاء للناس ، ولتقدم قادة للعلم والسياسة ..

أما الطريق الذى يسلكه الراغب فى تعلم فرع معين من العلوم ، والذى يرغب الطالب أن يقوم هو بتدريسه يوما من الأيام ، فكان يبدأ فى المساجد . فلم تكن المساجد مجرد أماكن تؤدى فيها الصلوات فحسب ، بل كانت منبرا للعلوم والمعارف ، كما ارتفعت فيها كلمات الرسول فوق مجد التدين الأعمى . ألم يقل محمد أقوالا ، كان يكفى لأن يقولها فى رومة حتى يحاكم عليها بتهمة الهرطقة . أو ليس هو القائل : بأن حبر الطالب أقدس من دم الشهيد ؟!

وحول أعمدة الجامع كان يجلس الأستاذ ويلتف حوله طلبته ، حلقة أبوابها مفتوحة لمن يشاء ، رجلا كان أو امرأة ، ولكل الحق فى سؤال الأستاذ أو مقاطعته معارضا . وكان هذا النظام أكبر دافع للأساتذة يدفعهم دائما للاعداد المتقن لدروسهم والتعمق فيها ..

وحول أعمدة المساجد أتيحت للطلاب دائما فرصة الاستماع الى الأساتذة الزائرين من كل أنحاء العالم العربى المترامى الأطراف .. سواء أكان هؤلاء العلماء فى طريقهم الى الحج أو مسافرين خصيصا لهذا الغرض ، يجوبون أنحاء العالم الاسلامى من سواحل بحر قزوين الى سواحل الأطلسى ، ومنهم المؤرخون والجغرافيون ، ومنهم علماء الحيوان والنبات والباحثون فى تراث الأدب القديم ..

لقد قدم العرب ، بجامعاتهم التى بدأت تزدهر منذ القرن التاسع ،

والتى جذبت اليها منذ عهد البابا سلفستر الثانى عددا من الغربيين من جانبى جبال البرانس ، ظل يتزايد حتى صار تيارا فكريا دائما ، فقدم العرب بها للغرب نموذجا حيا لاعداد المتعلمين لمهن الحياة العامة وللبحث العلمى .

لقد قدمت تلك الجامعات ـ بدرجاتها العلمية ، وتقسيمها الى كليات ، واهتمامها بطرق التدريس ـ للغرب اروع الأمثال ، ولم تقدم هذا المظهر فقط ، بل وفرت له كذلك اللباب : مادة الدراسة »(١) .

* *

واذا كان الكتاب يقرأ من عنوانه ، كما يقال دائما ، فان ما سطره الدكتور لويس يونج فى مقدمة كتابه : العرب واوروبا ، لكفيل باعطاء فكرة معقولة عن محتوى هذا الكتاب .

يقول لويس يونج : « قصة التفاعل بين حضارتى العرب وأوروبا معقدة وشائكة وطويلة : وهى اذ تبدو قصة فتوحات واعادة فتوحات ، فانها تأخذ أحيانا أشكال مبادلات ثقافية متناوبة ، أخذا وعطاء .

ونحن حينما نسلم اليوم أن آسيا وافريقيا تتمثلان أوروبا قدوة لهما ، يجب الا ننسى الوجه الآخر للصورة فى العصور الوسطى ، عندما عكفت اوروبا على علوم العرب من طب وفلسفة وطبيعة ، واستمر ذلك لفترة طويلة ، حتى اذا كان القرن الثامن عشر قبست منهم نار الرومانطيقية ، وفى القرن التاسع عشر سلبتهم أراضيهم ، ثم بترولهم فى القرن العشرين .

وعلى الرغم من سجل أوروبا الطافح بالتزمت الفكرى واللا تسامح الدينى ، على النقيض من المسلمين ، فانها ظلت ترفض الاعتراف بما

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب : ص ٣٦٩ ـ ٣٧٤ ، ٣٩٣ـ٣٩٨
[كان من الأفضل أن يكون عنوان هذا الكتاب : شمس الله تسطع على الغرب ، حيث انه فى أصله الالمانى :

ALLAHS SONNE UBER DEM ABENDLAND]

للعرب من يد طولى على حضارتها ، وتتجاهل دورهم الحضارى وتقلل من شـانه .

لقد هول المؤرخون الأوربيون فى وصفهم الفتوحات الاسـلامية فى أوروبا خـلال العصـور الوسـطى ومدى تهديدها للدين المسيحى ، بينما تغافلوا عن ظاهرة انتكاس الحضارة فى البلدان التى أجلى العرب عنها . وما أسبانيا والبرتغال وصقلية الا أمثلة لذلك .

ففى أسبانيا يسود التعصب الدينى وتعذيب الحيوانات كمشـهد مألوف . وفى البرتغال أعلى نسبة للأمية فى أوروبا ، وفى صقلية عصابة المـافيا السيئة السمعة .

ما الذى تركته حضارة العرب والمسلمين فى أوروبا ؟

لقد تركت بصماتها على جميع المستويات ، ابتداء بالفولكلور ، كراقصى الموريش الانكليز الذين هم فى الحقيقة قناع لراقصى البربر ، وانتهاء بالعلوم حيث يستخدم ملاحو الفضاء اصطلاحات عربية مثل : السمت ، وسمت الرأس . وهناك فى خرائط القمر أكثر من موقع أطلق عليها أسماء لبعض العلماء العرب : كالزركلى والبتانى وأبى الفداء .

ان أشياء كثيرة لا يزال على الغرب ان يتعلمها من الحضارة الاسلامية، منهـا نظرة العرب المتسـامحة وعـــدم تمييزهم فروق الدين والعرق واللون .

وسوف أحاول فى الصفحات التاليـة أن أقدم الخطوط العريضـة للتاريخ العربى والمجتمع الاسلامى ، وما أرسـاه العرب من أسس أولا . كما سأشير ، ثانيا ، الى أهم الطرق والأساليب التى أثرت بواسـطتها حضارة العرب فى الحضارة الأوروبية ، وكيف أثرت أوروبا بدورها فى الحضارة العربية »[1] .

*

(١) العرب وأوروبا : ص ٩ ــ ١٠ .

ويحدثنا موريس لومبار فى كتابه « الاسلام فى فجر عظمته » عن تأثير الفتوحات الاسلامية على تحضير الغرب وانطلاقه نحو الحضارة ، فيقول :

« لم يترافق الفتح بالتخريب مطلقا ، فلم تحرق المدن ولم تنهب .. وبالنسبة للقسم الغربى ، فكان تجددا حقيقيا ..

اننا نعتقد بالواقع ان الغرب استأنف التماس بالحضارات الشرقية ، وعبرها بالحركات العالمية الكبرى للتجارة والثقافة ، بفضل الفتح الاسلامى . وفى حين أن الغزوات البربرية الكبرى فى القرنين الرابع والخامس أدت الى التقهقر الاقتصادى للغرب ، فقد جلب قيام الامبراطورية الاسلامية الجديدة لهذا الغرب نفسه تطورا مدهشا .

واذا كانت الغزوات الجرمانية قد عجلت بانحطاط الغرب ، فان الفتوحات الاسلامية كانت حافزا على انطلاق حضارته »(١) .

*

وهكذا يعترف أهل العلم والفضل من مختلف شعوب أوروبا ، كالألمان والانجليز والفرنسيين ، بفضل حضارة الاسلام وأثرها فى بناء الحضارة الأوربية الحديثة . وهو فضل لا ينكره الا جاهل أو متعصب .

* *

● تحرير النساء :

تقول سيجريد هونكه : « ان الحلى التى يقدمها الأوروبى لحبيبته أو لزوجة صديقه أو رئيسه ، سواء أكانت ماسا أصليا أو زجاجا مصقولا ، هى عادة استوردت من الشرق ويمارسها الناس كل يوم ولا يعرفون لها مصدرا . وتمر السنون ، والحلى تلك ما زالت تتنوع

---

(١) الاسلام فى فجر عظمته : ص ١٢

وتتغير ، ولكنها لم تفقد قوتها السحرية فى جذب قلوب النساء حتى ولو كنا نعيش فى القرن العشرين ..

وقد تعارض هذا الاتجاه العربى فى تكريم المرأة أيضا مع ما كان سائدا فى دول البحر الأبيض ..

وعارض الكتاب المقدس أيضا ذلك المسلك العربى ، ونص على أن الرجل سيد المرأة ، ونشطت الكنيسة تحارب كل الأفكار المخالفة ، وتعمل كل ما فى وسعها لابقاء المرأة تحت سيطرة الرجل ، تبعا لمشيئة الرب.

وعلى الرغم من هذا ، فقد قاوم العرب كل التيارات المعادية واستطاعوا القضاء على هذا العداء للمرأة ، وجعلوا من منهجهم مثالا احتذاه الغرب ولا يملك الآن منه فكاكا ..

ولكن ، أو ليس هذا نوعا من المبالغة ! وهل يعقل هذا الكلام ؟! ثم ألم تعش نساء العرب منذ زمن بعيد مقيدات مظلومات لا يتمتعن بحقوقهن ؟ ألم نسمع بالحريم كالسجن يملك فيه الرجل عددا كبيرا منهن ويقيم عليهن الحراس ؟ ألم تسمع بنساء يزوجن دون أن يستشرن ؟ وتكفى بضع كلمات يتفوه بها الرجل وقتما شاء لتصبح المرأة طالقا تعود الى عائلتها دون أى ذنب ، والدين لا يمنع هذا ؟ ...

أين هى الحقيقة فى كل هذا ؟ وما هو مركز المرأة فى المجتمع ! ...

ألم تكن خديجة زوج النبى الأولى ، التى عاش معها أربعة وعشرين عاما وانجب منها ستة أطفال ، أرملة لها شخصيتها ومالها ومكانتها الرفيعة فى مجتمعها ! لقد كانت خديجة نموذجا لشريفات العرب ، أجاز لها الرسول أن تستزيد من العلم والمعرفة كالرجل تماما .

وسار الركب وشاهد الناس سيدات يدرسن القانون والشرع ويلقين المحاضرات فى المساجد ويفسرن أحكام الدين . فكانت السيدة تنهى دراستها

على يد كبار العلماء ، ثم تنال منهم تصريحا لتدرس هى بنفسها ما تعلمته ، فتصبح الأستاذة الشيخة . كما لمعت بينهن أديبات وشاعرات . والناس لا ترى فى ذلك غضاضة او خروجا على التقاليد .

ان النساء فى صدر الاسلام لم يكن مظلومات او مقيدات ، ولكن هل دام هـذا طويلا ؟

لقد هبت على قصور العباسيين رياح جديدة قدمت من الشمال فغيرت الأوضاع ، وقدم الحريم والحجاب مع الجاريات الفارسيات واليونانيات اللاتى كن محظيات للخلفاء وأمهات لأولادهم ..

والاسلام برىء من كل ما حدث . والرسول لم يامر قط بحجب النساء عن المجتمع . لقد امر المؤمنين من الرجال والنساء على حد سواء بان يغضوا الطرف ، وان يحافظوا على اعراضهم . وامر النساء بالا تظهرن من اجسادهن الا ما لا بد من ظهوره . والا يظهرن محاسن اجسادهن الا فى حضرة ازواجهن ..

لقد شرعت القصور تعزل النساء فى الحريم على غرار ما تعوده الفرس ، وبدأ استيراد الخصيان لخدمتهن كما كان عليه الحال فى بيزنطة قديما . وأصبح حجب النساء عن المجتمع وعدم مغادرتهن لبيوتهن مظهرا من مظاهر الأبهة والثراء »(١) .

* *

● وتحرير الشعوب :

يقول موريس لومبار فى حديثه عن الفتوحات الاسلامية : « كيف يمكن شرح سهولة الفتح وسرعته ، خاصة اذا نفذ بعدد قليل جدا من الفاتحين ؟

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب : ص ٤٦٧ ــ ٤٧١

لقد كان للعرب فى حقيقة الأمر كل الفرص الموانيـة ليستقبلوا كمحررين من قبل السكان القدماء للعالم الســامى فى ســوريا وما بين النهرين ومصر • ففضلا عن القرابة العرقية واللغوية التى تربط بعضـا من هذه الشعوب بالعرب ، فانها كانت تخضع منذ زمن طويل الى روما ثم بيزنطـة فى الغرب ، والى الامبراطورية الفارسـية الساسـانية فى الشرق • لقد كانت هذه الشعوب بحالة انتفاضـة دائمة ضـد ادارة القسطنطينية والمدائن •

وكانت هذه الانتفاضة كما هى العادة فى الشرق دينية فى ظاهرها • بينما هى فى حقيقتها ذات أســاس اجتمـاعى • كان الملك البيزنطى مزعزعا بصراع الهرطقات ، فالنسطورية واليعقوبيـة على الخصـوص تتعارضان مع الأرثوذكسية الحاكمة •

وفى ظل الدولة الساسانية ، تطورت المانوية والمسيحية واليهودية ، وكلها معتقدات ضد الدين الرسمى أى المزدكية •

وفى منازع الاسلام الى الديمقراطية ، ودعوته الى المساواة ، وعالمية رسالته ، وجدت حركات الثورة الاجتماعية والدينية جوابا على مطالبها ، ومن هنـا اتت ــ جزئيا على الأقل ــ سـهولة الفتح • ودفع التطلع الى النظام والسلام سكان المدن ايضا لان ينضموا الى الفاتح الذى كانوا ينتظرون منه حماية ضد الفوضى والنهب ••

ومما سهل العلاقات مع سكان البلاد المفتوحة فى كل الحالات • تسامح الفاتحين • وبعـدهم عن التعصب الدينى •• وهكذا فلا اكراه ولا اضطهاد ، بل كان مطلبهم الوحيد هو النظام الضريبى •• كان الفتح سريعا جدا حتى انه تم دون فواصل أو انقطاع »[1] •

*

(١) الاسلام فى فجر عظمته : ص ٩ ــ ١٠

ويقول الدكتور فيليب حتى « لو قام فى الثلث الأول من القرن السابع الميلادى أحد وتكهن بأن دولة خامدة الذكر وضيعة الجانب ، تخـرج من مجـاهل جزيرة العرب ، ثم تنقض على الدولتين العظيمتين المعروفتين ، فتقوض الدولة الواحـدة ــ دولة آل ساسان ــ وتظفر بأملاكها ، ثم تقطع من ولايات الثانية ــ بيزنطة ــ أزهى مقاطعاتهـا ، نقول لو صدرت مثل هذه النبوءة من فم انسان ذلك العصر لحكم عليـه بالجنـون .

والواقع ان هذا ما حدث فعلا ، فبعد الرسول تغيرت طبيعة بلاد العرب الجدباء ، وأخذت تنشىء أبطالا يندر وجود من يشاركهم فى أى صقع كان ، فكان اعجوبة حلت فيها ..

ان عظمة الجيش العربى لم تقم على قوة السلاح أو جودة التنظيم ، بل كان ثمرة القوة المعنوية الروحية التى كان الايمان والدين عززاهـا فى نفسـه ..

لقد جاء الاسلام مهيبا بالشرق الى النهوض من كبوته ، بعد ألف سنة اجتاحته فيها سطوة الغريب .. ولقد انفتح امام الامم المغلوبة باب الحرية ، فصاروا يمارسون عقائد اديانهم دون ازعاج »(١) .

*

ويقول جوزيف رينو فى كتـابه « الفتوحات الاسلامية فى فرنسا وايطاليا وسويسرا » كوسيلة من وسائل نقل الحضارة » : « عندما استقر المسلمون فى القرن التاسع الميلادى فى بروفانس وفى دوفينى وسافواى وفى سـويسرا ، كانوا قد قطعوا اشواطا فى العلوم والفنون ، ويتقدمون بطريقة عجيبة . ومما لا جدال فيه ان مسلمى الاندلس وصقلية ، ومسلمى افريقيا الشمالية ، كانوا اكثر تقدما من سكان فرنسا والبلدان المجاورة ، حيث كانت هذه البلدان كلها تعانى من الفوضى ومن كل انواع البؤس التى تلازمها .

---

(١) تاريخ العرب : تأليف الدكتور فيليب حتى وآخرين ــ جـامعة برنستون ــ ص ١٩٣ ، ٢٣١

فمن ذا الذى لم يسمع بعظمة مسجد قرطبة . ومن ذا الذى يجهل ما شيده المسلمون من الجسور ، وما شقوه من الأنهار والقنوات لرى الأرض . وما شيدوه من الآثار العظيمة فى الأندلس ابتداء من النصف الثانى للقرن الثامن الهجرى ؟!

وعظمة المسلمين وتفوقهم لا تتجلى فى الفنون وحدها ، حيث ان عبقريتهم قد برزت فى العلوم ايضا ـ العلوم التى لا يمكن أن تقوم دعائم حضارة بدونها . فقد كان العرب يملكون ذخائر علوم الأولين وكنوزهم ، وكانوا قد ترجموا الى العربية كتب أرسطو وأبقراط وجالينوس ودسقوريدس وبطليموس وغيرهم . وأضافوا مساهمات ثمينة الى ما اكتشفه الأولون .

وهكذا ، فقد كان تفوق العرب حقيقة لا مراء فيها . ويعترف بها المسيحيون انفسهم .

وقد حفظ لنا التاريخ قصة شانجة (Sanche) ملك ليون الذى طلب اذنا من عبد الرحمن الثالث ، عندما أصيب بمض عضال فى سنة ٩٦٠ م ، ليقصد قرطبة ملتمسا الاستشفاء على يد الأطباء المسلمين . ويضيف المؤرخون أن شانجة قد وجد عند هؤلاء العناية ، وفى علمهم المساعدة التى كان ينشدها . وقد ظل طوال حياته يذكر الحفاوة التى قوبل بها والاهتمام الذى أحيط به .

وفى غضون تلك الفترة نفسها ، كان قسيس اسمه جيربر (Gerbert) قدر له أن يصبح البابا سيلفستر الثانى (Sylvester) قد قصد الى الأندلس ليطلب العلوم الطبيعية والرياضية . وقد حصل من تلك العلوم وغيرها حظا عظيما ، بحيث اعتبرته عامة الناس فى فرنسا ساحرا .

على أن عددا صغيرا من الفرنسيين استطاع الاغتراف من معين الثقافة والعلوم العربية فى الأندلس ، فى الوقت الذى ظلت فيه الجماهير غارقة فى ظلمات الجهالة فى فرنسا ..

ان نشر النفوذ الحضارى العربى الحقيقى فى فرنسا والبلاد المجاورة لها ، فقد بدأ بعد ذلك ، أى ابتداء من القرن الثانى عشر الميلادى ، ولا سيما فى أعقاب الحروب الصليبية ، وبعد الاحتكاك الذى وقع بين الاسلام والمسيحية ، والشعوب الشرقية والشعوب الغربية التى من بينها الشعوب الفرنسية والانجليزية والألمانية ـ تلك الشعوب التى بدأت تخرج من سباتها العميق ، وشرعت فى ابداء رغبتها فى الاستفادة مما حققته الحضارة العربية من التقدم .

كانت العلوم اليونانية فى ذلك الوقت قد انمحت من أوروبا ، ولكنها كانت مترجمة ومحفوظة عند العرب . وكذلك اتجه المسيحيون من فرنسا والبلدان المجاورة لها الى أسبانيا ليتعلموا تلك العلوم بالعربية ، لينقلوها الى اللغة اللاتينية التى كانت يومئذ لغة العلم فى أوروبا . وهذه الكتب المترجمة هى التى ستدرس فى الجامعات الأوروبية حتى القرن الخامس عشر ..

سوف لا نتوقف لدرس مختلف الأشياء المحفوظة بعناية فى فرنسا والتى يرجع تاريخها الى العهد العربى . وهذه الآثار تتكون ، خصوصا ، من أقمشة الحرير ، وصناديق العاج أو الفضة ، وكؤوس البللور وأسلحة ... الخ . وجزء كبير من هذه التحف لا يزال محفوظا فى الكنائس ولدى الهواة لجمع التحف الأثرية ..

وقد قيل ان القمح الأسود الذي يسمى قمح السارازين ، والذى يمثل فى القرن التاسع أهم المنتجات الزراعية فى فرنسا ، هو من أصل فارسى ، وقد انتقل من هناك الى مصر ، وسار مع الفاتحين على طول شواطىء افريقيا الشمالية ، قبل أن يعبر مضيق جبل طارق الى الأندلس ، ويصل من هناك الى فرنسا ..

ويعزى الى العرب الذين استقروا فى بروفانس استغلال شجر البلوط فى الغابة الكثيفة التى احتفظت بعدهم باسم : غابة المغاربة

(La Forêt des Maures) . وشجر البلوط كان يربى فى كتالونية منذ وقت طويل ، ويمثل فى الوقت الحاضر الثروة الأساسية للبلد .

وكذلك كان العرب يستخرجون القطران من أشجار الصنوبر والأرز ، ويحول الى زفت يجلفطون به المراكب . ولهذا السبب ، فان سكان بروفانس لا يسمون الزفت : جودرون (Goudron) ، بل يسمونه : قطران (Guitra) ، وهى كلمة عربية .

كذلك يعزى الى العرب تحسين سلالة الخيول فى جنوب فرنسا ، ولا سيما فى مقاطعة كمارج (Camargue) ، وذلك بتهجين الخيول المحلية بخيول الأندلس ..

لقد ظل الناس فى فرنسا والبلدان المجاورة لها ، اجيالا طويلة ، وهم لا يفكرون الا فى عظمة الفكر الاسلامى ، وفى قوة المسلمين واتساع آفاق فتوحاتهم ..

وكذلك كان الرأى العام يعزو الى العرب كل ما هو عظيم وضخم من المنجزات العمرانية ..

لقد جاء المسلمون الى فرنسا قبل النورمانديين والهنغاريين ، وقد استمر وجودهم فيها ، بعد غارات هؤلاء وأولئك . والفتوحات الاسلامية كانت تكتسى طابعا من الجلال والعظمة بحيث لا يمكن ان يقرأ انسان اخبارها اذ يسمع رواياتها دون ان تهتز نفسه لها . فعلى عكس النورمانديين والهنغاريين ، كان المسلمون ، اجيالا طويلة ، فى طليعة قافلة الحضارة فى العالم »(١) .

*

لقد ذكر جوزيف رينو ما ذكره الناس فى فرنسا عن البابا سلفستر الثانى ، الذى درس العلوم الطبيعية والرياضية على يد المسلمين فى

---

(١) الفتوحات الاسلامية فى فرنسا : ص ٢٥١ ــ ٢٥٦ ، ٢٦٤ ــ ٢٦٥

الأندلس ، اذ اعتبروه ساحرا ، وخاصة عندما كان يدهشهم بتجاربه فى الكيمياء والفيزياء .

أما لويس يونج ، فانه يعطى تفصيلا عن الفكر الأوروبى فى ذلك الوقت ، والذى استمر حتى القرن السابع عشر ، لا يملك الا أن يعزو كل ما كان يجهله الى الشيطان وألاعيبه . وما جنون ظاهرة تعقب النساء المتشيطنات ببعيد .

يقول يونج : « لقد أغنى الرياضيون العرب العالم بالمعرفة فى جميع المجالات ، وبخاصة الأفكار والملاحظات الرياضية .

وأحد أوائل الأوربيين الذى أخذوا بالأرقام العربية كان جربرت ، الذى أصبح فيما بعد (فى عام ٩٩٩ م) البابا سيلفستر الثانى (ولد ٩٤٥ ــ وتوفى ١٠٠٣م) . سافر جربرت هذا بين عامى (٩٦٧ ــ ٩٧٠م) الى أسبانيا ، حيث درس العلوم ، وألف بعد ذلك كتابا يشرح فيه كيفية استخدام الأرقام العربية .

الا أن أوروبا لم تلق بالا الى هذا النظام الجديد . بل كان ينظر الى جربرت بعين الشك ، لأنه درس على يد العرب فى أسبانيا ، وعلى المستوى الشعبى كان يشك فى أنه يمارس السحر .

ولقد رويت عنه كثير من الروايات الخارقة . فقيل انه كان يغادر الدير ليلا ، ويطير فى الهواء الى أسبانيا حيث يدرس الفلك والفنون السحرية ، ثم يعود الى حجرته قبل بزوغ الفجر .

كما كان يظن بانه تعلم احضار الأرواح من جهنم ، وانه يحتفظ بكتاب سحر حصل عليه بالمكر والخديعة من ساحر عجوز ، وانه رهن روحه للشيطان لكى يحميه من انتقام هذا الساحر العجوز .

وبعد فترة طويلة من الزمن تبنت أوروبا الأرقام العربية ، نتيجة

أعمال ليوناردو فيبوناتشى من بيزا ، الذى توفى عام ١٢٤٠ م . وكان فيبـــوناتشى رياضـــــيا ، **درس الرياضيات على يد معلم عربى** ، فى **شمال افريقيا** ، وأصدر كتابا يشرح فيه نظام الأرقام العربية عام ١٢٠٢ م ، وكان ذلك بداية تبنى أوروبا للأرقام العربية ، وبداية لعلم الرياضيات الأوروبى »[١] .

*

اما بعـــد ...

لقد علم المسيح بنى اسرائيل أن يبحثوا بوعي وتبصر ما فى بطون الكتب ، فستجدون فيها شهادات وتنبؤات ، اذ قال : « **فتشوا الكتب** ــ انجيل يوحنا ٥ : ٣٩ » .

وهذا الذى يراه الناظر فى التاريخ القديم ، يثير العجب والانبهار حقا ، حين يطل خلال تلك الحقبة من الزمن ، فيرى أبناء الصحراء وقد خرجوا الى العـــالم ، شرقا وغربا ، يعلنون : لا اله الا الله ، ويقيمون حضارة زاهرة تشع أنوارها هنا وهناك ، فينهل منها الظامئون الى العلم والايمان ، ويصد عنها الآخرون : ﴿ **استكبارا فى الأرض ومكر السىء ، ولا يحيق المكر السىء الا باهله** ﴾ (فاطر : ٤٣) .

وفى هؤلاء الأخيرين ، قال مفكر مسيحى هو الدكتور نظمى لوقا قولة حق ، وحكمة ترددها الألسنة عبر القرون :

من يغلق عينيه دون النور ، يضير عينيه ولا يضير النور .

ومن يغلق عقله وضميره دون الحق ، يضير عقله وضميره ولا يضير الحـــق .

فالنور منيفة للرائى لا للمصباح ، والحق منفعة واحسان الى المهتدى بـــه لا الى الهـــادى اليه .

---

(١) العرب وأوروبا : ص ١٢٥

وما من آفة تهدر العقول البشرية كما يهدرها التعصب الذميم الذى يفرض على أذهان أصحابه وسرائرهم ما هو أسوأ من العمى لذى البصر ، ومن الصمم لذى السمع ، لأن الأعمى قد يبقى بعد فقدان البصر انسانا ، والأصم قد يبقى بعد فقدان السمع انسانا ... أما من اختلت موازين عقله أو موازين وجدانه ، حتى ما يميز الخبيث من الطيب ، فذلك ليس بانسان ، بالمعنى المقصود من كلمة انسان »[1] .

وحين نفتش أسفار **الكتاب المقدس** ، **نجد أن** هذا الذى طلع به أبناء الصحراء على العالم ، **انما كان تحقيقا لنبوءة هتف بها اشعيا النبى فى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد** ـ وخاصة فى الاصحاح الثانى والأربعين من السفر الذى يحمل اسمه ، فقال فى النبى العربى وقومه وتابعيه :

١ ـ يشتهر هذا النبى المنتظر بلقب : عبد الله ورسوله : « هوذا عبدى الذى اعضده ، مختارى الذى سرت به نفسى . وضعت روحى عليه فيخرج الحق للامم » .

وقد اشتهر محمد نبى الاسلام بأنه : عبد الله ورسوله ، فتلك بداية الاسلام لكل مؤمن ، يعرفها الصغير قبل الكبير ، ويرددها المسلم كل يوم فى صلاته المكتوبة تسع مرات على الأقل حين يقرأ التشهد ، اضافة لما يقوله فى صلواته الأخرى من السنن والنوافل .

والحق يقول فى القرآن :

﴿ الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ﴾
(الكهف : ١)

﴿ وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين ﴾
(البقرة : ٢٣)

---

(١) محمد الرسالة والرسول : ص ٢٥

ومما يندى له الجبين خزيا وأسى ، تلك المقولات الكاذبة التى ظلت ترددها الكنيسة طوال القرون الوسطى ، ولا يزال صداها يتردد الى الآن ، وهو أن المسلمين يعبدون محمدا ... أى جهل أحمق من هذا ؟!

لكنه التزوير المتعمد ، وطمس الحقائق عن عيون الشعوب ، حتى لا يفيقوا ذات يوم ويميزون الخبيث من الطيب .

يقول جوزيف رينو عن جهل الفكر الأوروبى والخرافات التى امتلأت بها عقول الأوروبيين ، فى القرون الوسطى ، عن الاسلام والمسلمين :

« ان الكتاب المسيحيين فى العصور الوسطى كانوا يطلقون على جميع فئات الغزاة المسلمين اسم : الوثنيين . وهذه عقيدة أبعد عن الوثنية من الاسلام الذى حطم الأصنام .

والواقع ان الاسلام ينادى بعبادة اله واحد لا شريك له ، خالق السموات والأرض . ولشدة استفظاع الاسلام للوثنية ، فانه يمنع تصوير كل ما هو حى ..

وقد زعم كاتب التاريخ المنسوب الى رئيس اساقفة تورين ، أنه يوجد فى الأندلس على شاطىء البحر ، فوق عمود شديد الارتفاع ، صنم من البرونز صنعه محمد بنفسه ، ويعبده المسلمون !

كذلك ادعى فيلومين فى تاريخه القصصى حول غزوة شارلمان لمقاطعة لانجدوك ، أنه كان يوجد تمثال لمحمد مصنوع من فضة مذهبة فى مدينة اربونة ، وضع فى معبد أثناء احتلال المسلمين لهذه المدينة ..

وقد جاء فى القصيدة الفرنسية التى تروى أعمال البطولة التى قام بها رولان ، أن سكان سرقسطة المسلمين وقع اختيارهم على مغارة لتكون معبد آلهتهم ، وأنهم نصبوا فى هذه المغارة تمثالا من الذهب

فى يده صولجان وعلى رأسه تاج . وادعى الكاتب أن المسلمين يجتمعون فى هذه المغارة حينما يريدون أن يطلبوا رضا الله .

واسم تيرفاجنت الذى يحرف أحيانا الى تيرماجنت ، يتردد كثيرا مع اسم أبولين ، فى الروايات الخيالية الفرنسية القديمة وفى غيرها من كتب الأدب . وهذه الأسماء يدعى أنها آلهة اسلامية . وهذه الادعاءات والمزاعم تكثر ، خصوصا ، فى مسرحية سانت نيكولاس التى تحتوى على تمثال نصفى متوج أطلق عليه اسم محمد .

فيالسخرية القدر . والجهل الأعمى بالاسلام ! فان هؤلاء الكتاب والأدباء يجهلون أنه عندما فتح محمود الغزنوى الهند فى سنة ١٠٢٥ م (٤١٦ هـ) ، حطم جميع أصنام الهند الكثيرة فيما عدا صنم واحد عرض عليه السكان شراءه بوزنه ذهبا ، ورفض عرضهم مفضلا وضعه عند عتبة باب العاصمة الرئيسى ، لكى يدوس عليه ويبصق عليه كل داخل الى العاصمة وكل خارج منها .

ما هو السبب الذى دفع آباءنا الى هذا الوهم والخطأ ، يا ترى ؟

ذهب بعض العلماء الى أن النورمانديين وغيرهم من الشعوب الوثنية ، كانوا ضمن الشعوب التى كان يشملها اسم : سارازين ، وبالتالى ، فان موطن أسماء مثل : تيرفاجنت وأبولين وغيرها هى البلاد الشمالية ، الذين كانوا يعبدون الأوثان .

وهكذا خلط العامة بين المسلمين وهذه الشعوب بصورة مخجلة »(١).

*

ولنكمل الآن ، استعراض نبوءة أشعياء ، فنجدها تقول :

٢ ــ يسود الدين وتكتمل الشريعة التى جاء بها فى عهده ، لا من بعده: « لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق فى الأرض وتنتظر الجزائر شريعته » .

ولقد وعد الله نبى الاسلام أن يتم الأمر الذى جاء به ، فقال :

---

(١) الفتوحات الاسلامية فى فرنسا : ص ٢٢١ ــ ٢٢٣

« يريدون أن يطفئوا نـور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » (التوبة : ٣٢) .

ولقـد أكمـل الله الدين فى حيـاة النبى حتى اذا توفـاه الله ترك الأمـة الاسـلامية على المحجـة البيضـاء ليلهـا كنهارها . لقد اكتمل الدين ونزل القرآن يقول :

« اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون ، اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسـلام دينـا » (المـائدة : ٣)

٣ ــ يعصمه الله من الناس حتى يكمل رسالته فتنتهى حياته بالموت الطبيعى الذى هو نهاية كل مخلوق حى ، فلا يموت قتلا : **« انا الرب قـد دعـوتك بالبر فامسـك بيـدك واحفظك واجعلك عهـدا للشعب ونورا للأمم »** .

ولقد طمأن الله نبى الاسلام ألا يلتفت الى مؤامرات الكائدين له ، فالله عاصمه من الناس حتى يبلغ الأمر غايته . ولقد نزل القرآن ليعلن هذا التحدى على رؤوس الأشهاد :

« يـا أيهـا الرسـول بلغ مـا انزل أليـك من ربك ، وان لم تفعـل فمـا بـلغت رسـالته ، والله يعصـمك من النـاس » (المـائدة : ٦٧)

٤ ــ ينتسب النبى الى اسماعيل بن ابراهيم : **« لترفع البرية ومدنها صوتها ، الديار التى سكنها قيدار »** . وقيـدار هذا هو الابن الثانى لاسماعيل (تكوين ٢٥ : ١٣) .

٥ ــ **الشعب الذى ظهر فيه عبدة أوثان ، أصحاب اصنام : « يخزى خزيا المتكلون على المنحوتات القائلون للمسبوكات أنتن آلهتنا »** .

٦ ــ رجل حروب مقدام ينتصر على أعدائه : « الرب كالجبار يخرج . كرجل حروب ينهض غيرته . يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه » .

ولقد سجل القرآن المعارك الكبرى فى الاسلام وكان النبى هو القائد والمخطط والمحارب حين البأس :

﴿واذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال ، والله سميع عليم ﴾ (آل عمران : ١٢١) .

﴿ فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك ، وحرض المؤمنين ، عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا ، والله أشد بأسا وأشد تنكيلا ﴾ (النساء : ٨٤)

ان هذا أمر اختص به أولوا العزم من الأنبياء والمجاهدين . ولقد كان ذلك أمر موسى بعد أن خرج ببنى اسرائيل من مصر ، وانتهت مرحلة فى جهاده وبدأت مرحلة أخرى ، فآنذاك « كلم الرب موسى فى برية سيناء .. فى السنة الثانية لخروجهم من أرض مصر قائلا : احصوا كل جماعة بنى اسرائيل .. من ابن عشرين سنة فصاعدا ، كل خارج للحرب فى اسرائيل ، تحسبهم أنت وهارون حسب أجنادهم ويكون معكما رجل لكل سبط ، هو رأس لبيت آبائه » .

وجدير بالذكر أن رجل الحرب من الأسماء الحسنى التى تنسبها التوراة لله . فقد قال موسى وبنو اسرائيل فى تسبيحة لله شكرا بعد نجاتهم من مطاردة فرعون وجنوده ، وغرق الأخيرين :

« هذا الهى فأمجده .. الرب رجل الحرب . الرب اسمه ــ خروج ١٥ : ٢ ــ ٣ » .

*

٧ ــ فى مناسك دينه هتاف من رؤوس الجبال وتسبيح وتكبير :
« من رؤوس الجبال ليهتفوا ، ليعطوا للرب مجدا ويخبروا بتسبيحه فى الجزائر » .

لقد بنى الاسلام على خمسة أعمدة خامسها الحج ، وفيه يعقد أكبر مؤتمر دينى عالمى سنويا بجبل عرفات ، وقد جعلت الوقفة بهذا الجبل ركن الحج الركين ، اذ قال نبى الاسلام : « الحج عرفة » . فهناك يهتف الحجاج لله فوق جبال عرفات ويسبحون ويكبرون ويهللون ويتضرعون بالدعوات وصالح العبادات ، وما أعظمه من نسك .

وفى الحج ــ يتجرد الانسان عن زخرف الحياة ومتعها ، اذ يحرم عليه ممارسة بعض ما اعتاده فى حياته الزوجية الصالحة مثل العلاقة الجنسية ، والتحلى بأفخر الثياب ، وعوامل الصخب والاثارة .

هناك يواجه الانسان الحقيقة بين يدى خالقه فيأتى هذه التجربة العظيمة طوعا فى الدنيا قبل أن يأتيها كرها فى الآخرة ، فآنذاك لا ينفع الندم ولا تجدى الحسرات .

﴿ الحج اشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ، وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فان خير الزاد التقوى ، واتقون يا اولى الالباب . ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم ، فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام ، واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين ﴾
(البقرة : ١٩٧ ، ١٩٨)

*

٨ ــ الشعب الذى ظهر فيه كان متخلفا ضعيفا طعمة لكل آكل :
« شعب منهوب ومسلوب ، وقد اصطيد فى الحفر كله وفى بيوت الحبوس اختبأوا . صاروا نهبا ، ولا منقذ . وسلبا ، وليس يقول رد » .

ويقول القرآن : « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين . وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ، وهو العزيز الحكيم . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم » (الجمعة : ٢ — ٤) .

*

٩ — ولكن بعد أن جاءهم النبى برسالة الله خرجوا من الظلمات الى النور : « لتفتح عيون العمى ، لتخرج من الحبس المأسورين ، من بيت السجن الجالسين فى الظلمة .

أسير العمى فى طريق لم يعرفوها . فى مسالك لم يدروها أمشيهم . أجعل الظلمة أمامهم نورا والمعوجات مستقيمة . هذه الأمور افعلها ولا اتركهم » .

ويقول القرآن : « آلر ، كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد » (ابراهيم : ١) .

« فاتقوا الله يا اولى الألباب الذين آمنوا ، قد انزل الله اليكم ذكرا . رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور » (الطلاق : ١٠ — ١١) .

ان تجربة الاسلام فى عرب الجزيرة العربية نموذج فريد فى التاريخ. وأذكر فى هذا المقام مقالة للمؤرخ الانجليزى ارنولد توينبى قال فيها : لكى ندرك ما فعله الاسلام بالعرب — بمقاييس العصر — تتصور دولة فى حجم كوبا تظهر فجأة ، ثم تستولى على نصف الولايات المتحدة الأمريكية وتخضع لها روسيا بأكملها .

ومن الواضح أن توينبى ضرب المثل بهاتين الدولتين الكبيرتين باعتبارهما القوتين الأعظم فى النصف الثانى من القرن العشرين ،

ويناظرهمـا فى القرن السـابع الميـلادى : الامبراطورية الرومانية ، والامبراطورية الفارسية على الترتيب •

✤

١٠ ــ هو نبى البر الذى يعظم شريعة الله :« الرب قد سر من أجل بره ، يعظم الشريعة ويكرمها » •

ان بر نبى الاسـلام ورحمتـه بالنـاس جميعـا أمـر يشـهد بـه الجميـع حتى من غير المسـلمين ، ومنهم عتـاة تطاولـوا على الاسلام ونبيه • ولقد حدث ان مرت جنـازة يهودى فوقف النبى ﷺ تكريما للأخوة الانسانية • فاذا ببعض الصحابة يقول له : انها ليهودى ــ وقـد علم ما أصـاب النبى والمسـلمين من أذى على يـد اليهـود تمثـل فى مؤمرات وفتن وحرب نفسـية وحروب دموية ــ فأمسـك عليـه النبى اعتراضـه قائـلا : اليست نفسـا ؟ ! وصـدق الله : ﴿ وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ﴾ (الأنبياء : ١٠٧) •

✱ ✱

ولنراجع الآن نبوءة أشعيا هذه ، فنجدها تتعلق بثلاثة عنـاصر رئيسية هي : النبى المنتظر ، والشعب الذى ظهر فيه ، والدين الذى جـاء به • فلهذا النبى شريعة تنتظرها الجزائر ، وهذا بالتأكيد يعنى شريعة جديدة غير شريعة موسى • بل ان هذا ما تنبأ به أشعيا فى موضع آخر من سفره ، اذ يقول وحى الرب على لسانه :

« شريعة من عندى تخرج ، وحقى أثبته نورا للشـعوب • •
اياى ترجو الجزائر ، وتنتظر ذراعى ــ اشعيا ٥١ : ٤ ــ ٥ » •

واذا جمعنا الأوصاف العامة والملامح الرئيسـية لكل عنصر من عناصر نبوءة اشعيا ، وقرأناها معا لجاءت كالآتى :

عن النبى المنتظر :

يشتهر بلقب عبد الله ورسوله ــ وينتسب الى اسماعيل بن ابراهيم ــ

ويعصمه الله من الناس حتى يكمل رسالته ، فتنتهى حياته بالموت الطبيعى الذى هو نهاية كل مخلوق حىّ ، فلا يموت قتلا — وهو رجل حرب مقدام ، ينتصر على أعدائه — ثم هو نبى البر الذى يعظم شريعة الله فى كل صورها .

*

... وعن الشعب الذى ظهر فيه :

عبده أصنام ، وأصحاب أوثان — وكانوا شعبا متخلفا ضعيفا ، طعمة لكل آكل — ولكن بعد أن جاءهم النبى برسالة الله خرجوا من الظلمات الى النور .

*

... وعن الدين الذى جاء به :

يسود الدين ، وتكتمل الشريعة التى جاء بها ، فى عهده لا من بعده — وهو دين من مناسكه : هتاف من رؤوس الجبال وتسبيح وتكبير . وهذا ما يحدث فى الحج الى بيت الله الحرام بمكة كل عام .

*

واذا استعرضنا خصائص الأنبياء منذ نطق اشعيا بهذه النبوءة فى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد ، حتى مطلع القرن السابع بعد الميلاد ، وما وجدناها تنطبق تماما الا على محمد رسول الله .

*

من أجل ذلك سار أبناء اسماعيل — بعد نبوة أكرم سلالته محمد بن عبد الله — هم والذين ﴿ آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه ﴾ [1] ، يعلنون دين الله الى العالم كله : شرقا حتى الصين ، وغربا حتى الأطلسى ، وشمالا حتى أوروبا . وصدقت فيهم نبوءة اشعيا حرفيا ، اذ يقول الرب :

---

(١) الأعراف : ١٥٧

(أسير العمى فى طريق لم يعرفوها ، فى مسالك لم يدروها أمشيهم، أجعل الظلمة أمامهم نورا ، والمعوجات مستقيمة ، هذه الأمور أفعلها ، ولا أتركهم) .

لقد كان هذا ما نطقت به أسفار العهد القديم ، وحسب المعتقدات المسيحية : (لا بد ان يتم جميع ما هو مكتوب) ، (ويتم ما قيل باشعيا النبى) .

فلا بد ، اذن ، أن تتحقق كل التنبؤات .

* *

ونختم الحديث عن الفتوحات الاسلامية وأثرها فى تحرير شعوب ، واقامة حضارات ، باطلالة لمؤرخ مصرى معاصر هو الدكتور عبد العظيم رمضان يعرض فيها رؤيته لحركة التاريخ وحكمتها وانعكاساتها خلال فترات مختلفة ، فيقول :

((من المفارقات التاريخية ان الغزو الذى تعرضت له بعض الأمم قد خدمها باكثر مما كان ان يخدمها تفادى الغزو ! والعكس بالعكس ، فان كثيرا من الأمم قد خسرت بسبب تفادى الغزو ما لم تكن لتخسره لو تعرضت له .

وعلى سبيل المثال : فان نجاح القبائل الجرمانية فى العصور القديمة فى ابادة ثلاث فرق رومانية وتحرير بلادها من الحكم الرومانى فى عام ٩ قبل الميلاد ، لم يكن فى مصلحة ألمانيا ! فقد قررت روما التخلى عن خطة جعل حدود الامبراطورية عند نهر الب ، وجعلتها عند نهر الراين الذى أصبح فاصلا بين الأراضى الفرنسية والأراضى الألمانية ، وبذلك حرمت ألمانيا من التمتع بالحضارة الرومانية والطرق الرومانية الشهيرة ، واستسلمت للبربرية قرونا عديدة !

وعلى العكس من ذلك ، فان دخول الجيوش المصرية اليمن ،

وتعزيزها الثوار ضد حكم الامامة الرجعى الفاسد ، قد نقل اليمنيين من العصور الوسطى الى العصر الحديث . ولو نجحت القبائل اليمنية فى اخماد الثورة ، وأعادت حكم الامامة ، لاستسلمت للتخلف كما استسلمت القبائل الجرمانية تماما ، لعدد لا يعرف من عقود السنين !

وهذا ينطبق على مصر أيضا ، فلو أنها نجحت فى ابادة الحملة الفرنسية بقيادة الجنرال بونابرت على مصر ، لكانت كارثة كبرى — ليس على الحملة الفرنسية وانما على مصر ! فبالنسبة للحملة الفرنسية ذاتها ، فلم تمكث فى مصر أكثر من ثلاث سنوات ، ولكنها — بالنسبة لمصر — أنهت العزلة الطويلة التى عاشتها بعيدة عن الغرب ، والتى أبعدتها عن الحضارة الغربية الحديثة .

وقد كان دخول آلة الطباعة مع الحملة الفرنسية لأول مرة ، هو رمز انتهاء تلك العزلة . فحتى وصول الفرنسيين الى الاسكندرية . لم يكن قد طبع فى مصر سطر واحد ، وبالتالى لم تكن قد عرفت بعد الصحافة ، ولم تكن قد عرفت المطبوعات فى مجال العلوم والفنون والآداب ، وبالتالى أيضا لم تكن قد أطلت بعد على الحضارة الغربية . وانتهلت من مواردها ، ولكن هذا انتهى مع مجىء الحملة الفرنسية .

وفى الوقت نفسه لم تكن مصر قد عرفت بعد كنوزها القديمة وآثارها الفرعونية ، فلم تكن تعرف من قيمة لتلك الأحجار المنقوش عليها الكتابات المصرية القديمة أية فائدة أو قيمة — اللهم الا فيما عدا احتمال استخدام أصلبها للبناء ! كما لم تكن تعرف أية فائدة أو قيمة للفائف البردى أو صناديق المومياوات . وكانت جميع النقوش والكتابات الهيروغليفية بالنسبة لها طلاسم ومعميات ، لا تعنى نفسها بمحاولة فهمها . وبالتالى لم يكن المصريون حتى ذلك الحين يعرفون شيئا عن تاريخ مصر القديمة ودياناتها وعاداتها وتقاليدها .

ولكن هذا كله عرفته مصر على يد الحملة الفرنسية ، بفضل

(لجنة العلوم والفنون) التى جلبها برنابرت معه من فرنسا ، والتى ضمت ١٦٥ عالما من علماء الهندسة ومساحة الأراضى ورسم الخرائط وفن المعمار والنبات والحيوان والطب والصيدلة والكيمياء والمعادن ، فضلا عن علماء الرياضة وعلم طبقات الأرض والكتاب والموسيقيين • ومن هذه اللجنة تكون (المجمع المصرى) الذى قسم نفسه الى أربعة أقسام : قسم الرياضيات ، وقسم الطبيعيات ، وقسم الاقتصاد السياسى ، وقسم الآداب والفنون •

وكان ثمرة الجهد الهائل الذى بذله علماء هذا المجمع المصرى خلال فترة الاحتلال ، هو أعظم كتاب صدر عن مصر فى العصر الحديث كله ، وهو كتـاب (وصف مصر) الذى ترجم عدة أجزاء منه المرحوم زهير الشايب • وقد صدر فى ٢٣ مجلدا ، احتوت المجلدات التسع الأولى منه على النصوص ، بينما احتوت المجلدات الأربعة عشر الباقيـة على الرسوم • وقد طبع فى تسعة عشر عاما ــ أى (من ١٨٠٩ الى ١٨٢٨ م)•

وبطبيعة الحال فلست اقصد من هذا الكلام جث الشـعوب على الترحيب بالغزاة الأكثر تحضرا ، وانما انا فقط انبه الى هـذه المفارقة ، لأن ما مضى قد مضى ، وعلى الشعوب ان تستلهم ضميرها القومى وكرامتها الوطنية وهى تقاوم كل معتد وغاز »(١) •

نعم ••• على الشعوب التى تتعرض لغزو ، أن تقاومه فى سـبيل حريتهـا •

وقد تكون المقاومة بالسلاح والدماء ، أو قد تنهج مسالك أخرى مثل الاستفادة من توازن القوى المؤثرة فى الصراع الدائر فى منطقتها ، وغير ذلك من الأساليب التى يحفل بها تاريخ الدول والشعوب •

---

(١) مجلة اكتوبر القاهرية ــ العدد ٦٤٢ ــ الأحد ١٢ فبراير ١٩٨٩

وقد تكفى شرارة الغزو ، واحتكاك النظم والحضارات المختلفة ، في ايقاظ الأمم والشعوب ، وتبادل المعارف والخبرات •

* *

« يا ايها النـاس انا خلقنـاكم من ذكر وانثى وجعلناكم شـعوبا وقبـائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عنـد الله اتقاكم ، ان الله عليم خبـير »
(الحجرات : ١٣)

* * *

هــذا التلوث الجنسى

يعرف التلوث ، فى أبسط صورة ، بأنه افســاد النقــاء وتلطيخ الطبيعة الأولى لشىء ما بأوساخ دخيلة عليه •

والجنس غريزة فطرية ، أودعها الله فى الانسان ــ كما فى غيره من الكائنات الحية الأخرى ــ كوسيلة أولى لحفظ النوع ، وبالتالى ضمان استمرارية الحياة على كوكب الأرض •

وهى ترتبط فى صورتها المكشوفة لجميع المخلوقات ، بالأعضــاء الجنسية لكل من الزوجين : الذكر والأنثى ، ويعرفها كل مخلوق جيدا دونما حاجة الى تعليم أو ارشاد من آخرين •

فلم يحدث ، مثلا ، أن شــوهد حمار يعلم وليــده الذكر كيف يمارس الجنس مع الفه من اناث الحمير ••• ومع ذلك فالحمير تمارس الجنس فى سهولة ويسر ، تندفع اليــه بغريزتها ، وتعرف ماذا تفعل ، فستمتع به وتحافظ على نوعها مثل بقية المخلوقات •

والجنس غريزة قوية ، لا يحتاج الحديث عن قوتها الى برهان ••• وازاء الكبت الذى فرضته الكنيسة على رجالها ، لم يكن هنــاك من متنفس ســوى صراع موجع ، وأنات يائسة ، كما فعل لوثر حين قال : (كم هو شىء مرعب وأحمق تلك الخطيئة ان الشهوة هى الشىء الوحيد الذى لا يمكن شفاؤه بأى دواء ، حتى ولو كان بالزواج الذى رسم لنا خصيصا من أجل هذه النقيصة التى تكمن فى طبيعتنا) •

والذين لم ينفعهم الصراخ شــيئا • فى تخفيف ما يسببه لهم الجنس من عذاب وآلام ، كانت لهم ممارســات أخرى معروفة •••

ان هذا يعنى بداهة أن غريزة الجنس فى الانسان ليست فى حاجة الى استثارة •

ووسائل الاثارة معروفة أيسرها الكلمة ، وهى أكثرها شيوعا ، ثم الصوت ، والصورة ، والمجسم الميت ، كالتمثال ونحوه ، ثم الجسد الحى ، حيث العرى والتجرد من كل ستر أو حياء . وهنا تهبط غريزة الجنس بالانسان الى ما دون الحيوان ، فيرتكب فى سبيل اشباعها ــ دون جدوى ــ جرائم لا تحصى ، مثل القتل والسرقة والاغتصاب والجاسوسية وتعاطى المخدرات ... الخ .

ومن هنا كان خطر الاثارة رهيبا ، وكانت آثارها مدمرة للأفراد والشعوب على السواء . وان سجلات التاريخ ، وواقع حياتنا اليومية خير شاهد على ذلك .

*

الجنس ، اذن ، مطلب فطرى ، فرضه وجود الزوجين : الذكر والأنثى ، ليعمل وفق الناموس الطبيعى للمخلوقات ...

والجنس مطلب شرعى ، أوصى الله به ، وفق الناموس الالهى الذى شرع الزواج وباركه ...

ومن ثم ، كان التلوث الجنسى هو كل ممارسة لغريزة الجنس خارج الناموس الالهى الطبيعى الذى شرع الزواج بين الذكر والأنثى . ويتضمن ذلك، بطبيعة الحال ، كل قول او فعل من شانه ان يفضى الى مثل تلك الممارسة الجنسية الآثمة ، قياسا على ما تعارف عليه البشر فى تشريعاتهم من اعتبار التحريض ركنا من أركان الجريمة .

ولما كانت الوقاية خيرا من العلاج ، كان من اللازم تجنب الاثارة الجنسية وعواقبها ، وذلك بالتعامل مع الجنس بلطف ، ومعالجة قضاياه بوعى وتبصر .

ويقتضى ذلك عدم اشاعة الفضائح والفواحش بين الناس ، ومس

موضوعات الجنس مسا خفيفا ، واستخدام ألفاظ وتعابير لا فحش فيها ، تهذيبا للعواطف وارتقاء بالغرائز .

* *

● **وقائع جنسية :**

يحفل الكتاب المقدس بذكر كثير من الممارسات الجنسية الآثمة ، والتى يقع أغلبها فى بيوت الأنبياء ، رجال الله المختارين ! ولقد رأينا شيئا من ذلك سلفا حين تحدثنا عن نساء الأنبياء ، أما الآن فنكتفى بعرض خلاصة اجمالية مع شيء من الاضافات .

●

١ ــ لوط زنى بابنتيه ، وانجب منهما ولدين : (الأول : موآب ، وهو أبو الموآبيين . والثانى : بن عمى ، وهو أبو بنى عمون) (تكوين ١٩) .

ومن الموآبيين جاءت (راعوث الموآبية) التى كانت جدة كبرى لداود (راعوث ١ ، ٤) .

ومن داود جاء يوسف النجار ، رجل مريم (متى ١ : ٦ ، ١٩ ، لوقا ٣ : ٣١) .

وقد سمى الانجيل يسوع : ابن يوسف فقال : « ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة ، وهو على ما كان يظن : ابن يوسف ابن هالى ... ــ لوقا ٣ : ٢٣ » .

وقد دعت مريم يوسف رجلها : أبا ، لابنها يسوع . . فقد كان « أبواه (مريم ويوسف) يذهبان كل سنة الى أورشليم فى عيد الفصح . ولما كانت له اثنتا عشرة سنة صعدوا الى أورشليم كعادة العيد : وبعد ما أكملوا الأيام بقى عند رجوعهما الصبى يسوع فى أورشليم ، ويوسف وأمه لم يعلما .. وبعد ثلاثة أيام وجداه فى الهيكل

جالسا وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم .. وقالت له أمه : يا بنى ، لماذا فعلت بنا هكذا . هو ذا أبوك وانا كنا نطلبك معذبين ــ لوقا ٢ : ٤١ ــ ٤٨ » .

وهكذا ، جاء التلوث الأول لنسب المسيح الطاهر النقى الذى قال القرآن فى أمه العفيفة البتول :

﴿ واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ﴾ (آل عمران : ٤٢) .

ومن المفارقات أن بولس لم يذكر اسم مريم أم المسيح ، ولو مرة واحدة ، فى رسائله الكثيرة والطويلة . وكان كل ما قاله فى هذا الصدد ، أن المسيح جاء « مولودا من امراة ، مولودا تحت الناموس ــ غلاطية ٤ : ٤ » .

❋

٢ ــ ابن عمدة شكيم (نابلس) يغتصب دينه ابنة يعقوب . فقد « أخذها ، واضطجع معها ، وأذلها . وتعلقت نفسه بدينة ابنة يعقوب ، وأحب الفتاة ، ولاطف الفتاة ــ تكوين ٣٤ : ٢ ــ ٣ » .

❋

٣ ــ راوبين ، الابن البكر ليعقوب ، يزنى باحدى نساء ابيه . (تكوين ٣٥ : ٢) .

❋

٤ ــ يهوذا ، ابن يعقوب ، يزنى بثامار ، كنته التى كانت زوجة بالتوالى لولديه المتوفين . (تكوين ٣٨) .

وقد ولدت ثامار ثمرة هذا الزنا ، توأمين : الأول : اسمه فارص ، والثانى : اسمه زارح .

وقد تكرر التأكيد على هذه الفجيعة الآثمة فى نسب المسيح الذى ذكرته الأناجيل ، حيث كان فارص أحد أجداده القدامى .

« ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار ، وفارص ولد حصرون ... — متى ١ : ٣ ، لوقا ٣ : ٣٣ » .

وهكذا ، جاء التلوث الثانى لنسب المسيح الطاهر النقى ...

*

٥ — جاسوسا يشوع بن نون ، خليفة موسى فى بنى اسرائيل ، يستخدمان راحاب الزانية لانجاح مهمتهما فى تجسس أرض فلسطين ، (يشوع ٢) .

وقد كافأها يشوع باستثنائها وبيتها من الذبح والتدمير ، بعد فتح المدينة ، فقال :

« راحاب الزانية فقط تحيا هى وكل من معها فى البيت ، لأنها قد خبأت المرسلين اللذين أرسلناهما — يشوع ٦ : ١٧ » .

« واستحيا يشوع راحاب الزانية وبيت ابيها وكل ما لها — يشوع ٦ : ٢٥ » .

وقد جاء ذكر راحاب الزانية فى سلسلة نسب المسيح ، فقال الانجيل :

« وسلمون ولد بوعز من راحاب .وبوعز ولد عوبيد من راعوث — متى ١ : ٥ » .

وهكذا ، جاء التلوث الثالث لنسب المسيح الطاهر النقى ...

*

٦ — ومن قضاة اسرائيل ، « كان يفتاح الجلعادى ، جبار بأس ، وهو ابن امراة زانية .. وكان روح الرب على يفتاح قضاة ١١ : ١ ، ٢٩ »

*

٧ — ومن قضاة اسرائيل ، كان شمشون الذى « باركه الرب ، وابتدأ روح الرب يحركه .. فحل عليه روح الرب .. ثم ذهب شمشون

من غزة ورأى هناك امراة زانية فدخل اليها ـ قضاة ١٣ : ٢٤ ـ ٢٥ ، ١٤ : ٦ ، ١٦ : ١ » .

٭

٨ ـ داود زنى بامرأة أوريا الحثى ، احد جنوده ، ثم تآمر عليه وقتله . وبعد موته تزوج امراته بتشبع وانجب منها سليمان . (صموئيل الثانى ١١) .

وقد جاء ذكر امرأة أوريا هذه فى سلسلة نسب المسيح، فقال الانجيل: «وداود الملك ولد سليمان من التى لاوريا ، وسليمان ولد رحبعام ـ متى ١ : ٦ ـ ٧ » .

وهكذا جاء التلوث الرابع لنسب المسيح الطاهر النقى ...

٭

٩ ـ امنون بن داود يغتصب اخته ثامار (صموئيل الثانى ١٣) .

٭

١٠ ـ ابشالوم بن داود يزنى بسرارى ابيه العشر . (صموئيل الثانى ١٦) .

٭

١١ ـ اشعيا يسير عاريا ثلاث سنين بين شعب اسرائيل (اشعيا ٢٠ : ٢) .

٭

١٢ ـ هوشع يتزوج زانيتين وينجب منهما ذرية . (هوشع ١ : ٢ ـ ٣ ، ٣ : ١ ـ ٢) .

٭ ٭

● أساليب القصص الجنسى :

حرص مؤلفو الكتاب المقدس على تنويع أساليب القصص الجنسى الذى يطفح به .

١ ـ فهناك التشبيب بالمراة ، والغزل فى جسدها ، واحاديث التلاقى بين العاشقين الذين لعبت الخمر برؤوسهم .

يقــول سفر نشــيد الانشاد :

« فى الليل على فراشى طلبت من تحبه نفسى . طلبته فما وجدته . انى أقوم وأطوف فى المدينة .. حتى وجــدت من تحبــه نفسى . فامسكته ولم ارخه حتى ادخلته بيت امى وحجرة من حبلت بى ..

ها أنت جميلة يا حبيبتى ، ها أنت جميلة . عيناك حمامتــان من تحت نقابك .. شــفتاك كســلكة من القرمز . وفمك حلو . خــدك كفلقة رمانة .. عنقك كبرج داود .. ثدياك كخشفتى ظبية توامين .. كلك جميل يا حبيبتى . ليس فيك عيب ..

كلوا أيها الأصحاب . اشربوا واسكروا ايها الأحباء ..

قد خلعت ثوبى ، فكيف البســه ..

حبيبى مد يده من الكوة ، فأنت عليه أحشائى ..

طلبته فما وجدته ، دعوته فما أجابنى . وجدنى الحرس الطائف فى المدينة .ضربونى . جرحونى . حفظة الأسوار رفعوا ازارى عنى ..

ما اجمل رجليك .. دوائر فخذيك مثــل الحــلى .. سر. كأس مدورة لا يعوزها شراب ممزوج . بطنك صــبرة حنطة مسيجة بالسوسن ..

ما اجملك وما احلاك ايتها الحبيبة باللذات ، قامتــك هــذه شــبيهة بالنخــلة ، وثدياك بالعناقيد . قلت انى اصعد الى النخلة وامســك بعذوقها . وتكون ثدياك كعناقيد الكرم .. وحنكك كاجود الخمر السائغة المرقرقة السائحة على شفاه النائمين .

انا لحبيبى ، والى اشتياقه . تعــال يا حبيبى لنخرج الى الحقــل ولنبت فى القــرى . هنالك أعطيك حبى . اللفاح (نبات مخدر) يفوح رائحــة وعند أبوابنا النفائس من جــديدة وقديمة . ذخرتها لك يا حبيبى .

ليتك كأخ لى ، الراضع ثدى أمى ، فأجدك فى الخارج واقبــلك ولا يخزوننى . وأقودك وادخل بك بيت امى ، وهى تعلمنى ، فأسقيك من الخمر الممزوجة من سلاف رمانى .

شماله تحت راسى ، ويمينه تعانقنى ..

اجعلنى كخاتم على قلبك ، كخاتم على ساعدك . لأن المحبة قوية كالمــوت . الغيرة قاســية كالهــاوية . لهيبها لهيب نار لظى الرب . مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفىء المحبة ..

أنا ســور ، وثدياى كبرجين . حينئذ كنت فى عينيه كواجــدة ســلامة » .

ان هذا النشيد الذى يرجع تاريخ تأليفه الى أكثر من ألفى عام لم يترك شيئا للأجيال اللاحقة التى تهوى هذا النوع من الغزل الجنسى المفضوح . فهو لا شك مصدر الهام لمن قرأوه وسلكوا هذا السبيل .

*

٢ ـ وهناك تعليم لأصول الجنس فى صوره المتبذلة حين تمارســه مومس هاوية .

فمن المعلوم أن أنبياء الله ، مثل : (هوشع وارميا وحزقيال ، قد شبهوا علاقة الشعب الاسرائيلى مع الهة بعلاقات الزوجة بزوجها) !

وبعد أن انقسمت مملكة ســليمان ، عقب موته ، الى مملكتين ، سميت مملكة السامرة ، فى الشمال ، باسم : الزانية أهولة ، وسميت مملكة أورشليم ، فى الجنوب ، باسم : الزانية اهوليبة . ولقد تردت المملكتان فى طريق الكفر والوثنية والانحلال ، فجاءهما التبكيت والنذير على لســـان الأنبيـــاء فى صور جنسية يخجل منها كل من عنده بقية من حيــــاء !

يقول حزقيال : « كانت الى كلمة الرب قائلة : يا ابن آدم ! عرف أورشليم برجاســتها وقل .. كبرت وبلغت زينة الأزيان . نهد ثدياك ونبت شعرك وقد كنت عريانة وعارية . فمررت بك ورأيتك ، واذا زمنك زمن الحب . فبسطت ذيلى عليك ، وسترت عورتك ..

فاتكلت على جمالك وزنيت على اسمك ، وسكبت زناك على كل عابر فكان له .. وصنعت لنفسك صور ذكور وزنيت بها ..

فى رأس كل طـريق بنيت مرتفعتـــك ، ورجست جمـــالك ،

وفرجت رجليك لكل عابر ، وأكثرت زناك ، وزنيت مع جيرانك بنى مصر .. وزنيت مع بنى آشور ، اذ لم تشبعى فزنيت بهم ، ولم تشبعى أيضا ..

فعلت كل هذا فعل امراة زانية سليطة .. ولم تكونى كزانية ، بل محتقرة الأجرة .. لكل الزوانى يعطون هدية . اما انت فقد اعطيت كل محبيك هداياك ورشيتهم ليأتوك من كل جانب للزنا بك ، وصار فيك عكس عادة النساء فى زناك ، اذ لم يزن وراءك ، بل أنت تعطين أجرة ولا أجرة تعطى لك ، فصرت بالعكس .

فلذلك يا زانية اسمعى كلام الرب .. ها انذا اجمع جميع محبيك الذين لذذت لهم . . واكشف عورتك لهم لينظروا كل عورتك ــ الاصحاح ١٦ » .

ويقول حزقيال أيضا : « كان الى كلام الرب قائلا : يابن آدم ! كان امرأتان ابنتا أم واحدة ، وزنتا بمصر . فى صباهما زنتا . هناك دغدغت ثديهما ، وهناك تزغزعت ترائب عذرتهما ..

واسماهما : السامرة أهولة ، وأورشليم أهوليبة .وزنت اهولة من تحتى وعشقت محبيها آشور الأبطال .. شبان شهوة ..

ولم تترك زناها من مصر ، لأنهم ضاجعوها فى صباها ، وزغزغوا ترائب عذرتها ، وسكبوا عليها زناهم . لذلك سلمتها ليد عشاقها ..

فلما رأت أختها أهوليبة ذلك ، أفسدت فى عشقها أكثر منها .. عشقت بنى آشور .. كلهم شبان شهوة .. فاتاها بنو بابل فى مضجع الحب ونجوها بزناهم .. وكشفت زناها وكشفت عورتها ..

عشقت معشوقيهم ، الذين لحمهم كلحم الحمير ،ومنيهم كمنى الخيل . وافتقدت رذيلة صباك بزغزغة المصريين ترائبك لأجل ثدى صباك ..

هكذا قال السيد الرب : ها أنذا أهيج عليك عشاقك .. فيعاملونك

بالبغضاء .. ويتركونك عريانة وعارية ، فتنكشف عورة زناك ، ورذيلتك وزناك ـ الاصحاح ٢٣ » .

*

٣ ـ وحين يكون هناك احتيال بين رجل وامرأة من أجل ممارسة جنسية آثمة ، نجد تفصيلا للمحاورات والمراوغات ، التي تجر فكر القارىء الى مستنقعات ملوثة لا داعي للخوض فيها . ففي قصة يوسف وامرأة العزيز بمصر ، يقول الكتاب المقدس : « وحدث بعد هذه الأمور ان امرأة سيده رفعت عينيها الى يوسف وقالت : اضطجع معي . فأبى وقال لامرأة سيده هو ذا سيدي . . كل ما له قد دفعه الى .. ولم يمسك عني شيئا غيرك لأنك امرأته . فكيف أصنع هذا الشر العظيم واخطىء الى الله .

وكان اذ كلمت يوسف يوما فيوما انه لم يسمع لها ان يضطجع بجانبها ليكون معها .

ثم حدث نحو هذا الوقت انه دخل البيت ليعمل عمله ، ولم يكن انسان من أهل البيت هناك في البيت . فأمسكته بثوبه قائلة : اضطجع معي . فترك ثوبه في يدها وهرب وخرج الى خارج . . . ـ تكوين ٣٩ : ٧ ـ ١٢ » .

ان كل ما ذكره القرآن العظيم في هذه الواقعة ، أن مسها بما قل ودل من ألفاظ منتقاة ، فكان حقا أبلغ الكلام على الاطلاق ، اذ قال :

﴿ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك ، قال معاذ الله ﴾ (يوسف : ٢٣) .

وفي قصة احتيال أمنون بن داود لممارسة الجنس مع أخته ثامار ، تعليم لكل جاهل بمثل تلك الموبقات .

يقول الكتاب المقدس : « وجرى بعد ذلك أنه كان لأبشالوم بن

داود أخت جميلة اسمها ثامار ، فأحبها أمنون بن داود . وأحصر أمنون للسقم من أجل ثامار أخته ، لأنها كانت عذراء وعسر فى عينى أمنون ان يفعل لها شيئا !

وكان لأمنون صاحب اسمه يوناداب بن شمعى أخى داود . وكان يوناداب رجلا حكيما جدا . فقال له : لماذا يابن الملك أنت ضعيف هكذا من صباح الى صباح ؟ أما تخبرنى ؟ فقال له أمنون : انى أحب ثامار .. فقال يوناداب : اضطجع على سريرك وتمارض . واذا جاء أبوك ليراك فقل له : دع ثامار أختى فتأتى وتطعمنى خبزا . وتعمل أمامى الطعام لأرى فآكل من يدها .

فاضطجع أمنون وتمارض ، فجاء الملك ليراه . فقال أمنون للملك : دع ثامار أختى فتأتى وتصنع أمامى كعكتين فآكل من يدها .

فأرسل داود الى ثامار .. فذهبت ثامار الى بيت أخيها أمنون وهو مضطجع . وأخذت العجين وعجنت وعملت كعكا أمامه .. فأبى أن يأكل .

وقال أمنون : أخرجوا كل انسان عنى . فخرج كل انسان عنه ثم قال أمنون لثامار : ايتى بالطعام الى المخدع فآكل من يدك . فأخذت ثامار الكعك الذى عملته وأتت به الى أمنون أخاها ، الى المخدع . وقدمت له ليأكل فامسكها وقال لها : تعالى اضطجعى معى يا أختى .

فقالت له : يا أخى ، لا تذلنى لأنه لا يفعل هكذا فى اسرائيل .. والآن كلم الملك لأنه لا يمنعنى منك . فلم يشا ان يسمع لصوتها بل تمكن منها وقهرها واضطجع معها .

ثم أبغضها أمنون بغضة شديدة جدا ، حتى ان البغضة التى أبغضها اياها كانت أشد من المحبة التى أحبها اياها .وقال لها : قومى انطلقى .. بل دعا غلامه الذى كان يخدمه وقال : اطرد هذه عنى خارجا واقفل الباب وراءها .. فاخرجها خادمه الى الخارج وأقفل الباب — صموئيل الثانى ١٣ : ١ — ١٨ » .

وهكذا يتعلم الناس الكثير والكثير ...

٤ ــ ثم هناك اصرار على التوسع فى امور الجنس وذكر أعضائه تصريحا أو تلميحا فى شتى الأمور والمناسبات .

فيعبر الكتاب المقدس عن حمل المرأة بأن الرب فتح رحمها ، اذ يقول : «ورأى الرب ان ليئة مكروهة ففتح رحمها .. فحبلت ليئة وولدت ابنا ــ تكوين ٢٩ : ٣١ ــ ٣٢ » .

ويقال للذكر البكر بأنه فاتح رحم :

« كلم الرب موسى قائلا : قدس لى كل بكر فاتح رحم من بنى اسرائيل ومن البهائم ــ خروج ١٣ : ١ ــ ١ » .

وحين يتحدث الكتاب المقدس عن عملية جنسية بين رجل وامرأة يسميها اضطجاع زرع ،فيقول :

« المرأة التى يضطجع معها رجل اضطجاع زرع ، يستحمان بماء ويكونان نجسين الى المساء ــ لاويين ١٥ ــ ١٨ » .

لقد اكتفى القرآن العظيم باستخدام كلمة واحدة للعملية الجنسية بين الرجل وامرأته ، تعبر عن المعنى المطلوب بكل لطف ، فكانت كلمة المس :

﴿ قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم اك بغيا ﴾
(مريم : ٢٠)

﴿ وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا أن يعفون او يعفوا الذى بيده عقدة النكاح ﴾
(البقرة : ٢٣٧)

وحين يتحدث الكتاب المقدس عن انتقام الله من شعب اسرائيل نظير كفره وتمرده ، يأتى من وسائل ذلك الانتقام كشف العورات ، ليعاينها الناس ، ويكون وراء ذلك ما يكون !

« قال الرب: من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ، ويمشين ممدودات الأعناق ، وغامزات بعيونهن ، وخاطرات فى مشيتهن ويخشخشن بأرجلهن ، يصلع السيد هامة بنات صهيون ، ويعرى الرب عورتهن ـ اشعيا ٣ : ١٦ ـ ١٧ » .

« فقال الرب : كما مشى عبدى اشعيا معرى .. هكذا يسوق ملك آشور سبى مصر وجلاء كوش ، الفتيان والشيوخ ، عراة وحفاة ، ومكشوفى الأستاه ـ أشعيا ٢٠ : ٣ ـ ٤ » .

إن النظر الى عورة الغير ، دون سبب مشروع ، انما هو خطيئة ، حتى لو كان هذا الغير من الأعداء . ويحكم هذا كله ، وأمثاله ، قاعدة أصولية عامة قررها القرآن العظيم فى قوله :

« ان الله لا يأمر بالفحشاء ، أتقولون على الله ما لا تعلمون » ؟!
(الأعراف : ٢٨)

*

٥ ـ ثم هناك الشتائم الجنسية التى انتقلت الى العالم كله ...

فحين غضب شاول ـ مسيح الله ، وأول ملك فى اسرائيل ـ على يوناثان ابنه ، فانه شتم أمه وعرض بعورتها فصارت مثل سوء فى العالمين ، يرددها المنحطون فى كل زمان ومكان :

« حمى غضب شاول على يوناثان ، وقال له يابن المتعوجة المتمردة ! أما علمت أنك قد اخترت ابن يسى لخزيك وخزى عورة امك ؟! ـ صموئيل الأول ٢٠ ـ ٣٠ » .

« تقدموا الى هنا ، يا بنى الساحرة ، نسل الفاسق والزانية ـ أشعيا ٥٧ : ٣ » .

وهكذا ، صارت شتمة : يابن الزانية ! على لسان السفلة ورعاع الناس ، حتى تقلدوا أعلى المناصب ، وحصلوا على أرفع الألقاب ...

* *

● **انزلاق الى الاباحية :**

(**من الثمر تعرف الشجرة**) ، هكذا علم المسيح ... وهكذا ضرب الأمثال . فلقد قال انجيل متى ، في **موعظة الجبل** : « **هل يجتنون من الشوك عنبا أو من الحسك تينا** ـ ٧ : ١٦ » .

وقد قبلها انجيل لوقا ، في **موعظة السهل** ، فقال : « **انهم لا يجتنون من الشوك تينا ، ولا يقطفون من العليق عنبا** ـ ٦ : ٤٤ » .

لقد كان لهذا التلوث الجنسي الذي استحوذ على أفكار أولئك الذين عاشوا فيه بحكم انتمائهم العقائدي والتاريخي ، أن ينتج ثمارا تتفق وبذورها المزروعة . ولذلك انطبعت عندهم الفنون والآداب ، التي هي احدى مفاخر الابداع الانساني ، بطابع الجنس الاباحي .

وتعرف الاباحية في مجتمع ما بانها انتهاك فوضوى لنظمه ، ولقواعد السلوك ، والقيم الأخلاقية التي تعارف عليها المجتمع ، وارتضى العيش في ظلها .

كما أنها تعني العمل : قولا أو فعلا أو باى صورة اخرى من صور التعبير ، عما في مكنون الانسان ، وفقا لهواه الشخصي ، ودون ادنى اعتبار للوجود الانساني للآخرين وكرامتهم .

وما دام الأمر كذلك ، فلا عاصم من اختراع الأكاذيب ، واختلاق الأوهام ، والاستغراق في كل خيال جامح وشاذ .

كذلك ، تعني الاباحية ، **بلغة الكتاب المقدس** ، ما كان عليه الشعب الاسرائيلي بعد موسى وخليفته يشوع ، حين انسلخ عما جاء في التوراة من تشريع ونظام حياة ، وانطلق فوضويا عابثا ، يمارس الكفر والجنس واللهو على هواه . لقد كان ذلك منذ أكثر من ثلاثين قرنا ، أي ٣٠٠٠ عام ، « ففي تلك الأيام ، لم يكن ملك في اسرائيل . **كان كل واحد يعمل ما يحسن في عينيه** ـ سفر القضاة ١٧ : ٦ » .

فالاباحية ، فى حقيقتها ، ردة الى الفوضى والتوحش الانسانى . واهدار لجهاد الانسان عبر آلاف السنين فى سبيل : **الحق والخير والجمال . (وذلك بأن يعمل كل واحد ما يحسن فى عينيه) .**

*

● الأدب الاباحى والأدب العالمى :

معذرة ! ان الأدب الاباحى ، بحكم طبيعته ، لا يمكن أن يكون أدبا ، يسمو بالانسان فكرا وسلوكا ، ويعبر عن أفضل المشاعر والوجدان، لكنه لم يكتسب هذا الاسم الا كخطأ شاع وانتشر .

فالأدب الاباحى ، من واقعه ، يعنى التعبير عن كل ما تختزنه النفس البشرية من فجور وقصور ، وما بها من أهواء للانطلاق بعيدا عن كل قيود ، اضافة لما يتوارد عليها كل وقت وحين من همزات الشياطين .

ويعتبر الأدب عالميا ، اذا عبر من المحلية والاقليمية الى العالمية ، فأصبح معروفا ومتداولا بين أفراد كثيرين وجماعات شتى من أغلب شعوب العالم ، فيتناوله الأدباء والمفكرون بالدراسة والنقد والتحليل . حتى اذا صمد لذلك ، واستذاقه الناس ، عاشوه وصار يفعل فعله فيهم ، ويفرض مثله عليهم ، ردحا من الزمن .

ولا شك أن الترجمة الى اللغات الحية العالمية هى المنفذ الأول من المحلية والاقليمية الى العالمية . بل صارت هذه الترجمة ، فى أكثر الأحيان ، اجازة العبور الى العالمية .

ويرينا الواقع الملموس كل يوم ، أن انزلاق الأدب الاباحى الى الأدب العالمي سهل ميسور . والأمثلة على ذلك كثيرة ، نكتفى بمس بعضها مسا خفيفا .

*

■ **الفقر والرذيلة !**

الفقر قد يدفع، أحيانا ، الى الرذيلة ... هذا واقع ملموس . ومن المفارقات أن نقيضه ، وهو الغنى ، قد يدفع ، أحيانا ، الى الرذيلة أيضا..

عجيب أمر هذا الانسان ... الفقر يدميه ، والغنى يطغيه ، وضمان أمنه يتطلب الوسطية والاعتدال فى كل شيء . فذلك هو العدل والميزان الذى به تستقيم الحياة .

على أن هناك غالبيـــة عظمى من الفقراء ، تعيش صـــابرة بايمانها وفضائلها ، لا تفرط فى شيء من ذلك مهما كانت الآلام والمعاناة . فهذا الصنف المتميز من الفقراء : **« يحسبهم الجاهل اغنيـــاء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسالون الناس الحافا »** (البقرة : ٢٧٣) .

لكن نموذج الأدب الاباحى الذى نستعرض شيئا منه بعد قليل ، قد جاء من مخلوق أدمى الفقر أسرته وظل يعضها صباح مساء ، فحدث التحلل والانهيار ، خاصة وأن رصيد الايمان كان فى المستوى الدون .

ومعذرة ، اذا استبدلت بعض ألفاظه المبتذلة بوضع **خمس نقاط** متلاحقة ، اعتمادا على فطنة القارىء !

ومعذرة ، مرة اخرى ، فان ما قرأناه من سفرى حزقيال ونشـــيد الأنشـــاد وغيرهما ، يعطينا قدرا من المنـــاعة ضـــد مثل هـــذا اللا ادب الرخيص .

*

يقول المؤلف عن روايته التى اختار لهـــا اسما من كلمتين ، بأنها (سيرة ذاتية روائية) . وكان مما سطره قلمه المتمرد :

(تذكرت كيف لوى أبى عنـــق أخى . كدت أصرخ : أبى لم يكن يحبه . هو الذى قتله . نعم قتله .. رأيته يقتله .. لوى عنقه . تدفق الدم من فمه) .

*

وفى المنزل الذى يتكون من غرفة واحدة ، كانت بالنسبة لهم كل شىء ، ففيها ينامون ــ الأب والأم والابن ، وفيها يأكلون :

(فى الليل أيقظتنى مثانتى الممتلئة .. قبلات تصفق .. همسات حب .. انهما يحبان بعضهما .. اللعنة على حبهما .. انها تكذب . لن أصدقها بعد اليوم !

ــ ..... ــ .....

ــ بنت الزناء ! ــ لا . لا .. ليس هكذا !

يعضان بعضهما .. يأكلان بعضهما .. أحس مثانتى تفرغ السائل الساخن) .

*

(أحيانا أنام فى المخبزة المجاورة للمقهى .. ذات ليلة رأيتهم يمزحون : أمسك خمسة أو ستة من الخبازين بالخباز ... وطرحوه على الأرض . كمموا له فمه بخرقة من القماش حتى لا يعض . أنزل واحد من رفاقه سراوله وحك ....

خرجت من المخبزة خائفا أن يحدث لى مثل ما حدث .. لقد سمعت كثيرا عن الاغتصابات الجنسية التى تحدث للفتيان والصبيان).

*

(أستيقظ باكرا لأسرق الفواكه من الأشجار . الدجاج وبيضه وأفراخ الحمام .. أبيع المحصول لأصحاب دكاكين الحى . رغبتى الجنسية تتهيج كل يوم . الدجاجة ، العنزة ، الكلبة ، العجلة ... تلك كانت اناثى) .

*

بعد ذلك يروى مغامراته فى بيوت الدعارة ، وما شاهده فيه من بنات جنسه ، وما شاهده من نظيراتهن الأوروبيات ، والفرق بين هؤلاء وهؤلاء ...

(علمتنى مخدومتى غسل الصحون .. شعرتنى سعيدا معهـا . صارت موضوع رغبتى الجنسية .. الحنين يحزتنى عندما أفكر فى بغايا ... على مهل أو بسرعة . بتقبيل الشفتين وضم النهدين أو مجرد أن يدخل الشىء فى الشىء) .

*

(صرت أفكر : اذا كان من تمنيت له أن يموت قبل الأوان ، فهو أبى . أكره أيضا الناس الذين يشبهون أبى . فى الخيال لا أذكر كم مرة قتلته ! لم يبق الا أن أقتله فى الواقع) .

*

(فى الصباح ، بعد صعودى من الميناء ، ذهبت الى مكتبة واشتريت كتابا لتعلم مبادىء القراءة والكتابة بالعربية ..

ان لى عشرين سنة ، ولا اعرف حتى كيف اوقع اسمى) .

*

هذا بعض ما سطره مخلوق يحمل اسما مسلما متميزا ، نختزل اسمه الكامل الى : **المسيو مركش** . وهو قد نشأ فى أسرة مسلمة وضيعة الحال فى كل شىء .. وفى بلد عربى مسلم عريق الجذور ..

لقـد كان الانسان يسير فى شوارع عاصمته ، فيلمح روايته على الرصيف بحذاء الحذاء .. لا تجد من ينظر اليها . فمؤلفها مغمور فى القاع ، لم يؤت حظا من القراءة ، فما باله يخوض فى عالم الكتابة الذى أشقى كثيرا من أهل العلم وحملة العالى من الشهادات .

وفجأة حدث ما لم يكن فى الحسبان ! لقد تنبهت السلطات الى ما تنطوى عليه الرواية من فحش وتبذل ، وما تزخر به من خسة وحقارة يعبر عنهـا موقفهمن أبيه . ولم تكن الا تصـويرا للحانات والمواخير وجماعات السوء وعصابات الشرور . وكان القرار بمصادرتها . لكن هناك اصرار من قوى تعمل على نشر التحلل والرذيلة فى عالمنا ، تحت ستار

حرية التعبير والدفاع عن حقوق الانسان ، فعبرت بها الى العالمية حيث ترجمت الى ثلاث لغات حية ، وان كانت قد اختفت من بلد مؤلفهـا ، فلتطبع فى بلاد عربية أخرى .

وصار كاتبها المتمرد محل تعليق فى الاعـلام الغربى الذى وقف يساندره ، وكأنه يقول : ولو ! نحن معك ، فالقوة وفرض الوجود معك !

لقد تغيرت حياته من الفقر الى الغنى ، ومن الخمول الى الشهرة ...

ثم جاء كاتب آخر مشهور فى بلده ، يقدم لتلك الرواية الاباحية المبتذلة ، فيغدق عليها وعلى صاحبها أعظم النعوت والأوصاف ، فيقول :

(**لم يتعلم ... القراءة والكتابة حتى العشرين من عمره ، فكانت حداثته انجرافا فى عالم البؤس ..**

هروب من أب يكره أولاده ، فقد قتل أحد أبنائه فى لحظة غضب. شرود فى أزقة مظلمة وخطرة .. اكتشاف دنيا السارقين والمدمنين على الســكر ..

هو عمل لا مثيل له ، يحتل موقعا متميزا فى الأدب العربى المعاصر . وليس صدفة انه نشر بلغات اوروبية متعددة مثل : الانكليزية او الفرنسية او الاسبانية ..

ان الذى يكتبه ... من الأمور التى لا تقــال ، فتكتم ، أو على الأقل لا تكتب وتنشر فى الكتب ، خصوصا فى ميــدان الأدب العربى الراهن)

*

فليفرح العرب ، اذن ، بهذا الانتصار الذى تحقق فى عالم الحضارة .. فلقد شبق أدبهم المعاصر ... معذرة ، أقصد : شبك أدبهم المعاصر بذيل الأدب العالمى ، وعبر من الاقليمية الى العالمية ...

ولينتظر هذا الأدب الاباحى المتمرد نوبل ، فلم تعد عليه بعزيز ...

وهكذا يكون الطريق الى الأدب العالمى ...

* * *

أوروبــا : مهـــلا ... !

فجأة ، توقفت الحرب العراقية الايرانية ...

وبدأ الناس ، هنا ، يتنفسون الصعداء ... ولكن فى حذر وريبة ... فتجارب مئات السنين مع أولئكم الذين يهمهم الاستمرار فيهـا ، ولو مائة عام ، تجعل الشعور بالاطمئنان من هذه الناحية أمرا مستحيلا .

لذلك كان السؤال الذى ظل يتردد هو : وماذا يدبرون لنا الآن ؟ واذا نجح تدبيرهم ، فأين تكون الجبهة التالية لاستنزاف المسلمين ؟

ولم يدم التساؤل كثيرا ... فما هى الا شهور ، حتى جاء نذير المعركة التالية ! لقد بدأت بداية عابثـة ، ثم هى تتطور الآن فى طريق مواجهة خطيرة منفلتة لا يعلم عواقبها الا الله ...

لقد استعرت نار الهوشة الأخيرة تحت شعار براق هو المحافظة على حقوق الانسان ! أى انسان ؟... انسان واحد بعينه ، هذه المرة ، هو الدجال الهندى الملحد ، مؤلف روايات شيطانية ، الذى صارت حياته فى خطر بعد أن تلقى تهديدا بالقتل ، نتيجة لسبه الاسلام ونبيه ونساءه وصحابته ، وتدنيسه أسماء تتألق فى سماء القداسة والطهر ، من البشر : ابراهيم أبى الأنبياء ، والأب الروحى لليهود والمسيحيين والمسلمين ــ ومن الملائكة : جبريل ، معلم الأنبيـاء ورجال الله الصـديقين والقديسين (دانيـال ٨ : ١٦ ، ٩ : ٢١) ، وأمين العرش « الواقف قـدام الله ــ لوقـا ١ : ١٩ » والروح المرسل الى مريم العذراء لتحمل ابنهـا المسيح بأمر الله (لوقا ١ : ٢٦) .

لقد أعمت الكراهية المتوارثة أبصارهم عن تلويث بعض مقدساتهم والعبث بها ، ما دام قد سب الاسلام ونبيه والمسلمين . ولذلك سارت من أجله المظاهرات ، وأعلنت الاحتجاجات . واذا تركنا آحاد النـاس وجماعاتهم التى يسهل اثارتها بقوة الاعلام اليوم ، وانتقلنا الى أهـل

الحكمة والتعقل من قادة الشعوب وساستها لوجدنا عجبا ! فها هو المجلس الوزارى لدول السوق الأوروبية المشتركة يجتمع ويصدر قرارا تلو قرار ، دعما لهذا الكاتب العابث ومحاولة لدرء الخطر عنه • وأكثر من ذلك أن تطلب بعض الدول عقد جلسة طارئة لمجلس الأمن لبحث الموضوع واتخاذ الاجراءات اللازمة للحفاظ على حياة ذلك الدجال ، وكأنه مسيح منتظر جاء فى وقته ليقود الغرب •

ان التاريخ شاهد على ظهور مثل أولئك المسحاء الكذبة ، وكان منهم « **باركوشبا الذى دعى المسيح المنتظر** » ، وقاد ثورة الربيين ضد الرومان فى الفترة ١٣٢ — ١٣٥ م ، « وعندما قضى عليهم نهائيا ، فان كلمتى : اليهودية ، وأورشليم ، قد محيتا تماما من القاموس الرومانى وأعيد تسمية الاقليم باسم : فلسطين ، وأقيمت عاصمتها ايليا كابيتالينا على أنقاض أورشليم ، وحرم دخولها على اليهود »[1] •

ولقد تنبأ المسيح عن رفض اليهود له ، وهو المسيح الحقيقى ، وجريهم وراء ذلك الكذاب الآتى بعده ، والذى قادهم الى الشتات الطويل ، فقال لهم : « لستم تقبلوننى ، ان أتى آخر باسم نفسه فذلك تقبلونه — يوحنا ٥ : ٤٣ » •

ثم كانت حركة مسيائية فى ايطاليا (١٥٢٤ — ١٥٣٢) ، ومسيحا آخر كذاب هو شبتاى زفى عام ١٦٦٥ م ••• الخ •

✻

ان لهيب هذه المعركة المستعرة يتزايد الآن فى صورة تحريض سافر وسافل بالاسلام ونبيه والمسلمين ، وبالعالم الاسلامى قاطبة • وهو تحريض وصل حد السفه الذى ارتفعت فيه أصوات مسئولة أو شبه مسئولة ، تعلنها صراحة ودون مواربة بضرورة اتفاق الغرب والشرق على محاربة الاسلام بالقضاء على المسلمين ومحاصرتهم ••• !

الى هذا الحد ؟! نعم ••• !

---

(1) J. Parkes : A History of The Jewish People, p. 39

ان هذا الجو المحموم الذى يثيره شياطين الانس فى الغرب الآن ضد الاسلام والمسلمين ، يمثل اضطهادا نفسيا يتعرض له ، بالدرجة الأولى ، المسلمون فى الغرب بمختلف صنوفهم وهو انتهاك صارخ لحقوق الانسان . ثم هو تخريب متعمد للعلاقات الاسلامية المسيحية ، التى لا مصلحة لأى من الطرفين فى تخريبها ، بعد أن حاولت هذه العلاقات تجاوز الماضى . فأقامت جسورا كثيرة للتعاون والتفاهم والخير المشترك للجميع .

ان هذا الجو المحموم ليذكرنا بما حدث فى الأمس القريب ، حين هيج بعض ساسة أوروبا شعوبهم ضد قرار مصر بتأميم قناتها ـ قناة السويس ـ تمهيدا للعدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ بزعامة انجلترا وفرنسا ، واشتراك اسرائيل .

ولقد كان لفشل هذا العدوان فى تحقيق أهدافه آثار بعيدة المدى . يكفى التذكرة بأنه منذ ذلك التاريخ ، اعترف العالم بقوتين عظميين فقط هما : أمريكا وروسيا ، بعد أن تراجعت اثنتان من القوى الأربع الكبرى الى الصف الثانى ، وبدأ عصر التحرر الوطنى والاستقلال ، ففقدت انجلترا وفرنسا جل مستعمراتهما فى الستينات من هذا القرن . وهكذا فعل الحمقى من الساسة بامبراطورياتهم .

وان هذا الجو المحموم ليذكرنا بالأمس البعيد حين أهاج البابا ايربان الثانى ورجال كنيسته الشعوب المسيحية ضد الاسلام والمسلمين ، وأطلق صرخة الحروب الصليبية فى مجمع كلدمونت عام ١٠٩٥ ، تلك الحروب التى أدمت كل شىء طيلة قرنين من الزمان . وتركت جراحا تستكين فترة ، لتعاود الايلام فترات . ومن مظاهر ذلك ، حالة السعار السائدة فى الغرب الآن .

ومما لا شك فيه اننا امام ظاهرة اوروبية متكررة ، تفعل فعلها فى الشعوب الأوروبية ذاتها ، كما تفعل فعلها فى الآخرين .

ولقد نقلنا ، سلفا ، بعض ما قالته كارن أرمسترونج فى حديثها عن اضطهاد النساء بدعوى التشيطن ، التى اجتاحت أوروبا طيلة قرنين من الزمان ــ السادس عشر والسابع عشر ــ بسبب خوف متوهم ، تماما كما هو حادث الآن حيث يتصاعد الوهم بالتخوف من الاسلام والمسلمين. ولا مانع بالتذكير ببعض ما قالته كارن مرة أخرى :

« ان أعمال القمع فى الحضارة الغربية لا ترى ظاهرة بوضوح الا فى حالات الرعب الفجائى المتعاظم الذى يصاحب تلك الأعمال ، ويتفجر من وقت لآخر بعنف مذهل ثم يخمد فجأة ، تاركا كل شخص مرتبكا ومتحيرا من ذلك الجنون الوقتى الذى سيطر على المجتمع .. ان جنون القمع هذا لا يوجه الى مجرمين حقيقيين فى المجتمع ، أو ينزل بمن يناصبونه العداء حقا ، لكنه يصيب ضحايا يعملون كبش فداء لأمراض العصاب التى كبتها المجتمع ، ولم يكن له من وسيلة للتعبير عنها سوى هـذا الأسلوب العنيف اللاعقلانى ».

* *

أوروبا تريد أن ترتد ٩٠٠ عام !

لقد نسيت أوروبا أشياء كثيرة ... لا بد من التذكير ببعضها الآن ، قبل أن ينفلت العيار ، وينقلب العبث جدا وخطرا .

*

أولا ـ ادانة الحروب الصليبية :

لقد نسيت أوروبا أن عقلاءها وعلماءها ومؤرخيها ، بل ومبشريها ، أدانوا جميعا الحروب الصليبية .

يقول المبشر ستيفن نيل : « ان فكرة تخليص الأماكن المقدسة المسيحية من أيدى الكفرة ، لم تكن فكرة حقيرة فى ذاتها ، لكن الرجال قد حاربوا لأسباب أعمق من هذا . فقد كانت ضربة داهية من جانب البابوات لابعاد القوة التى لا تهدأ لطبقه الفرسان بعيدا عن الحروب الضروس التى استمرت تخرب أوروبا الغربية . فبالنسبة لمن سقطوا قتلى فى الأرض المقدسة ، أسبغت عليهم هالة الاستشهاد فى سبيل قضية مسيحية مزعومة . وبالنسبة لأولئك الذين عاشوا ، كان هناك الأمل فى جزاء مادى ضخم من أجل المساعى الروحية : الاستيلاء على أراض جديدة ، بعيدا عن أوروبا التى لم تكن أما كريمة بأبنائها الصغار .

ومما لا يقبل الجدل ، ان الحروب الصليبية قد علمت العصور الوسطى الأولى : فلقد أصبح المسيحيون على دراية بعالم آخر وبحضارة أكثر تقدما عن حضارتهم .

ولكن ، بعد أن نفرغ كل ما يقال فى جانب الاطراء لتلك الحروب الصليبية ، فان المسيحى لا يملك سوى الحكم بانها كانت فى مجملها كارثة لا يمكن تفادى آثارها بالنسبة لقضية المسيحية . لقد صورت الحروب الصليبية بأسلوب رومانتيكى قوامه الأساطير .. وبالنسبة لأغلب المحاربين المسيحيين ، كان المسلمون مجرد كفرة ليس لهم الحق فى الوجود ، وليس لهم عقيدة يحافظون عليها ، ويمكن ذبحهم دون شفقة أو ندم ، من أجل مجد الاله المسيحى .

وهكذا ، غشى عالم البحر المتوسط سحابة كثيبة من الكراهية طيلة القرنين اللذين انصرما بين الفتح الأول لأورشليم عام ١٠٩٩ ، وفقدان آخر معقل صليبي في عكا عام ١٢٩١ ، سحابة تلقى بظلالها على المستقبل . ولقد كانت كارثة الكوارث ، أن تلك الكراهية قد استحضرت فكرتها في الأذهان باسم المسيح »[١] .

*

ويقول لويس يونج : « في أوروبا كان يظن بأن الصليبيين أبطال . وقد أسبغت عليهم عبارات التمجيد البطولي الرومانسية . ولكنهم في الواقع ليسوا سوى أفظع زمرة سفاكة متعطشة للدماء في تاريخ أوروبا »(٢) .

*

هكذا كان الأجداد ، فهل يريد الأحفاد السير على خطاهم ؟!

* *

ثانيا ـ انتهاك حقوق الانسان عبر تاريخها :

لقد عاشت أوروبا تنتهك حقوق الانسان عبر تاريخها المثير . ويحتاج الحديث عن هذا الموضوع الى مجلدات ضخمة ، لا بضع صفحات من كتاب . ونكتفي الآن بمس هذا الموضوع الخطير في تاريخ البشرية .

* *

---

(١) S. Neil : A History of Christian Missions, pp. 113 — 114.

(٢) العرب وأوروبا : ص ١٤٨

١ ـ انتهاك حقوق الانسان الأوروبى

(أ) الأوروبى وثنيا :

لقد استخدم ملوك أوروبا وأمراءها السيف لاجبار شعوبهم على التحول الى المسيحية دون خيار آخر . وفى هذا يقول المبشر ستيفن نيل(١):
« ان شارلمان يعتبر بلا جدال واحدا من أعظم الشخصيات فى تاريخ كل من الكنيسة والعالم .. وما يهمنا فى المقام الأول هنا هو امتداد الدائرة المسيحية عن طريق غزوات شارلمان ضد السكسون .. فقد كانوا مصدر خطر عليه . ولذلك قرر أن يخضعهم لسلطانه باستخدام مزيج من القوة المسلحة والعقيدة الدينية .

فمنذ عام ٧٧٢ حتى عام ٧٩٨ ونحن نقرأ عن استمرار الغزوات المتعاقبة ، وتحول الى المسيحية ، ومؤامرات ، وأعمال قمع ..

وبمجرد اخضاع احدى القبائل الألمانية ، فان تحولها الى المسيحية كان يندرج فى بنود السلام ، كثمن يمنح نظير تمتعها بحماية الامبراطور .. وتلقى القصة الطويلة للاستشهاد والمذابح ، ضوءا شاحبا على العمليات التى تم بها أخيرا تحول السكسون الى المسيحية .

لقد سجل أنه فى احدى المناسبات ، قتل شارلمان ٤٥٠٠ سكسونى فى يوم واحد .

وتفرض قوانين الدولة عقوبات وحشية ضد أى خرق لمجموعة القواعد المسيحية ، منها :

---

(١) S. Neil : A History of Christian Missions, pp. 79 — 80; 105; 93 — 95.

ان أى سكسونى غير معمد ، يحاول ان يختبىء بين شعبه ويرفض قبول التعميد مسيحيا ، سوف يقتل » .

وفى النرويج استخدم الملك أولاف « منذ عام ٩٩٥» كل الاسلحة : المداهنة ، والخداع ، والتحريض . وعندما فشل كل ذلك فانه استخدم الأجبار المحض دون مواربة .. وفى أغلب الحالات كان الملك مستعدا عند الضرورة ان يكرههم على ابتلاع عقيدته (المسيحية) بحد السيف » .

وفى بروسيا « كان يعيش فى جنوب البلطيق وشرقه شعوب الوتدال والبروسيين واللتوائيين ، وعدد من شعوب أخرى ؛ لم تتحد جميعها الا على شىء واحد هو تصميمها على الا تكون مسيحية ..

ومهما كان تفكيرنا فى الطريقة التى اتبعت أخيرا ، فان التاريخ لا يستطيع انكار ان اضافة هذه المناطق الى العالم المسيحى كان سببه غزوات الفرسان التيوتونيين ..

لقد كان المفهوم هو أن هذه الجماعة لديها تفويض بأن تضم الى ممتلكاتها اى اراضى تستولى عليها من الوثنيين ، شريطة ان تعطى الشعب المغلوب ، التعاليم المسيحية كتعويض له عن فقد اراضيه !

وقد حدث أخيرا ، عندما عين مطارنة لتلك المناطق ، أن عدل البابا المنحة ، حيث جعل الثلثين للغزاة (الفرسان) والثلث للمطارنة..

لقد انقضت خمسون عاما فى أعمال الغزو ، وفى نهاية تلك الفترة انتهت المقاومة ، وانضمت بروسيا الى العالم المسيحى ..

لقد جاءت الى هنا كل أجهزة التبشير المسيحية فى القرون الوسطى لترافق الغزو الحربى ، وكانت بنود المعاهدة (بين الغزاة والبروسيين) أبعد ما تكون عن اعتبارها مهذبة أو صورة لنصيحة بالحسنى ..

قد يكون موضع تساؤل : الى أى مدى كان الاقتناع الداخلى متمشيا مع المظهر الخارجى للممارسات العقيدية ؟

لكنه سؤال مقلق لا يزال يتعقبنا (نحن المسيحيين) منذ حمل شارلمان السيف ليساعد على تنصير السكسون . بل انه فى الواقع يلاحقنا منذ زمن التعميد بالجملة لكلوفيس (ملك فرنسا) ورجاله فى عام ٤٩٦».

وفى المجر : « تزوج أميرها جيزا فى عام ٩٧٣ أميرة مسيحية هى أولهيد البولندية .. ومنذ ذلك الوقت فصاعدا ، فان جيزا عقد العزم على تحويل بلده الى المسيحية .

ولما كان الترغيب لم يأت بنتائج فعالة ، فانه لجأ الى وسائل اخرى غير مقبولة . ومن ثم تضاعف اعداد المتنصرين بسرعة » .

وهكذا كان تحول اوروبا الى المسيحية بالسيف الذى عمل بين شعوبها . من شرقها الى غربها ... فهذا ما يقرره مؤرخو التبشير بالمسيحية .

*

(ب) الأوروبى مسيحيا :

منذ أن صارت المسيحية الدين الرسمى للامبراطورية على عهد قسطنطين الكبير (٣٢٥ م) بدأت الكنيسة تقوى حتى جمعت فى يدها السلطتين الدينية والدنيوية ، فسيرت الجيوش الجرارة للحرب باسم المسيح ، ومنحت بركاتها للملوك والأمراء الذين خضعوا لسلطانها ، وقاتلت الذين خرجوا على ارادتها ، وقتلت حرقا وشنقا كل من اعتبرته متمردا على تعاليمها فى الدين والدنيا . ولقد كان لدعاة الاصلاح والتقدم من رجال الدين ورجال العلم النصيب الوافر من الاضطهاد والملاحقة والابادة .

لقد كان دعاة الاصلاح الدينى يعملون من أجل اعادة فتح باب

الاجتهاد في الدين على أساس احلال العقل محل النقل ، والغاء احتكار رجال الكنيسة كمفسرين وحيدين للوحي ، والغاء دور القديسين كوسطاء بين الله والناس .

أما رجال الفكر الكنسي المتشدد فكانوا على العكس من ذلك ، يرون ضرورة الاحتفاظ بالتقاليد والمفاهيم المتوارثة واطاعتها طاعة عمياء ، وأن أي مخالفة لذلك انما هي هرطقة وكفر جزاؤهما الاحراق في الدنيا رحمة بالمذنبين ، بدلا من الاحراق الأبدي في الآخرة .

ويعبر عن هذا المنطق الرهيب توركويمادا (١٤٢٠ — ١٤٩٨) ، رئيس محاكم التفتيش في أسبانيا ، الذي كان « يبرر احراق مئات الزنادقة والسحرة على الخازوق ، وتعريف الزنادقة والسحرة وكل منشق على الكنيسة الكاثوليكية أو رافض لها في العقيدة أو السلوك أو المصالح، بقوله : نحن نحرقك في الدنيا رحمة بك حتى تنقذك من النار الأبدية في الآخرة » !(١) .

ولقد كان من نتيجة تطبيق هذا الفكر الكنسي الرهيب ان تعرض الكثير للتعذيب او الاحراق او كليهما معا . ونكتفي بذكر عدد محدود جدا من رجال الاصلاح الديني ورجال العلم الذين سحقتهم الكنيسة سحقا .

١ — في عام ١٤٩٨ ، أحرقت الكنيسة الراهب الايطالي سافونا رولا الذي كان أول من بدأ حركة الاصلاح الديني في ايطاليا ، وذلك بعد قرار حرمان أصدره البابا اسكندر السادس عام ١٤٩٧ . وبعد محاكمة استمرت اربعين عاما ، استخدمت فيها كل انواع التعذيب ، اعدم واحرقت جثه مع راهبين آخرين من اتباعه المخلصين ، في فلورنسا .

٢ — وكانت « أول ترجمة انجليزية للكتاب المقدس عملت بصورة مباشرة عن الأصل العبري والاغريقي ، انما كانت من عمل وليام تندال .

---

(١) ثورة الفكر — ص ٨٩

لقد واجه معارضة مريرة ، واتهم بتعمد افساد معنى الكتاب المقدس ، وأمر باحراق تراجمه للعهد الجديد باعتبارها تراجم زائفة .

واخيرا ، سلم ليد اعدائه ، حيث تم اعدامه على رؤوس الأشهاد حرقا بالشد على الخازوق ، فى أكتوبر ١٥٣٦ » .

٣ ـ وفى عام ١٥٥٣ ، احرقت الكنيسة ، فى جنيف ، ميخائيل سارفيتوس الأسبانى ، ومعه كتابه : اعادة بناء المسيحية .

٤ ـ وفى عام ١٦٠٠ ، احرقت الكنيسة جوردانو برونو ، فى ميدان الأزهار (كامبو دى فيورى) بروما .

وكان من بين التهم الموجهة اليه : الزندقة والردة . والدعوة لنظرية كوبرنيك فى الفلك القائلة بان الأرض ليست مركز الكون ، وان الكواكب تدور حول محورها وحول الشمس ، وهو ما يتنافى مع الجغرافيا والفلك كما استخلصتهما الكنيسة من الكتاب المقدس ومن أعمال أرسطو وبطليموس الجغرافى . وكان من التهم أيضا ، الاشتغال بالسحر ، ويدخل فى هذا الباب الدعوة الى العلم للسيطرة على الطبيعة .

٥ ـ وفى عام ١٦٤٢ مات الفلكى جاليليو فى عزلته كمدا ، بعد ان اصيب بالعمى . فقد حاكمته الكنيسة ، وحكمت عليه بتحديد اقامته بعد ان اعلن تبرأه من مفاهيمه العلمية حول الأرض وحركتها ، والشمس والكون . فقال فى اعترافه أمام المجمع المقدس عام ١٦٣٣ : (أستنكر هذه الأخطاء والزندقات المذكورة ، وبوجه عام كل الأخطاء والزندقات والمعتقدات المتعارضة مع الكنيسة المقدسة) .

هذا ـ ولسوف نصرف النظر عن الحديث عن الاضطهادات الدينية التى تعرضت لها الجماعات الدينية ، وخاصة ما كان بين الكاثوليك والأرثوذكس ، ويكفى التذكرة بأن الحملة الصليبية الرابعة

خربت القسطنطينية التى فرح العالم الكاثوليكى باخضاعها ، اذ كان يسميها المدينة الملحدة ! وقد ابتهج **البابا انوسنت الثالث** ، وأعلن فى رسالته الى بلدوين — الذى جرى تتويجه امبراطورا صليبيا فى كنيسة القديسة صوفيا — بأنه يطرب **(لما صنعه الله)** ، وأعلن موافقته دون تحفظ . وأما ما كان بين الكاثوليك والبروتستانت فجرائمه كثيرة ومتبادلة ، وتاريخه مرير ، يحفظه الغرب المسيحى جيدا .

**

٢ — انتهاك حقوق اليهود

عاش اليهود فى أوروبا المسيحية يعانون الاضطهاد والتعذيب والطرد طبقا لما تتوارثه المسيحيون عبر القرون من تعاليم كنسية . ولم تقف اللعنة التى ظلت تطارد اليهود — ازاء موقفهم العدوانى من المسيح حسبما تقول الأناجيل ورسائل التلاميذ — الا بعد الحرب العالمية الثانية . وكانت خطوة حاسمة فى هذا السبيل ، تلك التى اتخذها **البابا يوحنا الثالث والعشرون** (اعتلى كرسى البابوية من أكتوبر ١٩٥٨ الى يونيو ١٩٦٣) وذلك بحذف عبارة عدائية من صلاة الجمعة الحزينة تتحدث عن **اليهود الملعونين** ، تداولتها **الكنيسة** عبر القرون من مفاهيم الانجيل ، مثل قوله : « **اجاب جميع الشعب وقالوا : دمه علينا وعلى أولادنا** — متى ٢٧ : ٢٥ » .

وكذلك من وصف **بولس** لليهود **أعداء الانسانية** ، وأن غضب الله عليهم الى النهاية ، وذلك فى قوله : « اليهود الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياءهم واضطهدونا **نحن وهم غير مرضين لله ، واضداد لجميع الناس** . يمنعوننا عن أن نكلم الأمم لكى يخلصوا ، حتى يتمموا خطاياهم فى كل حين . ولكن **قد أدركهم الغضب الى النهاية** — تسالونيكى ١ : ١٤ — ١٦ » .

وفى نظرة سريعة على أهم الأحداث فى تاريخ الشعب الاسرائيلى ،

منذ صارت المسيحية الدين الرسمى للامبراطورية الرومانية وما تلا ذلك من اقامة ممالك ودول مسيحية فى أوروبا ، منذ صار للمسيحية سيف تقاتل به ، نجد مسلسل اضطهاد أوروبا لليهود يسير كالآتى[1] :

٥٣٧ م مرسوم جستنيان بحرمان اليهود من الحقوق المدنية وحرية العبادة .

٦١٣ ملك القوط الغربيين يجبر اليهود فى أسبانيا على اعتناق المسيحية .

٦٢٩ اجبار اليهود على التعميد ، وطردهم من فرنسا تحت حكم الملك داجوبرت .

٦٩٤ تحويل جميع اليهود فى أسبانيا وبروفانس الى عبيد .

١٠٩٦ مذابح للطوائف اليهودية فى أوروبا ، ابان الحملة الصليبية الأولى .

١٠٩٩ طرد اليهود المقيمين فى أورشليم بعد سقوطها فى يد الصليبيين

١١١٣ أول مذبحة لليهود فى كييف بروسيا .

١١٨٢ ــ ١١٩٨ طرد اليهود من فرنسا على عهد فيليب الثانى (أوغسطس) .

١١٨٩ مذبحة لليهود فى انجلترا ، ابان الحملة الصليبية الثالثة .

١٢٥٤ طرد اليهود من فرنسا فى عهد القديس لويس (التاسع) .

١٢٩٠ طرد اليهود من انجلترا .

١٣٣٠ ــ ١٣٣٨ انتشار الطاعون يؤدى الى مذابح لليهود ، اعتقادا بأنهم سبب الوباء .

١٣٩٤ الطرد الأخير لليهود من فرنسا على عهد شارل السادس .

١٤٢١ طرد اليهود من فيينا .

---

(1) David Catarivas : ISRAEL, pp. 177 - 178.

١٤٨١ محاكم التفتيش .

طرد اليهــود من أسـبانيا ١٤٩٢ ، ومن لتوانيـــا ١٤٩٥ ، ومن البرتغال ١٤٩٨

١٥١٦ بناء أول جيتو فى فينيسيا .

١٥٥٣ البابا يحرق التلمود فى روما .

١٥٦٣ ــ ١٦٥٦ مذابح لليهود فى أوكرانيا ، وألمـــانيا ، وبولندا ، والنمســـا .

١٦٧٠ طرد اليهود من فيينا .

١٧٤٠ طرد اليهود من براغ .

١٧٦٨ مذابح لليهود فى أوكرانيا .

١٨٢٧ القيصر نيقولا الأول يأمر بتحويل أطفال اليهود اجبـــاريا للمسـيحية .

١٨٩١ طرد اليهود من موسكو .

١٩١٨ ــ ١٩٢١ نشر بروتوكولات حكماء صهيون .

١٩٣٦ ــ ١٩٤٠ سن تشريعات معاداة السامية فى رومانيا وايطاليا والنمســا .

١٩٣٩ ــ ١٩٤٥ الحرب العالمية الثانية . مذابح لليهود .

*

ان فكرة معاداة السامية اختراع أوروبى ، لا علاقة له من قريب أو بعيد بالعرب ، لأنهم واليهود أبناء عمومة ، ويعتبرون ، وفق روايات الكتاب المقدس ، أمة سـامية .

ولا علاقة بين المسلمين واضطهاد اليهود وتعذيبهم ، فالثابت تاريخيا ان عصور ازدهار الطوائف اليهودية كانت دائما فى ظل الحكم الاسلامى . ولدينـا فى هــذا المقـام شـهادات وردت فى مرجـع هـام هــو :

اطلس اسرائيل الحديث ، الذى وضعه : البرنامج الاسرائيلى للترجمات العلمية ، وطبع بمطابع جامعات اسرائيل بالقدس فى عام ١٩٦٨ ، ويعتبر بهذا وثيقة اسرائيلية رسمية ٠

تقول هذه الوثيقة :

« سيطر المسلمون سيطرة كاملة على فلسطين كلها ما بين سنة ٦٣٦ وسنة ٦٤٠ عندما كانت تحت الحكم البيزنطى . ووجد المسلمون جماعات يهودية مبعثرة تعيش فى حالة فقر مدقع نتيجة للقيود والاضطهاد الذى مارسته الأجيال السابقة . وكانت مصادر عيشهم محدودة . وكانوا يكتسبون عيشهم فى المدن بممارستهم للتجارة أو الاشتغال بالأعمال الحرفية . ولم يكن لهم سوى نصيب قليل فى الادب والثقافة .

وعلى مر الزمن ، استعمل يهود فلسطين كثيرا من طرق جيرانهم بما فى ذلك لغتهم ، وأصبح يطلق عليهم أشباه العرب أو المستعربين ٠

واذا ما قورن الفاتحون العرب فى فلسطين بغيرهم من الحكام الطغاة السابقين ، نجد ان العرب كانوا يعاملون الرعايا اليهود بقدر كبير من السماحة ، بل والعطف عليهم ٠٠

وفد حاملو الصليب من البلاد الأوروبية المختلفة ٠٠ ثم توجهوا رأسا الى هدفهم المقدس وهو مدينة أورشليم ٠٠ واستولوا عليها بعد اراقة كثير من الدماء ٠ وذبح فى هذه المعركة السواد الأعظم من يهود اورشليم ٠٠

وعندما اصبح للمسيحيين اليد العليا فى الموقف ، قاموا بمذابح لا رحمة فيها بين اليهود ٠

وقد حضر الى فلسطين العالم اليهودى والفيلسوف الكبير ميمون بن موسى فى سنة ١١٦٥ ، ولكنه ذهب الى مصر بسبب القلاقل التى كانت تعم البلاد فى تلك الأثناء ٠ وفى مصر قضى احسن سنى حياته الخلاقة ٠٠

ان المماليك المسلمين ، هم الذين طردوا الصليبيين فى النهاية وحلوا محلهم فى السيطرة على فلسطين . وكان المماليك يعطفون على اليهود ويحسنون معاملتهم . وساد الرخاء بين الطائفة اليهودية فى فلسطين ايام حكمهم ..

وفى ايام حكم المماليك ساد السلام والهدوء ربوع البلاد . وكان هناك سيل لا ينقطع من الحجاج المسيحيين واليهود ..

وقد استولى المسلمون الأتراك على البلاد من المسلمين المماليك فى سنة ١٥١٧ . وفى عهدهم استمرت الطائفة اليهودية فى النمو والازدهار .. وفتح السلطان سليمان الكبير طبرية وقرى كثيرة أخرى بالقرب منها لاقامة اليهود واستقرارهم فيها ..

وفى سنة ١٨٣١ غزا البلاد الجيش المصرى بقيادة ابراهيم باشا بن محمد على . وفى عهده ازدهرت المدن اليهودية فى فلسطين » .

بعد هذا : من يجرؤ على التنكر او الانكار ؟!

* *

٣ — انتهاك حقوق المسلمين

(أ) من الماضى :

هو حديث طويل يتعذر تقصيه فى صفحات ، لكن ملامحه الرئيسية يحددها مثال متكرر عبر القرون ، يرينا كيف يعامل المسيحيون المسلمين عندما يكون السلطان بيد المسيحية . انها قصة اضطهاد دموى غشوم . من أمثلته ما حدث بالأندلس بعد سقوط غرناطة عام ١٤٩٢ م . فلقد توالت القوانين الجائرة لاستئصال بقايا العرب والمسلمين فى الأندلس . ومنذ عام ١٥٠١ أجبر المسلمون على التنصر . وكان الاعدام تصيب كل من يمارس فى الخفاء تعاليم الاسلام ، أو تلقين أولاده مبادىء الدين ولغتهم العربية . وأمام هذا القمع الأعمى والارهاب المطلق . تظاهر

المسلمون ابتداء من عام ١٥٢٦ باعتناق المسيحية . وقد ظلوا على هذا الحال أكثر من قرن ، يخفون دينهم فى قرارة أنفسهم ، ويلقنونه أبناءهم بكامل السرية والحذر .

وقد أنشئت فى تلك الفترة دواوين التفتيش لتعقب المسلمين والتجسس على من تنصر منهم ، وتسليط أشد العقوبات عليهم ومن بينها الابادة الجماعية . وفى تلك الفترة أصدر المفتش العام **دون الفونسو مانريك** قائمة بسائر المظاهر التى تدين صاحبها بالتلبس بممارسة شعائر الاسلام ، وبالتالى تبيح أن ينزل به أشد العقوبات فتكا وارهابا . وكانت تعلق تلك القوائم فى الكنائس والساحات العامة ، وتحرض المسيحيين الأسبان على الوشاية بكل من يشتبه فى تشبثه بالاسلام .

ونقرأ فى هذه القائمة :

« لكل ما يتعلق بالملحدين المحمديين . اليكم المظاهر والأشياء التى يجب الاخبار عنها :

اذا قيل ان المسيح كان نبيا ، وليس الها ، وان والدته لم تكن عذراء !

ان سمعنا أو رأينا أن المسيحيين الذين تم تعميدهم ، يقومون ببعض طقوس أعياد الدين المحمدى ، مثل الاحتفال بيوم الجمعة وتزيبهم بقميص نظيف وألبسة أحسن من بقية الأيام الأخرى .

اذا ذبحوا الدواجن والحيوانات قاطعين العنق بالسكين ، وقائلين : باسم الله .

اذا رفضوا أكل لحم الحيوانات غير المذبوحة .

اذا ختنوا أبناءهم أو لقبوهم بأسماء عربية .

اذا قالوا انه يجب الايمان بالله وبمحمد نبيه .

اذا حلفوا بكل الآيات القرآنية .

اذا قاموا بصيام رمضان ، وأنهم لم يأكلوا أو يشربوا حتى يلاحظوا النجمة الأولى ، ووزعوا بعض الصدقات .

اذا قاموا بالسحور . واستفاقوا ليأكلوا قبل طلوع النهار ، أو غسلوا أفواههم ورجعوا الى فراشهم .

اذا قاموا بالوضوء وغسلوا السواعد والأيدى حتى المرافق . والوجه والفم والأنف والأذنين والقدمين والأعضاء الجنسية .

اذا قاموا الى الصلاة وحولوا وجهتهم نحو المشرق .

اذا احتفلوا بعيد الأضحى بعد قيامهم بالوضوء .

اذا تزوجوا على النهج المحمدى .

اذا غنوا الأغانى العربية ونظموا حفلات أو رقصات وغنوا بآلات موسيقية ممنوعة .

اذا احترموا تعاليم الاسلام الخمسة .

اذا غسلوا موتاهم ولفوهم فى كفن من قماش أبيض ودفنوهم فى قبر عميق وأضجعوهم فيه ، واضعين حجارة تحت رؤوسهم .

اذا قالوا أو فعلوا أى شىء مرتبط بالدين المحمدى » .

ويكفينا **جوستاف لوبون** التعقيب على أحداث تلك الحقبة الحالكة بقوله فى كتابه « **حضارة العرب** » :

« يستحيل علينا ان نقرا دون ان ترتعد فرائصنا من قصص التعذيب والاضطهاد التى قام بها المسيحيون المنتصرون على المسلمين المنهزمين .

فلقد عمدوهم عنوة ، وسلموهم لدواوين التفتيش التى أحرقت منهم ما استطاعت من الجموع . واقترح القس **بليدو** قطع رؤوس كل العرب دون أى استثناء ممن لم يعتنقوا المسيحية بعد ، بما فى ذلك النساء والأطفال .

وهكذا تم قتل أو طرد ثلاثة ملايين عربى ، كانوا يشكلون النخبة الفكرية والصناعية فى أسبانيا . وهكذا انطفأت حضارتهم الوهاجة التى ظلت تشع على أوروبا منذ ثمانية قرون » .

ويقول المؤرخ الأمريكى درايبر فى كتابه « النمو الثقافى فى أوروبا » :
« ما أن رسخت أقدام العرب فى أسبانيا حتى شرعوا فى عملهم الفريد الوضاء . وأصبح خلفاء قرطبة أكبر حماة للعلوم . واقاموا الدليل على سمو ذوق يتناقض بصورة صارخة مع بدائية الأمراء الأوربيين . وتحت ادارة هؤلاء الخلفاء بلغت قرطبة أوج ازدهارها . فبعد غروب الشمس ، يمكن للمرء بها أن يقطع عشرة أميال فى شوارع مستقيمة مضاءة بالفوانيس .

وبعد سبعة قرون من ذلك لم تكن لندن عرفت بعد الاضاءة العمومية . وكانت شوارع قرطبة مبلطة بطريقة جيدة . وبعد اربعة قرون من ذلك لم يكن الباريسى يستطيع ان يخطو عتبة بيته دون ان يغوص فى الوحل الى كعبه .

ان العرب لم يحملوا معهم الى اسبانيا : لا الأحقاد الطائفية او الدينية، ولا محاكم التفتيش ، وانما حملوا معهم أنفس شيئين فى العالم ، هما أصل عظمة الأمم : السماحة والفلاحة » .

وبمناسبة اضاءة شوارع المدن الاسلامية ليلا ، تذكر الدكتورة سيجريد هونكه ، أنه عندما بدأت اضاءة الشوارع فى المانيا ، فى مطلع القرن التاسع عشر ، صدرت « جريدة كولونيا الألمانية ، تصف اضاءة الشوارع بمصابيح الغاز فى عددها الصادر يوم ٢٨ مارس سنة ١٨١٩ بانه شر مستطير من البشر ، يهدد الظلام الالهى » !

*

(ب) من الحاضر :

منذ خمسين عاما ، اشتعلت الحرب العالمية الثانية ... وهى حرب أوروبية مائة بالمائة ، كان حريا بمن أشعلوها نتيجة طموحاتهم أو أخطائهم ، أن يقصروها على شعوبهم وبلدانهم . لكن دنيا السياسة لا تعرف حقوقا ولا ترتبط بواجبات . فلقد وضع ميكيافيلى (١٤٦٩ ــ ١٥٢٧) نظريته فى أن : الغاية تبرر الوسيلة . فجرد السياسة من الأخلاق . ولا مانع بعد ذلك أن تتردى السياسة الى السفالة والقهر والارهاب . فالأمير المرهوب أفضل ، عنده ، من الأمير المحبوب .

لقد عاصر جيلنا تلك الحرب الضروس ، التى امتدت ليكتوى بنيرانها العالم القديم كله . فى تلك الأثناء كانت جميع البلدان الاسلامية ، عدا بلدا أو بلدين ، خاضعة تماما للاستعمار الأوربى : من المحيط الأطلسى غربا الى الأرخبيل الأندونيسى شرقا . وهذا الاستعمار ظاهرة ــ كما يقول الدكتور لويس عوض ــ « اقترنت بالحضارة الغربية الحديثة ، وانتهت بنزح ثروات العالم وكنوزه وتكديسها واستغلالها فى أوروبا ، فى الانتاج والخدمات ، وفى مزيد من البحث والاقتحام » .

لقد أكلت هذه الحرب شباب العالم الاسلامى ، واستنزفت خيرات بلاده ، سواء فيما وراء البحار ــ كما يقولون فى أوروبا ــ فى المراحل الأولى من الحرب ، أو خلال المعارك الدموية فوق أرض أوروبا ذاتها خلال مراحلها الأخيرة . ان وثائق الحرب فى لندن ، وباريس ، ولاهاى ، وروما ، وغيرها ، خير شاهد على ذلك .

بل دعنا من الوثائق وما فيها ، فهذه يمكن اخفاؤها والعبث بها ، فلدينا ما هو أقوى من ذلك آلاف المرات ... انه الواقع الملموس بجميع حواس الانسان .

لقد نقلت أوروبا صراعاتها الدموية الرهيبة الى شعوب مستعمراتها وهكذا . تجد احدى البلاد التى احتلتها انجلترا سابقا . وهى مصر . قد

اكتوت بنار الحرب العالمية ، حرب فرضت عليها فرضـــا ، فأجبرت على التعرض للخســـائر والدمار طيلة سنواتها ، ولا تزال تعانى الى الآن من آثارها التخريبية ، ولو جاءت لجنـــة من دول السوق الأوربيـــة المشتركة لتعاين آثار حروبها المدمرة الى الآن لتقدر تعويضات مناسـبة لمصر ، وسارت على أرض الســاحل الشمالى المصرى فى منطقة العلمين وما حولها ، فلن تعود تلك اللجنة أبدا ... ستنسفها ألغام الحرب التى زرعها الانجليز والألمـــان ... تلك الألغام التى يحصد المصريون ثمارها بازهاق الأنفس كل يوم ... وفى نفس الوقت تحرمهم من زراعــة أكثر من ٢ مليون فدان ، مساحة هائلة يكفي أن نعلم أنها تساوى ثلث مساحة الأرض الزراعية بمصر ، فهى مساحة كانت كفيلة بتوفير احتياجاتهم من القمح ، ذلك المحصول الاستراتيجى ، الذى صـــار واحدا من أسلحة الاستعمار الجديد ...

لقد كانت مصر فى المـــاضى مزرعة القمح الرئيســـية للامبراطورية الرومانية الجبارة ، فاذا بها الآن تستورده لتأكل ... !

ومع ذلك ، فان صوت القوة الغشوم والاستعلاء المتعصب لا يزال يزعم كل صباح : أنها حضارة حقوق الانســـان ... !

وماذا ، فى أوروبا ، بعد انتهاء الحرب ؟

ما كان غير الأيدى العاملة الرخيصة والمطيعةمن شـــباب العـــالم الاسلامى وبقية العالم الثالث ، ليقوم بعمليات اعادة بناء أوروبا وتعميرها. فلقد جنـــد هؤلاء واستدعوا من أوطانهم ليحملوا أعباء البناء من أجل السلام ، كما حملوا أعبـــاء الحرب والقتال ، لقـــد جاءوا من نيجيريا والسنغال وغينيا ... ومن المغرب والجزائر وتونس ... ومن تركيـــا وايران وشـــبه القارة الهندية والملايو وأندونيسيا ... جاءوا من كل مكان الى أوروبا ليعملوا بها ، وحصـــلوا على جنسيات البلدان التى إستقروا فيها ، حتى اذا انقضت بضع عقود من السنين ، هـــدأت فيها

الحرب الباردة بين الشرق والغرب ، واستعاد الاقتصاد الأوربى قوته ، وقاربت أوروبا تحقيق وحدة قوية بينها ، خطط لها عام ١٩٩٢ ، انطلقت أصوات انتهازية تتنكر لدائنيها ، وتدعو لطرد أولئك الغرباء عن النسيج الأوروبى المتميز !

ان هذا وحده خير برهان ، لمن هو فى حاجة الى برهان ، على أن من يدينون بالمسيحية لا يعرفون التعايش السلمى بين الأديان . وحين تكون لهم اليد الطولى فى مجتمع ما ، فاما خضوع من الكل لتقاليدهم وممارساتهم ، واما صدام لا مفر منه .

لقد استنفدت أوروبا أغراضها منهم ، ولم تعد بحاجة اليهم ، فليذهبوا الى أى مكان ، وليكن الجحيم ... ! لا يهم ، فالأمر سيان ... أليس هذا ما جاء فى سفر (الأمير) : **السياسة سفالة** ... أو كما قال ... !

الادهى والأمر ، انهم يعطوننا دروسا فى حقوق الانسان ... !

*

٤ ـ انتهاك حقوق شعوب المستعمرات

تعتبر افريقيا خير مثال لدراسة الاستعمار وما ارتبط به من انتهاكات فظيعة لحقوق الانسان . فهذه القارة قد تعرضت لمختلف أنواع الاستعمار بخصائصه المختلفة ، فذاقت ويلات الاستعمار : الانجليزى والفرنسى والايطالى والأسبانى والبرتغالى والبلجيكى والهولندى والألمانى . وهى الوحيدة التى لا تزال بها الى الآن جيوب استعمارية ، فى نصفها الجنوبى ، لم تتم تصفيتها بعد .

وقد قام القس جاك مندلسون بجولة تبشيرية فى افريقيا فى الستينات من هذا القرن ، تعرف فيها على مشاكل القارة وارتباطها بالتبشير الذى عمل مخلب قط للاستعمار .

تقول جاك مندلسون : : « حينما تكون حالة الشـبان الافريقيين سعيدة ، فانهم لا يتعبون من ترديد القصـة القـديمة : ان المبشرين جاءوا الينا وقالوا : انما نريد أن نعلمكم العبادة . وقلنا : حسنا . أننا نريد أن نتعلم العبادة .

وطلب المبشرون منا ان نغلق اعيننا ، وفعلنا ذلك وتعلمنا التعبـد .
وحينما فتحنا اعيننا ، وجدنا الانجيل فى يدنا ووجدنا اراضينا قد اغتصبت .

وهناك أيضا تلك الكلمات المريرة ، كلمات تكررت بلا توقف فى افريقيا كلها : ان حركة التبشير المسيحية كانت محاولة لاخماد الروح الافريقية .

ان ما تدعيه المسيحية من معاملة الناس بالحسنى لا معنى له ، لان المسيحية قد ثبت عمليا انها دين مشاغب . فكل ملة تهاجم الأخرى ..
ان المبشرين مذنبون باكبر خداع حماسى لجذب النـاس للعمـل الارسالى .. انهم وكلاء لسـوء التمثيل الخـارجى .. انهم كانوا ذئابا فى جلود نعاج .. ان المسيحية كانت جزءا من خداع افريقيا » .

ولقد عقب مندلسون على ذلك بقوله : « ان المبشر مهما اعتقـد أن هـدفه مختلف عن المسـتكشف والمسـتوطن والوكيـل التجـارى والموظف الادارى . فان الافريقى راى فيهم جميعا مشروعا مشتركا .
ولم يكن الافريقى مخطئا فى تقديره .. فالمسيحية ، وقد طبع عليها الاستعمار طابعه ، اصبحت فى موقف شديد الحرج »(١) .

ويقول المبشر ستيفن نيل : «فى القرن التاسع عشر ، خضع المبشرون الى العقد الاستعمارية التى تقول بأن الرجل الغربى فقط هو الانسـان

---

(١) الرب والله وجوجو : جاك مندلسون ، ص ٢٩ ، ١٩٦

بكل ما تعنيه هذه الكلمة . لقد كان عاقلا وطيبا ، على أنه يجوز للأجناس الأخرى (غير الأوربية) أن تشارك فى هذه الحكمة والطيبة بالقدر الذى تصطبغ به من نظم الحياة الغربية لكن الرجل الغربى كان هو القائد ، ولسوف يبقى هكذا ازمن طويل ، وربما الى الأبد ..

فحتى عام ١٩١٤ لم يكن لدى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية اى أسقف من اصل غير أوروبى سوى اربعة ..

وعندما أثار شاب بلجيكى ، هو القس فنسنت لب ، السؤال عما اذا كان الوقت لم يحن بعد لخلق أسقفيه وطنية فى الأقاليم الأخرى ، فانه واجه معارضة شديدة لاحقته فى كل مكان ، تقول : انه طالما كان الجنس الأبيض فى استطاعته ان يقدم موردا لا ينضب من الأساقفة ، فان لا يمكن أن يوجد رجل واحد من الأجناس الصفراء والحمراء والبنية والسوداء ، يستطيع حمل ثقل الأسقفية ..

وفى امريكا ، كان المبشرون شهودا على مأساة الهنود الحمر . ان ايا من بريطانيا وفرنسا وهولندا ، لا يمكنها التنصل مما حدث . لقد كان الأسلوب اللاانسانى الذى أقحم به الرجل الأبيض ، ذلك الهندى الأحمر فى صراعاته الخاصة ، مثيرا الهندى ضد الهندى ، والهندى ضد الأوربى ، انما يمثل مرحلة من اكثر مراحل التاريخ الاستعمارى خزيا وعارا .

وأسوأ من ذلك هو تطبيق مبدأ : اشرب الخمر ، ودع الشيطان يتكفل بالتالى .

فان الهندى الأحمر لم يستطع مقاومة اغراء خمر الرجل الأبيض الملتهبة . وهنا ، كما فى اى مكان آخر ، نجد ان تغذية الشعب البدائى بالكحول ، يعادل القتل مع سبق الاصرار »(١) .

* *

(١) S. Nei : A History of Christian Missions, pp. 259 , 202.

٥ ـ انتهاك حقوق المسيح

وأخيرا ، فانه لمما يزيد فداحة هذه المظالم والجرائم التى ارتكبت عبر القرون ، أنها ألصقت ظلما وعدوانا باسم (**الانسان يسوع المسيح**) . كما سماه بولس فى رومية ٥ : ١٥

ان المسيح براء من كل ما حدث باسمه من حروب وانتهاكات ومظالم . وهو قد تبرأ من هؤلاء وهؤلاء ، ويوم القيامة يقول لهم جميعا : « **انى لم اعرفكم قط . اذهبوا عنى يافاعلى الاثم** ـ متى ٧ : ٢٣ » .

هنالك ، يجمعون « جميع المعاثر وفاعلى الاثم ، ويطرحونهم فى اتون النار . هناك يكون البكاء وصرير الاسنان ـ متى ١٣ : ٤١ ـ ٤٢ » .

* * *

قضـية الدجـال الهنـدى

● **النشـأة والخلفيـة :**

ولد سلمان رشدى فى بومباى بالهند سنة ١٩٤٧ ـ عام التقسيم وانشاء الدولتين : الهنـد وباكسـتان ـ من أب هنـدى يدعى أنيس رشـدى ، مرتد عن الاسلام ، وتلقى تعليمه الأولى فى احدى مدارس التبشير المنتشرة آنذاك فى الهنـد ، حيث كان المبشرون يقـدمون له ولزملائه الطعام والكسـاء وغيره لاستمالتهم ، فشرب فى هذه السن المبكرة كراهية الاسـلام وكل ما يتصل به ، وهكذا تضـافر البيت والمدرسـة فى بناء شخصيته مهتزة ، صلتها بالاسـلام مجرد تسمية تثبت فى شـهادة ميلاد أو بطاقة شخصية ، وعوامل انتزاعها من الاسلام أقوى وأبقى من عوامل ادخالها فيه .

ولمـا كانت بلده تعانى أزمات اقتصادية بسبب خضوعها للاستعمار مئات السنين ، وأخيرا بسبب الحرب بين الهند وباكستان ، فقـد كانت أسرته ضمن من هاجر الى انجلترا سـعيا للرزق ، وهناك التحق بالتعليم الثانوى ، ثم بكلية الملك فى جامعة كمبردج .

وبعد تخرجه بحث عن وظيفة مناسبة هناك فلم يجد ، فقرر العودة الى موطنه الأصلى ، شبه القارة الهندية ، ولكن هذه المرة الى باكستان ، حيث أتيحت له فرصة عمل فى التليفزيون ، بيد أن روائح الكفر والزندقة والطعن فى الاسلام بدأت تفوح منه ، ففصل من عمله ، وعاد الى لندن يجر أذيال الخيبة والاحباط بعـد أن امتلا قلبه حقـدا على الاسـلام والمسلمين ، وأخيرا وجـد عملا فى احـدى وكالات الاعلان ، أعطتـه دخلا ثابتا استطاع معه أن يتجه الى التأليف الروائى .

وفى عام ١٩٧٥ أصـدر روايته الأولى : جريموس ، وعمره آنذاك ٢٨ عاما ، فلم يلتفت اليها أحـد ، فماتت فى مهـدها وأصـابه لذلك احباط شديد ، ثم تزوج بعد ذلك بفتاة انجليزية تدعى كلاريسا لوارد ،

وعن طريقها تعرف الى الناشرين ، فأصدر روايته: اطفال منتصف الليل ، وصف فيها حال الأولاد الذين يدخلون الحياة وقلوبهم خاوية من الايمان والقيم الأخلاقية ، ويأتون الى عالم ملىء بالمتناقضات . ولقد قال عن نفسه : انه يشبه احدى شخصيات هذه الرواية ، ففى داخله ثقب لم يبق قطرة واحدة من الايمان عنده .

ولقد أثارت روايته ضده ضجة فى الهند ، اذ كانت توجه نقدا عنيفا لسياسة السيدة أنديرا غاندى الخاصة بتعقيم الرجال ، فأدلت بتصريح تتوعد فيه صاحب الرواية بتقديمه الى القضاء . وفى تلك الأثناء منحته انجلترا جائزة بوكر ، وكأنها تغيظ الهند ــ الدولة المستقلة ــ والتى كانت يوما ما احدى مستعمراتها . لقد بدأ يطفو على السطح ، فها هى روايته : اطفال منتصف الليل ، تثير ضجة فى موطنه الأصلى ، الهند ، وها هو يمنح عليها جائزة فى موطن هجرته ، انجلترا .

بعد ذلك كتب رواية بعنوان : العار ، وانتظر أن يحصل بها على جائزة بوكر ، الا أن لجنة التحكيم أسقطتها من الفوز .

ثم ما لبث ان طلق زوجته الانجليزية ، وتزوج كاتبة امريكية اسمها ماريان ويجينز ، لعلها تؤدى نفس الدور مع الناشرين الأمريكيين.

وبالرغم من تعرفه الى كثير من الناشرين فى انجلترا والولايات المتحدة ، وتعرفهم الى ما تتضمنه كتاباته من حقد دفين على الاسلام والمسلمين وتشجيعهم لاتجاهه هذا ، الا أنه ظل مغمورا ، بعيدا عن أضواء الشهرة العالمية التى التى كان يحلم بها[1] .

ثم كانت روايته : آيات شيطانية ، التى تجرد فيها من كل حياء ، وقذف بنفسه عاريا ، أمام الجميع ، فى مستنقعات الكفر والفجور والأكاذيب ، فعبث بكل المقدسات ، ومن بينها المقدسات المشتركة بين

---

(١) آيات سماوية : الدكتور شمس الدين الفاسى ــ ص ١١ ــ ١٤

اليهود والمسيحيين والمسلمين : ابراهيم خليل الله ، ابو الانبياء • والأب الروحى لأصحاب الديانات الثلاث ، كما عبث بملائكة الله فى السماء • وعلى رأسهم جبريل أمين الوحى وأمين العرش • اضافة ـ بطبيعة الحال ـ الى عبثه بمقدسات الاسلام •

لقد انتهى هذا الدجال الهندى من تأليف روايته الشيطانية هـذه فى سـنة ١٩٨٨ ، ونشرتهـا له دار فايكنج برس ، وظلت راقـدة فى المكتبـات لا تتحرك ، ولا تمتـد اليها يدى قارىء • ثم ما لبثت دار فايكنج برس أن تخلصت منها ، فباعتها الى دار بنجوين وبقى الحـال كما هو عليه من ركود تلك السـلعة البائرة ، الى أن تنبه المسـلمون الى ما فيها من فحش وأكاذيب • وتعريض فاجر بمقدسـات الاسـلام والمسلمين ، فتحركوا لوقفها • لكن المتآمرين كانوا يتوقعون هـذا ، فحشدوا طاقات اعلامهم لاثارة الغرب المسـيحى كله ضـد الاسـلام والمسلمين • وخاطبوا وجدانه وما استقر فيه من كراهية وعداء دفين • فانطمست الأبصـار وعميت البصائر • وفى هذا الجو المشحون ، فقد العقل سـلطانه ، وتحول المجرم الحقيقى • سـلمان رشـدى ، الى ضحية برىء • ووقف الغرب جميعا يعلن حمايته تحت شـعار براق ، استخدم بخداع ، هو : حماية حقوق الانسان ، ومن بينها حقه فى حرية التعبير ••• !

* *

● عاصفة كان يمكن تفاديها :

« عندما صدر الكتـاب فى بريطانيـا ، حـاولت اللجنة المتحركة للشئون الاسلامية هناك اللجوء الى القضاء الانجليزى للاحتكام ضـد الروايـة • فاتضـــح لها أن القـانون الانجليزى يحمى فقط المذهب المسيحى الانجليكانى • فحاولت اللجنة بعد ذلك مفاوضة الناشر على أسـاس أن يكتب على غلاف الرواية عبارة : (هـذا الكتـاب يسىء الى الاسلام) • كالعبارات التى تكتب على السجاير وتحذر من التدخين ولكن الناشر رفض •

وأمام المعارضة الاسلامية ، قررت احدى دور النشر البريطانية منح الكتاب جائزة أدبية واخراجه فى طبعة شعبية . عندئذ قامت المؤتمرات الشعبية الاسلامية بمناقشة الحل الأمثل لمواجهة هذا التحدى . فتوجهوا الى أسقف احدى الكنائس بمدينة برادفورد ، وقام مجلس مساجد برادفورد بتقديم احتجاج الى الأسقف وطالبوه بأن يستخدم نفوذه ويناشد الحكومة البريطانية وناشرى الكتاب عدم نشره ، ولكن لا جدوى . فقامت الجماهير الاسلامية بشراء الكتاب من الأسواق وأحرقته ، ولكن المطابع فى استطاعتها أن تنتج المزيد .

فقام سكرتير اتحاد المنظمات الاسلامية فى لندن بتوجيه خطاب الى السيدة رئيسة مجلس الوزراء ، يدعوها فيه : (**من منطلق الحرص على المقدسات الدينية**) الى الأمر من موقعها كمسئول رئيسى (**باتخاذ اجراءات قانونية ضد الرواية ومؤلفها**) .

ثم قام سفراء كل من باكستان وقطر والصومال بتقديم طلب الى وزارة الداخلية البريطانية ، يطالبون فيه باتخاذ اجراء حاسم نحو الرواية .

واخيرا جاء اعلان من القصر الملكى : (ان الكتاب لا يعرض لعمل يعاقب عليه) .

ثم اعلن وزير الداخلية بيانا جاء فيه : (ان الحكومة لا تنوى احداث تغيير فى قانون الطعن فى المقدسات الذى يتعلق فقط بالديانة المسيحية) ..

وأمام التعصب (الديمقراطى !) انفجرت المشاعر الاسلامية التى لم يستطع الشيطان تلجيمها ، انفجرت أولا فى بريطانيا ، فسارت المظاهرات تطالب باتخاذ موقف حاسم ضد : آيات شيطانية »[1] ، ثم

---

(١) سلمان رشدى شيطان الغرب : سعيد أيوب ــ ص ٨٦ ، ٨٧

انفجرت بعـد ذلك فى العالم كله . ثم توالت ردود الأفعـال من كلا الجانبين ...

لقد كان بالامكان تفادى هـذه العاصفة التى أحدثت ـ حتى الآن ـ تصدعا خطيرا فى علاقات المسلمين بالغرب المسيحى ، بعد أن أظهرت قضية الدجال الهندى أن صليبيته العمياء فى نهاية القرن العشرين لا تزال كما كانت فى نهاية القرن الحادى عشر . وكان بامكان بريطانيا أن تعالج الموقف بحكمـة السـاسة المتمرسـين وذلك باعادة النظر فى قانون الطعن فى المقدسـات ، بجعله يتضمن حماية اليهودية . والمذاهب المسيحية الأخرى مثل الكثلكة والأرثوذكسية . اضـافة الى الاسلام ، بدلا من قصره على المذهب الانجليكانى فقط . وما كان هذا العمل ـ لو تم ـ الا ليحظى بتقدير عالمى ، باعتباره برهانا على تأكيـد حـرية المعتقدات ، ووسيلة فعالة للتعايش السلمى بين أصحاب الأديان .

لكن الحكومة الخفيـة لا ترضى بذلك ... وهى تمسـك بيـدها خيـوط دمى كثيرة تحركها كيفما تشـاء ... وكان ان ازداد الموقف اشتعالا ... فنشرت اعلانات مدفوعة الأجر شغلت مساحات كبيرة من الصحف العالميـة ، وظهرت حملة واسـعة من التحقيقـات الصحفيـة واستطلاعات الرأى : وقامت محطـات التليفزيون بالدق على حـواس المشـاهدين ، وكلها تسير فى خط واحد هو اثارة الغرب ضـد الاسلام والمسلمين . وبلغت احـدى موجات الاثارة قمتها حين قام بعض طلبـة جامعة فى النمسـا بعقد ندوة : هى فى حقيقتها قداس صـلاة مسيحى تليت فيه فقرات من كتاب ذلك الدجال الهندى .. سبحان الله !!

كأن الغرب قد عثر على انجيل مخفى ، جاء به ذلك الدجال المنتظر ، كما سبق أن عثر على بعض أسفار الكتاب المقدس جنوب البحر الميت عام ١٩٤٧ .. لقد بلغ الاستفزاز مداه ، وخاصة عندما تتحـدث الصحف والاذاعات العالمية ـ وعلى رأسها هيئة الاذاعة البريطانية التى توجـه اذاعاتها خصيصا الى العالم الاسلامى ـ فتصف ذلك الدجال باسـم : الكاتب المسلم سلمان رشدى ...

من ، يا ترى ، ذلك الكاتب الأسطورى ، الذى حظى فجأة باهتمام الغرب والعالم ، وصار حديث كل لسان ، كأنه ظاهرة غير مألوفة أو مرض خطير ، كالايدز ، لم تعرفه البشرية من قبل ... فلم يحدث أن اصطدمت عيناى فى أى من مكتبات لندن على مجرد ورقة تحمل هذا الاسم ، ولم يخدش بصرى أى ملصق من اعلانات الحائط يحمل ولو نصف اسمه . وهاهى قائمات الكتب التى تصدرها دوريا بعض دور النشر ، تصلنى تباعا ، ولا يوجد فى أى منها ذكر لهذا النكرة ...

*

هنالك ، صدرت عن ايران فتوى تبيح اهدار دم مؤلف رواية آيات شيطانية ، فتلقفها رؤوس الفتنة فى الغرب ، واستطاعوا تصعيد المواجهة من مستوى الأفراد والهيئات الى مستوى العمل السياسى الرسمى . فانعقد المجلس الوزارى للسوق الأوربية المشتركة فى اجتماع غير عادى ، وأدان ايران بعنف ، وقرر سحب سفراء دوله من طهران وفرض عقوبات عليها . وقد علق وزير خارجية أسبانيا على هذا الموقف الجماعى الأوربى ، بقوله : انها أول مرة ، فى حدود علمى ، التى تعرب فيها المجموعة الأوربية عن غضبها على هذا النحو .

وفى أوتاوا رفض سفراء ٢٥ دولة اسلامية طلبا من كندا بادانة ايران ، كما رفضت الحكومة الكندية ، فى نفس الوقت ، طلبا من السفراء المسلمين بمنع تداول الكتاب أو ادخاله الى كندا .

وفى واشنطن ، تعهد المدعى العام الأمريكى ، أمام عدد من ناشرى الكتب ، باستخدام كل الوسائل الممكنة لوقف الجهود الرامية الى منع نشر الكتاب فى أمريكا .

وأصدر البرلمان الألمانى بيانا جاء فيه : ان اعلان الامام الخمينى عن قتل سلمان رشدى هو بمثابة اعلان الحرب على القيم الغربية .

وفى لندن ، مسرح المؤامرة ، وقع ٣٤ عضوا من مجلس العموم على مشروع قرار يحث الحكومة على ضمان سلامة رشدى .

ووصفت السيدة مارجريت تاتشر ، رئيسة الوزراء ، فتوى ايران بأنها تهجم على حرية الكلمة التى هى من الحريات الأساسية للانسان ...

لقد اختلطت الأوراق تماما ، وهذا ما يريده المتآمرون ...

ولقد حول الغرب صدامه السياسى مع ايران الى صدام مع الاسلام والمسلمين ، واستهان بمشاعر ۱۰۰۰ مليون مسلم ، بينهم ٥٠ مليونا فى ايران . ولا أدل عن مدى التخبط السياسى الذى وقعت فيه دول الجماعة الأوربية من أنها بدأت تعيد سفراءها الى ايران بعد أسابيع من سحبهم ، ودون أى تغيير فى الموقف الايرانى ، سواء بالتراجع عن الفتوى أو حتى بادخال تعديل عليها .

***

مقاطع شيطانية

هذه هى الرواية الرابعة فى سلسلة انتاج الدجال الهندى سلمان رشدى لهذا النوع من الروايات الخيالية . وهذا يعنى أننا أمام عمل لا علاقة له بالدراسات العلمية الجادة التى تقوم على المنطق والبرهان واستجلاء الحقائق وتقريرها ، وكشف الشبهات ودحض الأكاذيب .

تبدأ الرواية باهداء : الى ماريان ، زوجته الأمريكية الثانية التى تزوجها بعد طلاق زوجته الانجليزية كلاريسا . وقد عرف عن ماريان هذه أنها كاتبة ملحدة ، تهاجم الأديان ومن بينها المسيحية .

وتتكون الرواية من تسعة فصول : الأول ، باسم : **الملك جبريل** ، وهذا يعطى انطباعا مبدئيا للقارىء أنه بصدد قراءة شىء عن الوحى والدين . ويتحقق توقع القارىء ، حيث يأتى الفصل الثانى مباشرة باسم : **ماهوند** . وهو ما كانت تنادى به أوروبا عصور الظلام ، النبى محمدا ، بعد أن اخترعه رجال الكنيسة والكتاب والشعراء ، تحقيرا واهانة ! ثم تتعاقب الفصول : الثالث باسم الودين ديووبن ، والرابع : عائشة ! والخامس : مدنية مرئية لكن مخفية ، والسادس : **عودة الى الجاهلية !** ، والسابع : **الملك عزرائيل** ، والثامن : شق بحر العرب ، والتاسع : مصباح عجيب .

وقد ألحقت صفحة شكر — رقم ٥٤٩ — فى آخر الرواية ، حسب طبعة فايكنج ١٩٨٩ ، يتحدث فيها المؤلف عن اقتباسات من بعض تراجم معانى القرآن ، فيعترف بأن تلك الاقتباسات انما هى **تركيبة** من مجموعة من أعمال المترجمين السابقين مثل : داود ومولانا محمد على وغيرهما ، **الا ان اخطر ما فى الموضوع هو اعترافه باحداث تغييرات من عنده .**

وهو يذكر ، فى تلك الصفحة ، مجموعة من الروايات التى اقتبس منها وكانت مصدر الهام له ، الا أنه يقر باعتراف خطير آخر ، جاء فى آخر سطرين ، يقول فيه :

« أرجو أن تكون هوية كثير من المؤلفين الذين تعلمت منهم واضحة من خلال النص ، **اما هوية الآخرين فيجب ان تبقى غفلا » .**

ويلاحقه هنا سؤال : لماذا أغفل ذكر أسماء هؤلاء ؟!

ان الاجابة المنطقية ، التى تتبادر الى الذهن ، هى أنهم شركاؤه فى المؤامرة ...

*

ولقد حدث ما هو متوقع من اعتراف الدجال الهندى بالعبث بتراجم القرآن . فهو يقتبس آيات من سورة النجم — التى زعم ، كالزنادقة السابقين ، أن النبى أضاف اليها عبارتين شيطانيتين تمدح آلهة المشركين — ثم هو يعبث بصيغة الآيات المقتبسة ، فيحول بعضها من صيغة الضمير الثالث (المفرد الغائب) الى صيغة الضمير الأول (المفرد المتكلم) . وبذلك يوحى للقارىء بأن القرآن من عمل محمد . لكنه ، فى تزويره هذا ، نسى ككل مجرم أن يحكم جريمته ، فجاء الجزء الأول من الآيات المقتبسة بصيغة الضمير الثالث ، بينما تلاه الجزء المحرف بصيغة الضمير الأول .

فآيات سورة النجم تقول :

﴿ والنجم اذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن

الهوى ٠ ان هو الا وحى يوحى ٠ علمه شديد القوى ٠ ذو مرة فاستوى ٠ وهو بالأفق الأعلى ٠ ثم دنا فتدلى ٠ فكان قاب قوسين أو أدنى ٠ فأوحى الى عبده ما أوحى ٠ ما كذب الفؤاد ما رأى ٠ أفتمارونه على ما يرى ﴾ ؟! (النجم : ١ ــ ١٢) ٠

لقد استبدل الدجال كلمة (الثريا) مكان كلمة (النجم) ٠ واستمر يستخدم هذه الصيغة الى أن انتقل الى الصيغة الأخرى بكلام وضعه على لسان النبي يقول فيه :

(ولقد رأيته مرة أخرى ٠ عند سدرة المنتهى ٠ عندها جنة المأوى ٠ اذ يغشى السدرة ما يغشى ٠ ما زاغ بصرى وما طغى ٠

لقد رأيت من آيات الرب الكبرى)[1] ، فخالف بذلك جميع التراجم المعروفة والتى أشار الى بعضها مثل : داود ، وبكتال ، وعلى ... ان القرآن لا يورد صيغة المتكلم المفرد على لسان النبى الا مسبوقة بكلمة : قل ، مثل قول الله ــ سبحانه ــ لنبيه :

﴿ قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض ٠ وهو يطعم ولا يطعم ، قل انى أمرت أن أكون أول من أسلم ٠ ولا تكونن من المشركين ﴾ (الأنعام : ١٤) ٠

﴿ قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد ﴾ (الكهف : ١١٠) ٠

ولقد وردت كلمة : قل ، فى القرآن ٣٣٢ مرة ، فى آياته التى تبلغ ٦٢٣٦ آية ٠

نحن ، اذن ، نتعامل مع خائن غير مؤتمن على أيسر الأمانات ، أمانة النقل ...

*

(١) I saw him. also at the lote tree of the uttermost end, near which lies the Garden of Repose . When that tree was covered by its covering my eye was not averted, neither did my gaze wander; and I saw some of the greatest signs of the Lord.

ما هذا النبى الا رسول الله الى الناس ، يبلغهم رسالات ربهم ، وينقل اليهم كلماته ، فيكون محدثهم الأمين باسم الله ، تحقيقا لما تنبأت به التوراة ، وحيا من الله لموسى ، فى قوله :

« أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم ، مثلك ، واجعل كلامى فى فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه به .

ويكون أن الانسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى ، أنا أطالبه — تثنية ١٨ : ١٨ — ١٩ » .

لم يقل الله : (أقيم لهم الها ، أو ابن الله) ، لكنه قال : « أقيم لهم نبيا » مثل موسى من بين اخوة بنى اسرائيل بن اسحق ، أى من العرب بنى اسماعيل أخى اسحق ، مهمته الأساسية نقل كلام الله الى الناس . ومن لا يسمع لذلك الكلام ، الذى يقرأه عليهم قرآنا — فان الرب ينتقم منه .

ان الأمر واضح تماما ، لكن القوم يصمون الآذان ويغمضون العيون ...

*

بعد ذلك ، تبدأ أول سطور الرواية بحديث عن عقيدة هندوكية تعرف باسم : تناسخ الأرواح ، أى الموت والولادة مرة ثانية ، أو تكرار الولادة . ويحدث ذلك — حسب ظن من يعتقدون فى هذا — بعد موت الانسان ، فيبلى جسده ، أما روحه فتعود الى الحياة متقمصة جسدا جديدا ، قد يكون انسانا أو حيوانا أو حشرة ، فتبدأ الروح بذلك دورة حياة جديدة .

ان استخدام هذه الفكرة يسمح باللعب بالأشخاص والأزمنة ، فتتداخل الأحداث وتختلط الصور والأوراق ، ويترك القارىء متحيرا ، أو واقعا تحت ايحاءاته . فهو ، بهذا ، يهرب من الجدية والموضوعية التى تتطلبهما الدراسات العلمية ، ويجنح الى رواية يفرغ فيها سمومه وخيالاته ، فيعبث بالحقائق المعروفة ، ويزيف التاريخ كما يشاء ، ويترك القارىء ، بذلك ، يسبح فى هواه .

وفى الفصل الأول : الملك جبريل ، نجد الدجال يخلع اسمه على مواطن هندى أسماه : جبريل فارشتا ، الذى يذهب من بومباى الى لندن ، ومعه على نفس الطائرة مواطن آخر هو صلادين شمشا ، والذين تقع بهما الطائرة فى القنال الانجليزى ، ثم ينجوان من الموت بمعجزة ، فيصاب جبريل بانفصام الشخصية .

ويحلم جبريل ، ويحلم كثيرا ، ويبث أحلامه الى ماهـوند ـ فى الفصل الثانى ـ فيربط الوحى الى نبى الجاهليـة بذلك التزييف المستمد من فكرة تناسخ الأرواح .

لقد عمد هذا المحتال ـ كما قال بحق الناقد سامى خشبه ـ الى أن : « يضع ثقافتـه الخاصـة ، مكان ثقـافة كل شـخصياته ، ويضع فكره وعقله الخاصين ، مكان فكر كل شخصياته وعقولهـا .. والمؤلف يسوق أفكاره سوقا ، من وراء شخصياته التى تبـدو كالأقنعة او المشجب حامل الأفكار ، نحو هدف محدد هو : الى أى اتجاه ينبغى ـ ويمكن للمسـلمين الذين يخاطبهم فى الغرب أو فى أوطانهم ـ أن يتخذوه .. لقـد لملم سـلمان رشـدى كتابه : آيات شيطانية ، من ثلاث قصص طويلة لا يربط بينها رابط ما ، ووزع فصـول القصـص الثلاث توزيعا اعتباطيا تقريبا .. أما رشـدى ، المتواضع الموهبـة ، والفاقد الايمان بشىء أو بعقيدة محـددة ، فانه عجز عن أن يقيم من أكوام خيالاته ومعلوماته وتأليفاته ، وما نقله عن المصـادر المختلفـة وألبسه كساءا خياليا رديئا ومفتعلا ، عجز عن أن يقيم من كل ذلك ، بناء فنيا موحدا ، ليس فقط لضعف موهبته ، وانما لأنه أراد أن يجمع بين ما لا يجتمع وهو : تصوره الذاتى عن تجربة اغتراب المثقف الشرقى (الهندى) عن هوية أمته ، وعن تجارب المسلمين المغتربين فى أوروبا (لنـدن) ، أو المقيمين فى وطنهم بومبـاى .. ثم مجموعة الأكاذيب والمخترعات والاهانات ـ التى ألف بعضها بنفسه ـ والتى وجهها الى الاسلام وكتابه ورسوله .. ويضمن السيد رشدى أن يسـتمر خلط

الأوراق بلا نهاية ، عندما يستخدم لتسمية الأشياء والظواهر ، أسماء متناقضة لحقيقة الأشياء والظواهر ، حتى يتحقق التشويش المطلوب على الحلول العلمية الحقيقية ، الحلول التى تسعى اليها الشعوب الآن ـ فى الشرق والغرب على السواء ، بصرف النظر عن جهود البرابرة المعاصرين عندهم وعندنا ـ **الحلول التى تتلخص فى الديمقراطية والعقلانية اللتين تحفظان لكل شعب ، ولكل طائفة من شعب ، الحق فى سماته ـ او سيماتها الخاصة ـ فى اطار ثقافة انسانية عامة ، وثقافات قومية متمايزة ، مستنيرة ومثقفة بحقيقتها وبحقائق الثقافات الأخرى ، ومتخلصة من تعصباتها المتهوسة ، ومن الرغبة فى تلويث ثقافات الآخرين وتدنيس مقدساتهم ، ومتخلصة من الرغبة فى استخدام الابداع لنصب الفخاخ واشعال الحرائق** »(١) .

*

● **الأمكنة والأشخاص :**

ماهوند : يتيم ، سريع الخطى ، يتسلق الجبل الحار فى الحجاز ليبقى هناك شهرا فى وحدته . اذا نطق اسمه صحيحا فانه يعنى : ذلك الذى يجب أن يخص بالحمد ، لكنه يأخذ اسم ماهوند ، مرادفا لاسم الشيطان ! (ص ٩٣) .

بهذا يتحدث الدجال عن محمد بن عبد الله .

الجاهلية : بنيت كلها من الرمال ، ويأتى ماؤها من مجارى وينابيع جوفية ، واحدة منها تسمى زمزم وتقع فى قلب المدينة ، ملاصقة بيت **الحجر الأسود** .وفى هذه المدينة يؤسس ماهوند واحدة من أكبر ديانات العالم . ويهمس صوت فى أذنه : أى نوع من الأفكار أنت ؟ انسان أم فأر ؟! (ص ٩٤ ، ٩٥) .

---

(١) صحيفة الأهرام ، فى ٢٦/٥ ، ٢/٦/١٩٨٩

فالجاهلية تعنى مكة .

يثرب : واحة فى شمال مدينة الجاهلية ، تتمتع بجو رطب ، انتقل اليها المهاجرون أتباع عقيدة الاسلام الجديدة (ص ٣٦٣) .

اتباع ماهوند فى مدينة الجاهلية : كان من أوائلهم : (خالد سقاء المـاء الحقير ، ثم ذلك المتسكع من فارس ويحمل اسما غريبا : سلمان ، ولتكملة هذا الثلاثى من حثالة المجتمع ، هناك العبد بلال الذى حرره محمد ، ثم حمزة عمه (ص ٩٥ ، ١٠١) .

أعداء ماهوند فى مدينة الجاهلية : أبو سمبل ، سيد الجاهلية ، وزوج هند الجميلة الرهيبة . وكانت عشيرة هند تتحكم فى معبد اللات وتتلقى عائدات معبدى مناة والعزى . كما كان بعل خادما للات وشاعر هجاء مشـهور .. وكان أبو سمبل ديوثا ، يعلم أن بعل عشيق لزوجه هنـد ، التى كانت شديدة النهم الجنسى حتى أنها ضاجعت كل مؤلفى مدينـة الجاهليـة ! (ص ٩٦ ، ١٠٠ ، ٣٦١) .

فأبو سمبل ، يعنى أبا سفيان ، وأما بعل شاعر الهجاء فهو اختراع من الدجال .

الحجاب : جعل الحجاب اسما لأشهر ماخور فى مدينة الجاهلية ، له فناء واسع تحيط به غرف الجنس .

(كم زوجة ؟ اثنا عشر ، وسيدة عجوز توفيت منذ زمن بعيد . وكم مومس فى المـاخور ؟ اثنا عشر ! ..

وكانت المومس عائشة ، ذات الخمسة عشر عاما ، أكثر العاملات رواجا ، تماما كما كانت سميتها مع ماهوند .. وكانت أكبرهن سـنا ، المومس البدينة سودة وكان لها زوار كثيرون .. أما المومس حفصة فكانت حادة الطبع مثل سميتها .. وكان المـاخور مرآة للجماعات السياسية فى مسجد يثرب . فكان هناك ، مثلا ، تحالف بين عائشة وحفصة ضـد

أم سلمة المخزومية ورملة بنت أبى سمبل . وكان هناك زينب بنت جحش وجويرية وصفية وميموتة ، ثم أكثرهن اثارة للشهوة الجنسية ، الفاتنة المصرية مارية القبطية ، التى رفضت أن تعلم عائشة ألاعيبها .

وعندما فكرت المومسات فى مستقبلهن ، رأين أن يكون لهن زوج صـورى هـو بعـل .. وفى هذا الوكر الداعر اصبح بعل زوجا لنساء رجل الأعمال السابق ، ماهوند !) (ص ٣٧٦ ، ٣٨٠ ، ٣٨٣) .

لقد كبكب الدجال على وجهه ، وعبث بعقول قرائه ، كعادته فى طول الرواية وعرضها . فبعد أن انتحل لمومسات ماخوره أسماء زوجات النبى ، اذا به يعود بفجره المعهود ، فيجعل من بعل زوجا لنساء ماهوند ، بدلا من أن يحترم قراءه ، ولو مرة واحدة ، فيقول : زوجا لمسميات نسـاء ماهوند !

﴿ الا لعنة الله على الظالمين . الذين يصدون عن سـبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون . اولئـك لم يكونوا معجزين فى الأرض وما كان لهم من دون الله من اولياء يضاعف لهم العذاب ، ما كانوا يستطيعون السـمع وما كانوا يبصرون . اولئك الذين خسروا انفسهم وضـل عنهم ما كانوا يفترون . لا جرم انهم فى الآخرة هم الأخسرون ﴾

(هود : ١٨ ــ ٢٢)

*

● الألفـاظ والتراكيب :

تمتلىء هـذه الرواية الشيطانية باقذر الألفاظ واشدها فحشا . واغلبها مما يتداوله الزناة مع المومسات فى المواخير من مسميات واوصاف . ونذكر فيما يلى بعضا منها ، نشير الى اللفظ المبتذل بحرف أو حرفين منه ، مما يتداوله السفلة من الناس :

ـ فرج المرأة : كـ ، والجمع : أ كـ .

يتحدث الدجال عن أصغر مومس فى المـاخور فيقول :

(قبل تكميم أصغر الـ أ كـ ، صرخت قائلة ...)[١] .

ـ ممارسة الجنس : ن كـ .

قال أبو سمبل (أبو سفيان) لتابعه شاعر الهجاء بعـل : (أيها القواد ! أنا أعلم أنك .. ن ك امرأتى)[٢] !

وصل خطاب لمحمود يقول :

(يا آكل الخراء ! انك .. ن ك امرأتى)[٣] .

ويقول جبريل :

(أحلام ن ك الأمهات سبب كل البلاء للجنس البشرى ..)[٤] .

وفى مدينة الجاهلية :

(كان كل الحديث منصبا على الـ ن ك والمـال)[٥] .

*

ولقد امتلأت الرواية بالشتائم القذرة ، بدءا من صفحاتها الأولى حتى صفحاتها الأخيرة ، مثل :

(ابن الزنا) ... (أبناء الزنا)[٦] .

*

(١) (before the youngest cunt wus gagged , she yelled ...) (p. 389).

(٢) (Pimpl — I Know you fuck my wife.) (p. 100).

(٣) (shit - eater, you're fucking my woman) (p. 207)

(٤) (Mother - fucking dreams, cause cf all the trouble in the human race ..) (p. 122)

(٥) (al the talk was of fucking and money) - (p. 380)

(٦) (Bastard.) .. (Bastards.) (pp. 3,8 .. 95, 105, 116 _ 367 , 376 ..) .

وامتلأت الرواية بتعابير مقززة ، لا تخرج الا من نفس قذرة تسبح دائما بفكرها في المراحيض وأماكن القاذورات . ففي حديث الأم الهندية المسلمة لابنها ، قالت له :

(لا تصر قذرا مثل أولئك الانجليز ، فهم يمسحون استاههم بورق فقط) (ص ٣٩) .

فرد عليها الابن المنبهر :

(ان ما تقولينه ، يا أمي لا يمكن تصديقه . ان انجلترا حضـارة عظيمة ، وما تقولينه هراء) .

(وكان يسيئه كثيرا أن يقارن بطفـل يبول على نفسـه) ... (ص ٤٧) .

*

ويعبث الدجال الهندي بعقول قرائه ، فيستخدم أساليب ركيكة هازلة كأنه يحكي قصة للأطفال قبل النوم ، فيقول :

(كان ما كان في قديم الزمان ..) (ص ١٤٣) .

ولمـا كان مؤلفا رديئا ، فاقد المواهب ، كان مثله كمثل تلميـذ خائب ، تعلم جملة واحدة مفيدة ، كانت كل زاده ، فما انفك يستخدمها في كل المناسبات دون تمييز .

ولمـا كانت عبارة : ألف ليلة وليلة ، ذات مذاق خـاص ، فقـد تشبث بها ، وبدأ يستنسخ صورا منها بلا وعي أو حساب ، فيقول :

(... بسبب طيشه الذي مارسه ألف مرة ومرة) (ص ٢٦) .
(وفكر ألف مرة ومرة ...) (ص ٣٧٠) .
(وبعد مائة يوم ويوم ...) (ص ٨٥) .
ومثل ذلك ، حجم أوعيته الزمنية التي تؤكد ، حقـا ، أنه كاتب ممل هزيل . فهو يقول في صفحة ٣٩٢ :

(ولم تر مخلوقا حيا آخر ، طيلة سنتين وشهرين ..) .

ثم يكرر ذلك فى نفس الصفحة :

(وبقيت مدة سنتين وشهرين ..)

ويقول أيضا :

(وبعد مرور سنتين ويوما واحدا من بدء بعل لحياته فى ماخـور الحجاب ..) (ص ٣٨٥) .

هذا بعض العار الذى ألحقه ذلك الكاتب التافه بلغة قوم شكسبير وبالأدب الانجليزى عامة ، وبجامعة كمبردج التى يقال انه تخرج منها ، على وجه الخصوص .

* *

تزييف الحقـائق واختلاق الأكاذيب

ذلك دأب الدجال الهندى فى روايته الشيطانية ...

والحديث فى هذا يطول ، نكتفى منه بعرض أمثلة محدودة ، لهذا وذاك :

اولا ــ فمن حقائق التاريخ الاسلامى :

١ ــ أن خالدا كان بطل المشركين فى معركة أحـد التى وقعت فى السنة الثالثة من الهجرة ، وانهزم فيها المسلمون وأصيب فيها النبى وشج فى وجهه . لقد كان ذلك بعد الهجرة إلى المدينة ، حيث كان خالد ما زال على شركه ، ولم يسـلم خالد الا فى السنة السابعة من الهجرة ، بعد عمرة القضاء ، حيث ترك مكة وذهب الى المدينة يعلن اسلامه أمام النبى .

٢ ــ أن حمزة كان بطل المسلمين فى معركة بدر الكبرى التى وقعت فى السنة الثانية من الهجرة ، حيث انتصر المسلمون وقتل فيها عتبة بن ربيعة ــ والد هند امرأة أبى سفيان (أبى سمبل ، فى الرواية) ــ كما قتل فى بدر الوليد بن عتبة ــ أخو هند ــ وشيبة عمها .

٣ ــ أن سلمان الفارسى كان قد تعرض لعملية اختطاف بيع على أثرها ليهودى من بنى قريظة بالمدينة ، فلما قدم النبى المدينة وسمع به سلمان ، أسلم على يديه . وقد أعانه النبى وصحابته على تحرير رقبته ، فأمدوه بالمال الذى أعتق به نفسه بعد سنين من اسلامه . وكان الرق قد حبسه عن حضور بدر وأحد ، فكانت غزوة الأحزاب أول مشاهده ، حيث أشار بحفر الخندق ، وكان ذلك فى السنة الخامسة من الهجرة . وقد عاش مسلما كريما وتوفى مسلما كريماً بالمدائن فى خلافة عثمان .

ولقد اتخذ الرسول فى مكة كتبة يكتبون الوحى : قبل اسلام سلمان بأكثر من ١٥ سنة ، كما استمروا يكتبون له بالمدينة ، ويزيد عددهم على ٢٠ كاتبا ، ليس منهم سلمان .

فما كان سلمان الفارسى يوما ما من كتبة القرآن .

*

لكن الكاتب الجهول ، سلمان رشدى : ما كان له الا أن يزيف تاريخا يجهله . فلو احترم نفسه مرة واحدة ، أو احترم قراءه ، لقرأ شيئا عن تاريخ صدر الاسلام ليستعين به على حبك روايته .

فمن جهالات الدجال الهندى :

١ ــ أن خالد وسلمان كانوا من أوائل المسلمين بمكة (مدينة الجاهلية) ، كما سبق أن أشرنا الى ذلك .

٢ ــ وأن حمزة قتل أخا هند فى مكة عندما هاجم هذا الأخير مع زملاء له كلا من خالد وسلمان وبلال ، فأنقذ حمزة اخوته المسلمين من موت محقق (ص ١١٨) .

٣ ــ وأن سلمان كان الكاتب الرسمى للنبى (ص ٣٦٥) .

٤ ــ وأن النبى كان قد اشترى بلالا وأعتقه (ص ١٠١ : ١٠٢) ، والصحيح أن أبا بكر هو الذى اشتراه وأعتقه .

٥ ــ وأنه عقب موت النبى ، خرجت عائشة من حجرتها تقول :

(من كان قد عبد الرسول ، فليحزنوا ، لأن ماهوند (محمد) مات . ومن كان يعبد الله ، فليبتهجوا ، لأنه حى لا يموت) (ص ٣٩٤) .

ثم يردف الدجال ، بعد ذلك ، قائلا : (لقد كان هذا نهاية الحلم) (حلم جبريل بموت محمد ــ ص ٣٩٣) .

والحقيقة أن أبا بكر هو الذى قال عقب موت الرسول : (أيها الناس ! ان من كان يعبد محمدا ، فان محمدا قد مات . ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت) . ثم تلا قوله ــ تعالى ــ فى القرآن :

﴿ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، افئن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزى الله الشــاكرين ﴾ (آل عمران : ١٤٤) .

* *

ثانيا ــ ومن حقائق الاسلام والتاريخ :

١ ــ أن الاسلام دين التوحيد الخالص الذى لا شبهة فيه ، وهو خاصيته الأولى التى يتميز بها . فأول العلم فيه : ﴿ لا اله الا الله ﴾ ــ ﴿ لا اله الا هــو الرحمــن الرحيم ﴾ ــ ﴿ انمــا الله واحــد ﴾ ــ ﴿ فالهكم اله واحـد فله اسـلموا ﴾(1) ثم جـاءت سورة الاخلاص ، من أوائل السور نزولا ، تقول : ﴿ قل هو الله احد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد ﴾ .

ولقد قال فيها رسول الله : انها تعدل ثلث القرآن .

*

٢ ــ وأنه بعد نزول أكثر من مائة آية ، موزعة فى عشر ســور أغلبهن قصار ، فتر الوحى وطالت غيبة الأمين جبريل ، فجزع لذلك النبى

---

(1) هذه النصوص القرآنية تأتى على الترتيب من السور الآتية : محمد : ١٩ ، البقرة : ١٦٣ ، النساء : ١٧١ ، الحج : ٣٤ . ... وغير ذلك فى مئات الآيات .

جزعا شديدا . وأرجف المشركون بذلك وفرحوا بهذا التوقف . بعد ذلك نزلت سورة الضحى فى احدى عشرة آية ، يقول أولها :

« والضحى والليل اذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى ... » ثم تتابع الوحى .

لقد كان ذلك برهانا ، لمن يريد البرهان ، على أن القرآن ليس من عند محمد . فاذا كان قد اختلق أكثر من مائة آية ، فما يمنعه أن يختلق آيات أخرى ، بدل هذا التوقف النجائى ، والتعرض لحرب دعائية شرسة يشوش بها الكفار على فكر المسلمين الأوائل وعقيدتهم .

كذلك توقف الوحى مرة أخرى بعد ذلك فترة تعرض فيها الرسول لحرج شديد ، وعانى بسبب ذلك الكثير . ثم ما لبث أن عاد . وقد علم الله نبيه أن نزول الملائكة (بالروح من امره) على رسله لا يتم الا بأمر الله ، وليس وفق مشيئة الرسول وهواه .

« وما نتنزل الا بأمر ربك ، له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك ، وما كان ربك نسيا » (مريم : ٦٤) .

وما أمر محمد رسول الله ، بعجب فى هذا . فمن قبل طلب بنو اسرائيل من النبى ارميا أن يخبرهم (عن الطريق الذى يسيرون فيه والأمر الذى يفعلونه) . « فقال لهم ارميا النبى : قد سمعت . ها أنذا أصلى الى الرب الهكم .. ويكون أن كل الكلام الذى يجيبكم الرب أخبركم به ..

وكان بعد عشرة أيام ان كلمة الرب صارت الى ارميا - ارميا ٤٢ : ٤ ، ٧ » .

لم يكن هذا السؤال فى حاجة الى تأخير اجابته ولو ثانية واحدة من الزمن ، لكنه أمر الله ، يتنزل الوحى بمشيئته . وليس بمشيئة البشر ، ولو كانوا أنبياءه المصطفين الأخيار .

*

٣ ــ وأنه منذ بدأ الرسول دعوته الى الله ، دخل فيها الأقوياء والأغنياء ، كما دخل فيها الضعفاء والفقراء . فلقد كانت عقيدة التوحيد الخالص هى نقطة الجذب وسبب التحول ــ قبل أى اعتبار آخر مثل الدعوة الى المساواة بين الناس ، وتحرير الأنفس من ضلالات الجاهلية وفعل الخيرات ــ لذلك كان من أوائل المسلمين : أبو بكر وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ، كما كان فيهم زيد بن حارثة وبلال وعبد الله بن مسعود . لقد استهوى الاسلام الأقوياء والضعفاء على السواء .

*

٤ ــ ولما بدأت قريش تحس بالدين الجديد الذى يخالف دين آبائهم ويسب آلهتهم وأصنامهم ، بدأت تحتك بالمسلمين فى محاولات لصدهم عن دينهم . فكان الأذى والتعذيب الذى تعرض له الرسول شخصيا على يد عمه أبى لهب وزوجه أم جميل ــ أخت أبى سفيان ــ كما تعرض له أتباعه وخاصة الضعفاء مثل بلال الحبشى الذى كان يلقى على صخر مكة الملتهب فى حر الظهيرة ، ويدمى جسده بالسياط ، وتوضع صخرة على صدره ، فلا يقول سوى : أحد . أحد .

لم يصرخ بلال الى ربه قائلا : يا ناصر المستضعفين أجرنى ، أو : يا أرحم الراحمين خفف عنى ، انما كان ترديده : أحد أحد .

فهو يصر ، تحت وطأة العذاب الشديد ، أن يعلن ايمانه بالله الواحد .

كذلك تعرض آل ياسر ، من المستضعفين ، لتعذيب شديد . هلك فيه ياسر الزوج ، وهلكت فيه سمية الزوجة بعد ضرب وحشى بالسياط ، وكى بالنار ، وهى تصر على توحيدها حتى استشهدت بطعنة من حربة فى فرجها ...!

لقد كان الصراع شديدا ، لا مهادنة فيه . فكانت سورة المسد

من أوائل السور نزولا — رقم ٦ — والمسلمون يومئذ أعداد محدودة جدا . لكنها نزلت تترعد أبا لهب عم الرسول وزوجه ، وتقرر مصيره الأبدى ، فتقول :

﴿ تبت يدا ابى لهب وتب . ما اغنى عنه ماله وما كسب . سيصلى نارا ذات لهب . وامرأته حمالة الحطب . فى جيدها حبل من مسد ﴾ .

ان هذا هو التحدى الحق ...

لقد دخل آلاف من المشركين فى الاسلام بعد هذه السورة . وكان يمكن لأبى لهب أن يعلن قبوله الاسلام ، ولو كيدا له . حتى يبطل هذه السورة التى تداولها الناس : مسلمون ومشركون . منذ نزولها . فيكون ذلك مدعاة لاحداث بلبلة فى نفوس المؤمنين ، وصد للمشركين عن الدخول فى الاسلام .

لكنه لم يفعل . لأنه قضاء الله عليه . ونبوءة حق نطق بها القرآن كلام الله الحق . فكان أن هلك على شركه عقيب غزوة بدر .

*

٥ — ولما رأى المشركون أن الاسلام ينتشر بين الناس ، لجأوا الى المداهنة ، ومحاولة الوصول الى حل وسط يعترف بآلهتهم على أى صورة من الصور . ولقد كان تعليم الله لنبيه بالحذر من ذلك ، فى سورة القلم ، ثانية السور نزولا :

﴿ فلا تطع المكذبين . ودوا لو تدهن فيدهنون ﴾ .
(الآيتان : ٨ ، ٩) .

ثم كانت (سورة الكافرون) قاطعة فى هذا الصدد :

﴿ قل يا ايها الكافرون . لا اعبد ما تعبدون . ولا انتم عابدون ما اعبد . ولا انا عابد ما عبدتم . ولا انتم عابدون ما اعبد . لكم دينكم ولى دين ﴾ .

*

٦ ــ ثم كانت سفارات الى عمه أبى طالب ، الذى لم يكن قد دخل فى الاسلام ، وان ظل حاميا لابن أخيه ، يحسب له القرشيون حسابا خاصا . فقد مشى اليه رجال من أشراف قريش فيهم : (عتبة بن ربيعة ، وشيبة ، وأبو سفيان ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل ، وغيرهم . فقالوا : يا أبا طالب . ان ابن أخيك قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا . فاما أن تكفه عنا ، واما أن تخلى بيننا وبينه فنكفيكه . وانك على مثل ما نحن عليه من خلافه .

فقال أبو طالب قولا رقيقا ورد ردا جميلا ، فانصرفوا عنه) .

ومضى رسول الله يدعو الناس الى دين الله دون توقف .

ولم تيأس قريش ، فمشوا الى أبى طالب قائلين : ما نحن ــ يا أبا طالب ، وان كنت فينا ذا منزلة بسنك وشرفك وموضعك ــ بتاركى ابن أخيك على هذا ، حتى نهلكه ، أو يكف عنا ما قد أظهر بيننا من شتم آلهتنا ، وسب آبائنا ، وعيب ديننا ، فان شئت فاجمع لحربنا ، وان شئت فدع . فقد أعذرنا اليك ، وطلبنا التخلص من حربك وعداوتك . فانظر فى أمرك ، واقض الينا قضاءك) .

فبعث أبو طالب الى النبى ، وقال له : (يابن أخى ، ان القوم جاؤونى فقالوا كذا وكذا .. وآذنونى قبل الحرب . فابق على وعلى نفسك ، ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت . واكفف عن قومك ما يكرهون من قولك هذا الذى فرق بيننا وبينهم) .

فظن رسول الله أن عمه خاذله ومسلمه ، فقال : (يا عم ، لو وضعت الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ، ما تركت الأمر حتى يظهره الله ، أو أهلك فى طلبه) .

ثم بكى رسول الله ، ونهض من مجلسه . فقال له أبو طالب : (أقبل يابن أخى) ، فأقبل عليه ، فقال أبو طالب : (امض على أمرك ، وافعل ما أحببت ، فوالله لا نسلمك بشىء أبدا) .

ثم لم يلبث حمزة — عم الرسول — أن أسلم ، فعز به المسلمون ، فهو من خير رجالات بنى هاشم ، شكيمة وعزة نفس ، اذا طلب أمرا ، قصده لا يلوى على شيء حتى يبلغه ، كما عرف بين عشيرته بأنه صياد الأسـود .

وهكذا ازداد المسلمون قوة وعددا .

*

٧ — ولم تيأس قريش ، فأرسلوا الى النبى سيدا من ساداتهم هو عتبة بن ربيعة ، فذهب اليه وقال : (يابن أخى ، انك منـا حيث قد علمت .. وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت من مضى من آبائهم ، فاستمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها ، لعلك أن تقبل منها بعضها) .

فقال الرسول : (قل يا أبا الوليد ، أسمع) .

فقال : (يابن أخى ، ان كنت انما تريد بما جئت من هـذا القول مالا ، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وان كنت انما تريد شرفا ، شرفناك علينـا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وان كنت تريد ملكا ، ملكناك ، وان كان هـذا الذى يأتيك رئيـا (من الجن) تراه ولا تستطيع أن ترده عن نفسـك ، طلبنا لك الطب وبذلنا فيـه أموالنا حتى نبرئك منه) .

حتى اذا فرغ عتبة ، قال رسول الله : (أفرغت يا أبا الوليد) ؟

قال : نعم . قال : فاستمع منى . قال : أفعل .

فقـال رسـول الله : « بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتـاب فصلت آياته قرآنا عربيـا لقوم يعلمون » .

ومضى رسول الله يقرأ عليه سورة فصلت حتى اذا بلغ موضع السجدة — فى الآية رقم ٣٨ — فسجد . ثم قال : (قـد سمعت يا أبا الوليـد ما سمعت ، فأنت وذاك) .

فقام عتبة الى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به . فلما جلس اليهم ، قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟

فقال : (ورائى أنى والله قد سمعت قولا ما سمعت لمثله قط . والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة . يا معشر قريش : أطيعونى واجعلوها بى . خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه . فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت نبأ ..) .

قالوا : (سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه) .

فقال : (هذا رأى لكم ، فاصنعوا ما بدا لكم) .

لم يعرف النبى المداهنة طيلة حياته ، فكان فى الحق صريحا واضحا يغضب لله ، ويرضى لمرضاته . وما كان فى أمر العقيدة ، جوهر الدين وأساسه ، ليرضى بغير التوحيد النقى .

فى ديانات أخرى ، قبل دعاتها حلولا وسطا فى أمور جوهرية ، أما فى الاسلام ، فكلا ، وألف كلا ...

فها هو بولس — منشىء المسيحية التقليدية — يقول فى رسائله : « استعبدت نفسى للجميع لأربح الأكثرين . فصرت لليهود كيهودى لأربح اليهود .

وللذين تحت الناموس ، كأنى تحت الناموس ، لأربح الذين تحت الناموس .

وللذين بلا ناموس ، كأنى بلا ناموس .. لأربح الذين بلا ناموس .

صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء .

صرت للكل كل شىء ، لأخلص على كل حال قوما .

وهذا أنا أفعله لأجل الانجيل لأكون شريكا فيه — ١ — كورنثوس ٩ : ١٩ — ٢٣ » .

فالغاية تبرر الوسيلة . حتى فى أمور الدين ، حسب قوله : « ان كان صدق الله قد ازداد بكذبي لمجده ، فلماذا أدان أنا بعد كخاطىء — رومية ٣ : ٧ » .

ثم لم يلبث عمر بن الخطاب أن أسلم . فعز به المسلمون كثيرا . لقد فت اسلام عمر فى عضد قريش ، اذ دخل فى دين الله بالحمية التى كان يحاربه بها من قبل . فلم يخف اسلامه ولم يستتر ، بل ذهب يعلنه على رؤوس الملأ ويقاتلهم فى سبيله . ولم يرض عن استخفاء المسلمين وذهابهم الى شعاب مكة يقيمون الصلاة فيها بعيدين عن أذى قريش ، بل دأب على تحديهم حتى صلى عند الكعبة والمسلمون معه . وأيقنت قريش أن ما تنال به النبى وتابعيه لن يحول دون انتشار الاسلام .

*

٨ — كان العرب أهل فصاحة وبيان ، استثمروهما فى حرب دعاية جبارة استخدمت فيها شتى الأساليب من هجاء بالشعر ، وافتراء للأكاذيب ، وتشويش على المسلمين وخاصة عندما كانوا يصلون بالكعبة ، فيرفعون أصواتهم حين تلاوة القرآن ، حتى يدخلوا عليه ، فى أذن السامع . ما ليس منه . لقد كان ذلك دأبهم منذ ظهور الاسلام . فلقد جاء فى سورة فصلت ، التى قرأها الرسول على عتبة بن ربيعة — أبى الوليد — حين ذهب اليه فى سفارة لقريش ، ما قصه الله من حرب الدعاية التى استخدمها الكفار للتشويش على القرآن فى قوله : ﴿ **وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون** ﴾ (فصلت : ٢٦) .

وفى هذا قال ابن كثير : « الغوا فيه ، يعنى بالمكاء والصفير **والتخليط فى المنطق على رسول الله** ﷺ اذا قرأ القرآن ، قريش تفعله »

وقال الفخر الرازى : « قال بعضهم لبعض : (لا تسمعوا لهذا القرآن) اذا قرىء وتشاغلوا عن قراءته برفع الأصوات بالخرافات والأشعار الفاسدة والكلمات الباطلة ، حتى تخلطوا على القارىء

وتشوشوا عليه وتغلبوا على قراءته . كانت قريش يوحى بذلك بعضهم بعضا . والمراد افعلوا عند تلاوة القرآن ما يكون لغوا وباطلا ، لتخرجوا قراءة القرآن عن أن تصير مفهومة للناس ، فهذا الطريق تغلبون محمدا » .

وقوله ، تعالى : « وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية ، فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » (الأنفال : ٣٥) .

وقد نقل ابن كثير عن مجاهد قوله : « كان يصنعون ذلك ليخلطوا بذلك على النبى ﷺ صلاته . وقال الزهرى : يستهزئون بالمؤمنين . وعن سعيد بن جبير وعبد الرحمن بن زيد : تصدية ، قال : صدهم الناس عن سبيل الله عز وجل » .

ولقد حاول المشركون ، فى حياة الرسول وبعد مماته ، أن يقولوا كلاما ، يحاولون أن يجعلوه سيارا على الألسن المشركة ، تلوكه لعله يضاهى القرآن ويتغلب عليه . ومن أمثلة ذلك ما قاله مسيلمة الكذاب : (يا ضفدع يا ضفدعين ، نقى ما تنقين ، لا الماء تكدرين ، ولا الشارب تمنعين) ... الى آخره ، من مثل هذا الهذر والهراء ...

*

٩ ــ ان اختراع الأقوال المكذوبة شىء تعرضت له الأديان . فبالنسبة للجزء الأول والأكبر من الكتاب المقدس ، الذى يعرف باسم العهد القديم ، نجد أن هناك ١٤ سفرا منحولا ، تسمى الابوكريفا اعتبرها اليهود والبروتستانت مزورة ، ورفضوا ادخالها فى كتابهم ، بينما قبل الكاثوليك ، وكذلك الأرثوذكس ، سبعة من هذه الأسفار أدخلت فى الكتاب المقدس تحت اسم : الأسفار القانونية الثانية . كذلك فان الجزء الثانى والأصغر من الكتاب المقدس ، الذى يعرف باسم العهد الجديد ، فانه يتكون حاليا من ٢٧ كتابا لم تحظ بالاجماع على شرعيتها الا عام ٣٦٧ م ، أى بعد أكثر من ٣٣٥ سنة من رفع المسيح .

وتتصدرها أربعة أناجيل فقط ، بعد استبعاد عشرات الأناجيل مثل : انجيل توما ، وانجيل بطرس ، وانجيل المصريين ، وانجيل العبريين ، وانجيل فيلبس ، وانجيل نيقوديموس ، وانجيل برنابا ... الخ .

كذلك تحتوى على ٢٣ رسالة بعد استبعاد عشرات الرسائل مثل : رسالة برنابا ، ورسالتا كليمنت الأولى والثانية ، ورسالة بوليكارب ، ورسالة اجناتيوس ، وتعاليم الاثنى عشر ، ورؤيا بطرس ، وراعى هرمس ... الخ .

وجدير بالذكر أن الرسالة الى العبرانيين ، وهى احدى الرسائل القانونية ، لا يعرف لها كاتب حتى الآن ، حيث تظهر غفلا من اسم كاتبها فى طبعات البروتستانت . أو الكاثوليك ، فقد أراحوا أنفسهم من عناء البحث عن المؤلف ، واعتبروها من مؤلفات بولس ، رغم الجدل الشديد حول هذا الموضوع .

*

١٠ ــ أن رسول الله ﷺ اتخذ كتبة عديدين يكتبون القرآن فور سماعه منه . وأنه كان يذاع فور نزوله أولا بأول بدليل أن سورة المسد ، التى تتوعد أبا لهب وامرأته بالعذاب ، كانت من أوائل السور نزولا وتداولا بين الناس ، حتى انها بلغت أبا لهب وامرأته ، فقالت هذه لأبى بكر : (هجانا صاحبك) . فقال أبو بكر : (لا ورب هذه البنية (المسجد) . ما ينطق بالشعر ولا يتفوه به) .

ولقد نزل القرآن مفرقا على مدى ٢٣ سنة ، فى آيات متواليات يسهل حفظها واستيعابها . وكان يستخدم فى الصلاة وفى أغلب المعاملات ، كما كان سببا رئيسيا للتفاضل بين الصحابة ، فأكثرهم حفظا له ، أفضلهم منزلة .

أما أحاديث الرسول ، فقد نهى عن تدوينها لقوله : « **لا تكتبوا عنى . ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه** » (رواه مسلم) .

ولم يرض عمر بتدوين السنة فى كتاب جامع مثل القرآن ، كما

كان ينهى عن شغل الناس بكثرة الحديث ، بدلا من القرآن . واستمر الوضع كذلك حتى جرت ألسنة الناس بأحاديث كثيرة فيها من الصدق ما يتفق والقرآن العظيم ، وفيها غير ذلك . فكان أن أمر الخليفه الورع عمر بن عبد العزيز بأول تدوين رسمى للسنة . وكان ذلك فى بدايه القرن الثانى الهجرى . فظهرت أولى المصنفات فى نحو منتصف ذلك القرن .

لقد كذب كثير على رسول الله ، ونسبوا له أحاديث وروايات مكذوبة ويكفى أن نعلم أن البخارى (١٩٤ ـ ٢٥٦ هـ) قد أخرج كتابه المعروف باسم : الجامع الصحيح ، أو صحيح البخارى ، من زهاء ٦٠٠,٠٠٠ حديث ، صفاها ، وفق شروطه ومعاييره التى وضعها ، الى ٧٣٩٧ حديثا بالمكرر ، وبدون المكرر تكون الأحاديث الموصولة فقط ٢٦٠٢ حديثا . وقد استغرق هذا العمل الضخم ١٦ سنة فى رحلات وأسفار بين البلاد الاسلامية ليتتبع أحاديث رسول الله من كل من سمع أن له صلة بالحديث .

*

١١ ـ ابتلى المسلمون بظهور الزنادقة الذين عمدوا الى تزييف الأحاديث النبوية ، وأسندوها كذبا الى الثقات من الصحابة والتابعين . وامتدت أيديهم العابثة الى كتب الفقه والتفسير ، وهاجموا الأديان عموما ، ومن بينها الاسلام ، كما أنكروا الوحى الى أنبياء الله ورسله . وقالوا بأن العقل الانسانى هو حلقة الاتصال بين المرء وربه . وكان فى تعاليمهم مجون وخلاعة ودعوة للمحرمات . ولما اشتد خطرهم ، أنشأ المهدى ـ ثالث الخلفاء العباسيين ـ ديوان الزنادقة ، لتتبع أنشطتهم وما يبثونه بين الناس . وكان من أخطرهم : عبد الكريم بن أبى العرجاء ، الذى اعترف قبل موته بأنه وضع ٤٠٠٠ حديث .

ونكتفى بمثال واحد لخرافاتهم : خلق الله الملائكة من شعر ذراعيه وصدره !

*

١٢ ــ كان اليهود يعثرون بالمسيح ، فقال لهم : « ليس نبى بلا كرامة الا فى وطنه وبين أقربائه وفى بيته . ولم يقدر أن يصنع هناك ولا قوة واحــدة ــ مرقس ٦ : ٤ ــ ٥ » .

ان هذه قولة حق ، انطبقت على كل الأنبياء المعروفين . ولقد عانى المسيح من أهله ، ما هو أكثر من عــدم التكريم ، فقد كان أقرباؤه يعتبرونه مختل العقل :

« ولمـا سـمع أقرباؤه ، خرجوا ليمسـكوه ، لأنهم قالوا انه مختل ــ مرقس ٣ : ١ » .

وكان اخوته ــ أبناء أمه مريم حسب رواية الانجيل ــ يشكون فى صدق رسالته : « قال له اخوته : انتقل من هنا واذهب الى اليهودية لكى يرى تلاميذك أيضـا الأعمـال التى تعمل .. لأن اخوته أيضا لم يكونوا يؤمنون به ــ يوحنا ٧ : ٣ ــ ٥ » .

وحين سمع كثير من تلاميذه بعض مواعظه ، فانهم انفصلوا عنـه وتركوا صحبته ، شكا فيه . فلم يبق معه الا الاثنى عشر : « قال كثير من تلاميذه ، اذ سمعوا : ان هذا الكلام صعب .. من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه الى الوراء ولم يعودوا يمشون معه .

فقال يسوع للاثنى عشر : ألعلكم أنتم أيضا تريدون أن تمضوا ــ يوحنا ٦ : ٦٠ ــ ٦٧ » .

ثم كانت صدمته كبيرة فى أن الخائن الذى تآمر عليه مع شيوخ اليهود ، كان تلميذه الذى توسم فيه الأمانة ، فجعله أمينا للصندوق . ذلك هو يهوذا الأسخريوطى (يوحنـا ١٣ : ٢٩) .

حتى اذا ما جاءت ساعة المحنة وأحس المسـيـح بالخطر يتهـدده : « حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا ــ متى ٢٦ : ٥٦ » .

وبخصوص ما تقوله المسـيحية عن قيـامة المسـيح من الأموات

وظهوره لمريم المجدلية ، كان تلاميذه أول المرتابين .. « فلما سمعوا أولئك أنه حى ، وقد نظرته ، لم يصدقوا .

وبعد ذلك ظهر بهيئة أخرى لاثنين منهم .. وذهب هذان وأخبرا الباقين . فلم يصدقوا ولا هذين ـ مرقس ١٦ : ١١ ـ ١٣ » .

« فتراءى كلامهن لهم كالهذيان . ولم يصدقوهن ـ لوقا ٢٤ : ١ »

لقد ابتلى المسيح فى تلاميذه من أول يوم . ولهذا كان يوبخهم لقلة فهمهم وقساوة قلوبهم . بل انه كثيرا ما كان يشتمهم . وفى هذا يقول الانجيل :

« لم يفهموا بالأرغفة ، اذ كانت قلوبهم غليظة ـ مرقس ٦ : ٥٢ » .

« ولما دخل من عند الجمع الى البيت سأله تلاميذه عن المثل . فقال لهم : افأنتم ايضا هكذا غير فاهمين ؟! ـ مرقس ٧ : ١٧ ـ ١٨ » .

« الا تشعرون بعد ولا تفهمون . أحتى الآن قلوبكم غليظة ؟! الكم اعين ولاتبصرون ؟! ولكم آذان ولا تسمعون ولا تذكرون ؟! .. كيف لا تفهمون ؟! ـ مرقس ٨ : ١٧ ـ ٢١ » .

« ووبخ عدم ايمانهم وقساوة قلوبهم ـ مرقس ١٦ : ١٤ » .

كذلك عانى محمد رسول الله من أهله ـ وعلى رأسهم عمه أبو لهب ـ ومن عشيرته والمشركين . لقد حاربوه بالقول والفعل ، وبكل سلاح استطاعوه . وكان من أمثلة مفترياتهم عليه ما قالوه :

فى الجنون والشعر : ﴿ وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون ﴾ (القلم : ٥١) .

﴿ انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون . ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ﴾ (الصافات : ٣٥ ـ ٣٦) .

وفى افتراء القرآن وتاليفه كذبا على الله ﴿ وقال الذين كفروا ان

هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون . فقد جاءوا ظلما وزورا . وقالوا اساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة واصيلا ﴾
(الفرقان : ٤ ـ ٥)

﴿ بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر ﴾
(الأنبياء : ٥)

﴿ ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر ، لسان الذى يلحدون اليه اعجمى وهذا لسان عربى مبين ﴾ (النحل : ١٠٣) .

﴿ أم يقولون تقوله ، بل لا يؤمنون . فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين ﴾ (الطور : ٣٣ ـ ٣٤) .

وفى السخرية من النبى : ﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ (الزخرف : ٣١) .

﴿ وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد . افترى على الله كذبا أم به جنة ﴾ ؟!
(سبأ : ٧ ـ ٨)

لقد كان ما تعرض له محمد رسول الله فى الحرب الدعائية الشرسة ، استمرارا لما تعرض له اخوته السابقون من رسل الله :

﴿ كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون. اتواصوا به ، بل هم قوم طاغون ﴾ (الذاريات : ٥٢ ـ ٥٣) .

لكن الله ـ جلت حكمته ـ عوض رسوله بصحابة كانوا نعم الرجال : رجال الله ، سواء الذين أسلموا فى فجر الدعوة ، أو الذين لما زالت عن عيونهم غشاوات الجاهلية والعصبية ، دخلوا فى دين الله باخلاص وحمية .

لقد شهدت لهم نبوءات التوراة ـ ولا تزال ـ بانهم قديسون .

فهذه نبوءة موسى فيهم وفى نبيهم ـ محمد رسول الله ـ تقول ، حسب ترجمة البروتستانت :

« جاء الرب من سيناء ، وأشرق لهم من سعير ، وتلألأ من جبل فاران .

وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم .

فأحب الشعب . جميع قديسيه فى يدك ، وهم جالسون عند قدمك ، يتقبلون من أقوالك ـ تثنية ٣٣ : ٢ ـ ٣ » .

واذا رجعنا الى نسخة الملك جيمس نجد ترجمة الفقرة التى تتحدث عن (ربوات القدس) وما بعدها تعطينا صورة أوضح ، اذ تقول : « وجاء مع عشرة آلاف (١٠٫٠٠٠) من القديسين . ومن يمينه خرجت شريعة ملتهبة لهم »[١] .

أما العبارة التى تقول : (أحب الشعب) ، فنجدها فى التراجم الفرنسية تتكلم عن حب الله للشعوب ، أى للناس أجمعين ، وليس شعبا واحدا ، التى جرت العادة ، فى مثل تلك الحال ، أن يفهم أنه الشعب الاسرائيلى ، فالفرق كبير بين هذا وذاك . فهذه التراجم تقول : (أجل ، انه يحب الشعوب)(٢) .

وأما قولهم : (يتقبلون من اقوالك) ، فهى فى نسخة الملك جيمس : (وكل واحد سيتلقى من أقوالك) .

وهناك اجماع بين التراجم على أن هذه الفقرة من سفر التثنية ، لها علاقة بفقرة أخرى فى سفر حبقوق ٣ : ٣ ، سنتعرض لها فيما بعد .

---

(١) (and he came with ten thousands of saints : from his right hand went a fiery law for them).

(٢) (Oui, il aime les peuples) . (L. S.)

والآن تنظر فى هذه النبوءة ، كما جاءت فى سفر التثنية مع الأخذ فى الاعتبار ما تقوله مختلف التراجم ، نجد أن :

مجيء الرب من سيناء يشير الى رسالة موسى ، حيث ناداه الله فى البقعة المقدسة .

واشراق الرب من سعير ، يشير الى رسالة المسيح عيسى ، حيث تمتد سعير جنوب البحر الميت ، شرق فلسطين ، وحيث اعتزل المسيح نحو ١٨ عاما مع طائفة من أهل التقوى والورع يعرفون باسم : الأسينيين .

وأما تلألؤ الرب من جبل فاران ، فهو اشارة الى رسالة محمد الذى جاء من ذرية اسماعيل بن ابراهيم . فلقد سكن اسماعيل فى « برية فاران ــ تكوين ٢١ : ٢١ » .

وكان « بنو اسماعيل .. اثنا عشر رئيسا ، حسب قبائلهم .. وسكنوا من حويلة الى شور التى امام مصر ـ تكوين٢٥ : ١٦ ــ ١٨» .

هذا ، ولقد دخل محمد مكة فى السنة الثامنة من الهجرة فى ١٠,٠٠٠ من اصحابه ، القديسين كما تقول نبوءة موسى . دخلوها بسلام لهم ولأهلها . فلما دخل المسجد الحرام طاف بالكعبة وسجد لله شاكرا ، ثم دعا القرشيين وقال لهم : (يا معشر قريش ، ما ترون أنى فاعل بكم) ؟

قالوا : (خيرا . أخ كريم ، وابن أخ كريم .

قال : (فاذهبوا ، فانتم الطلقاء) .

ثم أتم رسول الله فى أول يوم لفتح مكة ، ما استمر يدعو اليه طيلة ٢٠ سنة ، وما حاربته مكة بصناديدها أشد الحرب فيه . فقد طهر المسجد الحرام من الأصنام وقضى تماما على الوثنية .

هذا ، ونجد اشارة أخرى الى جبل فاران ، جاءت فى نبوءة حبقوق

التى أشارت اليها مختلف التراجم ، كما ذكرنا سلفا . فهى تقول :

« الله جاء من تيمان ، والقدوس من جبل فاران . سلاه .

جلاله غطى السموات ، والأرض امتلأت من تسبيحه — حبقوق ٣ : ٣ » .

ان المسلمين هم الوحيدون بين المؤمنين بالله ورسالاته ، الذين يملأون الأرض تسبيحا ، خمس مرات على الأقل كل يوم فى الأذان للصلاة ، حيث يهتفون قائلين : الله اكبر . ثم يعلنون شهادة الحق الكبرى وهى : لا اله الا الله .

وان مكة لهى المدينة المقدسة الوحيدة التى قضى الله — جلت حكمته — ألا يدخلها مشرك نجس . فوجب على المسلمين أن يحافظوا على طهارتها هذه ، فذلك قضاء الله فى كتب النبيين ، كما هتف به أشعياء الذى جاء بعد موسى بستة قرون ، فقال نبوءة عن البرية ، بلاد العرب المقفرة الجدباء ، جاء فيها : « تفرح البرية والأرض اليابسة ويبتهج القفر ويزهر كالنرجس .. هو ذا الهكم ، الانتقام يأتى . جزاء الله . . وتكون هناك سكة وطريق يقال لها الطريق المقدسة . لا يعبر فيها نجس بل هى لهم — أشعيا ٣٥ : ١ — ٨ » .

ولقد كان قضاء الله فى القرآن العظيم :

﴿ يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾ (التوبة : ٢٨) .

حقا ، لقد عوض الله رسوله بصحابة عظام ، قادهم فى جيش من ١٠٫٠٠٠ قديس ، كان كل منهم — كما تقول نبوءة التوراة — (يجلس عند قدمى النبى يتلقى من أقواله) .

•

١٣ — أما ما ابتلى به النبى حقا ، فهم أولئك الرواة ، ووضاع الحديث ، وغير قليل من كتاب السيرة ، الذين اشتغلوا بجمع الروايات

والأخبار بما فيها من غث وسمين ، دون نقد أو تمحيص . فكان الواحد من هــؤلاء (كالبلدوزر) ، يكتسح فى مجرفته كل ما يصـادفه : التبر مع التراب ... لا فرق .

لقد رأينا سلفا[1] بعض ما أورده محمد بن جرير الطبرى ، المتوفى سـنة ٣١٠ هـ من روايات متناقضة فى قصة النبى وزيد بن حارثة وزينب بنت جحش . ونعرض الآن أمثلة أخرى لرواياته المتناقضة فى الموضوع الواحـــد .

(أ) الذبيح ابن ابراهيم :

قال محمد بن جرير فى تفسيره لمـا جاء فى سورة الصـافات عن الذبيح ابن ابراهيم : « اختلف أهل التأويل فى المفـدى من الذبيح من ابنى ابراهيـم ، فقال بعضهم : هو اسحق . ذكر من قال ذلك : حدثنا أبو كريب ... ... عن العبـاس بن عبد المطلب : ﴿ وفدينـاه بذبح عظيم ﴾ ، قال : هو اسحق .

حدثنى الحسـين بن يزيد بن اسـحق ... ... عن ابن عباس ، قال : الذى أمر بذبحه ابراهيم هو اسحق » .

ثم ذكر روايات أخرى كثيرة بهذا المعنى وعلى هذا المنوال .

ولمـا جاء للحديث عن نقيض ذلك قال : « وقال آخرون : الذى فدى بالذبح العظيم من ابنى ابراهيم ، اسماعيل ذكر من قال ذلك :

حدثنـا أبو كريب واسـحق بن ابراهيـم بن حبيب ... ... عن ابن عمر ، قال : الذبيح اسماعيل .

حدثنـا ابن بشـا قال ثنا سـفيان ... ... عن ابن عباس : ﴿ وفديناه بذبح عظيم ﴾ ، قال : اسماعيل .

حدثنا ابن حميد ... ... عن ابن عباس ، قال : الذى أمر بذبحه أبراهيم ، اسماعيل » .

ثم ذكر عدة روايات أخرى ، تنتهى الى ابن عباس أيضـا ، بهـذا المعنى وعلى هذا المنوال .

---

(١) راجع ص ٧٠

انه تناقض يدعو الى السخرية حقا ...

أين التمحيص العلمى لهذه الروايات المتهالكة ، التى تذكر مرة أن الذبيح ابن ابراهيم هو : اسحق ، ثم تذكر مرة أخرى بأنه : اسماعيل .

واكثر من هذا ، فان اغلب هذه الروايات تنتهى الى شخص واحد ، هو ابن عباس ....!

سبحان الله !

ما هذا أيها الرواة والمحدثون وكتاب السيرة ؟! ..

نحن ، حقا ، أمام عمل من طراز (**البولدوزر**) ...

لقد كفانا **الطبرى** اللجاجة فى هذه الحقيقة التى ذكرناها عنه . **فالاعتراف سيد الأدلة** ، كما قلنا من قبل ، عند الحديث عن رواياته المتناقضة فى موضوع زينب بنت جحش ، وما نذكر القارىء ببعض ما قاله :

ليعلم الناظر فى كتابنا هذا ، أن اعتمادى فى كل ما أحضرت ذكره فيه .. انما هو ما رويت من الأخبار .. دون ما أدرك بحجج العقول وأستنبط بفكر النفوس .. فما يكن من كتابى هذا من خبر ذكرناه .. مما يستنكره قارؤه .. من أجل أنه لم يعرف له وجها من الصحة ، ولا معنى فى الحقيقة ، فليعلم أنه لم يؤت فى ذلك من قبلنا ، وانما أتى من قبل بعض ناقليه الينا .

أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى

ان هذا يعنى ، بوضوح ، أن كتب التفسير والسيرة لم تسلم من روايات فيها كذب واختلاق . وهذه تحتاج الى تمحيص علمى لبيان الحقيقة فى كل موضوع . ويترتب على ذلك أننا أمام قاعدة أصولية لا بد من التسليم بها ، وهى :

ان كتب التفسير والسيرة النبوية ليست حجة على الاسلام ونبيه

على أن هذا التناقض فى الروايات عن اسماعيل واسحق ، باعتبار أن كلا منهما كان هو الذبيح ابن ابراهيم ، ليذكرنا بذلك التناقض فى الروايات الخاصة بتحول بولس من اليهودية الى المسيحية .

ففى الرواية التى ذكرها لوقا ، كاتب سفر أعمال الرسل ، فى الاصحاح التاسع منه ، نجده يقول :

« وفى ذهابه حدث أنه اقترب الى دمشق فبغتة أبرق حوله نور من السماء . فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا له : شاول شاول ، لماذا تضطهدنى . فقال : من أنت ياسيد ؟ فقال الرب : أنا يسوع ..

اما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين : يسمعون الصوت ، ولا ينظرون احدا ـ أعمال الرسل ٩ : ٣ ـ ٧ » .

بينما يقول ذات السفر ـ أعمال الرسل ـ فى الاصحاح الثانى والعشرين على لسان بولس نفسه :

« أبرق حولى من السماء نور عظيم . فسقطت على الأرض وسمعت صوتا قائلا لى : شاول شاول ، لماذا تضطهدنى ..

والذين كانوا معى نظروا النور وارتعبوا ، ولكنهم لم يسمعوا صوت الذى كلمنى ـ أعمال الرسل ٢٢ : ٦ ـ ٩ » .

لا يمكن قبول الروايتين معا ، فلا بد من نبذ واحدة منهما على الأقل ...

• •

(ب) حديث الغرانيق :

قال محمد بن جرير فى تفسيره لما جاء فى سورة الحج من قول الله :

﴿ وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته ، والله عليم حكيم ﴾ (الحج : ٥٢) ، قيل ان السبب الذى من أجله أنزلت

هذه الآية على رسول الله ﷺ أن الشيطان كان ألقى على لسانه فى بعض ما يتلو ، مما أنزله الله عليه من القرآن ما لم ينزله الله عليه ، فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ واغتم به ، فسلاه الله مما به من ذلك بهذه الآيات .

ذكر من قال ذلك : حدثنا القاسم ... .. عن محمد بن كعب القرظى ومحمد بن قيس ، قالا : جلس رسول الله ﷺ فى ناد من أندية قريش كثير أهله ، فتمنى يومئذ ألا يأتيه من الله شئ فينفروا عنه . فأنزل الله عليه : « والنجم اذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى » ... فقرأها رسول الله ﷺ حتى اذا بلغ : « أفرأيتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى » ، (النجم : ١ — ٢٠) ألقى عليه الشيطان كلمتين :

تلك الغرانيق العلى . وان شفاعتهن لترتجى .

فتكلم بها ثم مضى فقرأ السورة كلها ، فسجد فى آخر السورة ، وسجد القوم جميعا معه ..

فلما أمسى أتاه جبريل ، عليهما السلام ، فعرض عليه السورة ، فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه ، قال : ما جئتك بهاتين . فقال رسول الله ﷺ : افتريت على الله وقلت على الله ما لم يقل ! فأوحى الله اليه :

« وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذن لاتخذوك خليلا . ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا . اذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا » (الاسراء : ٧٣ — ٧٥) .

فما زال مغموما مهموما حتى نزلت عليه : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ... » — الآية (الحج : ٥٢) .

حدثنا ابن حميد ... ... عن محمد بن كعب القرظى ، قال ...

تلك الغرانيق العلى ، وان شفاعتهن ترتضى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ... ... عن أبى العالية ، قال ...

تلك الغرانيق العلى ، وشفاعتهن ترتجى ، مثلهن لا ينسى .

حدثنا ابن المثنى ... ... عن ابى العالية ، قال ...

وهى الغرانقة العلى ، وشفاعتهن ترتجى .

حدثنى محمد بن سعد ... ... عن ابن عباس : قال ....

ان تلك الغرانيق العلى ، منها الشفاعة ترتجى .

حدثنى يونس ... ... عن عبد الرحمن بن الحرث : قال ...

ومناة الثالثة الأخرى ، ان شفاعتهن ترتجى ... ... » .

هذا ــ ولسوف تناقش هذه الأقاويل والروايات ، ونعالجها من مختلف الوجوه فى نقاط متسلسلة ، ملتزمين بقاعدة أصولية ، يطبقها الناس فى مختلف قضاياهم فى المحاكم أو فيما بينهم كل يوم ، قاعـدة تقـول :

كل ما تسرب اليه الاحتمال ، سقط به الاستدلال .

وأول هذه الوجوه ، هو ما كان وفق قواعد المنطق البسيط ، الذى يعالج الموضوع باعتباره مجرد قضية كلامية ، لا تحتـاج الى خلفيـة علمية تتعلق بالاسلام وكتابه ونبيه وتاريخه .

فمن المعطيات التى اتفقت عليها هذه الروايات المتعددة :

ــ أن النبى قرأ سـورة النجم كلهـا على جمهـور كثير من المسلمين والمشركين .

ــ وأن هناك كلمات كفر أدخلت بين آيات السـورة عقب الآية التى تقـول : « ومناة الثالثة الأخرى » .

ــ وأن تلك الكلمات عددها قليل ، بوجه عام ، لا يتعدى سطرا

واحـدا فى الكتـابة . فالنص الأصغر ، وهـو السادس والأخير ، الذى بدأ بيونس ، لا يتعدى ثلاث كلمات تقول : ان شفاعتهن ترتجى .

بينما النص الأكبر ، الذى بدأ بابن عبـد الأعلى ، يصـل الى سبع كلمات .

فلنبدأ الآن مراجعة هذا الموضوع من مختلف الوجوه .

*

(١) من مراجعة النصوص الستة لكلمات الكفر يتبين أن :

ـ بعضها استخدم لفظ : الغرانيق (أرقام : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٥) .

ـ وبعضها استخدم لفظ : الغرانقة (رقم : ٤) .

ـ والبعض لم يستخدم أيا من اللفظين (رقم : ٦) .

ـ كذلك ، استخدم بعضها لفظ : شفاعتهن (أرقام : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٦) .

ـ والبعض استخدم لفظ : الشفاعة (رقم : ٦) .

ـ وأيضا ، استخدم بعضها لفظ : ترتجى أو لترتجى (أرقام : ١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦) .

ـ والبعض استخدم لفظ : ترتضى (رقم : ٢) .

ـ كذلك انتهى النصان : الأول والثانى ، الى شخص واحد هو : محمد بن كعب القرظى ، مع خلاف بينهما ، لترتجى ، ترتضى .

ـ وانتهى النصان : الثالث والرابع ، الى شخص واحـد هو : أبى العالية ، مع خلاف بينهما : الغرانيق . مثلهن لا ينسى ، الغرانقة .

فمما سبق يتبين أن هذه النصوص تختلف كثيرا فيما بينها ، ولا يمكن أن تكون قد صدرت عن شخص واحد ، فى ساعة من نهار فى مجلس واحد ، أمام جمهور كبير من الشـهود ، على طرفى نقيض فى العقيدة : فبعضهم مسلم يوحـد الله . والبعض الآخـر مشرك يعبـد الأصنام وسيطا بينهم وبين الله .

ومن ثم ، فان ايا من هذه النصوص المختلفة لا يرقى الى مرتبة الاحتمال ، فمن باب اولى ان يسقط به الاستدلال .

*

(٢) ذكر ابن كثير فى تفسيره رواية أخرى عن قتادة قال : « كان النبى ﷺ يصلى عند المقام ، اذ نعس ، فألقى الشيطان على لسانه : وان شفاعتهن لترتجى ، وانها لمع الغرانيق العلى ، فحفظها المشركون . واجرى الشيطان ان النبى ﷺ قد قراها ، فزلت بها السنتهم » .

ان الخلاف الرئيسى بين هذه الرواية وغيرها من الروايات السابقة يتركز فى خلوها مما قيل من أن النبى ﷺ قرأ سورة النجم على المسلمين والمشركين معا ، وأنهم سجدوا جميعا معه فى موضع السجود فى نهاية السورة . فهذه الرواية تجرد الروايات الأخرى من جزء أساسى فيها .

ناهيك بانقلاب شطرى كلمات الكفر ، والاختلاف نصها مع كل من النصوص الأخرى ، والادعاء بأن خطأ القراءة كان فى حال نعاس رسول الله ، وليس فى حال يقظته !

*

(٣) كذلك ، ذكر ابن كثير فى رواية تبدأ بابن أبى حاتم وتنتهى بسعيد بن جبير الذى قال : « قرأ رسول الله ﷺ بمكة النجم ، فلما بلغ هذا الموضع : ﴿ افرايتم اللات والعزى ... ﴾ .

وفى رواية أخرى لابن كثير : عن « البزار ... ... عن ابن عباس فيما احسب الشك فى الحديث أن النبى ﷺ قرأ بمكة سورة النجم حتى انتهى الى : ﴿ افرايتم اللات والعزى ... ﴾ » .

ان ما يلفت النظر فى هاتين الروايتين المشكوك فى حديثهما أنهما تتحدثان عن قراءة النبى لسورة النجم فى مكة . وهذا يعنى بداهة أن المتحدثين لم يكونوا فى مكة وانما كانوا فى المدينة . وكأن الأمور هناك كانت هادئة مستقرة ، فلا حروب ولا مخاطر متوقعة فى كل وقت

وحين ، حتى ان الواحد منهم استلقى على ظهره وأخذ راحته فى استرجاع ما كان من أمر الدعوة فى مكة ، ثم تذكر قراءة النبى لسورة النجم هناك ، وهى سورة نزلت قبل الهجرة الى المدينة بأكثر من ٨ سنوات ، وأن هذا التذكر لن يحدث قبل ١٨ عاما ، أى بعد وفاة الرسول .

عجبا حقا لهذا الهرج الذى لا يستحق مجرد القراءة ...!

لكننا آثرنا أن نعالج هذا الموضوع من شتى أوجهه ، ومن هنا كان صبرنا على استعراض هذه الخرافات .

•

(٤) تقول قواعد المنطق : إن صحة مقولة ما تتحقق ، **على الأقل** ، بتحقيق شرطين متلازمين متعاقبين :

الشرط الأول : ألا تتناقض المقولة مع نفسها (فيحدث توافق داخلى) .

الشرط الثانى : ألا تتناقض المقولة مع حقائق المقولات الأخرى (فيحدث توافق خارجى) .

ومن الواضح أن عدم تحقق الشرط الأول يعتبر كافيا للطعن فى صحة تلك المقولة ، ويجردها من كل مصداقية .

وبتطبيق هذه القاعدة المنطقية البسيطة على قضيتنا هذه ، نجد أن مجموعة الآيات التى تكلمت عن آلهة المشركين ، ثم تخللتها كلمات الكفر المزعومة – ولتكن وفق النص الأكبر – تقرأ معا كالآتى :

﴿ افرايتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الاخرى ﴾ .

تلك الغرانيق العلى . وشفاعتهن ترتجى . مثلهن لا ينسى .

﴿ الكم الذكر وله الانثى . تلك اذن قسمة ضيزى . ان هى

الا أسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ، ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى . أم للانسان ما تمنى . فلله الآخرة والأولى . وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ... »

من الواضح أن الشرط الأول لم يتحقق فى هذه المقولة ، فهى بهذه الصورة تتناقض مع نفسها ، اذ لم يحدث فيها توافق داخلى ألبتة . ذلك أنها بعد أن ذكرت أسماء تلك الأصنام المعبودة فى الآيتين الأوليين ، ثم مدحتهن فى ثلاث مقاطع تالية ، اذا ببقية الآيات تحمل عليها حملة شعواء ، تبدأ بانكار وجودها فتعتبرها مجرد أسماء اختلقها الخيال ، والعقيدة فيها ليس لها من برهان سوى الظن والهوى . ثم بينت الآيات أن الملائكة لا يملكون من أمر الشفاعة شيئا ، « **فلله الآخرة الأولى** » ، (وله كل شىء) ، وحده لا شريك له .

ان هذه المقولة ، بما دس فيها من حديث الغرانيق ، لا يمكن أن تكون قد صدرت عن شخص واحد ، فى مجلس واحد ، شهده جمع من المسلمين والمشركين . فلا بد ، اذن ، من نبذ حديث الغرانيق حتى يتوافق هذا القول مع نفسه ، قبل البحث ــ من وجهة نظر المنطق البحت ــ فى البحث فى تحقيق الشرط الثانى وهو توافقه مع الحقائق القرآنية الأخرى .

ان القاعدة المنطقية التى استخدمناها فى بحث حديث الغرانيق تعتبر وسيلة مضمونة وميسرة لبحث مختلف القضايا المماثلة . ونستطيع تطبيقها ، فى سهولة ويسر ، على مقولات أخرى ، ولتكن تلك التى تتعلق بيوسف الصديق ، وامرأة العزيز فى مصر ، حسبما جاءت فى الكتاب المقدس .

فبعد أن تآمر اخوة يوسف عليه وألقوه فى البئر ، « اجتاز

رجال مديانيون تجار ، فسحبوا يوسف وأصعدوه من البئر .. فأتوا بيوسف الى مصر .. وأما المديانيون فباعوه فى مصر لفوطيفار خصى فرعون رئيس الشرط ..

وأما يوسف فأنزل الى مصر واشتراه فوطيفار خصى فرعون رئيس الشرط رجل مصرى .. وكان الرب مع يوسف فكان رجلا ناجحا، وكان فى بيت سيده المصرى ..

وحدث بعد هذه الأمور أن امرأة سيده رفعت عينيها الى يوسف وقالت : اضطجع معى ... فأخذ يوسف سيده ووضعه فى بيت السجن ..

وحدث بعد هذه الأمور أن ساقى ملك مصر والخباز أذنبا الى سيدهما ملك مصر .. فوضعهما فى حبس بيت رئيس الشرط فى بيت السجن المكان الذى كان يوسف محبوسا فيه ..

فحدث فى يوم عيد ميلاد فرعون أنه ... رد رئيس السقاة الى سقيه .. ثم كلم رئيس السقاة فرعون قائلا ... فى حبس بيت رئيس الشرط .. كان هناك معنا غلام عبرانى عبد لرئيس الشرط ... ـ تكوين ٣٧ : ٢٨ ـ ٣٦ ، ٣٩ : ١ ـ ٧ ، ٤٠ : ١ ـ ٣ ، ٢٠ ـ ٢١ ، ٤١ : ٩ ـ ١٢ » .

هذه هى الخطوط العامة للجزء الأول من قصة يوسف . ويستطيع القارىء العادى ، الذى لا يعرف شيئا عن يوسف وما قيل عنه فى الكتاب المقدس أو فى القرآن العظيم ، أن يلمح شيئا يمنع توافق هذا الجزء من القصة مع نفسه . فيوسف عبد لرئيس الشرط ، فوطيفار ، خصى فرعون ، وأن هذا الخصى له زوجة تحاول اغواء يوسف ... ! كيف هذا : خصى يتزوج !؟

ان هنا خللا واضحا يتمثل فى وصف رئيس الشرط أو الموظف السامى لدى فرعون بأنه خصى ...!

ولقد أوقع هذا الخطأ مترجمى سـفر التكوين من العبرية الى اللغـات الأخرى فى حرج شـديد ، فاضطر بعضهم الى الالتزام بالنص العبرى الخطأ ، ووصف رئيس الشرط بأنه خصى فرعـون . وهـذا ما نقرأه فى التراجم العربية الشائعة ، وفى الترجمة الفرنسية المسكونية ، وفى ترجمة أورشليم الفرنسية . أما تراجم البروتستانت ، عموما ، فقـد أسـقطت كلمـة « خصى » من القصة لتتخلص من هذا المـأزق .

وجـدير بالذكر أن مجىء يوسـف الى مصر ، ثم مجىء أبيـه وقبيلته فى عقبه ، كان خلال حكم أجنبى غريب ، غير فرعونى ، تشير المقارنات التاريخية الى أنه حدث أيام الهكسوس .

*

(٥) من المعلوم أن حادث الاسراء كان فى العام الأخير قبل الهجرة الى المدينة ، وأن حديث الاسراء كان سببا فى ارتداد بعض المسـلمين على دينهم ، اذ لم تستطع عقولهم تصديقه . ويروى ابن كثير فى تفسيره عن ابن عبـاس قال : « أسرى برسـول الله ﷺ الى بيت المقدس ، ثم جاء من ليلته فحدثهم بمسيره ، وبعلامة بيت المقدس ، وبعيرهم (التى كانت فى الطريق) .

فقال ناس : نحن لا نصدق محمدا بما يقول . فارتدوا كفارا ..

(فقد حدث فى صباح ليلة الاسراء أن) مر به عدو الله أبو جهل ، فجاء حتى جلس اليـه ، فقال له كالمستهزىء : هل كان من شىء ؟!

فقال له رسـول الله ﷺ : نعم . قال : ما هو ؟ . قال : انى أسرى بى الليلة . قال : الى أين ؟ قال : الى بيت المقدس . قال : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟! قال : نعم ..

قال : أرأيت ان دعوت قومك ، أتحدثهم بما حدثتنى به ؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم .

فقال : يا معشر بنى كعب بن لؤى ! قال : فانفضت اليه المجالس وجاءوا حتى جلسوا اليهما . قال : حدث قومك بما حدثتنى .

فقال رسول الله ﷺ : انى أسرى بى الليلة . فقالوا : الى أين ؟ قال : الى بيت المقدس . قالوا : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟! قال : نعم . قال : فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجبا » ...

لقد ارتد قوم عن الاسلام بعد سماعهم قصة الاسراء من الرسول ، وكان ذلك قرب نهاية فترة الدعوة فى مكة ، وقد ازداد المسلمون آنذاك عددا وقوة . وفشل الحصار الاقتصادى والاجتماعى والفكرى الذى فرضه القرشيون على المسلمين .

فمن باب أولى أن يحدث ارتداد لبعض المسلمين ــ على الأقل ــ قبل ذلك بما لا يقل عن سبع سنين ، حين نزلت سورة النجم ، لو كان فيها حقا حديث الغرانيق ، والمسلمون يومئذ قليل ، والقرآن الذى يأتيهم به الرسول فى متناول أيديهم ، وحجة لهم أو عليهم وذلك كله قبل مولد ابن عباس ، الذى تنسب اليه زورا بعض روايات الغرانيق ، بمدة لا تقل عن خمس سنين ، اذ المعروف أنه كان قد بلغ الثالثة عشر عند موت الرسول .

.. لم يحدث ارتداد عن الاسلام . اذن ، عقب نزول سورة النجم وتلاوة الرسول اياها جهارا نهارا أمام حشد كبير من الشهود : مسلمين ومشركين ، وذلك لسبب وحيد وجوهرى وهو أنها كانت نقية كما أنزلها الله ، وكما يتلوها كل مسلم اليوم .

فلا يعقل ان يرتد مسلمون لمجرد الحديث عما اراه الله لنبيه من عالم الغيب ــ الذى يشكل جزءا اساسيا من عقيدة كل مؤمن ــ بينما لا يرتد احد لسماع قرآن اختلط به حديث الغرانيق ... ! ان هذا مستحيل ...

هذا — ولقد عالج شيخ كبير من شيوخ المفسرين ، هو **الفخر الرازى** المتوفى سنة ٦٠٤ هـ ، حديث الغرانيق ، بعد أن ذكر رواية تتشابه مع رواية الطبرى وان اختلفت معها فى نقاط هامة منها : اختلاف نص كلمات الكفر ، فانه قال : « **اما أهل التحقيق فقد قالوا : هذه الرواية باطلة موضوعة** . واحتجوا عليها بالقرآن والسنة والمعقول» .

ثم ذكر الفخر الرازى براهين على بطلان هذه الرواية ، نقتبس بعض ما استند اليه من (السنة والمعقول) ، ونضعه ضمن مسلسل معالجتنا لهذا الموضوع . أما الاحتجاج بالقرآن ، فسنعرض له فيما بعد .

(٦) قال الفخر الرازى : « روى عن محمد بن اسحق بن خزيمة (الذى كان معاصرا للطبرى ، ولقب بامام الأئمة ، وله كتاب : الصحيح فى الحديث) أنه سئل عن هذه القصة ، فقال : (**هذا وضع من الزنادقة**) وصنف فيه كتابا .

وقال الامام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى : (**هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل**) . ثم أخذ يتكلم فى أن **رواة هذه القصة مطعون فيهم** » .

(٧) « وأيضا ، فقد روى **البخارى** فى صحيحه أن النبى عليه السلام قرأ سورة النجم وسجد فيها المسلمون والمشركون .. **وليس فيه حديث الغرانيق** . وروى هذا الحديث من طرق كثيرة **وليس فيها البتة حديث الغرانيق** » .

*

(٨) « وأما المعقول ، فمن وجوه :

أنه عليه السلام ، ما كان يمكنه فى أول الأمر أن يصلى ويقرأ القرآن عند الكعبة آمنا أذى المشركين له ، حتى كانوا ربما مدوا أيديهم اليه ، وانما كان يصلى اذا لم يحضروها ليلا ، أو فى أوقات خلوه . وذلك يبطل قولهم .

وأن معاداتهم للرسول كانت أعظم من أن يقروا بهذا القدر من القراءة دون أن يقفوا على حقيقة الأمر . فكيف أجمعوا على أنه عظم آلهتهم حتى خروا سجدا (فى نهاية السورة) مع أنه لم يظهر عندهم موافقته لهم (حسب بقية السورة) » .

*

(٩) أجمعت الروايات المختلفة كلها على شيء واحد ، وهو أنه فى نهاية نفس اليوم كانت سورة النجم عند الرسول نقية كما نقرؤها اليوم . لكن الوضاعين أرجعوا ذلك الى تصحيح سريع قام به الأمين جبريل ، وان اختلفوا ، كالعادة ، فى كيفية تدخل أمين الوحى . فاحدى روايات الطبرى ، كتلك التى نقلناها سلفا ، تقول :

(فلما أمسى أتاه جبريل ، عليهما السلام ، فعرض عليه السورة ، فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه ، قال : ما جئتك بهاتين) ..

أما الرواية التى نقلها الفخر الرازى ، فتقول :

(فلما أمسى رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام فقال : ماذا صنعت ؟! تلوت على الناس ما لم آتك به ، وقلت ما لم أقل لك) ؟!

ان نظرة واحدة فى أى من هاتين الروايتين لتقطع بكذبهما . **فمثل هذا الحديث الذى يزعمون أنه جرى بين أمين الوحى والنبى ما كان لبشر أن يعلمه الا عن طريق النبى نفسه . ولما كان النبى لم يحدث بشيء من ذلك على الاطلاق ، كان ذلك الحديث المزعوم بين أمين الوحى والنبى مختلقا ولا صحة له ، ويترتب على ذلك الاقرار باختلاق حديث الغرانيق برمته ، جملة وتفصيلا .**

على أن الذين اختلقوا روايات الغرانيق ليثيروا شبهات حول القرآن ، وأولئكم الذين ظاهروهم عبر الزمان — ولا يزال بعضهم الى الآن — من غير المسلمين ، انما استدرجوا — نتيجة لسوء مكرهم —

الى التسليم بنتيجة منطقية ــ ترتبت على قولهم بتدخل الأمين جبريل لبيان الحق فى نفس اليوم ــ وهى : أن القرآن الذى يتلوه الرسول على الناس فى الأرض ، انما هو مرصود من السماء ، تحت المراقبة التامة ، ومحفوظ من التدخل فيه على أى صورة من الصور .

ان هذا يعنى أنهم يسلمون ــ دون أن يدروا ــ بقول الحق : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » (الحجر : ٩) .

•

(١٠) ثم نختم استعراضنا للروايات المختلفة بذكر واحدة ، تختلف عن سابقاتها فى شىء هام يسترعى الانتباه ، فقد ذكرها ابن كثير بدءا بابن أبى حاتم ، وانتهاء بابن شهاب الذى قال : « أنزلت سورة النجم وكان المشركون يقولون : لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير ، أقررناه وأصحابه . وكان رسول الله ﷺ قد اشتد عليه ما ناله وأصحابه من أذاهم وتكذيبهم ، وأحزنه ضلالهم ، فكان يتمنى هداهم . فلما أنزل الله سورة النجم قال : « افرأيتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى . ألكم الذكر وله الأنثى » ، ألقى الشيطان عندها كلمات حين ذكر الله الطواغيت فقال : (وانهن لهن الغرانيق العلا . وان شفاعتهن لهى التى ترتجى) . وكان ذلك من سجع الشيطان وفتنته . فوقعت هاتان الكلمتان فى قلب كل مشرك بمكة ، وذلت بها السنتهم .. فلما بلغ رسول الله ﷺ آخر النجم سجد وسجد كل من حضره من مسلم أو مشرك .. فعجب الفريقان كلاهما من جماعتهم فى السجود لسجود رسول الله ﷺ .

فاما المسلمون فعجبوا لسجود المشركين معهم على غير ايمان ولا يقين ، ولم يكن المسلمون سمعوا الذى القى الشيطان فى مسامع المشركين .

(وأما المشركون) فاطمأنت أنفسهم لما ألقى الشيطان فى أمنية

رســـول الله ﷺ ، وحدثهم به الشيطان ان رســول الله ﷺ قــد قراها فى السورة ، فسجدوا لتعظيم آلهتهم ، ففشت تلك الكلمة فى الناس » .

من هذه الرواية تتبين عدة أمور هامة :

ـ أن ما كان يتمناه النبى هــو هداية قومه . وهــذا حــق له وواجب عليه ، وذلك خلافا للروايات الأخرى التى زعمت أنه كان يتمنى ألا يأتيه من الله شيء فينفروا منه . فشتان بين هذا وذاك .

ـ وأن النبى لم يقرأ كلمات الكفر على الاطلاق ، وانما قرأ ثلاث آيات متواليات دون تدخل خارجى ، فقال : « افرايتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الاخرى . الكم الذكر وله الانثى » ، وذلك خلافا للروايات الأخرى التى تحقن كلمات الكفر بين الآيتين الثانية والثالثة . ولهــذا السبب لم يسمع المسلمون تلك الكلمات الشيطانية على الاطلاق ، ومن ثم تعجبوا لسجود المشركين معهم فى نهاية السورة .

ـ وأن كلمات الكفر كانت وقفا على المشركين دون غيرهم .

ـ وأن نصها هنا يعتبر أطول النصوص ، ويختلف معها جميعا .

ويمكن تقدير ما حدث اعتمادا على أن ســورة النجم التى قرأها الرسول على المشركين والمسلمين ، سفهت آلهة قريش واعتبرتها مجــرد أســـماء ســموها (ما انزل الله بها من سلطان) واعتمادا على ما بينتــه الرواية الأخيرة ، ثم بالقياس لمـــا يحدث فى حياتنا اليومية . فمن المعلوم أن النيابة العامة عندما تباشر التحقيق فى جريمة وقعت ، فانها تستطيع فى النهاية أن ترسم صورة تقـــديرية لحقيقـــة ما حــدث اعتمـــادا على ما تجمع لديها من قرائن وأدلة وعوامل أخرى مؤثرة .

وبالمثل ، فاننا نستطيع أن نقول :

يحدث فى حياتنا اليومية أن يقرأ قارىء القرآن مجودا على جماعه

من المسلمين فيطربون له ويهتزون لتجويده . ويبلغ بأحدهم الطرب أن يتدخل بكلمات من عنده ، عقب بعض الآيات . فاذا تلى القارىء قوله تعالى : « **واذا سألك عبادى عنى فانى قريب ، اجيب دعوة الداع اذا دعان** » (البقرة : ١٨٦) ، عقب ذلك المأخوذ الطرب بصيحة اعجاب ، عالية الصوت ، تقول ، مثلا : ارحمنا يا رحمان ! فاذا استمع جاهل بالقرآن ، يجلس بعيدا عن القارىء ، كانت حصيلة سمعه : (... أجيب دعوة الداع اذا دعان : ارحمنا يا رحمان) ! فيعتقد هذا الجاهل ـ خطأ ـ أن ذلك كله قرآن ، وما هو كذلك . انه قرآن ألحق به قول بشر ... وما حدث هذا الا لأن المسلمين لا يلتزمون بما يأمرهم به الله فى تعليم قرآنى واضح يقول : « **واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون** » (الأعراف : ٢٠٤)

ولقد حدث فى حياتنا اليومية أن كتب عالم فاضل شغل نفسه بالتفسير الموضوعى للقرآن ، تفسيرا لبعض السور ، فاذا به يكتب الآيات ويدس بينها مفردات وشروحا يضعها بين أقواس . فما هو الحال اذا حدث خطأ سطبعى ، وفقد أحد الأقواس ، وهو احتمال كثير الوقوع ؟! لا شك أن القارىء البسيط سيقرأ القرآن وما ألحق به باعتباره كله قرآنا ، وما هو كذلك .

وبناء على ما سبق تكون الصورة الاحتمالية هى أن الرسول ﷺ بدأ يقرأ سورة النجم على المشركين والمسلمين ، وبمجرد أن جاء ذكر آلهتهم فى قول الله تعالى : « **افرايتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الاخرى** » **استمر الرسول يقرا ما بعدها صحيحا نقيا** ـ وهذا ما تقوله الرواية التى نحن بصددها ـ **فقال** : « **الكم الذكر وله الانثى** » بينما هتف أحد المشركين بقوله : تلك الغرانيق العلا . منها الشفاعة ترتجى ، فاستجابت لها أفئدة المشركين . لأنها تتفق وعقائدهم فيها ، وكانت بمثابة اسقاط نفسى لشىء كانوا يتمنوه ـ اذ تقول نفس هذه الرواية : كان المشركون يقولون : لو أن هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير .

أقرناه وأصحابه ـ ومن ثم كان سجودهم فى ختـام السورة . هذا ، بينما كان المسلمون يركزون سمعهم على ما يقوله الرسول ، كعادتهم فى كل مجلس له ، ولهذا قالت الرواية ان المسلمين لم يكونوا قـد سمعوا الذى ألقى الشيطان فى مسامع المشركين ، ومن ثم كان تعجبهم لسجود المشركين معهم .

واما أن تنسب كلمات الكفر للشيطان ، رغم أنها صـدرت على لســان انســان مشرك ، فذلك شىء تتفق عليـه الكتب المقدســة ، حيث ينسب الشر أصـلا الى الشيطان الذى يغرى الانســان بفعله ، فيستجيب له ويفعله . ويوم الحساب ، يتبرأ كل من خليله :

« وقال الشـيطان لمـا قضى الأمر ان الله وعـدكم وعد الحـق ووعدتكم فاخلفتكم ، وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى ، فلا تلومونى ولوموا انفسكم ، ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخى ، انى كفرت بما اشركتمون من قبل ، ان الظـالمين لهم عـذاب اليم »
(ابراهيم : ٢٢)

اننا لسنا فى حاجـة الى التذكرة بأن القريحـة العربيـة لأى من المشركين الذين استمعوا الى رســول الله وهو يتلو عليهم سورة النجم ، لكفيلة بأن تسعفه بكلمة تعظيم لآلهته بمجرد ســماع أسمائها . فها هو خالد بن الوليـد ، الذى عاش على الشرك زمنا طويلا ثم هداه الله الى الاسلام أخيرا قبل وفاة الرســول ، يمر يوما على صنمى اللات والعزى بعد اســلامه ، فينظر الى الواحد منهما ويقول :

كفرانك ، لا ســبحانك ! انى رأيت الله قد اهانك . لقد كان هـذا سجعا لا تكلف فيه ، جادت به قريحة خالد لساعتها .

ولسنا فى حاجة أيضـا ، الى التذكرة بأن العرب كانوا أســاتذة فى الحرب الكلامية ، فأنشأوا لها مواسم وأسواقا يعرضون فيها دعاياتهم

ما بين فخر وهجاء . لقد كانوا يدركون تماما قوة الكلمة وأثرها الفعال الذى يتعاظم بكثرة الترديد .

فلقد حدث فى غزوة أحـد ، بعد أن رجحت كفة المشركين آخر الأمر ، أن أذاعت قريش أن محمدا قتل ... وكان لهذه الكلمة الكاذبة الخبيثة فعلها الرهيب فى كلا الجانبين ... فلا عجب ، اذن . أن يلغوا فى القرآن ، وينسبوا له ، كذبا ، حديثا كحديث الغرانيق .

ومهما يكن من أمر . فان كلمات الكفر لم تكن لتصدر الا من جانب المشركين .

ومن الجدير بالذكر أن ابن كثير قد ضعف روايات الغرانيق جميعا. فقال : « انها من طرق كلها مرسلة ولم ارها مسندة من وجه صحيح » .

والمرسل هو ما سقط منه الصحابى الذى استمع الى النبى ﷺ وأخذ عنه . ويرى جمهور العلماء من أهـل الحديث ـ ومعهم الأصوليون ـ أن الحديث المرسل لا يؤخذ به . وقد قال الامام مسلم فى مقدمة كتـابه « الجامع الصحيح » : ان المرسل من الروايات ـ فى اصل قولنا وقول اهل العلم بالاخبار ـ ليس حجة .

(١١) ليس جديدا أن يتهم رسول من رسل الله بتدخـل الشيطان فى شىء يتعلق برسـالته ، فما زعمه الكافرون فى شـأن محمد رسول الله ، قال بمثله ، من قبل ، الكافرون برسالة المسيح عيسى ابن مريم . فلقد حدث أن شـفى المسـيح مجنـونا أعمى وأخرس . « فبهت كل الجمـوع وقالوا : العل هذا هو ابن داود ؟

اما الفريسيون فلما سمعوا قالوا : هذا لا يخرج الشـياطين الا ببعلزبول رئيس الشياطين .

فعلم يسوع افكارهم وقال لهم : كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب. وكل مدينة أو بيت منقسم على ذاته لا يثبت . فان كان الشيطان يخرج الشيطان ، فقد انقسم على ذاته . فكيف تثبت مملكته ؟!

وان كنت أنا ببعلزبول أخرج الشياطين ، فأبناؤكم بمن يخرجون ؟! لذلك هم يكونون قضاتكم .

ولكن ان كنت أنا بروح الله اخرج الشياطين ، فقد اقبـــل عليكم ملكوت الله ــ متى ١٢ : ٢٣ ــ ٢٨ » .

« فأجاب اليهــود وقالوا : ألســنا نقول حســنا انك ســامرى وبك شيطان ــ يوحنا ٨ : ٤٨ » .

« فقال كثيرون منهم : به شيطان وهو يهذى لمــاذا تستمعون له ــ يوحنـــا ١٠ : ٢٠ » .

ان المتتبع لحديث الانجيل ــ وليكن انجيل مرقس أقدم الأناجيل . والذى أخــذ عنه كل من متى ولوقا ــ نجد أنه ذكر أفعال الشيطان فى مجالين اثنين :

ــ اغواء الناس وتجربتهم بقصد اضلالهم . ولقــد تعرض المسيح لهذا قبل أن يبدأ دعوته (١ : ١٣) ، كما حذر المسيح من اضــلاله الناس (٤ : ١٥) .

ــ احتلاله جسم الانسان واصابته بالأمراض والجنون (٣ : ١٥ ؛ ٥ : ٢ ، ٧ : ٢٥) .

أما فى القرآن فان الحملة على الشيطان وقبيله عنيفة ومتواصلة ؛ بدأت منذ أول الخليقة واستمرت تلعنه الى يوم القيامة وتحذر الانسان من شروره .

﴿ يا بنى آدم لا يفتننكم الشــيطان كما اخرج ابويكم من الجنـــة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما ، انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ﴾ (الأعراف : ٢٧) .

﴿ ان الشيطان للانسان عدو مبين ﴾ (يوسف : ٥) .

﴿ ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ، انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير ﴾ (فاطر : ٦) .

﴿ يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة . فهل انتم منتهون ﴾ (المائدة : ٩٠ ــ ٩١) .

﴿ يا ايها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، انه لكم عدو مبين ﴾ (البقرة : ٢٠٨)

﴿ لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا . ولاضلنهم ولامنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ، ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا ﴾
(النساء : ١١٨ ــ ١١٩)

﴿ هل انبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل افاك اثيم ﴾
(الشعراء : ٢٢١ ــ ٢٢٢)

﴿ فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ﴾
(مريم : ٦٨)

... وهكذا ، جاءت حملة القرآن على الشيطان أكثر من أى كتاب سماوى آخر . ففى أكثر من ثمانين آية ، تجد تحذيرا تلو تحذير من ضلالات الشيطان وتلابيسه بهدف رئيسى يقصده وهو تحقيق الضياع الأبدى للانسان .

بعد هذا العرض المركز لموقف القرآن من الشيطان ، نستطيع أن نستخدم منطق المسيح فى محاجته لليهود الذين اتهموه بتدخل الشيطان فى أعماله .

لقد قال لهم المسيح : **(ان كان الشيطان يخرج الشيطان ، فقد انقسم على نفسه . وكل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب)** .

وعلى خطى المسيح نقول للذين زعموا تدخل الشيطان فى القرآن الذى نزل على محمد رسول الله ، بأى صورة من الصور :

(ان كان الشيطان يلعن الشيطان ويحذر الناس من شروره بعد أن يكشف لهم وسائله وألاعيبه ، فقد انقسم على نفسه . وكل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب) .

ولقد قال المسيح ، لمن يريدون دخول ملكوت الله :

(ان كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين ، فقد أقبل عليكم ملكوت الله) .

وبنفس المنطق نقول لمن يريدون الايمان الحق والحياة الأبدية الآمنة : **(ان كان ايمانكم ان القرآن نزل به الروح القدس ، فقد أقبل عليكم ملكوت الله)** . وأن هذا يعنى بداهة التسليم الكامل بقول الحق :

« وما تنزلت به الشياطين . وما ينبغى لهم وما يستطيعون . انهم عن السمع لمعزولون » (الشعراء : ٢١٠ — ٢١٢)

(١٢) ان واقع الحياة ، ماضيها وحاضرها ، يؤكد الصاق تهم كثيرة وخطيرة بمن هم منها براء . وتلك واحدة من شرور أكثر الناس ، وهى فى نفس الوقت من أكثر شرورهم التى استحال التخلص منها . وما باليد من حيلة سوى تفنيد تلك الاتهامات وابطالها ، فمن شاء أصر على موقفه منها ، ومن شاء خجل من نفسه وطلب الغفران .

لقد كان المسيح ومن بعده محمد من أكثر من وجهت اليهم ثلاث اتهامات خطيرة هى : **الكذب ، والجنون ، والسحر او استخدام الشياطين .**

بل ان الكفرة ألحقوا بالمسيح تهمة أفظع وأوجع ، اذ طعنوا فى شرف أمه فجعلوه : **ابن زنا !**

ففى محاورة بينه وبين اليهود « **قالوا له : اننا لم نولد من زنا** — يوحنا ٨ : ٤٨ » .

ولقد لاحظنا ، سلفا ، أن الدجال الهندى سلمان رشدى ملأ بتلك

الشتيمة الفاحشة صفحات روايته الشيطانية . (فمن ثمارهم تعرفونهم) حقا ، كما قال المسيح ، أو : كل اناء بما فيه ينضح ، والطيور على أشكالها تقع ، كما يقول الناس فى أمثالهم .

هذا ، ولقد برأ القرآن العظيم مريم الطاهرة ـ كما برأ أنبياء بنى اسرائيل ـ من كل المثالب وأحاديث الافك التى سطرها كتبة أسفار الكتاب المقدس ، فقال فى حقها أفضل ما يقال :

﴿ واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ﴾ (آل عمران : ٤٢) .

ذلك بعض ما كان من تعظيم القرآن لمريم أم المسيح . فبينما يفرد لها سورة مستقلة باسمها تسمى سورة مريم ، ثم يذكرها مرات ومرات بكل اجلال واحترام فى غيرها من السور والآيات ، نجدها لم تذكر خارج الأناجيل الا مرة واحدة فى سفر أعمال الرسل ، فى حديثه عن التلاميذ بعد رفع المسيح ، اذ قال : « كانوا يواظبون بنفس واحدة على الصلاة والطلبة مع النساء ، ومريم ام يسوع ومع اخوته ـ ١ : ١٤ » .

ولقد أغفلتها بقية أسفار العهد الجديد البالغ عددها ٢٢ سفرا ، فلم يذكرها بولس فى رسائله الكثيرة الا غفلا من الاسم ، وذلك فى قوله عن المسيح أنه : (مولود من امرأة) ، كما أغفلها التلاميذ الذين تنسب اليهم بقية الأسفار وهم : بطرس ويوحنا ويعقوب ويهوذا ... ! أليست هذه ظاهرة تستحق التأمل ؟

لا عجب ، اذن ، ان يقول المسلمون صادقين : نحن اولى الناس بالمسيح وامه .

●

(١٣) وأخيرا ، تذكر بأمر عجيب حقا ، لكنه فى الحقيقة واقع ملموس لقول **الحق** فى القرآن العظيم : **﴿ فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ﴾** (الحج : ٤٦) .

ذلك أن سورة النجم ، التى حاولوا اللغو فيها ، هى السورة الوحيدة بين سور القرآن البالغ عددها ١١٤ سورة ، التى تستفتح بعد القسم : **« والنجم اذا هوى »** ، بالتأكيد على تجرد الرسول من كل ضلال وغواية وهوى فى كل ما يتعلق بالمنطوق القرآنى . فهى تقول :

« ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى . علمه شديد القوى »

لن سورا كثيرة أخرى من القرآن تستفتح بالتأكيد على أنه كتاب **« لا ريب فيه »** (سورة البقرة) ، وأن الله نزله على رسول بالحق (سورة آل عمران) ، وأنه وحى من الله الى رجل من الناس (سورة يونس) ، وأنه **« كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير »** (سورة هود) ، وأنه **« تنزيل من الرحمن الرحيم »** (سورة فصلت) ، وهو **« الكتاب المبين »** (سورة الدخان) ، وهو **« القرآن المجيد »** (سورة ق) ...

أما استفتاح سورة النجم فانه متفرد فى حديثه عن العلاقة بين **الوحى ، والرسول ، والقرآن** ، وتأكيده على أنها بدأت بالحق ، وبالحق انتهت ، حق **« لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد »** (فصلت : ٤٢) .

ومنذ نزلت سورة النجم ، وآيتان من صدرها ، يرددهما المسلمون بكثرة فى أحاديثهم عن النبى والقرآن ، فى شتى المناسبات وعبر العصور والأزمان ، وهما : **« وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى »** . وكأن صدر سورة النجم ينطوى على نبوءة تشير الى أن المبطلين سيلغون فى هذه السورة بالذات ، ومن ثم كان الرد الالهى حاضرا فى فاتحتها . فما على مبصر القلب الا أن يراه ، أما أعمى القلب فلن يراه ، وان قرأه مرات ومرات .

* *

أما الآن ، فلنتوقف قليلا لنجرى مراجعة سريعة لدراستنا .

لقد بدأنا هذا الجزء بالحديث عن حقائق الاسلام والتـاريخ . فذكرنا منها ١٣ عنصرا متسلسلا . وكان عنصرها الثالث عشر والأخير متعلقا بما ابتلى به محمد رسول الله من الرواة ووضـاع الحديث وغير قليل من كتاب السيرة . واستشهدنا بما قيل عن الذبيح ابن ابراهيم ، وما روى كذبا من حديث الغرانيق الذى أجرينا له مراجعـة شـاملة من مختلف الوجوه ، جاءت فى ١٣ عنصرا فرعيا متسلسلا ، كل رقم بين قوسـين .

والآن ، نعود لنذكر العنصر الرابع عشر والأخير فى سلسلة عناصر الاسـلام والتاريخ . لننتقل بعد ذلك للحديث عن افتراءات الدجـال الهندى على الاسلام ونبيه وكتابه وتاريخه .

* *

١٤ – فى مرات عـديدة ، نزل الوحى على رسول الله بما يخـالف موقفه من قضايا مختلفة .

(١) فلقـد كان رسول الله يخاطب يوما بعض كبراء قريش ممن طمع فى اسلامه ، اذ أقبل عليه ابن أم مكتوم ، رجل أعمى كان قـد أسلم قديما ، جاء يسـأل النبى شيئا فى الدين ويلح عليه فى السؤال . فعبس النبى فى وجهه وأعرض عنه ، التفاتا الى الشريف القرشى وطمعا فى اسـلامه . فأنزل الله عليـه سـورة عبس ، تستفتح باستنكار هـذا الموقف ، وتعاتب الرسول عتابا شديدا ، فتقول :

﴿ عبس وتولى . ان جاءه الأعمى . وما يدريك لعله يزكى . او يذكر فتنفعه الذكرى . اما من استغنى . فانت له تصدى . وما عليك الا يزكى . وأمـا من جاءك يسـعى . وهـو يخشى . فـانت عنـه تلهى .

كلا انها تذكرة . فمن شاء ذكره . فى صحف مكرمة . مرفوعة مطهرة . بأيدى سفرة . كرام بررة ﴾ (عبس : ١ ــ ١٦)

لقد طلب الله الى رسوله ، بشــكل قاطع ، أن يســاوى فى تبليغ رســالته الى النــاس (بين الشريف والضعيف ، والغنى والفقير ، والسادة والعبيد ، والرجال والنساء ، والصغار والكبار) .

وكان الرسول ، بعد ذلك ، اذ جــاءه ابن أم مكتوم ، يبالغ فى اكرامه ويبادره بقوله : أهلا بمن عاتبنى فيه ربى .

*

(٢) وفى فجر الدعــوة ، والرسول حديث عهد بالوحى ، كان اذا أنزل عليــه ، (يتلقى أوله ويحرك به شفتيه خشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره) . فأنزل الله تعالى ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به . ان علينا جمعــه وقرآنه . فاذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم ان علينا بيانه ﴾ (القيامة ١٦ ــ ١٩)

*

(٣) وفى خضم الاضطهاد والتعذيب والحرب النفســية التى مارسها المشركون ضــد المســلمين ، بعثت قريش النضر بن الحارث ، وعقبــة ابن أبى معيط الى أحبار اليهود بالمدينة ، يستفتونهما فى أمر محمد ، باعتبارهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم الأنبياء .

فقال أحبار اليهود : سلوه عن ثلاث ، فان أخبركم بهن فهو نبى مرســل ، والا فهو رجل متقول ، فتروا فيه رأيكم : سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول ، وعن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وســلوه عن الروح .

(فأقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش . فقــالا : يا معشر قريش ، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد . فقــد أمرنا أحبــار

يهود أن نسـألـه عن أمور ، فأخبروهم بها ، فجاءوا الى رسـول الله ﷺ فقالوا : يا محمد ، أخبرنا ، فسألوه عما أمروهم به .

فقـال لهم رسـول الله ﷺ : **اخبركم غـدا عما سألتم عنه .** فانصرفوا .

ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله له فى ذلك وحيا ، حتى أرجف أهل مكة وقالوا : وعدنا محمد غدا ، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء عما سألنا عنه !

وقد أحزن رسول الله ﷺ سكث الوحى عنـه ، وشـق عليـه ما يتكلم به أهل مكة .

ثم جاءه جبرائيل عليه السلام ، من الله عز وجل ، بسورة الكهف (وفيها معاتبته اياه على حزنه عليهم ، وخبر ما سـألوه عنه) . ثم تعليم الهى يقـول لـه : **﴿ ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غـدا . الا أن يشاء الله ﴾** (الكهف : ٢٣ ـ ٢٤) .

لم يقل الرسول لمن سألوه : أخبركم غـدا عما سـألتم عنـه ، **ان شاء الله .** ومن ثم كان ذلك الحرج الشديد والأذى والمعاناة .

انه نبى ورسول من عند الله ، فكل كلمة وتصرف بحساب يتناسب وأقدار الرجـال .

وما أمر محمد رسول الله فى ابطاء الوحى عليه بالشىء العجيب . فلقد رأينا سلفا ، كيف أبطأ الوحى على النبى ارميا اذ لم تأته كلمـة الله الا بعد عشرة أيام من سـؤال الاسرائيليين له ، مع فارق جوهرى وهو أن الذين سـألوا ارميا كانوا مؤمنين به وبنبـوته . أما الذين سـألوا محمدا رسول الله فقد كانوا كافرين به وبرسالته . ومن هنـا كانت معاناته شديدة وموقفه فى غاية الحرج .

❋

(٤) تبنى محمد بن عبد الله ، قبل الرسالة ، زيدا بن حارثة ، فكان يقال له زيد بن محمد ، واستمر ذلك فى صدر الاسلام ، حيث عامله الرســول كابن له ، كل يرث الآخر ، جريا على عــادة العرب فى نظام التبنى ، الــذى هــو فى الحقيقــة ادعــاء عــلى غــير أســاس . ﴿ ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ﴾ (الأنفال : ٧) ؛ ولهذا جاءت سورة الأحزاب تبطل دعوى التبنى ، وتستفتح بالقاء قول ثقيل على الرسول ، لم تستفتح به غيرها من سور القرآن : ﴿ يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ، ان الله كان عليما حكيما . واتبع ما يوحى اليك من ربك ، ان الله كان بما تعملون خبيرا . وتوكل على الله ، وكفى بالله وكيلا . ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ، وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن امهاتكم ، وما جعل ادعياءكم ابناءكم ، ذلكم قولكم بافواهكم ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل . ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله ، فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم ، وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم ، وكان الله غفورا رحيما ﴾ (الأحزاب : ١ ــ ٥)

وبجانب هذا التشريع العام ، الذى أبطل التبنى ، فقد جاءت آية واحدة فى نفس السورة تنفى أبوة محمد لزيد أو غيره . وكأنها ، فى هذا ، تتنبأ بأن رسول الله لن يكون له ، على الاطلاق ، أبناء ذكور يبلغ الواحد منهم مبلغ الرجال :

﴿ ما كان محمــد أبا احــد من رجالكم ولكن رســول الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شىء عليما ﴾ (الأحزاب : ٤٠)

هذا قول الله ،﴿ ومن اصدق من الله حديثا ﴾ (النساء : ٨٧) .

ولقد كان هذا ما حدث فعلا ، فقد توفى ولداه من خديجة : القاسم وعبد الله ، كما توفى ولده الأخير ابراهيم ، الذى ولدته مارية القبطية ، توفوا جميعا أطفالا ، لم يبلغ الواحد منهم مبلغ الرجال . ويلاحظ أن

آية ختم النبوة (رقم ٤٠) قد اختتمت بقول الحق : ﴿ **وكان الله بكل شيء عليما** ﴾ (الأحزاب : ٤٠) لأنه سبحانه : ﴿ **عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم** ﴾ (التغابن : ١٨) . وهكذا وضعت خواتم آيات القرآن بحكمة وقدر ، ﴿ **وكل شيء عنده بمقدار** ﴾ (الرعد : ٨) .

*

(٥) لم يكن من مشركي مكة ، بعد أن يئسوا من القضاء التام على الاسلام وسحقه ، الا أن يلجئوا ، بفطرتهم ، الى المرحلة التالية من مراحل ادارة الصراع بين القوى العنيدة ، وهي الاحتواء والتطويع . لذلك طلبوا من رسول الله أن يأتيهم بقرآن غير هذا الذي يتلوه عليهم ، لعل ضغوطه ومطالبه ، وخاصة في مجالات العقيدة والسلوك ، تكون أخف وأهون .

﴿ **واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا او بدله ، قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ، ان اتبع الا ما يوحى الي ، اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم . قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به ، فقد لبثت فيكم عمرا من قبله ، أفلا تعقلون . فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته ، انه لا يفلح المجرمون** ﴾ (يونس : ١٥ — ١٧) .

انه قرآن ، ما الرسول فيه الا مستقبل أمين حفظه الله من كل تدخل أو تشويش . وما هو ، بعد قضاء وحيه اليه ، الا مرسل أمين تكفل الله بسلامة تلاوته على الناس :

﴿ **ان علينا جمعه وقرآنه . فاذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم ان علينا بيانه** ﴾ . (القيامة : ١٧ — ١٩) .

انه قرآن لا علاقة له بشخص الرسول ، على الاطلاق . ولو

افترضنا العكس – جدلا – كما تفعل فى مناقشة مختلف القضايا ، أما كان محمد يجعل شخصه محور الحديث والتعظيم . ويذكر أسماء أصحابه الذين قاسوا التعذيب والاضطهاد . فكان (منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا) . ان احصاء فى هذا الشأن لجدير بالتدبر . فلقد ذكر القرآن : موسى ١٣٦ مرة ، ومريم ٣٤ مرة ، وعيسى ٢٥ مرة ، وهارون ٢٠ مرة ، واسم المسيح ١١ مرة .

أما اسم محمد ، فلم يذكر الا ٤ مرات فقط .

ولم يذكر القرآن من أتباع محمد الا مولاه زيدا مرة واحدة ، ومن أعدائه عمه أبى لهب مرة واحدة ، قرر أن عاقبته النار ، وبئس المصير . لم يذكر القرآن : أبا بكر وعمر وعثمان وعلى ، أو حمزة وخالد والعباس ... بينما جاء فى القرآن : عتاب للرسول ، ولفت نظر ، وتحذيرات شديدة اللهجة ، يكاد بعضها يصل الى حد الانذار ...

ويكفى أن تتذكر هنا قول الحق : ﴿ والله لا يستحى من الحق ﴾ (الأحزاب : ٥٣) . فهو سبحانه الكبير المتعال ، والكل بين يديه – ورسله على رأس القائمة – ليسوا سوى عبيد ضعفاء :

﴿ يرجون رحمته ويخافون عذابه ، ان عذاب ربك كان محذورا ﴾ (الاسراء : ٥٧)

ومن رحمة الله بخلقه ، أن أشهدهم فى هذه الحياة صورا من ضعف أنبيائه ، وخشية هؤلاء الأنبياء وفزعهم من بعض مخلوقاته وتجلياته ، لتكون حجة على المرسلين ، فلا يدع أحد منهم – معاذ الله ! – وقد أمده الله بمعجزات وأعاجيب ، أنه صار أكثر من بشر : الها أو ابن اله :

﴿ ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم ، كذلك نجزى الظالمين ﴾ (الأنبياء : ٢٩) .

ثم لتكون صور الضعف التى وعاها البشر للأنبياء حجة على الذين أرسلوا اليهم ، فليس لهم أقل القليل من العذر ، أن يسمو بهم فوق طينة البشر . هم بشر أولا وأخيرا . وان كانوا أفضل البشر . ففى أول وحى تلقاه موسى ، تقول التوراة : **« غطى موسى وجهه . لأنه خاف** ــ خروج ٣ : ٦ » .

وفى هذا ، قالت بعض أسفار العهد الجديد : **« كان المنظر هكذا مخيفا ، حتى قال موسى : انا مرتعب ومرتعد** ــ عبرانيين ١٢ : ٢١ » .

وحين شعر المسيح بالخطر يتهدده ، وأن اعداءه على وشك اصطياده ، حلت به حالة من الرعب والفزع ، يعرضها الانجيل فى قوله :

« ابتدا يدهش ويكتئب . فقال لهم نفسى حزينة جدا حتى الموت .. ثم تقدم قليلا وخر على الارض ، وكان يصلى لكى تعبر عنه الساعة ان امكن ..

وظهر له ملاك من السماء يقويه . واذ كان فى جهاد ، كان يصلى باشد لجاجة ، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض ــ مرقس ١٤ : ٣٣ ــ ٣٥ ، لوقا ٢٢ : ٤٣ ــ ٤٤ » .

وما أن تلقى محمد أول وحى فى غار حراء ، ثم سرى عنه ، حتى انصرف راجعا الى بيته ، يرجف فؤاده ويضطرب قلبه خوفا وهلعا . فدخل على زوجه خديجة وهو يقول : زملونى ، زملونى . فزملته وهو يرتعد كأن به الحمى . فلما ذهب عنه الروع ، حدثها بالذى رأى وسمع ... ثم تتابع الوحى . ولقد كان محمد رسول الله يعانى من شدة الوحى ، كما عانى كل أنبياء الله المرسلين . وفى هذا قال عبادة بن الصامت: **(كان النبى اذا نزل عليه الوحى كرب له ، وتربد وجهه) .**

وقال زيد بن ثابت ، كاتب رسول الله : **(انزل (الوحى) على رسول الله ، وفخذه على فخذى ، فكادت ترض فخذى) .**

هذا ــ ولقد قال الله في قرآنه لرسوله معلما ومحذرا :

﴿ وان كادوا ليفتنونك عن الذى اوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذن لاتخذوك خليلا . ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا . اذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا ﴾ (الاسراء : ٧٣ ــ ٧٥) .

انه قرآن الله الذى يقول لرسول الله ما قد يشعره بالحرج، ولا حرج:

﴿ وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه ﴾ (الأحزاب : ٣٧)

لا علاقة ، اذن ، بالوحى وهوى الرسول ، على الاطلاق .

* *

هذا ــ ونستطيع الآن ، على ضوء ما تقدم من حقائق الاسلام والتاريخ ، أن نستأنف استعراض مفتريات الدجال الهندى وأكاذيبه الهازلة الماجنة .

*

● مفتريات على سلمان الفارسى :

يتخيل الدجال مشهدا حدث فى غرفة بعل ، شاعر الهجاء وتابع أبى سمبل (أبى سفيان) وزوجه هند ، فيقول : (عاد بعل الى غرفته الحقيرة فوجد فيها شخصا مقنعا عاجله بضربة أدمته ، ثم بدأ بعدها حوار بينهما كشف أثناءه المقنع وجهه ، فبانت شخصيته : انه سلمان الفارسى !

قال سلمان لبعل : ماهوند قادم . فارتعد بعل وقال له : انك واحد من أقرب صحابته . فرد سلمان : كلما كنت أقرب الى المشعوذ ، كلما سهل عليك كشف ألاعيبه) ! (ص ٣٦٢ ــ ٣٦٣) .

ثم يقول الدجال : وحلم جبريل بهذا :

(ظهر جبريل للنبى وسط أشجار نخيل الواحة (يثرب) ووجد نفسه يتدفق بتشريعات ، تشريعات ...

بدأ سلمان يشكو لبعل ويقول : الوحى ـ القرآن ـ علم المؤمن مقدار ما يأكله ، وأن الأوضاع الجنسية بين الرجل والمرأة كلها مقبولة عـدا أن تكون المرأة فوق الرجل !

ولقد حدد كبير الملائكة جبريل ، الطريقة التى توزع بهـا ثروة المتوفى ، حتى ان سلمان بدأ يتساءل : أى اله هذا الذى يبدو كرجل أعمال ؟!

وكان ذلك بداية الفكرة التى حطمت ايمانه) ! (ص ٣٦٤) .

(ونظرا لتعليم سلمان الراقى ، فقـد صـار هو الكاتب الرسمى لمـاهوند ، ومن ثم صـار هو المسئول عن كتـابة تلك التشريعـات المتكاثرة ..

وتكلم سلمان عن حثه النبى على حفر خندق كبير حول الواحـة (يثرب) .

وبعد هزيمة الجاهليين ، قال سـلمان لبعل برثاء : أين التكريم الشعبى لى ؟! أين اعتراف ماهوند لى بالجميل ؟! لمـاذا لم يذكرنى كبير الملائكة فى رسائله ؟! ولا لفظة واحدة ؟! ...

ثم اشتكى سلمان لبعل من ان وحى جبريل كان ينزل مؤكدا المواقف والتشريعات التى يتخذها ماهوند ، ولذا بدأ يشم رائحة كريهة ...

بعد ذلك أخرج سلمان زجاجة مسكر حار من عباءته ، وبـدأ هو وبعل يعبان منها عبا ...) (ص ٣٦٥) .

وقال سلمان لبعل : (ان هذا الرجل « ماهوند ، ساحر » لم يقدر أحد على مقاومة اغرائه ... وعلى أى حال ـ قالها سلمان وهو يتجرع بقية الزجاجة ـ قررت أن اختبره ...

فعندما جلس تحت قدمى محمد ليكتب له الوحى ، بدأ يغير، خلسة، لم يلاحظ ماهوند هذه التغييرات ، وبهذا : **بدأت الوث كلمة الله بكلماتى الدنسة ! ...**

بعد ذلك عرفت أن أيامى فى يثرب صارت معدودة ، فرحلت عنها ، قبل الفجر ، على جمل .. ولم يعد يهمنى أن أرتبط ثانية بمدينة الجاهلية (مكة) ... ان ماهوند سيعود اليها منتصرا ، وأنا أعلم أنى سأفقد حياتى ...) (ص ٣٦٧ ـ ٣٦٨) .

(بعد أن فتح ماهوند ، مدينة الجاهلية ، وأمر بتطهير بيت الحجر الأسود من أصنام الجاهلية ـ ٣٦٠ صنما ـ جاء الناس اليه يسلمون ويعلنون : لا اله الا الله ... همس ماهوند فى آذن خالد : شخص واحد لم يأت ليركع أمامى ، سلمان ، ألم تجدوه ؟!

وفى اليوم التالى ، يسحب سلمان الى حضرة النبى ، يمسكه خالد من أذنه ، وقد مد سكينا على رقبته ، ويحضره باكيا متشنجا : وجدته أخيرا مع مومس تصرخ فى وجهه لأنه لم يدفع أجرتها ، وهاهى رائحته تتنة من الخمر ...

سلمان الفارسى ! قالها النبى فى بداية نطقه بالحكم باعدامه ، لكن هذا الأسير يصرخ بصوت عال : لا اله الا الله ! فيهز ماهوند رأسه قائلا : ان تجديفك يا سلمان لا يمكن غفرانه : أن تضع كلمتك بدل كلمة الله ! يقسم سلمان على تجديد اخلاصه للنبى ، ثم يهمس اليه باسم بعل (وشاية) ، وهنا يتدخل بلال لصالحه ، فيعفو عنه النبى .

عندئذ يذهب خالد للبحث عن بعل : من بيت الى بيت ...) (ص ٣٧٤ ـ ٣٧٥)

*

ذلك من مفتريات الدجال الهندى سلمان رشدى ، على الصحابى

التقى سلمان الفارسى ، لا لسبب الا لكونه ينتسب الى فارس (ايران الحديثة) التى اصطدمت بالعرب كثيراً بعد سقوط الشاه ، اضافة لتلك اللعبة الاستعمارية القديمة التى تعمل على تفتيت المسلمين تحت مسميات مختلفة مثل : عرب وعجم ، سنة وشيعة ، سلفية وصوفية ...
فجاء هذا المسخ من تشويه لحقائق الاسلام وعبث بتاريخه ، خلطاً للأوراق وجعلها فى خدمة السياسة ، التى تعنى بلغة ميكيافيلى « السفالة والانتهازية » .

وقبل ذلك وبعده ، تأتى مفتريات هذا الدجال على أمين الوحى جبريل ، وعلى خاتم الأنبياء محمد رسول الله ، فيسوقها بلا حساب . ولقد غرته نفسه فاستكبر ، وطفق يسخر منهما ومن قول : لا اله الا الله ! لقد كذب وظلم وأجرم ، والحق والعدل والتاريخ يشهدون على أنه لا جريمة بغير عقاب ...

ان له بشرى فى القرآن ، نزفها اليه والى أشياعه الذين يظاهرونه ، بشرى تقول فيه وفى أمثاله من مسخ البشر الذين يتكررون عبر التاريخ :

﴿ فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون . انا كذلك نفعل بالمجرمين . انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون . يقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون . بل جاء بالحق وصدق المرسلين . انكم لذائقوا العذاب الأليم . وما تجزون الا ما كنتم تعملون ﴾ .
(الصافات ٣٣ ــ ٣٩) .

* *

■ **صفقة مزعومة بين النبى وابى سفيان !**

يبدأ الدجال هذا الجزء من روايته الشيطانية بقول أبى سمبل (أبى سفيان) لأحد خصيانه : (أرسل رسولا الى بيت الكاهن ماهوند . سوف نجرى له اختبارا بسيطا . مباراة عادلة : ثلاثة ضد واحد) .

يتغيب ماهوند على أصحابه : حمزة وخالد وبلال وسلمان ، فيقلقون عليه . وعندما يعود اليهم يبادره حمزة بقوله : (يابن أخى ، هذا شىء ملعون ! عندما تنزل من الجبل يكون حولك نور ساطع . أما اليوم فيوجد شىء مظلم) ! ثم يجلس ماهوند على حافة بئر زمزم ويبتسم قائلا : (لقد عرضت على صفقة . فيصيح خالد : من أبو سمبل ؟ ان هذا شىء لا يتصور . ارفضها .. يستأنف ماهوند قائلا : انه أمر تافه ، حبة رمل صغيرة . فأبو سمبل يسأل الله أن يمنحه امتيازا واحدا صغيرا .

يرى حمزة أثر الاجهاد عليه ، كما لو كان قد صارع شيطانا . ويصرخ السقاء (خالد) قائلا : لا شىء ! ولا ذرة واحدة ! يستأنف ماهوند قائلا : (اذا كان الهنا العظيم قد وجد فى قلبه أنه اذا تم التسليم بأن ثلاثة ــ ثلاثة فقط من بين ثلاثمائة وستين صنما فى البيت ــ هى التى تستحق العبادة ...) وهناك يصيح بلال : لا اله الا الله ! ويشاركه زملاؤه فى القول : يا الله !

ويستأنف ماهوند : (انه يطلب موافقة الله على : اللات والعزى ومناة ، وفى مقابل ذلك يعطى الضمان بالتسامح الدينى ، بل وبالاعتراف بنا رسميا . ويكون الدليل على مصداقية الصفقة أن أنتخب عضوا فى مجلس الجاهلية (دار الندوة) . هذا هو العرض) .

ويبدأ التعليق من أصحابه ، فيقول له سلمان الفارسى : انها مصيدة ! طيلة كم من الزمن ونحن نتلو شهادة الايمان الذى جئتنا به وهو : لا اله الا الله ؟ كيف يكون حالنا عندما تتخلى عن ذلك الآن ؟!

ويقول حمزة فى قلق : انك لم تهتم بآرائهم من قبل ، فلماذا تهتم بها الآن ؟! ولماذا تهتم بها بعد الحديث مع أبى سمبل ؟!

فيجيب ماهوند : انكم تعلمون واقع الأمر : لقد فشلنا فى اكتساب مؤمنين . ان الناس لن يتخلوا عن آلهتهم ..

ثم ينهض مبتعدا عنهم : يغتسل فى زمزم للصلاة ...

يستأنف المناقشة بعد الصلاة قائلا : ليس المقترح أن يقبل الله المعبودات الثلاث كفوا لـه ... أن يعطوا فقط نوعا من الواسطة . وضعا أقل .

وهنا يقول له حمزة : يابن أخى . اصعد الجبل واسأل جبريل ... ويصعد ماهوند الجبل ويسأل جبريل : هل يمكن أن نسمى اللات ومناة والعزى . ملائكة ؟ هل لك أخوات يا جبريل ؟ هل هن بنات الله) ؟ (ص ١٠٤ ـ ١١١) .

لقد عاد الرسول . لم يذهب هذه المرة الى زمزم . انه يدخل خيمة الشعر (التى يتبارى فيها شعراء الجاهلية) ، حيث يجلس أبو سمبل سيد قومه أعلى المنصة . وما ان يرى ماهوند حتى ينهض قائلا له : (مرحبا ! مرحبا ماهوند العراف والكاهن !

ثم يبدأ ماهوند حديثه قائلا : هذا تجمع لشعراء كثيرين ، ولست أزعم أنى واحد منهم . لكنى رسول آتى بآيات من الواحد الأعظم . فيقول له أبو سمبل : اذا كان الهك قد كلمك حقا ، فيجب أن يستمع اليه كل الناس . ثم يسود صمت يقطعه ماهوند قائلا :

(بسم الله الرحمن الرحيم . والثريا اذا هوت . ما ضل صاحبكم وماغوى . وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى . علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى الى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على ما يرى) .

(ولقد رأيته مرة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . اذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ بصرى وما طغى . لقد رأيت من آيات الرب الكبرى) .

وعند هـذا الحد ، وبلا أدنى تردد أو ارتياب ، يتلو ماهـوند مقطعين آخرين : (أفرأيتم اللات والعزى • ومناة الثالثة الأخرى •

هن الطيور العلا • وان شفاعتهن ترتجى(١) •

وعندئذ تسمع صيحات وهتاف وصلوات للمعبودة : اللات ••• ويهتف أبو سمبل : الله أكبر ! ثم يسجد بعدها ، وتتبعه زوجه هند •• ويسـجد الحاضرون جميعا بين يدى النبى الذى اعترف بالآلهـة التى تحمى مدينة الجاهلية) ! (ص ١١٣ ــ ١١٥) •

•

وهكذا ، يعبث الدجال الهندى بواحـدة من أكبر ديانات العالم ، ديانة التوحيـد النقى الذى هو سمتها المميز ••• يأتى هـذا المسـخ محـاولا أن يهاجمها فى أقوى حصـونها منعـة ، وأشـد مداخلهـا صرامة ••• ولكن هيهات هيهات !

لقد حدث فى المؤتمر الثانى للحوار الاسلامى المسيحى ، الذى عقد فى قرطبة عام ١٩٧٧ ، أن ألقى **الكاردنيال ترانكون رئيس أساقفة اسبانيا** كلمة الافتتاح ، وقال فيها :

« انى كأسقف أود أن أنصح المؤمنين المسيحيين بنسيان المـاضى ، كما يريد المجمع البابوى منهم ، **وأن يعربوا عن احترامهم لنبى الاسلام •• ان هذا شىء هام جـدا بالنسبة للمسيحى ، اذ كيف يستطيع ان يقـدر** الاسلام والمسلمين دون تقدير نبيهم والقيم التى بثها ولا يزال يبثها فى حياة أتباعـه ! »

لن أحـاول هنـا تعـداد قيم نبى الاسـلام الرئيسـية : الدينيـة منها والانسانية ، فليست هذه مهمتى ، وسوف يلقيها عليكم الأخصائيون واللاهوتيون المسـيحيون بالمؤتمر •• غير أنى أريد أن أبرز جـانبين ايجابيين ــ ضمن جوانب أخرى عديدة ــ وهما :

---

(١) (They are the exalted birds, and their intercession is desired indeed).

ايمانه بتوحيد الله وانشغاله بالعدالة .

أما ايمانه بالله الأحد ، فهو سـمة حياته . انها اهم عقيدة تركها لامتـه .

وأما دعوته الى العدالة مع شتى التطبيقات الدينية والاجتماعية ، فهى ما تزال قائمة .. بيد أنى أود أن أخص بالذكر دعوته الى سواسية الناس ، رجالا ونساء ، والى تحقيق العدالة بينهم » .

*

انها واحدة من مشاكل البشرية ، عبر العصور ، أن يوجد أقزام يتطاولون على عمالقة الحق والخير والجمال ...

ولقد كان من سـوء حظ البشرية أن أعطى هؤلاء ، وأمثـالهم من صغار النفوس ، حظوظا من مختلف الامكانات ، فاسـتخدموها فى الهـدم والتخريب . لقد تحقـق فيهم **المثل الذى ضربه المسيح : مثل الكلاب والخنازير ،** حين علم الناس قائلا :

« لا تعطـوا القدس للكلاب ، ولا تطرحوا درركم قـدام الخنازير لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفت فتمزقكم ـ متى : ٧ : ٦ » .

كان خيرا لذلك الدجال ، لو بقى أميا جاهلا كسواد شعبه الذى يحاول ، يائسـا ، أن ينسلخ منه ...

*

● النبى فى غرفة نوم هنـد !

يتخيـل الدجـال الهنـدى أن هنـد زوجـة أبى سـفيان (أبى سـمبل) عثرت على ملقى فى أحـد شـوارع مكة (مدينـة الجاهلية) ، فنقله خدمها الى غرفتها ، وهناك استرد وعيه . وفى هذا يقـول : (يسـتيقظ النبى بين ملاءات من الحرير ، وهو يعـانى من

صـداع عنيف ، فى غرفة لم يرها من قبـل .. ثم لا يلبث أن يتعرف على صـوت هنـد ، فينهض وقد وجـد نفسـه عاريا تحت ملاءة . فيناديها قائلا : هل تعرضت لهجوم ؟ .. تصفق هنـد بيديها ، فيأتى الخدم بطعام الإفطار ، ويرتدي النبى جلبابا من الحرير .. تسخر منه هند قائلة : أيها الرسـول ! ... يا له من رسـول لا يغازل النساء ! أما كان فى مقدورك الحضـور الى غرفتى بارادتك ، وأنت فى كامل وعيك ؟ بالطبـع ، كلا . انى متأكـدة أنى كنت طردتك .. يسـألها النبى : هل أنا سـجين ؟ فتضحك منه مرة أخرى قائلة : لا تكن أحمق . ثم تهز كتفيها استهزاء وتقول له : كنت أتجول ليلة أمس ، وقد ارتديت قناعا ، فى شوارع المدينة ، لأشاهد المهرجان ، وما كان الا أن تعثرت فى جسدك فاقـد الوعى ، مثل سكران سقط فى بالوعة ، يا ماهوند !

لقد أرسلت خدمى بحمالة ، لاحضـارك الى بيتى ، فلتقـل لى شكرا . فقال لها : شـكرا .. ثم يتذكر ما حـدث ويقول : لقـد أغمى على .

تأتى هند وتجلس على السرير ، قريبة منه ، وتمد اصبعها فى فتحة الجلبـاب وتضرب صـدره ثم تتمتم : أغمى عليـك ! هـذا ضعف يا ماهوند .. هل ضعفت ؟ ثم تردف قائلة له : أنا زوجة سيد قومه ، وكلانا : أنا وهو ، لسـنا من أصدقائك . ان زوجى ، رجل ضعيف ، يعلم أن لى عشاقا ولا يفعل شـيئا ، وذلك لأن رعاية بيوت العبادة فى أسرتى : اللات والعزى ومناة ..

وتقدم هند للنبى مكعبات من البطيخ ، محاولة اطعامه بأصابعها ، لكنه يرفض اطعامها له ، ويتناول البطيخ بنفسه .

ثم تستطرد قائلة : بعل هو آخر عشاقى . وهنا تلمح الغيظ فى وجهه .. وتقول له : لا بعل ولا أبو سمبل كفء لك . أنا فقط .. أنا عدلك وأنا خصمك .. ثم تقترب منه واضعة وجهها أقرب ما يكون

منـه . وتقول : اذ كنت أنت نائبـا عن الله ، فأنا نائبـة عن اللات ، وهى لن تؤمن بالهك عندما يعترف بها . ان معارضتها له عنيدة ونهائية . الحرب بيننا لا تنتهى بهدنة . ويالها من هدنة ! . ان الهك رب متعال . ولا يوجـد لدى اللات أقل رغبـة فى أن تكون ابنته . انها كفء له كما انى كفء لك ..

عندئذ يسألها ماهوند : وبناء على ذلك ، هل يخون سيد قومه عهده ؟ وتجيب هنـد : من يدرى ؟ .. انه ضعيف ، كما أخبرتك . لكننى أصدقك القول : لا يمكن أن يوجـد سـلام بين الله وهـذه الثلاث . أنا لا أريد ذلك . أريد القتال حتى الموت . هذا ما أنا عليه). ثم يرحل النبى ... (ص ١١٩ — ١٢١) .

*

عبث ما بعده عبث . وفجور ما بعده فجور ...

وغـدا : « سـيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون » .
(الشعراء : ٢٢٧)

* *

• وماذا عن المـاخور ؟!

يفترى الدجال كعادته ، فيقول عن مكة بعـد أن فتحها النبى . ودخل المكيون فى الاسلام : (عاد ماهوند الى يثرب مع زوجاته ، تاركا المدينة (الجاهلية) تحت امرة قائد جيشـه خالد .. فمنذ مدة ، فكر ماهوند فى أمر خالد باغلاق مواخير الجاهلية ، الا أن أبو سمبل نصحه بألا يقدم على مثل هذا الاجراء المتهور . فلفت نظره الى أن الجاهليين حديثو عهـد بالاسـلام : فلتأخـذ الأمور بتأن . ونظرا لأن ماهوند يعتبر اكثر الانبياء واقعية . فقد وافق على فترة انتقالية .

ولهذا ، اندفع الجاهليون الى ماخـور الحجـاب . فى غياب النبى

(فى يثرب) .. ولأسباب واضحة ، لم يكن من الكياسة أن يقف رواد الماخور فى صف طويل فى الشارع ، وانما كانوا يلتفون حول نافورة الغرام ، فى الفناء الداخلى للماخور ، يطوفون حولها ، كما يطوف الحجاج ، لأسباب أخرى ، حول الحجر الأسود القديم .. كان كل رواد الماخور لابسى أقنعة ، وكان بعل (الزوج الصورى لمومسات الماخور) يراقبهم من أعلى ..

وبعد مرور سنتين ويوما واحدا ، من ممارسة بعل لحياته الجديدة (ديوثا) اذا بأحد زبائن عائشة يتعرف عليه على الرغم من تنكره ، قائلا : اذن ، هذا هو المكان الذى آواك ! لقد كان هذا سلمان الفارسى ، الذى دعاه بعل ، عقب ذلك ، الى ركن وقدم له زجاجة من النبيذ .. قال سلمان : لقد جئت الى هنا ، لأنى تارك نهائيا هذه المدينة اللعينة ، ولهذا أردت أن أستمتع بلحظة من المتعة بعد كل تلك السنين الخراء !..

لقد قررت أن أرحل الى وطنى .. انى راحل غدا دون أدنى تأخير) ! (ص ٣٨١ ، ٣٨٥)

* *

● مفتريات حول موت النبى !

يتردى الدجال فى قعر مستنقعات الفجور والتضليل ، فيتخيل موت النبى ، وينسبه لحلم اعترى جبريل ، فيقول : (جاءت الأخبار أن النبى ماهوند قد أصيب بمرض عضال .. وأن رأسه بها دق ثقيل كما لو كانت قد امتلأت بالشياطين !

وهذا ما حلم به جبريل حول موت ماهوند : عندما بدأت رأس الرسول توجعه بآلام لم يعهدها من قبل ، أدرك أنها النهاية .. ثم صرخ قائلا : من هناك ؟ هل هو أنت يا عزرائيل ؟

لكن عائشة سمعت صوتا مرعبا لامرأة تقول : لا يا رسول الله . إنه ليس عزرائيل !...

وعاد ماهوند يسأل : هل هذا المرض منك يا اللات ؟

فقالت : انه انتقامي منك ، وهو يرضيني .. ثم خرجت تلك المرأة المتكلمة .. وتمتم الرسول : ومع ذلك ، فانى أشكرك أيتها اللات على هذه المنحة !

وما هى الا لحظات ، حتى مات) (ص ٣٩٣ ـ ٣٩٤) .

*

اما بعد ..

أما وقد تردت الأمور الى هذا الحد ، فلم يعد هناك من حديث الا اللعنة ، نصبها على هـذا الدجال الهندى ، من الكتاب المقدس ، فلعل حماته من (اهل الكتاب) يفيقون قبل أن تدركهم . لقد كان تعليم نبى الله داود أن تقول فى مثل هذه المواقف :

(**يا اله تسبيحى لا تسكت . لأنه قد انفتح على فم الشرير وفم الغش . تكلموا معى بلسان كذب . بكلام بغض أحاطوا بى . وقاتلونى بلا سبب ..**

فأقم أنت عليه شريرا ، وليقف شيطان عن يمينه . اذا حوكم فليخرج مذنبا . وصلاته فلتكن خطية . لتكن أيامه قليلة ، ووظيفته ليأخذها آخر . ليكن بنوه أيتاما ، وامرأة أرملة . ليتيه بنوه تيهانا ، ويستعطوا . ويلتمسوا خبزا من خربهم . ليصطد المرابى كل ماله ، ولينهب الغرباء تعبه . لا يكن له باسط رحمة ، ولا يكن متراف على يتاماه . لتنقرض ذريته . فى الجيل القادم ليمخ اسمهم . ليذكر اثم آبائه لدى الرب ، ولا تمح خطية أمه . لتكن أمام الرب دائما ، وليقرض من الأرض ذكرهم ..

احب اللعنة فاتته ، ولم يسر بالبركة فتباعدت عنه . ولبس اللعنة مثل ثوبه ، فدخلت كمياه فى حشاه .. لتكن له كثوب يتعطف به ، وكمنطقة يتنطق بها دائما) (المزمور : ١٠٩) .

انها حقا رواية شيطانية ، كتبها حشاش فى ماخور ، أصيب بانفصام الشخصية فصار يتردد بين القرد والحشاش ...

فحين ينظر فى مرآة رأسية ، أمامه ، فانه يهذى ويشتد هراؤه ، وحين ينظر فى مرآة أفقية ، أسفله ، ينعكس أقبح ما فيه ، فيهيج ويشتد جنونه . ان قبحه يتضاعف : قبح وجهه يغذى قبح مؤخرته ، وقبح مؤخرته يغذى قبح وجهه ، تماما كدائرة راديوية تعمل فى حالة رنين ... قبح الى ما لا نهاية ...

حقا انه شيطان انسى ، ممن نجد نعته فى قول الله فى القرآن العظيم : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ﴾ (الأنعام : ١١٢) .

(لقد أحب اللعنة فأتته ، ولم يسر بالبركة فتباعدت عنه) — كما قال داوود — (ولكل امرىء ما نوى) ، فكان هذا عدوا لخاتم النبيين . لقد قادته نيته السيئة الى المهالك ، اذ أراد أن يشترى الشهرة والمال بأى ثمن ، فدمر نفسه تدميرا . ولكن : (ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه) ، كما قال المسيح .

لقد اختار طريق اللعنة ، فتهيأت له أسبابها : صار الشيطان له قرينا .

﴿ الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا . فلا تعجل عليهم ، انما نعد لهم عدا ﴾ (مريم : ٨٣ — ٨٤) .

وعندما نقتبس ما جاء فى الانجيل عن انسان الخيانة نقول : (لقد دخل الشيطان فى سلمان رشدى ، وهو كان معدودا من جملة

المسلمين . فمضى وتكلم مع رؤســاء الكفر كيف ينفذ مؤامرتهم . ففرحوا وعاهدوه ان يعطوه مالا وشهرة ، فواعدهم . وكان يطلب فرصــة ان يتم روايته الشيطانية ، فيفرغ فيها كل سمومه وسموم المتآمرين) .

ولقد قام الخائن بتنفيذ الدور المرســوم له تماما ، فاســتحق من ســادته قبض الثمن : أموالا وشهرة **واعلان حماية** ، كما لو كان واحدة من المستعمرات السابقة .

(ولكن ــ كما قال المسيح ــ ويل لذلك الرجل .. كان خيرا لذلك الرجل لو لم يولد) .

* *

حملة مسعورة على عيسى ومحمد ...

أخرج الدجال الهندى سلمان رشدى روايته الشيطانية ، لأول مرة ، فى عام ١٩٨٨ ، تطعن فى محمد رسول الاسلام ، وتوجه للمسلمين أفظع الاهانات .

ولقد شهد نفس العام ــ ١٩٨٨ ــ حدثا آخر له نفس الأسلوب والمحتوى والأهداف ، وهو اخراج فيلم : «التجربة الأخيرة للمسيح» يطعن فى عيسى رسول المسيحية ويشوه سلوكياته ، وأكثر من هذا أنه يمجد تلميذه الخائن يهوذا ،

ويظهره فى شكل بطل غيور ، يتهم معلمه بالخيانة !

لقد صفق كثير فى الغرب ، وما يزالون ، عندما سمعوا عن مضمون رواية الدجال الهندى وطعنها فى الاسلام ونبيه . وهاجت قطعان كثيرة تطلب حمايته باعتباره منقذا لهم من خطر متوهم للاسلام ، يعشش فى عقول الحمقى منهم والجهلاء . ونسوا ، أو جهلوا ، فى غمرة موجات الجنون ــ التى تمثل ظاهرة دورية تعودنا على ظهورها بين الحين والحين ــ أن رسول المسيحية المعبود ، قد تحول فى هذا الفيلم الى عربيد زان ضعيف ، خدعه الشيطان !

ان أى جاهل بسيط ، لم يؤت حظا من الخبرة والتثقيف ، لن يجد صعوبة فى استنتاج ما وراء تلك الفقاقيع ... انها حملة مسعورة ، خطط لها بعناية ضد عيسى ومحمد فى محاولة لهدم ما يمثلانه من قيم وأخلاقيات ، وبعثرة من وراءهم من طوائف وجماعات ، حتى يخلو الجو للآخرين ، فيفعلوا بالعالم الأفاعيل ...

*

● **فيلم التجربة الشيطانية :**

أخرج الفيلم عن رواية الكاتب اليونانى نيكوس كازانتزاكس ،

التى صــدرت عام ١٩٥٥ ، وكانت من أكثر الكتب رواجا ، وقد صدر ضــده قرار بالحرمان من الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية .

تقوم أحداث الفيلم ، كما تقول مجلة تايم ، على (أن يسوع انسان كامل واله كامل . وقــد أظهره علم اللاهوت المسيحى على أنه متحرر من الخطيئة ، لكنه معرض لكل الاغراءات بما فيها اغراءات الجنس .
وعلى خطى كازانتزاكيــس (المؤلف) ، فان سكورســيس (المخرج) أظهر يسوع كانسان ضعيف متردد ، متعاون مع الرومان اذ يصنع لهم صــلبانا[1] يعدمون عليها الثوار اليهود) .

أما صاحبه يهوذا فهو مقاوم للاضطهاد الرومانى ، لا يعجبه سلوك يسوع فيوبخه بعنف قائــلا : **(انت متعاون معهم ! يهودى تصنع صلبانا لهم) !**

(يعتريه كرب عظيم فيهيم على وجهه حتى يقف أمام باب . وهناك يجد حيتين متشابكتين ، احداهما سوداء والأخرى بيضاء .

وخلف الباب يكتشف ماخورا ، تمارس فيه مريم المجدلية الدعارة . يطلب منها المغفرة ثم يسقط فى الاثم !
ويصيح قائلا : يا الهى ، أنا ابن الخوف[2] !

وفيما بعد ، أمام المنافقين البرجوازيين (من الكتبة والفريسيين ، ينقذ مريم المجدلية من الرجم . قائلا : ومن هو الذى لم يخطىء أبدا ؟![3]

ثم يرحل الى الصحراء للتأمل ...

---

(١) كان المسيح نجارا : « كثيرون اذ سمعوا بهتوا قائلين : اليس هذا هو النجار ابن مريم . واخو يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان ــ انجيل مرقس ٦ : ٢ ــ ٣ » .

(٢) (Mon Dieu , je suis le fils de la peur) !

(٣) يشير الى قصة المراة الزانية التى أحضرها له شــيوخ اليهود للرجم فقال لهم : « من كان منكم بلا خطية ، فليرمها أولا بحجر ــ انجيل يوحنا ٨ : ٧ » .

وهناك تجربه حية ، ويتحدث معه أسد ، ويسيل الدم من شجرة تفاح عندما يأكل منها ، وتظهر بلطة فى الرمل ...

من الآن فصاعدا ، يبشر بالحرب ... وأمام تلاميذه يدخـل يده فى صـدره وينتزع قلبه ، ويريه لهم باعجاب ! ويصير اله الحرب !

وفى فزعه من فرط قوته : يقيم لعازر من الأموات) ...

(الا أنه يبقى قلقا ومشوش الفكر فيما يتعلق برسـالته وحقيقة مهمته . وفى احدى الليالى ، على جبل الزيتون ، يحرض يهوذا ، أفضل أصحابه ، على خيانته من أجل تنفيذ خطة الله) !

يقول يسوع ليهوذا : (افعلها من أجلى ! فيجيبه يهوذا : لا أستطيع . فيلح عليه قائلا : **افعلها ، من اجل الحب**) !

يفعلها يهوذا ، وتسـير الأحداث حسب روايات الأناجيـل ، حتى يعلقونه على الصليب . (وهناك فى لحظـة تفكير حالم يظهر يسـوع وهو يمارس الجنس مع مريم المجدلية !

وعندما يشرف على الموت ، تتراءى له فتاة صغيرة ، لعلها ملاك ؟ انها تطلب منه أن ينزل وتقول له : لقد عانيت كثيرا . انك لست المسيا .

وبطريقة خفية ينزل من على الصليب ، ويرتحل تجاه واد أخضر نضر . هناك يمارس الجنس مع مريم المجدلية ثم يتزوجان) .

(وبعد موتها يتزوج مريم أخت لعازر (الذى أقامه من الأموات) ، ثم يزنى بأختها مرثا !

ثم يرى يسوع بطرس ويوحنا ويهوذا قادمين اليه ، فيسبه يهوذا قائلا : **ايها الخائن !** لقـد طلبت منى أن أبيعك ، لكنك لم تمت على الصليب . ان الفتاة الصغيرة التى تراءت لك ، لم تكن ملاكا . انهـا شـيطان ![1] .

---

(١) (Traitre ! Tu m'as demandé de te vendre, et tu n'est pas mort sur La Croix ! La petite fil e n'était pas un ange, mais Satan) !.

يتوسل اليه يسوع مرة أخرى . انه يريد العودة الى الصليب . وهناك يموت) !(١) .

وهكذا عبثوا بالمسيح ...

*

● **رد الفعل والتعليقات :**

اثار الفيلم ضجة كبيرة وموجات احتجاج عارمة ، فقد اعتبره (**المحافظون**) تجديفا . ودعوا لمقاطعته ، وكونوا حملة من المعترضين لاتلاف الصور والملصقات أو سحبها من أماكن الاعلان . كما وقعت فى نفس الوقت عدة حوادث مما يطلق عليه (**معاداة السامية**) بمفهوم أنها موجهة ضد اليهود ، تعرض لها العاملون منهم فى استوديوهات شركة يونيفرسال ، وهتفت جماعات مسيحية فى الشوارع : **التمويل بأموال اليهود** !

وقام القس **دونالد دايلدمون** ، رئيس (**جمعية العائلة الأمريكية**) ، بارسال ٢٫٥ مليون رسالة احتجاج على الفيلم ، ونشر اعلانات لمقاطعته فى ٧٠٠ محطة راديو ، و ٥٠ محطة تليفزيون .

وقد طالب **بل برايت** من جماعة : (**صليبية من اجل المسيح**) ، بجمع أموال لتعويض شركة يونيفرسال عن كل نسخ الفيلم الموجودة ، نظير اتلافها .

لكن الشركة ردت على ذلك بغطرسة فى اعلانات نشرتها فى صفحات كاملة لبعض الصحف فى أربع مدن تقتبس فيها من **توماس جيفرسون** ، وتعلن فيها **أن الحقوق الدستورية الخاصة بحرية التعبير ، والحرية الدينية ، ليست للبيع** .

---

(١) TIME; NEWSWEEK; U. S. NEWS & WORLD REPORT; PEOPLE; THE NEW REPUBLIC; PAEMÈRE. (1988).

وقامت (جماعة الأخـوات الريميات بتداول احتجاج ضد الفيلم بـه عبارة استفزازية ــ وردت فى القصة الأصلية لكنهـا حذفت من الفيلم ــ يقولها يسوع لمريم المجدلية : الاله ينام بين فخذيك) !(١) .

كما احتوى الفيلم على عبارات فظيعة وضعت على لسان يسوع ، مثل قوله : (انى كـذاب . انى منافق . انى خائف من كل شىء . ان الشيطان فى داخلى) !(٢) .

ومع ذلك ، فقد وجد من يدافع عن الفيلم ، بل ويشيد به ، ليس فقط من بين المنجرفين من عامة الشعب ، بل وأيضـا من بين المنحرفين من رجال الكنيسة !

فقد قدم الأسقف بول مور ، فى كنيسـة نيويورك ، أقوى دفاع عن الفيلم قائلا : انه صحيح من الناحية اللاهوتية . وعلى الرغم من أن ممارسة يسوع للجنس مع مريم المجدلية ، قد يؤذى مشاعر البعض ، فيجب علينا أن تتذكر أنه حلم ، وأنه ليس الا صورة أخرى ليسوع ، وعملا فنيا يؤكد على جوانب معينة من شخصيته) !

ان الناس اليوم ، يا جناب الأسقف ، يعيشون حقا عالم الهلوسة !

كذلك ، قال القس وليـام فور ، من (المجلس الوطنى للكنائس) أنه يرى فى الفيلم : (محاولة أمينة تحكى قصة يسـوع من منظور مختلف) !

وقال القس اللوثرى تشارلز برجستروم : (لا يمكن اعتبار هذا الفيلم تجديفا ، أو هجوما على الأسفار المقدسة) :

---

(١) (God sleeps between your legs).

(٢) (I am a liar. I am a hypocrite. I am afraid of everything . Lucifer is inside me).

وقال الأسقف انتونى بوسكو - من (المجلس الوطني للأساقفة الكاثوليك) : (ان معاداة السامية ، والكراهية التى سببها هذا الفيلم، يصعب أن ترضى قلب المسيح) !

حقا أيها الأتقياء من رجال الكنيسة : لقد اغتيل الحق باسم الحب ، وأنتم على ذلك من الشاهدين ، بل ومن المباركين ! فباسم الحب ، ترتكب اليوم كل الموبقات ...

ولماذا نذهب بعيداً ؟! فها هو مؤلف هذه التجربة الشيطانية ـ كازانتزاكيس ـ يبدأ صفحاتها الأولى بتقديم يقول فيه : (انى متأكد من ان كل انسان حر يقرأ هذا الكتاب الممتلىء حبا على هذا النحو ، سوف يحب المسيح أكثر من اى وقت وقت مضى ، وافضل من اى وقت مضى) !

* *

بين شيطانيات : الهندى ... واليونانى !

صدرت رواية الدجال اليونانى نيكوس كازانتزاكس عام ١٩٥٥؛ تحت اسم : « التجربة الأخيرة للمسيح » . وهى تعنى التجربة الشيطانية الأخيرة التى تعرض لها المسيح ، وانتهت — حسب زعمه — بسقوط المسيح فى الخطيئة ، بعد أن استحوذ عليه الشيطان وأخضعه لسلطانه !

وبعد ٣٣ عاما ، صدرت رواية الدجال الهندى سلمان رشدى — عام ١٩٨٨ — تحت اسم « مقاطع شيطانية » . وهى تزعم أن للمقطعين على شاكلة سجع الكهان وسدنة الأصنام ، قد نفثهما الشيطان أثناء قراءة النبى محمد لاحدى سور القرآن — سورة النجم — كصفقة شيطانية بين النبى وأبى سفيان ، تمجد ثلاث معبودات وثنية هى : اللات ، والعزى ، ومناة . وهذا يعنى — حسب زعمه — أن النبى محمدا استحوذ عليه الشيطان يوما ما وأخضعه لسلطانه !

ذلك هو الفكر العام الذى تتضمنه كل من الروايتين . ولما كانت الأولى قد سبقت الثانية بمدة ثلث قرن ، كان الانطباع العام هو أن الثانية قد جاءت كسرقة أدبية من الأولى .

واذا تعمقنا قليلا فى دراسة البنية الأساسية لكلا الروايتين ، لتبين لنا صدق القول بأن الهندى سرق من اليونانى ...

لقد لخص الناقد جان لوقا سابلون حقيقة التجربة الأخيرة للمسيح ، بقوله : (هل هى حلم ؟ أم تقلص الزمن ؟ أم خيال ؟

الله والشيطان شىء واحد) ! ...(١) .

وتلك هى حقيقة رواية « مقاطع شيطانية » فلقد هرب الدجال

---

(١) (Réve ? Contraction du temps ? Fantasme ? Dieu et le Diable sont un).

الهندى من الجد الى اللهو والعبث وذلك باللجوء الى الأحلام والتخيلات التى ازدحمت بها روايته . وهو قد اعترف بذلك صراحة فى مثل قوله : (لقد بدأت الأحلام فى نفس الليلة . وفى تلك الرؤى كان حاضرا دائما ، ليس كذاته ، بل كسميه .. أنا هو ، وهو أنا ، أنا كبير الملائكة الدموى ، جبريل نفسه) ! (ص ٨٣) .

(وهذا ما حلم به جبريل) (ص ٣٦٣) .
(حلم جبريل بالحجـاب) (ص ٣٧٦) .
(حلم جبريل بموت بعل) (ص ٣٩٠) .
(حلم جبريل بموت ماهوند) (ص ٣٩٣) .

*

واستخدم الهندي فكرة تقلص الزمن ، كما ذكرنا سلفا ، مستعينا بتناسخ الأرواح . والولادة مرة ثانية ، وممارسـة الروح لحيـاة ثانية يفصلها عن الحياة الأولى مدة زمنية كبيرة ...

*

واذا كان الاغريقى قد وضع على لسان المسيح قوله عن نفســه : (انى كذاب ... ان الشيطان فى داخلى) !

فلقد وضع الهندى على لسان النبى قوله : (عندما يأتى جبريل . أشعر كما لو أنه يأتى من أعماقى ، من نفسى) ! (ص ١٠٦) .

واذا كان الاغريقى قد أشار الى أنه عندما تختلط الأمور على صاحب الرسالة ــ المسيح ــ يكون الله والشيطان واحدا ! « حسب مزاعمــه المضللة . فان الهندى اقتبس تلك الفكرة ووضعها فى مناقشة صـحابة النبى للصفقة المزعومة مع أبى سفيان حول وضـع معبودات الجاهلية الثلاث : اللات ، والعزى ، ومناة . فهو يزعم أن النبى كان يبرر قبوله للصفقة (بأن تلك المعبودات الثلاث لن يكن كفوا لله . وغاية ما فى الأمر أن يكون لهن نوع من الوسيلة اليه ، أى يكن ذات وضع أقل !

وهنا يصرخ بلال : مثـل الشياطين . فيقول له سلمان : لا ، بل مثل ملائكة الطبقة العليا .

فيعقب النبى بقوله : ملائكة وشياطين . شيطان وجبريل . انتـا جميعا نقبل بوجودهم بين الله والانسان) ! (ص ١٠٧) .

(وعندما يسترد النبى وعيه ، فانه يصرخ بكل قوته ويقول : انه الشيطان ! فى المرة الأخيرة ، كان شيطانا ! ... لقد انخدع وعرف أن الشيطان جاءه على هيئة كبير الملائكة ، وأن المقاطع التى تلاها فى خيمة الشعر كانت شيطانية ، فيعود الى مدينـة الجاهلية بأسرع ما يكون ، قاصدا بيت الحجر الأسود ويقف أمام التماثيل الثلاثة ويعلن محو تلك المقاطع التى همسها الشيطان فى أذنه) (ص ١٢٣ ــ ١٢٤) .

*

ولقد تكلم نقاد فيلم « التجربة الأخيرة للمسيح » ، عما به من أخطاء عقائدية من وجهة نظر المسيحية ، فقالوا ان تصوير المسيح (وهو يلتقط أقذارا وأحجارا ويقول : هذا هو دمى أيضا ، فان هذا يجعله مؤسس عقيدة وحدة الوجود (التى تقول بأن الله والطبيعـة شىء واحد) كمـا انه مؤسس للمسيحية) .

كذلك التقط الهندى هذه الفكرة ونسج على منوالها ، فاخترع مشهدا يزعم فيه أن النبى صعد الجبل ليسأل كبير الملائكة جبريل فى موضوع المعبودات الثلاث . وأن جبريل عندما رآه يصعد صار يرتجف ويتمنى لو أن النبى لم يحضر اليه ، ثم يحدث نفسه قائلا : انه (يأتى الى من أجل الوحى ، يطلب منى أن أختار بين أن يكون **مؤمنا بالاله الواحد (موحدا حقيقيا) ، أو مؤمنا بالاله الواحد مع عبادة آلهة اخرى (موحدا مزعوما)** (ص ١٠٩) .

*

ولقد استخدم اليونانى فقرات من الأناجيل ، استنبط منها حينا ،

بما استهواه خياله واستخدم لفهمها ، أحيانا ، تفاسير منحرفة وروايات منحولة ، أوقعته فى هذه الضلالات .

فمثلا : تذكر الأناجيل المتشابهة (متى ومرقس ولوقا) أن الروح أخرج المسيح الى البرية ، وهناك جربه الشيطان . وبعد أن اجتاز التجارب بسلام ، « تركه أبليس ، واذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه ــ متى ٤ : ١١ » .

الا أن لوقا ختم حديثه عن تجربة الشيطان للمسيح بقوله : « ولما أكمل ابليس كل تجربة ، فارقه الى حين ــ ٤ : ١٣ » . ان هذا يعنى ، بداهة ، أن للشيطان عودة أخرى لتجربة المسيح . وكان هذا هو ما استثمره اليونانى فى روايته : التجربة الأخيرة للمسيح ، الا أنه ضل فى روايته لتلك التجربة التى اعتمد فيها على تفسيرات خاطئة وروايات متهرئة .

كذلك يقرر انجيل يوحنا أن يهوذا كان امينا للصندوق (١٣ : ٢٩) ، ولهذا وصفه اليونانى بأنه أفضل أصحاب المسيح ، وصوره فى صورة يهودى حريص على الاسرائيليين أكثر من حرص المسيح نفسه .

وكذلك يذكر انجيل يوحنا ، أنه فى العشاء الأخير ، قال المسيح ليهوذا : « ما انت تعمله ، فاعمله باكثر سرعة . وأما هذا فلم يفهم أحد من المتكئين لماذا كلمه به ــ ١٣ : ٢٧ ــ ٢٨ » . من هنا قال اليونانى ــ وغيره من المدافعين عن يهوذا ــ أن المسيح كان يرجوه أن يخونه لكى يقبضوا عليه ويقتلوه صلبا ، بزعم أن تلك كانت خطة الله لخلاص العالم من الخطيئة !

ولقد كان هذا ما فعله الهندى فى سيره على خطى اليونانى ، اذ اعتمد فى حديثه عن المقاطع الشيطانية ، على روايات متهالكة قامت على

تفاسير منحرفة لبعض آيات القرآن ، مثل قول الله لنبيه : ﴿ ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا . اذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا ﴾ (الاسراء : ٧٤ — ٧٥) .

ان الفهم اللغوى لهذه الآيات ليس فى حاجة الى خلفية علمية أو تاريخية بما كان بين هؤلاء — المشركين الذين تحدث عنهم القرآن — وبين الرسول . فالآية الأولى تؤكد بوضوح ان الله ثبته ، وبالتالى لم يركن اليهم . والآية الثانية تبين أنه لو فعل وركن اليهم ، ولو شيئا قليلا ، لكان عذابه مضاعفا .

ان القضية واضحة تماما . لكن هناك من تعاموا عن صدر الآية الأولى ، ووقفوا ينظرون الى بعض بقيتها نظر من يريد وقوع المنفى وقوعه ، فاخترعوا روايات باطلة لا تصمد أمام التمحيص العلمى ساعة من نهار . وليس معنى ركون الرسول الى المشركين — لو وقع — أن يأتيهم بقرآن من عنده ، ليرضيهم ، افتراء على الله . وكيف يكون هذا ، والله يحذر المؤمنين من الركون الى الظالمين ، فى قوله :

﴿ ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون ﴾ (هود : ١١٣) .

فالركون اليهم ، يعنى — لغة — موالاتهم ، أو القعود عن مجاهدتهم ، أو الاعتماد عليهم .

*

وأخيرا ، نلاحظ أن اليونانى قد استخدم النساء فى حياة المسيح أسوأ استخدام ، وعلى خطاه سار الهندى عاريا ، مجردا من كل ستر أو حياء .

*

ولما كانت رواية التجربة الأخيرة للمسيح ، من أكثر الكتب رواجا

عندما صدرت عام ١٩٥٥ ، فقد سال لعاب الدجال الهنـدى أن يكون لروايته الشيطانية مثل ذلك الرواج • ولما كان يعلم فى قرارة نفسه أنه كاتب مغمور فاقد الموهبة ، فلم يجد له من وسيلة سوى ارضاء المزاج الغربى الذى تربى على الخوف من الاسلام والطعن فى نبيه وكتابه وكراهية المسلمين ــ كما قرر ذلك بحق برنارد شو قبل خمسين عاما ــ وذلك بترديد أكاذيب بالية عن القرآن ، والخوض فى مطاعن قديمة حول تعدد زوجات الرسول ، وكلها من الموضوعات التى قتلت بحثا وتفنيدا ، ولم يبق فيها مزيد لمستزيد •

« فليس تحت الشمس جديد • ان وجد شىء يقال له : انظر ! هذا جديد ، فهو منذ زمان كان فى الدهور التى كانت قبلنا ــ سفر الجامعة ١ : ٩ ــ ١٠ » •

*

على أن هناك فرقا جوهريا بين الهدف النهائى لكل من اليونانى والهندى من روايتيهما : فالأول يزعم أن روايته : التجربة الأخير للمسيح، ستدفع كل انسان حر الى أن يحب المسيح أكثر وأفضل من أى وقت مضى • بينما يفصح الثانى فى كل سطر من سطور روايته الشيطانية عن عداوة فاجرة لنبى الاسلام ، فانطلق كالكلب المسعور ينهش لحم ضحيته بطريقة تشمئز منها بقية الكلاب والخنازير •••

*

حقا انها لفضيحة وخديعة ••• ومن عجب أن يصفق المخدوعون لخادعهم ••• ! لكنها طبيعة البلهاء •••

*

وأخيرا ، نقول انه ليس عجيبا أن تصدر هذه الأساطير الشيطانية عن بعض من ينتسب الى الهند أو اليونان •••

اقرأوا التاريخ القديم ، ان شئتم ، واقرأوا من أين جاءت مثل هذه الأساطير •••

* * *

محاكمة الكاتب سلمان رشدى
وفق أحكام الكتاب المقدس

● **تمهيد :**

ملأ الكاتب الهندى سلمان رشدى روايته « مقاطع شيطانية » بالطعن فى المقدسات المشتركة بين اليهود والمسيحيين والمسلمين . فلقد طعن فى الاله ، والملائكة والنبيين ، وكان لأمين العرش جبريل ، وأبى الأنبياء ابراهيم النصيب الأكبر من السخرية والشتائم والاهانات . وباختصار ، لقد جدف على المقدسات المشتركة .

وفى هذه المحاكمة التى تتم وفق مفاهيم الكتاب المقدس وأحكامه وعقوباته ، سوف ننحى جانبا تجديفه على مقدسات الاسلام ، ونكتفى بالنظر فى جرائمة التى تقع فى المساحة المشتركة من المعتقدات بين أتباع الأديان الثلاثة : اليهودية والمسيحية والاسلام ، مع ملاحظة هامة سبقت الاشارة اليها فى مستهل الحديث عن قضية هذا الكاتب ، ألا وهى : (أنه يضع فكره وعقله ، مكان فكر كل شخصياته وعقولها . وهو يسوق أفكاره سوقا من وراء شخصياته التى تبدو كالأقنعة أو المشجب حامل الأفكار) .

* *

● **من مفاهيم الكتاب المقدس :**

يعتبر الملاك الذى يصطفيه الله ويرسله الى البشر ، حاملا لاسم الله ، ومن ثم يحرم التمرد عليه أو الاستخفاف به . وما يحدث فى حياة البشر من اعتبار السفير ممثلا لرأس الدولة ، كذلك الحال بالنسبة لهؤلاء الملائكة ــ **﴿وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾** (الروم : ٢٧) ــ اذ يعتبر التجديف عليهم كأنه تجديف على اسم الله . ولهذا كان تعليم الله لموسى ولبنى اسرائيل فى قوله :

« ها أنا مرسل ملاكا أمام وجهك ليحفظك فى الطريق وليجيىء بك الى المكان الذى أعددته . احترز منه واسمع لصوته ولا تتمرد عليه . لأنه لا يصفح عن ذنوبكم لأن اسمى فيه .

ولكن ان سمعت لصوته وفعلت كل ما أتكلم به أعادى أعداءك وأضايق مضايقيك ـ خروج ٢٣ : ٢٠ ـ ٢٢ » .

ومن هذا المفهوم ، كان تعليم المسيح لتلاميذه :

« الحق الحق اقول لكم : الذى يقبل من ارسله ، يقبلنى . والذى يقبلنى ، يقبل الذى ارسلنى ـ انجيل يوحنا ١٣ : ٢٠ » .

وفى كثير من قصص الكتاب المقدس ، يكون الحديث عن الله كأنه حديث عن ملائكته . والعكس بالعكس .

ففى قصة الذبيح ابن ابراهيم ، نجدها تتبادل الحديث عن الله ، وعن الملاك الذى أرسله الى ابراهيم ، كالآتى :

« وحدث بعد هذه الأمور ان الله امتحن ابراهيم . فقال له : يا ابراهيم . فقال : هأنذا . فقال : خذ ابنك وحيدك الذى تحبه . . واصعده هناك محرقة على احد الجبال . .

ثم مد ابراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه . فناداه ملاك الرب من السماء وقال : ابراهيم ، ابراهيم . فقال : هأنذا . فقال : لا تمد يدك الى الغلام ولا تفعل به شيئا . لأنى الآن علمت انك خائف الله ، فلم تمسك ابنك وحيدك عنى ـ تكوين ٢٢ : ١ ـ ١٢ » .

لم يقل الملاك لابراهيم : الآن علمت أنك خائف الله ، فلم تمسك ابنك وحيدك عنه ، انما قال : ... عنى .

ومثل ذلك ، ما كان فى أول وحي تلقاه موسى فى سيناء :

« ظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة . فنظر واذا

العليقة تتوقد بالنار ، والعليقة لم تكن تحترق . فقال موسى : أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم ..

فلما رأى الرب أنه مال لينظر ، ناداه الله من وسط العليقة — خروج ٣ : ٢ — ٤ » .

ومثل ذلك كثير ، كما رأينا سلفا فى قصة جدعون ، حيث « ظهر له ملاك الرب .. فالتفت اليه الرب وقال — قضاة ٦:١٢—١٤ » .

واذا كان هذا هو الحال مع الملائكة المرسلين ، بوجه عام ، فان لجبريل أمين الوحى ومعلم الأنبياء وضعا متميزا ولا شك ، فهو بلغة الكتاب المقدس : الواقف قدام الله .

فقد جاء لزكريا يبشره بابنه يحيى (يوحنا) ويقول له :

« أنا جبرائيل الواقف قدام الله ، وارسلت لأكلمك وابشرك بهذا — انجيل لوقا ١ : ١٩ » .

وكان هو الذى أرسل الى مريم العذراء ليبشرها بابنها المسيح عيسى:

« ارسل جبرائيل الملاك من الله .. الى عذراء مخطوبة لرجل .. واسم العذراء مريم — انجيل لوقا ١ : ٢٦ — ٢٧ » .

* *

● **عقوبات التجديف على المقدسات :**

التجديف من أكبر الخطايا ، فهو وان كان كلمة ، أو كلمات ، تقال الا أن عقوبتها رهيبة . فلقد حذر المسيح من تلك الخطية ، وخاصة عندما يكون التجديف على الروح ، فقال :

« كل خطية وتجديف يغفر للناس . واما التجديف على الروح فلن يغفر للناس . ومن قال كلمة على ابن الانسان (المسيح) يغفر له . واما من قال على الروح القدس فلن يغفر له : لا فى هذا العالم ، ولا فى الآتى ..

يا أولاد الأفاعى : كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار . فانه من فضلة القلب يتكلم الفم .

ولكن ، اقول لكم : ان كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس ، سوف يعطون عنها حسابا يوم الدين . لانك بكلامك تتبرر وبكلامك تدان ـ انجيل متى ١٢ : ٣١ ـ ٣٧ » .

وقد اعتبر المسيح التجديف من أكبر الشرور ، فجعله يعادل الزنا والقتل ، اذ قال : « من قلوب الناس تخرج الأفكار الشريرة : زنا ، فسق ، قتل ، سرقة ، طمع ، خبث ، مكر ، عهارة ، عين شريرة ، تجديف ، كبرياء ، جهل . جميع هذه الشرور تخرج من الداخل ، وتنجس الانسان ـ انجيل مرقس ٧ : ٢١ ـ ٢٣ » .

ولقد حرمت التوراة سب الله وسب الرؤساء الدينيين ، فقالت : « لا تسب الله ، ولا تلعن رئيسا فى شعبك ـ خروج ٢٢ : ٢٨ » .

*

ولقد جعلت التوراة عقوبة مثل هذا التجديف : القتل رجما . يستوى فى ذلك الاسرائيلى الذى يؤمن بالله والتوراة ، أو غير الاسرائيلى الذى له دين آخر ، أو الذى ليس له دين على الاطلاق .

« كلم الرب موسى قائلا : أخرج الذى سب (وهو ابن رجل مصرى) الى خارج المحلة ، فيضع جميع السامعين أيديهم على رأسه ، ويرجمه كل الجماعة .

وكلم بنى اسرائيل قائلا : كل من سب الهه يحمل خطيته . ومن جدف على اسم الرب فانه يقتل . يرجمه كل الجماعة رجما . الغريب كالوطنى : عندما يجدف على الاسم يقتل ـ لاويين ٢٤ : ١٣ ـ ١٦ » .

كذلك جعلت التوراة عقوبة سب الوالدين ، أحدهما أو كليهما ، انما هى القتل ، فقالت :

« كل انسان سب أباه أو أمه ، فانه يقتل ـ لاويين ٢٠ : ٩ » .

وخلاصة القول : ان عقوبة التجديف على الله ، أو اسمه ، أو ملائكته ، أو خليله ابراهيم ، أو أنبيائه ـ الذين هم أكبر الرؤساء الدينيين • وسبهم أو السخرية منهم ، أو الحديث عنهم باستهزاء ، كل ذلك وأمثاله ، عقوبته : القتل رجما • ويحدث ذلك بأن تقوم الجماعة التى تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وأنبيائه • بتنفيذ الحكم على رؤوس الأشهاد •

* *

● **جرائم الكاتب سلمان رشدى :**

١ ـ السخرية من الاله ومن خلقه البشر ذوى خيال وأحلام ، وذلك فى قوله (**لو كنت الله • لأبطلت الخيال فورا من اذهان الناس •** وآنذاك قد يستطيع أولاد الزنا المساكين مثلى أن يحصلوا على قسط طيب من الراحة (بالنوم بلا أحلام بمضاجعة الأمهات ليلا) ! (ص ١٢٢)•

٢ ـ الحديث عن اسم الله بسخرية وتهكم ، اذ يقول :

(**يوجد اله يسمونه هنا : الله ، الذى يعنى ببساطة : الاله • واذا ما سألت الجاهلين عنه فسيعترفون بان هذا الشخص له نوع من السلطان الكلى ،** الا أنه لا يتمتع بحظوة كبيرة بينهم • فهو اله يقوم بكل الأدوار فى زمن التماثيل المتخصصة) ! (ص ٩٩) •

وجدير بالذكر أن لفظ الجلالة : الله ، بهذا النطق الصوتى (ALAH) كما فى العربية ـ هو ما ذكره عالم اللاهوت الدكتور سكوفيلد فى الطبعة الأولى من تفسيره للكتاب المقدس الانجليزى (ENGLISH BIBLE) ـ بمعاونة ثمانية من العلماء حملة الدكتوراة فى اللاهوت ـ وذلك فى تعليقه على العدد الأول من سفر التكوين الذى

يقول : (فى البدء خلق الله(1) السموات والأرض) . وللأسف ، فان الطبعات التالية لتفسير سكوفيلد ، قد حذفت كلمة (ALAH) ، حتى لا يدرك عامة المسيحيين ان عليهم ان يعبدوا الاله الذى يعبده المسلمون ، ويعرفونه باسم : الله .

يقول الله فى قرآنه ، تعليما للمسلمين :

﴿ ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن الا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون ﴾ (العنكبوت : ٤٦) .

٣ — الاستهزاء بالملائكة والسخرية من تطويع الله لهم بكلمات معسولة ووعود براقة . فهو يقول :

(وماذا عن الحالة الملائكية ؟ هى وضع وسط بين الألوهية والانسية . ألم يعتريهم الشك أبدا ؟ بلى . فقد حدث ذات يوم أن اعترضوا على ارادة الله ، حيث تواروا تحت العرش متذمرين ، ومتجاسرين على التساؤل عن أشياء محظور السؤال عنها : هل من الصواب أن ... ؟ ... فكان طبيعيا ان يهدىء الاله من تذمرهم مستخدما مهارات الادارة الالهية . فلقد اشبع غرورهم بقوله : ستكونون وسائل تنفيذ ارادتى فى الأرض ، وادواتى لخلاص الانسان وهلاكه ، وكل الهلم جرا المعتادة ! وآنذاك : هتافات فرح سريعة ، ونهاية للاحتجاج ، وعودة ثانية الى العمل ، تصاحبهم الهالات !

إن الملائكة يمكن تهدئتهم بسهولة ، فاذا جعلتهم وسائل فى يدك ، فلسوف يعزفون لحن قيثارتك المفضل . أما البشر ، فانهم نوع مشاكس ، يستطيع الشك فى كل شىء ، حتى ما تشهده عيونهم) (ص ٩٢) .

---

(1) The three primary names of Diety : Elohim, Jehova, and Adoni, and the five most important of the Compound names, occur in Genesis.

Elohim (sometimes EL or Elah), English form : God, formed from : EL = strength, or the strong one, and Alah, to swear , to bind oneself by an oath, so implying faithfulness.

٤ ـ وفى تهكم عابث ، يقول :

(فى تلك السنوات ... هل من الممكن القول بأن كبير الملائكة جبريل ؟ ام أن تقول : الله ؟ قد تسلطت عليه فكرة التشريع) ! (ص ٣٦٣) .

(أنا كبير الملائكة الدموى ، جبريل نفسه) (ص ٨٣) .

٥ ـ وعن ابراهيم خليل الله ، يقول :

(فى قديم الزمان ، جاء الأب ابراهيم الى هـذا الوادى بصحبة هاجر وابنهما اسماعيل . وهناك فى تلك البرية عديمة المـاء تخلى عنها ، فسألته : هل يمكن أن تكون هذه ارادة الله ؟ فأجابها : انهـا لكذلك .

ثم رحل ابن الزنا ! منذ البدء ، استخدم الناس الاله لتبرير ما لا يمكن تبريره !) (ص ٩٥) .

أى أن ذلك الكاتب الهندى يشتم أبى الأنبياء ويصـفه بابن الزنا ، ثم يتهمه بالكذب على الله !

٦ ـ ثم هو يتهم الأنبياء جميعا بأنهم جاءوا من عند أنفسهم ، ومن ثم كان منهم الواقعى ، ومنهم المثالى ، ومنهم المتزمت ، ومنهم المتساهل ، وذلك ما ينطوى عليه قوله :

(ماهوند ، أكثر الأنبياء واقعية ، فقد وافق على فترة انتقالية) (ص ٣٨١)

●

● الحـــكم :

من الثابت أن الكاتب الهنـدى سلمان رشدى قد ارتكب الجرائم الآتيـة :

ـ التجديف على الله .

ـ التجديف على اسم الله .

ـ التجديف على الملائكة .

ـ سب خليل الله ابراهيم والطعن فيه .

ـ الطعن فى الأنبياء والسخرية منهم .

وتطبيقا للأحكام الواردة فى : (خروج ٢٢ : ٢٨) ، (لاويين ٢٤ : ١٥ ـ ١٦) ، (لاويين ٢٠ : ٩) ، واسترشادا بتعاليم المسيح فى : (متى ١٢ : ٣١ ـ ٣٧) ، (مرقس ٧ : ٢١ ـ ٢٣) ـ تكون عقوبة الكاتب الهندى سلمان رشدى هى :

الرجم حتى الموت .

* *

ذلك هو الحكم على سلمان رشدى ، وفق أحكام **الكتاب المقدس** وهو حكم لا رجعة فيه ولا فرصة عنده للنجاة منـه .

وجدير بالذكر هنـا **أن رئيس لجنة الفتوى بالازهر قد قال فى** تصريح له : (ان سلمان رشدى يستحق الاعدام بسب رسول الله ﷺ **غير انه يجب التحقيق معه وتمكينه من الدفاع عن نفسه . ثم ان له حـق الرجوع والتوبة ، وهنا يسقط عنه الحـد**)(١) .

*

(من له اذنان للسمع فليسمع) كما قال المسيح كثيرا فى الانجيل ...

ولكن : **(رب مستمع ، والقلب فى صمم) ، كما قال الشـاعر** أحمد شوقى ...

* * *

---

(١) شيطان الغرب : ص ٩٧

حقـوق الانسـان ...

نعم ... وألف نعم من أجل حقوق الانسان ..

وهل الدين ـ كما تعلمناه فهما واستيعابا وايمانا ـ فى أحد مقاصده الكبرى ، الا من أجل حقوق الانسان ؟!

لكن كل حق يقابله واجب ... فتلك بديهية منطقية ، أقرتها خبرات الحياة . وذلك هو العدل والميزان الذى تستقيم بهما أمور الحيـاة .

ولسنا الآن فى صدد الحديث عن حقوق الانسان فى الاسـلام ، فى بضع صفحات من هذا الكتاب ، فذلك موضوع يحتاج الى بضع مئات من الصفحات . لكنا نكتفى بمسه مسا خفيفا فى صورته العامة التى تتكلم عن حق الكائن الحى من انسان وحيوان ونبات ..

ان أول حق للكائن الحى ، هو حق الحيـاة . فلا يهلك الا فى منفعة ، أو اقامة لعدل ، أو درءا لمفسدة ﴿ والله لا يحب الفساد ﴾ (البقرة : ٢٠٥)

وقـد لعن القرآن أولئك الطغاة الذين اذا ما آل اليهم الأمر ، أفسدوا فى الأرض باهلاك الحرث والنسل : من انسان وحيوان ونبـات ، فقـال :

﴿ واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسـل ، والله لا يحب الفساد . واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم ، فحسبه جهنم ، ولبئس المهاد ﴾ (البقرة : ٢٠٥ ــ ٢٠٦) .

وكان من أحاديث الرسول أن رجلا غفر الله له ، من أجل شربة ماء سقاها لكلب فى يوم قائظ ، فأنقذه بها من الهلاك ، وأن امرأة دخلت النـار فى قطـة حبستها ولم تطعمها حتى ماتت . (فلا هى أطعمتها ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض) (رواه البخارى) .

واذا كان الانسان قد أحل له أكل لحوم بعض الحيوانات والطير ، فان هذا الحق الذى منحه الله له ، يقابله واجب هو أن يكون رحيما بالحيوان حين الذبح . وفى هذا قال الرسول : « ان الله كتب الاحسان على كل شيء ، فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة . وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته » (رواه مسلم) .

واذا كان الانسان قد استخدم بعض اخوته من بنى الانسان فى خدمته ، فان عليه واجبا قبلهم ، حدده الرسول بقوله : « هم اخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فأطعموهم مما تأكلون . وألبسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم مايغلبهم . فان كلفتموهم فأعينوهم) (رواه مسلم) .

واذا كان الانسان قد استخدم بعض الدواب فى الركوب والتنقل وحمل الأثقال والعمل ، فان من حق تلك الحيوانات أن تمهد لها الطرق ، تخفيفا عليها . وقول عمر ــ الخليفة الثانى ــ فى هذا مشهور ، يعطى القدوة والمثل فى العالم أجمع لتقدير الحاكم لمسئولياته ، حتى أمام الحيوان ، اذ قال : « والله لو عثرت بغلة فى العراق لعددت نفسى مسئولا عنها لم لم أمهد لها الطريق » .

ونعود الآن لنقصر الحديث عن حقوق الانسان ، فنقول : انه بعد حقه فى الحياة ، ككائن بيولوجى ، فان له حق الكرامة ، منحة من خالقه : الله ، وليست عطية من مخلوقين مثله :

﴿ ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ (الاسراء : ٧٠) .

وله الحق فى حرية العقيدة ، دون ضغط أو اكراه :

﴿ لا اكراه فى الدين . قد تبين الرشد من الغى ﴾ (البقرة : ٢٥٦)

ثم نعبر الآن عشرات الحقوق الى أن نصل لحقه فى الكرامة فى غيبته ، لا فى حضوره فقط . وفى هذا يقول القرآن :

﴿ ولا يغتب بعضكم بعضا . أيحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه . واتقوا الله . ان الله تواب رحيم ﴾ (الحجرات : ١٢)

وللانسان الحق فى الكرامة ، ليس حيا فقط ــ سواء فى حضوره أو في غيبته ــ وانما له الحق فى الكرامة ميتا . فلقد وقف رسول الله لجنازة رجل ميت من غير المسلمين ، فلما استنكر الصحابة ذلك وقالوا لـه : انهـا ليهودى ، وقـد علموا مـا فعـله اليهود بهم ، قـال : « اليست نفسـا » ؟!

المسلم ، اذن ، بحكم عقيدته وتعاليم نبيه ، هو من أكثر الناس ايمانا بحقوق الانسان . ولكنها حقوق ــ مثل كل الحقوق ــ يقابلها واجبات . فهما وجهان متقابلان لعملة واحدة ، لو أخذنا أحد الوجهين وأغفلنا الوجه الآخر ، لتحولت تلك العملة الى نقد زائف يتعرض حامله لأشد العقوبات .

*

ان حقوق الانسان ، شعار براق يستهوى الأنفس السوية ، ولكنه غالبا ما يطلق ليكون : **كلمة حق يراد بهـا باطل** . وما ذلك فى حيـاة البشر بالشيء الجديد .

لقد كان : السلام .. والعمل من أجل السـلام ... ومن أجل عالم يســوده السـلام ... هى أكبر الشعارات ترديدا على ألســنة المسئولين فى القوتين العظميين ، أثناء فترة الحرب الباردة . ولم تكن هذه الشعارات أكثر من خـداع . فلو صـدقوا فيما يزعمون لتحقق السلام فى العالم ، ولكن هيهات ...

ولقد كان الحب ، وما زال ، هو أكثر الشعارات استحواذا على النفس ولكنه ، كالعادة ، كلمة حق يراد بها باطل .

وما بالنا نذهب بعيدا ، ولدينا ما زعمه الدجال اليونانى فى تجربته الشيطانية الأخيرة للمسيح ، من أنها من أجل حب المسيح ! يقول هذا بكل تبجح،بعد أن هوى بالمسيح الى الحضيض ، وجعله أضحوكة شديدة المرارة والسخرية !

وهكذا كان شعار حقوق الانسان ، هو ما ردده المرددون دفاعا عن الدجال الهندى ، فى مقاطعه الشيطانية ، بزعم حقه فى حرية التعبير .

ان دل هذا على شيء ، فانما يدل على جهل فاضح أو تزييف متعمد . وان قبل هذا من ملايين البشر التى لا تدرى من حقيقة هذا الأمر شيئا ، فلا يمكن قبوله ، ولو للحظة واحدة ، من كبار المسئولين ، مثل بعض السادة قادة الدول وساستها ورجال الفكر فيها ، الذين يفترض فيهم المعرفة والدراية بما يصدر عن هيئة الأمم المتحدة من مواثيق واعلانات .

لقد أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة — فى العاشر من ديسمبر ١٩٤٨ — **الاعلان العالمى لحقوق الانسان** ، ودعت الدول الأعضاء الى ترويج نصه ، والعمل على نشره وتوزيعه . والآن ، ماذا يقول هذا الاعلان ؟

ان أول سطر فى الاعلان العالمى لحقوق الانسان ، يتحدث عن كرامة الانسان . فهو ينظر اليه بما هو أهله ، أى كمخلوق ذى مثل عليا وقيم يعيش من أجلها ، لا مجرد كائن حى أو حيوان ناطق يسعى من أجل حياته المادية .

تقول ديباجة هذا الاعلان : (**لما كان الاعتراف بالكرامة المتاصلة فى جميع أعضاء الأسرة البشرية** وبحقوقهم المتساوية الثابتة هو أساس الحرية والعدل والسلام فى العالم .

ولما كان تناسى حقوق الانسان وازدراؤها قد أفضيا الى أعمال **همجية آذت الضمير الانسانى** ..

ولما كان من الضرورى ان يتولى القانون حماية حقوق الانسان ..

ولما كانت شعوب الأمم المتحدة قد أكدت فى الميثاق من جديد ايمانها بحقوق الانسان الأساسية **وبكرامة الفرد** ...) .

ان الحديث فى ديباجة الميثاق ينصب على : كرامة الانسان والمحافظة

عليهـا ومنع الأذى عن الضمير الانســانى . وان هذا لهو ما يرجوه كل انسان حر مستنير .

تأتى بعد ذلك مواد الاعلان ، التى تركز على المحافظة على كرامة الانسان ، فتقول مادته الأولى : (يولد جميع الناس احرارا متساويين فى الكرامة والحقوق ، وقد وهبوا عقلا وضميرا . وعليهم أن يعامل بعضهم بعضا بروح الاخاء) .

وتقول مادته الثانية عشرة : (لا يعرض احد لحملات على شرفه وسمعته ، ولكل شخص الحق فى حماية القانون من مثل تلك الحملات) .

وتقول مادته التاسعة عشرة : (لكل شخص الحق فى حرية الرأى والتعبير) .

ثم تقول مادته التاسعة والعشرون (وهى قبل الأخيرة) فى واجبات ذلك الانسان الذى كفل له هذا الاعلان العالمى كل هــذه الحقوق ، ما يلى :

١ ــ (على كل فرد واجبات نحو المجتمع الذى يتاح فيه وحده لشخصيته أن تنمو نموا حرا كاملا .

٢ ــ يخضع الفرد فى ممارســة حقوقه وحرياته لتلك القيود التى يقرها القانون فقط ، لضمان الاعتراف بحقوق الغير وحرياته واحترامها ولتحقيق المقتضيات العــادلة للنظام العام والمصلحة العامة والأخــلاق فى مجتمع ديمقراطى .

٣ ــ لا يصح بحال من الأحوال أن تمارس هذه الحقوق ممارسة تتناقض مع أغراض الأمم المتحدة ومبادئها) .

لقد تمسك المدافعون عن الدجال الهندى بالمــادة التاسعة عشر التى تتحدث عن حرية الرأى والتعبير ، ونسوا أو تناسوا أن تلك الحرية مقيدة بروح هذا الاعلان العــالمى وبمختلف مواده وخاصــة المــادة

الثانية عشرة » التى تحظر أن يتعرض الانسان لحملات على شرفه وسمعته.
ثم المادة التاسعة والعشرون ـ الفقرة (٢) ـ التى تقضى باحترام حقوق الغير وحرياته ومقتضيات المصلحة العامة والأخلاق .

واذا نحينا جانبا حملات الدجال الهندى على الله وملائكته ، ونظرنا فيما سطره عن البشر : ابراهيم ومحمد والأنبياء ، لوجدناه قد اغتال شخصياتهم ، وانتهك حقوقهم ، وشن حملات مسعورة على شرفهم وسمعتهم .

انه المجرم الحقيقى الذى تعدى على حقوق الانسان وانتهكها بغير حساب .

انه المجرم الحقيقى الذى تعدى على حقوق الانسان وانتهكها بغير مروجها لأشد العقاب .

ان **المملكة المتحدة** قد خالفت الاعلان العالمى لحقوق الانسان ، وأخلت بتعهدها الذى يلزمها (**باتخاذ اجراءات مطردة ، قومية وعالمية لضمان الاعتراف بها ومراعاتها بصورة عالمية فعالة بين الأعضاء**) .

ان القوانين تسن لتواجه متطلبات الحياة الطبية ، وبناء على خبرات البشر وتجاربهم . ولقد أكدت الأزمة التى أحدثتها رواية « مقاطع شيطانية » ضرورة اتخاذ اجراءات لتعديل القانون الانجليزى الحالى ، الذى يحمى فقط **المذهب الانجليكانى** ـ مذهب الدولة ـ من الطعن والتجريح ، بينما لا تجد بقية المذاهب المسيحية الأخرى ـ مثل الكاثوليك والأرثوذكس ـ ولا تجد بقية الديانات مثل : اليهودية والاسلام ، أى حماية فى ظل هذا القانون .

لقد قال المسيح فى موعظته : **« بالدينونة التى بها تدينون ، تدانون . وبالكيل الذى به تكيلون ، يكال لكم ـ متى ٧ : ٢ ـ ٣ »** .

ولقد كان هذا ما حدث فعلا ... فحين غضبت عشرات الملايين من المسيحيين على فيلم الزور والبهتان « التجربة الأخيرة للمسيح » تمسك

المدافعون عنه ، أعداء الله وأنبيائه ، بدعوى : حرية الرأى والتعبير .
وآنذاك أسقط فى أيدى المدافعين عن المسيح ، فلم يجدوا ردا حاسما لايقاف الفيلم ، سوى استخدام العنف والاعتداء على دور العرض ، وتخويف جمهور النظارة وارهابهم . ولما كان منهم من يدافع عن الدجال الهندى بذات الدعوى ، وهى : حرية الرأى والتعبير ، فالآن تقول لهم ولأمثالهم ، ما قاله المسيح : (بالكيل الذى به تكيلون ، يكال لكم) !

*

لقد كانت السيدة **مارجريت تاتشر** من أول المدافعين عن الدجال الهندى فى بذاءاته الشيطانية ، بدعوى أن أى تهجم عليه يعتبر (تهجما على حرية الكلمة التى هى من الحريات الأساسية للانسان)

لقد كالت هنا بكيلين . فالكل يعلم حملتها على بيتر رايت مؤلف كتاب: **صائد الجواسيس** ، فى عام ١٩٨٨ ، وملاحقتها له فى أستراليا ومحاولتها منع نشر الكتاب فى العالم . ثم تأتى حملتها الضارية على كتاب مماثل آخر هو : **التاريخ الرسمى للمخابرات البريطانية فى الحرب العالمية الثانية** ، الذى كتبه سير **مايكل هوارد** أستاذ التاريخ الحديث (سابقا) بجامعة أوكسفورد . . .

ان الحرية حين تترك بلا ضوابط وحدود تتحول الى فوضى شاملة ، اذ أنها تتحول الى عدوان على (حقوق الغير وحرياته ومقتضيات النظام العام والمصلحة العامة والأخلاق فى المجتمع الديمقراطى) ، كما يقول الاعلان العالمى لحقوق الانسان .

بل ان الحرية الشخصية أصبحت موضع تقييد ومساءلة ، حيث ان اطلاقها بلا حدود يعنى الحاق الضرر بالغير وبالمصلحة العامة .
ولهذا كان تركيز **الكونجرس الأمريكى** على الأهمية القصوى لعامل الأخلاق وحسن السلوك الشخصى للمرشحين لتولى المناصب الكبرى فى **الادارة الأمريكية** . ومن هذا المنطلق القويم رفض **مجلس الشيوخ الامريكى** ترشيح **جون تاور** وزيرا للدفاع ، فى فبراير ١٩٨٩ ، بسبب تعاطيه الخمور

وعلاقاته النسائية ، كما رفض ترشيح ريتشارد ارميتاج مساعدا لوزير الدفاع بسبب تورطه فى عمليات سرية تمت من خلف ظهر الكونجرس .

وهكذا يثبت واقع الحياة ، استحالة اطلاق الحريات بلا حدود . فليس هناك حق مطلق للتعبير وابداء الرأى ، ولكن هناك حق للتعبير تقيده حقوق الآخرين واعتبارات الأخلاق التى تلزم لاقامة مجتمع متحضر. بل ان واقع الحياة قد أثبت ضرورة التمسك بالأخلاق باعتبارها عاملا أكيد المفعول فى محاربة وباء العصر ــ الايدز ــ والتوقف عن ممارسة الشذوذ الجنسى واستعمال حقن المخدرات . لقد كان هذا ما قرره **المؤتمر الدولى للايدز** الذى عقد فى مونتريال بكندا فى صيف عام ١٩٨٩ . لقد كانت العلاقات الجنسية تعتبر عند كثيرين من المسائل الخاصة جدا ، التى لا يسمح بمناقشتها . بل ان المدلول اللغوى للكلمة الانجليزية (Private) فى أحد استعمالاتها المتعلقة بالعورة ، ليؤكد هذه الخصوصية أما الآن فان هذه الخصوصية أصبحت موضع تقييد ، حرصا على سلامه البشرية من طاعون العصر .

حرية التعبير ، اذن ، حرية مقيدة . وفى هذا يقول الكاتب الانجليزى **رونالد بارك** فى مقال نشرته صحيفة صن البريطانية (٥ ملايين نسخة) (لم يكن أحد خارج الأوساط الأدبية يعرف شيئا عن سلمان رشدى . لكنه فجأة أصبح من المشاهير الذين دخلوا صحائف التاريخ ، حيث لم يسبق أن تجمع مثل هذا العدد من أصوات الدول لتحتج من أجل حماية انسان واحد : ان البعض يتصورون أن هذا الرجل مجرد كاتب برىء ، وهم يؤكدون أننا جميعا نتمتع بحرية الكلام والنشر ، وهذا صحيح ، **ولكن أليس هناك حد لكل شىء ؟!** اننا مثلا لا نستطيع أن نحرض على قلب نظام الحكم ، بالرغم من هذه الحرية . واذا حدث فسوف نحاكم فورا بتهمة الخيانة العظمى .

اننا لا نستطيع ان نقوم بالتشهير او الذم ، والا فان مواد القانون ستطولنا ، والأحكام ستلاحقنا . وحتى الآونة الأخيرة من تاريخنا ، لم

لم يكن لنا أن نتهجم على الدين أو نعلن الكفر . ولكن قلة تمسكنا بالدين أدت بنـا الى التخلى عن اعتبار الزندقة من الجرائم التى يعاقب عليهـا القـانون .

ورغم ذلك بقى فى النفوس احساس بالمرارة والاحتقار للذين يستخفون او يستهزؤون بالمعتقدات التى تعطى الآخرين معنى وقيمة للحياة .

واذا نظرنا الى سلمان رشدى ، فسوف نجد أنه ولد وتربى أصلا فى بيئة اسلامية (فى الهند) ، ولذا فانه حتما يدرك مدى ولاء ووفـاء المسلمين لنبيهم ولآله وصحبه ورسالته . وبالتأكيد فان رشدى كان يعلم ، عندما صور النبى بالصورة التى صوره بها ، أن أشواكه الجارحة ستدمى قلوب المسلمين . فلماذا اساء اليهم هذه الاساءة الفاحشة ؟! هل قام بذلك لينال الشهرة باى ثمن ، ام ليجلب الأنظار الى كتابه ، ام ليكسب المـال باى طريقة ، ام لينفث عن صدره غله وحقده على دين ترعرع فيه قبل ان يقوم بنبذه ؟ لقد اعتذر سلمان رشدى الى الخمينى بذلة ، كما اعتذر الى المسلمين عما سببه لهم من اساءة لمشاعرهم . لكن المؤسف أنه لم يقدر ، قبل قيامه بتأليف كتابه ، أن هذا الكتاب سيسىء الى تلك المشاعر . ومع ذلك لم ينطق سلمان رشدى بكلمة اعتذار واحدة الى البلاد التى اتخذها وطنا له (انجلترا) وسبب لهـا كل هذه المشاكل . لذا فقد آن الأوان أن يكفر عن اساءاته اليها ، وأن يشرح كيف أرغمته دوافعه الخفية الى اهانة ١٠٠٠ مليون مسلم فى مختلف انحاء العالم .

لقد غادر رشدى بومباى ليجىء الينا ويدرس عندنا ، ويحصـل على الجنسية ، ولن يستغرب اذا علم ان عـددا كبيرا من سكان الجزر البريطانية يتمنون لو انه لم يأت الينا من بلاده)(١) .

هذا ، ولقد شهدت القاهرة ندوة فى شهر ابريل ١٩٨٩ ، موضوعها : العرب واوروبا عام ١٩٩٢ ، شارك فيها عدد من خبراء السياسة العالمية ،

---

(١) صحيفة الأهرام : ١٩٨٩/٣/٧

كان منهم من الجانب الأوروبى ، المسيو كلود شيسون ، وزير خارجية فرنسا (سابقا) ، ومفوض السوق الأوروبية المشتركة (سابقا) ، وتحدث منهم من الجانب العربى الأستاذ محمد حسنين هيكل ، الذى طرح عدة تساؤلات تتعلق بأوروبا الموحدة المزمع بروزها الى الوجود عام ١٩٩٢ ، فكان التساؤل الأول متعلقا بهذا الكيان الضخم الذى لم تكتمل صورته النهائية بعد ، وكان (التساؤل الثانى عن طبيعة روح هذا الكيان الضخم الذى سوف نراه أمام عيوننا عبر البحر سنة ١٩٩٢ .. ان أوروبا الموحدة تبدو أمامنا مأخوذة بامكانيات القوة التى يمكن أن تتوافر لها ، **لكننا لا نسمع ما فيه الكفاية عن القيم التى تستهدفها هذه القوة وتسعى اليها)** .

ثم كان التساؤل الثالث ـ الذى يتعلق بسوء الفهم الأوروبى للاسلام والاصرار على اصدار الأحكام المسبقة على العرب والمسلمين ، اذ قال :

(**هناك التساؤل الثالث** : عن الدواعى الحقيقية لمظاهر من سوء الفهم تشوب دائما صورة العرب فى أوروبا ، رغم ما أشرت اليه عن قرون التواصل الحضارى بين الطرفين . على خلفية هذا التواصل الحضارى بين الطرفين ، **فلا بد ان نقول بأمانة انه يدهشنا هذا الذى نراه احيانا من اختصار الاسلام الى الارهاب ، ومن اختصار العرب الى البترول ، ومن اختصار حقائق الصراع العربى الاسرائيلى الى حكاية معاداة السامية .**

وفيما يجرى على رقعة العالم كله الآن ، فاننا لا نرى سيئات تنسب الى أمة بأسرها ، كما نرى فى حالتنا فعمليات الجيش السرى اليابانى لم تنسب الى الأمة اليابانية ، وعمليات الجيش السرى الفرنسى لم تنسب الى الأمة الفرنسية ، وعمليات الجيش السرى الأيرلندى لم تنسب الى الأمة الأيرلندية . **هناك تقتصر المسئوليات على حدودها السليمة ، وفى حالتنا تطغى الأحكام ويجرى تعميمها بدون تحرز أو تمييز .**

ولقد كانت أوروبا أولى من غيرها بأن تفهم طبائع مراحل التطور

على أرضنا وتساعد على اجتيازها ان استطاعت بدون تعسف لا مبرر له . وانصافا لأنفسنا فنحن لم نلجأ الى مثل هـذا التعسف فى الأحكام . وما كان أسهل ان نقول ان اسوأ ظواهر العصر الحديث اوروبية : النازية اوروبية ، والفاشية اوروبية ، والستالينية اوروبية ، والاستعمار اوروبى ، والصهيونية أوروبية ، والتمييز العنصرى اوروبى ، والحربان الوحيدتان على مستوى العالم فى التاريخ كله اوروبيتان ـ الأولى والثانية ـ لكننا من جانبنا أدركنا أن أوروبا الحقيقية أكبر عشرات المرات من كل ما ظهر على أرضها من افرازات وتقلصات مراحل التطور والنمو .

التساؤل الرابع : ومن الحق ان نتحدث عنه بصراحة . فما ظهر لنا حتى الآن ان اوروبا ، مجتمعة او متفرقة ، تتعامل مع العالم العربى أحيانا ـ اكثر احيانا ـ بمواقف تتراوح بين الأبوية المتفضلة . او الانتهازية المتسللة .

فما بين دروس تبدأ بالتبشير بمزايا الاعتدال فى الصراع العربى الاسرائيلى ، وحتى التحذير من عواقب ما يسمونه الارهاب الدولى والذى توجه تهمته الى العرب جزافا ـ مرورا بالدروس عن حرية الرأى بصدد تلك الضجة المفتعلة عن كتاب لا يختلف احد فى انه اهانة بالغة للدين الاسلامى .

لقد وصلت الينا هذه الضجة هنا فى العالم العربى وكأنها أصداء صليبية فى غير موضعها وفى غير زمانها .. ومع ذلك فما زلنا نسمع دروس حرية الرأى ، وحرية البحث ، وحرية الخيال من اناس يعرفون قبل غيرهم ان بلادهم ، وهى صاحبة التاريخ الطويل والتقاليد العتيدة فى السعى من اجل الحرية ، تعرف حتى الآن قيودا على هذه الحرية ، تفرض نفسها بسطوة النفوذ او سلطة القانون . وآخر مثل لها ، حين اضطر رئيس البرلمان الألمانى ، قبل شهور

قليلة ، الى الاستقالة لأنه جازف بابداء رأى قصده خيرا ، ولكن الذين لم تعجبهم بعض الألفاظ نزعوا القائل من فوق مقعده .

وحين ذهب بعض العقلاء منا (نحن المسلمين) الى المحاكم البريطانية يشكون من اهانة دينهم ، كان حكم القاضى أن قانون تحقير الأديان فى بريطانيا ينطبق على المسيحية (المذهب الانجليكانى) ولا ينطبــق على الاسلام . ففى بريطانيا وفى غيرها قوانين تسمح بمناقشة الأديان ونقدها ، **ولكن القوانين (فى بلاد كثيرة) تمنع تحقير الأديان لانه يتجاوز حــق اى فرد فى الاعتقاد والخيال ويمس حق الآخرين فى احترام مقدساتهم مهما كان او يكون)(١) .**

*

وأخيرا ، ومهما يكن من أمر ، فلا ســلام للبشر ولا أمن بينهم الا بالحق والعدل . وبدونهما تنهار المبادىء التى جاهدت من أجلها البشرية عبر القرون ، ويتحول العالم الى غابات تسرح فيها الوحوش والحيوانات، **وان ارتدت ياقات بيضاء ، وانطلقت تغزو اجواز الفضاء .**

* * *

---

(١) صحيفة الأهرام : ١٩٨٦/٤/٥

الباب الخامس

من آيات الله

- فضائح المبشرين
- غزو الفضاء

فضـــائح المبشرين

• امبراطوريات التبشير والفضائح !

على مدى عام واحد ــ ما بين منتصفى ٨٧ ، ١٩٨٨ ــ تفجرت فى الولايات المتحدة عدة فضائح لقادة العمل التبشيرى ، ظلت تتردد أصداؤها عبر العالم مدة طويلة ، وكشفت عن أن عالم التبشـير المسيحى هنـاك عبارة عن امبراطوريات ضخمة لها أباطرتها المحترفون والمحتالون .

وأنه ــ كما تقول مجلة **الشاهد**(١) ــ فى تحقيقها الشهرى الذى اختارته عن : **تجارة المبشرين** ، انما هو (عـالم من النصب والاحتيال والدجل والابتزاز والسرقات والتهـديد والكذب والنفـاق والجنس والخيانات الزوجية والاغتصاب والبـذخ والثروات الطائلة . عالم من الفضائح .. أسماء كثيرة أشهر فى ــ فى بلادها ــ من نجوم الســينما والتليفزيون والمسرح .. رجال ونســاء يسيطرون على عقول عشرات الملايين من البشر ، وعلى ســوق مالى ضـخم لا يقـل حجمه عن **٢ مليار دولار سنويا**) .

ان فضائح التبشير متداخلة ، فكلها تنتمى الى عالم واحد ، وما أن تظهر فضيحة حتى يتلوها مسلسل من الفضائح ، نعرض فيما يلى لشىء منهـا .

•

• جيمى وتيمى بيكر :

اعتادت تيمى بيكر الظهور على شاشات التليفزيون بجوار زوجها جيمى ــ حين يقدم مواعظه للملايين ــ وهى ترتدى لباس البحر (المايوه)، وتبرر ذلك بقولها : علينا أن نكون جذابين ، واستعمال المساحيق وارتداء المـايوه ليس أمرا سيئا !

---

(١) مجلة شهرية تصدر فى قبرص ــ العدد ٣٩ ــ نوفمبر ١٩٨٨

وكالعادة ، يقول جيمى لملايين البسطاء : أرسلوا لنا تبرعاتكم فسيساعدكم الله !

ويستجيب له الملايين من الناس ، وتنهال عليه الملايين من الدولارات! وقد حدث فى عام ١٩٨٠ أن تعرض جيمى بيكر وزوجته لأزمة عائلية خطيرة ، عرضت على شاشات التليفزيون ، اعترفت فيها تيمى أن الشيطان أوقعها فى فخه ، وأنها تتعاطى المخدرات .

ولقد دخل الشيطان بينهما مرة أخرى ، حين تعرف جيمى على فتاة تدعى **جيسيكا هاهن** . فأعجب بها وروادها عن نفسها . ولما انجزت الفضيحة ، كان تعليقه ، الذى يكشف عن ممارساته الجنسية مع المحترفات، بقوله : ان جيسيكا تتمتع بمواهب المحترفات !

ثم تكلمت جيسيكا ، فقالت : جعلنى أشرب نبيذا مملوءا بمخدر[1]. ثم نزع ثيابى ، وأجبرنى على مداعبته ، فلم أتمكن من مقاومته . لقد مارسنا الحب طيلة ساعة كاملة ، بعد ذلك شعرت وكأننى مثل سندوتش هامبرجر مهمل ، لا يرغب فيه أحد !

بعد ذلك قررت جيسيكا أن تلاحق بيكر قضائيا ، فأرسل يعرض عليها صفقة ، يدفع بموجبها ٢٠ ألف دولار نقدا ، اضافة الى ٢٥ ألف دولار فى حساب مصرفى باسمها مع الفوائد الشهرية ، فى مقابل صمتها لمدة ٢٠ عاما .

لكن أصداء الفضيحة وصلت الى مسامع مبشر منافس له هو : **جيمى سواجارت** ــ الذى كان بيكر قد طرده من برنامجه التليفزيونى ــ فتزعم حملة لاجباره على الاستقالة من مؤسسته التبشيرية بزعم : **الحفاظ على سمعة المبشرين** ! فاستقال بيكر فى فبراير ١٩٨٧

---

(١) ذلك دابهم مع ضحاياهم ، اذ يستخدمون الشراب ذى المخدر حين الاعتداء عليهم أو التنويم المغناطيسى لاخضاع ارادة الضحايا وحثهم على تغيير معتقداتهم . وهم يمارسون ذلك فى العالم كله .

بعد أن هدأت العاصفة قليلا ، ظهر بيكر على شاشات التليفزيون ليعلن أن **سواجارت** تزعم الحملة ضده ليضع يده على ١٢٩ **مليون دولار** هى العائد السنوى لمؤسسته التبشيرية . وكان رد سواجارت عنيفا ـ كعادته وباعتباره قد نصب نفسه حاميا للتبشير المسيحى فى أمريكا ـ فكرر قوله بأنه : **قد آن الأوان لكى يتم تنظيف البيت من الداخل ، وانه لا يمكن لهذه المهزلة الفاضحة ان تستمر . وان سرطانا يجب استئصاله من جسد المسيح !**

وانقسم المبشرون ، بعضهم مع بيكر والبعض الآخر مع سواجارت واغتنم **مارفن جورمان** ـ وهو مبشر شهير فى نيويورك ـ الفرصة ليصفى حسابات قديمة مع **سواجارت** ، فهاجمه بعنف وطالبه بتعويض لا يقل عن **٩٠ مليون دولار** بسبب الأضرار التى لحقت به من جراء حملة **سواجارت** عليه بأنه مارس الخيانة الزوجية مرارا ، على حين اعترف جورمان نفسه أمام الملايين على شاشات التليفزيون بأنه لم يفعلها سوى مرة واحدة . وتاب بعد ذلك !

وبعد سقوط **بيكر** ، أخذت وسائل الاعلان تبحث عن ماضيه وعن نمط حياته . فاكتشف أنه يملك بيوتا فخمة جدا فى كاليفورنيا وفلوريدا . وأن جدران بعضها مطلاة بالذهب . وأنه وزوجته كانا يعيشان حياة البذخ بلا حدود على حساب تبرعات الأتباع والبسطاء ، وأن حسابات امبراطوريته ليست دقيقة . **فعندما تدخلت مصلحة الضرائب وسألت عن اختفاء ١٣ مليون دولار من الحسابات ، كانت اجابته ان الشيطان دخل الكومبيوتر واخفى الرقم !** فأوقفت مصلحة الضرائب تحقيقاتها ، لأنه لا سلطان لها على الشياطين !

*

● **والآن .. جاء الدور على سواجارت !**

لقد كان هذا هو العنوان الذى اختارته مجلة تايم(١) فى حديثها

(١) TIME, March 7, 1988.

الأسبوعى فى باب : **الدين**، عندما عرضت لفضيحة **سواجارت** الأخلاقية •

لقد تفجرت الفضيحة ــ المدعمة بالصور ــ بممارسة سواجارت الجنس مع مومس محترفة • ثم ما لبثت تلك المومس ، واسمها **دبرا ميورفى** أن كشفت عن بعض ما خفى • وكان مما قالته : انها كثيرا ما كانت تتمدد أمامه عارية ••• وفى احدى المرات طلب منها أن ترتدى فستانا (على اللحم •••) دون ملابس داخلية • ثم خرجا فى نزهة بسيارته حول المدينة •••

لقد كانت الصور التى حصل عليها ... – المبشر المطرود وخصم **سواجارت** ــ بواسطة مخبر سرى استأجره لهذا الغرض ، سلاحا فى يده للمساومة مع **سواجارت** ــ ولما فشلت العملية تفجرت الفضيحة !

ولم يملك سواجارت ــ الذى دعته مجلة تايم : **ملك الفيديو التبشيرى** ــ الا أن يعترف بفضيحته على شاشات التليفزيون ، ويطلب المغفرة من الرب ، وزوجته وابنه ، ومن الآخرين ••• !

لقد كتبت مجلة : **يو • اس • نيوز آند ورلد ريبورت**(٢) تعليقا على فضيحة سواجارت • قالت فيه : (ان جيمى سوالجارت من الذين يقلقهم الشيطان كثيرا • فهو يقول ان الشيطان هو الذى ابتدع الروك ــ آند ــ رول ، والسينما ، والبيرة • وأن الشيطان هو الذى جعل جيم بيكر يخدع زوجته • وجعل أورال روبرتس يعزل نفسه فى برج •• ولمدة أكثر من ٣٠ عاما ، كان سواجارت يحاول أن يطرد الشيطان بعيدا الى العالم والآخر • لكن أحدا ما كان يتوقع ــ بل كان آخر من يتوقع هذا هو المبشر التليفزيونى العنيف (سواجارت) ــ أن يقوم الشيطان برد الفعل العنيف هذا ••• !

من السابق لأوانه القول ما اذا كان صراع سواجارت مع الشيطان

---

(١) U. S. NEWS & WORLD REPORT. Morch 7, 1988.

ـ فقد صار معلوما أنه كان يدفع لمومس لكى تقوم بتقديم حركات داعرة له ـ ما اذا كان هذا سوف يعطل خدمته التبشيرية العالمية ذات العائد السنوى الذى يبلغ ١٤٠ مليون دولار (توقفت خدمته التبشيرية تماما منذ مدة) •

لكن المدهش أن اعتراف سواجارت على شاشات التليفزيون بدموع تتساقط على خديه ، قد اعتبر أكثر قليلا من همهمة على مقياس انتهاك الحرمات وعمليات الاغتصاب للأمة (الأمريكية) يحصيها على مدار السنة مثل تلك الأعمال القذرة التى انكشفت للعيان•

ويبدو أن مشاكل سواجارت قد أكدت أن السمة العامة لمبشرى أمريكا الألكترونيين أنهم فى جوع جنسى ، ولديهم جنون بالمال ••

واذا راجعنا مسلسل العام الماضى لوجدنا : اعلان اورال روبرتستون أنه اذا لم يدفع له الناس المال (٨ مليون دولار) فان الله سيقتله !

ثم زنا جيمى وتيمى بيكر ، وفضائح الرشاوى المقدمة للسكوت عن فضائحهما •

والضغائن بين بيكر وجيرى فالويل من أجل ادارة مؤسسة بيكر •

والآن ، تأتى فضيحة سواجارت ، الذى يعتبر واحدا من أكثر وعاظ هذا البلد (الولايات المتحدة) سطوة ، والحكم الأخلاقى للملايين من المشاهدين ، الذى كان يتسلل كاللص لعقد لقاءات سرية مع مومس !

ثم هناك مارفن جورمان المبشر الذى طرد من وظيفته الكهنوتية منذ عامين ، عندما اتهمه سواجارت بالزنا) ذلك بعض ما كان من أمر فضائح المبشرين ، وفضائح سواجارت ملك الفيديو التبشيرى ، ورافع لواء الأخلاق المسيحية •

❊

والآن ، هاهى بعض بيانات امبراطوريات المبشرين :

جيمى سواجارت : تبلغ عائداته السنوية ١٤٢ مليون دولار — يملك مركزا عالميا فى باتون روج ، يشبه مدينة صغيرة ، يمتد فوق ٢٥٠ فدانا ، يستخدم ١٠٠٠ موظف ، يحتوى على مدارس ، وفنادق ، واستوديوهات ، ودار عبادة تسع ٧٥٠٠ مصل . ويسكن سوارجارت فى فيلا تقدر بنحو ٢ر٤ مليون دولار ، فوق مساحة ٢٠ فدانا ، بنظام أمن ألكترونى متقدم .

جيمى وتيمى بيكر : تبلغ عائداتهما السنوية ١٢٩ مليون دولار ، وثروتهما الشخصية ٧٠٠ مليون دولار . يملكان عدة فيلات وبيوت فخمة . تصل استعراضاتهما التليفزيونية الى ١٣ مليون عائلة .

جيرى فالويل : مؤسس ورئيس حركة : الأكثرية الأخلاقية ، التى تضم ٤ ملايين عضوا . تبلغ عائداته السنوية ٧٥ مليون دولار جمع ٦ مليون دولار للمساهمة فى الجملة ضد الجوع فى افريقيا ، **احتفظ منها بنحو ٥ر٥ مليون دولار لنفسه ، وتبرع بالباقى لفقراء افريقيا .** ورث امبراطورية بيكر .

أورال روبرتس : تبلغ عائداته السنوية ٥٨ مليون دولار . يملك امبراطورية ضخمة بها محطة تليفزيون ، وجامعة ، ومستشفى ، ومركز كبير للتجارة والتسلية .

بات روبرتسون : تبلغ عائداته السنوية ١٣٠ مليون دولار . يملك سلسلة محطات تليفزيونية تصل برامجها الى ٣٣ مليون عائلة . كان مرشحا لرئاسة الجمهورية فى انتخابات ١٩٨٨

*

● **مواقف سواجارت من الاسلام ونبيه :**

اشتهر سواجارت بخصومته العنيدة للاسلام ، ونبيه : محمد رسول الله ، وكتابه : القرآن . وفى احدى أحاديثه التليفزيونية قال : (ان الخطر الذى يهدد الحضارة الغربية الآن ، ليس هو الشيوعية

والاتحاد السوفييتى ، وانما هو الاسلام الذى يغزو بلاد الغرب بصورة مذهلة . ان لندن عاصمة فكتوريا التى كانت تحكم العالم الاسلامى كله ، قد أصبحت تأوى أنشط مركز اسلامى فى العالم ، وان عدد المراكز الاسلامية فى الولايات المتحدة أصبح يفوق عدد أعضاء الحزب الشيوعى الأمريكى . وعلى حين يتراجع الحزب الشيوعى ، يتزايد عدد المراكز الاسلامية ، وتقوى جموع المسلمين) [1] .

ثم كان لقاؤه الشهير فى نوفمبر ١٩٨٦ مع الداعية الاسلامى المعروف **احمد ديدات** ، فى مناظرة عامة حول موضوع : **هل الكتاب المقدس كلمة الله ؟**

وكما هو واضح من موضوع المناظرة أنه يتعلق بالكتاب المقدس ومدى حقيقة القول بأنه كلمة الله الا أن سواجارت انتهز الفرصة وبدأ حديثه بالطعن فى الاسلام ونبيه وكتابه ، فقال :

(لقد قابلت السيد ديدات لتوى عصر اليوم ، وفى الحقيقة فانى قابلته لبضع دقائق هذا المساء . وفى الحقيقة فانه من ذلك الطراز من الرجال الذين تقابلهم والذين تحبهم فورا ..

هو أحد العلماء ، وأنا لست من علماء الانجيل ، رغم كونى من الدارسين النهمين للانجيل . لقد كان يداعب زوجتى ويداعبنى قبل أن أحضر الى هنا قائلا : **الاسلام يبيح اربع زوجات ، ثم صحح وقال : يسمح حتى اربع . فقلت له : حسنا يا مستر ديدات ، المسيحية تسمح لنا بواحدة فقط ، ولذلك أصطاد أفضلهن من أول قذيفة .**

يشرفنى أن أكون هنا الليلة ، وأنا سعيد أن أتيحت لى هذه الفرصة ، للتحدث ولو قليلا حول ما نعتقد أنه كلمة الرب القدير :
وأريد أن أقول شيئا قبل أن أبدأ فى الموضوع ، وهو **انى لم اكن اعرف كثيرا عن الاسلام . ولا اقول هنا باى نوع من التفاخر أو الزهو ، ولكن يجب ان اكون امينا .**

---

(١) شيطان الغرب ــ ص ٧١

ففى الأشهر القليلة الماضية درست الاسلام على نحو ما ، واعترف ان دراستى له كانت سطحية .

وفى الماضى — وأعتقد أن هذا حدث منذ حوالى سنتين — **فى ذلك الوقت تفوهت على التليفزيون بعبارات نابية عن القرآن ،** واذا لم تكونوا قد استمعتم الى فى ذلك الأسبوع بالذات ، فلن أقول لكم أبدا شيئا عن ذلك . ولكننى أعتذر عن ذلك ولن أكرره مرة أخرى ، لأنى أشعر بأن ذلك الذى فعلت كان تصرفا غير لائق .

وبعد ذلك درست قليلا ، كما ذكرت منذ لحظات : وتعلمت أن المسلمين من أكثر الناس كرما وتفتحا على وجه الأرض ..

لقد تعلمت احترام القرآن ، وتعلمت احترام المسلمين ، **لكنى لا اومن ان القرآن كلمة الله ، ولا اومن ان محمدا كان نبى الله .** ولكننى أحترم فعلا معتقداتكم ، وأحترم اخلاصكم لدينكم ...) !

ثم دخلَ سواجارت ، بعد هذه المقدمة اللولبية ، فى الموضوع ...

*

ان الاعتراف سيد الأدلة ، ولا شك . فبماذا اعترف سواجارت ؟

لقد أقر بأنه : **لم يكن يعرف كثيرا عن الاسلام ، وانه فى الاشهر القليلة الماضية درسه على نحو ما ، وان دراسته له كانت سطحية ، وانه طعن فى القرآن بعبارات نابية .**

وخلاصة ما قاله سواجارت — متعلقا بموقفه من الاسلام ونبيه وكتابه — أنه : طعن **(بغير علم) .**

ذلك واحد من جوانب القضية ، وهو أهمها وأخطرها ، أن يدرس سواجارت احدى ديانات العالم الكبرى دراسة سطحية فى شهور قليلة ، ثم يتخذ منها موقف العداء والكفر . أما الجانب الآخر ، فهو مشهد سواجارت فى مناظرته وحديثه العدوانى عن الاسلام ومقدساته . لقد كان سواجارت يمثل نجما تليفزيونيا مغرورا : يصول ويجول فوق

المسرح ، مستعرضا كل مواهبه وكبريائه وعضلاته ، وهو يثنى جانبيه عجبا واستكبارا . وفى لغة عربية راقية نقول : كان يتحدث (ثانى عطفه) .

ففى معاجم اللغة : عطفا كل شىء : جانباه ، وعطفا الرجل : جانباه من لدن رأسه الى فخذيه ، وعطفت الشىء عطفا : ثنيته وأملته .

ان شريط الفيديو شاهد على ثنى سواجارت لعطفه ... والآن ، ماذا نجد فى القرآن العظيم ، متعلقا بهذا السواجارت وأمثاله ، الذين درجوا منذ القدم على الجدال فى أمور الدين بغير علم ، عبثا واستكبارا ؟ يقول الله فى قرآنه :

﴿ ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله ، له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق . ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴾
(الحج : ٨ — ١٠)

والآن .. ماذا تحقق من هذه الآيات القرآنية ؟

لقد وقف سواجارت يجادل فى الله — الاله الواحد الأحد الذى تنزه عن المثيل والولد — **يجادل بغير علم ، ثانى عطفه ، فأذاقه الله الخزى فى الدنيا** ، وحسابه عند الله فى الآخرة .

فلم تمض الا شهور على مناظرته الشهيرة مع ديدات ، والتى هاجم فيها الاسلام ومقدساته ، حتى سقط ملك الفيديو التبشيرى عن عرشه بفضيحة أخلاقية مدوية ، وفقد معها مئات الملايين من الدولارات وسطوة ونفوذا ...

﴿ ان فى ذلك لآية ، وما كان اكثرهم مؤمنين . وان ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ (الشعراء : ٨ ، ٩) .

ولكن المعاندين كثير ، منذ القدم ، والى الآن ، والى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

فلقد رأى فرعون وآله ما جاء به موسى من آيات الله ، فقالوا :
« ساحر كذاب » (سورة ص : ٤) •

ورأى اليهود ما صنعه الله بيـد عيسى من آيات ، فقالوا لـه :
(بك شيطان) ، وقالوا عنه : (لا يخرج الشياطين الا ببعلزبول • رئيس الشياطين) •

ويرى من على شاكلة هؤلاء وهؤلاء ، آيات القرآن التى أرسل الله بها محمدا ، « فسينغضون اليك رءوسهم » (الاسراء : ٥١) •

« قلوبهم منكرة وهم مستكبرون • لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ، انه لا يحب المستكبرين » (النحل : ٢٢ ، ٢٣) •

« ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون » (النحل : ٢٥) •

« وكاين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون »
(يوسف : ١٠٥)

ولكن : « ومـا تغنى الآيـات والنـذر عن قـوم لا يؤمنون »
(يونس : ١٠١)

* *

غـزو الفضـاء

نقرأ فى القرآن كثيرا من الآيات التى تتحدث عن الكون وبنائه وسماواته ، وعوالمه الهائلة ومخلوقاته المتنوعة ، فنعلم منـه الكثير عن خواص البنـاء الكونى ، وأن الحياة ليست حكرا على الكرة الأرضية ، التى وصفها محمد رسول الله بأنها لا تزيد عن أن تكون : **حلقة ملقاة فى صحراء ...**

ولا يتسع المجال لاستعراض ما جـاء فى القرآن ، وفى أحاديث الرسول خاصا بالكون وعجائبه ، لكننا نكتفى بلقطات قصيرة تمكننـا من تجميع صورة اجمالية لخواص السماء ، وامكانية غزو الانسـان للفضاء ، واحتمالات الاتصال بحضارات أخرى تحتويها ثنايا هذا الكون الرهيب .

*

● **اهـل السـموات :**

من المعلوم ــ لغة ــ أن « من » اسم لمن يصلح أن يخاطب (كالعاقل المتكلم) . وقد وردت « من » فى آيات كثيرة من القرآن ، تشـير الى خلق آخرين غير بنى آدم ، سماهم قدامى المفسرين : أهل السموات ، كما جاء فى تفسيرهم لبعض هذه الآيات ، مثل :

﴿ قـل لا يعـلم من فى السـموات والأرض الغيب الا الله ﴾
(النمل : ٦٥)

يقول ابن كثير فى تفسيره : (يقول تعالى ، آمرا رسول الله ﷺ **أن يقول معلمـا لجميـع الخـلق أنه : لا يعلم احد من اهل السموات والأرض الغيب الا الله) .**

وكذلك فى تفسير قوله تعالى :

﴿ ونفخ فى الصور فصعق من فى السـموات ومن فى الأرض الا من شاء الله ، ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون ﴾ (الزمر : ٦٨)

يقول ابن كثير عن نفخة الصعق هذه : (هى التى يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض الا من شاء الله) .

وعلى ضوء ما تقدم ، نفهم أن فى السموات مخلوقات عاقلة كثيرة لا يعلمهن الا الله :

﴿ وربك اعلم بمن فى السموات والأرض ﴾ (الاسراء : ٥٥) .

فكلهم ملك لله ، وهم عبيده الناطقون باسمه :

﴿ الا ان لله من فى السموات ومن فى الأرض ﴾ (يونس : ٦٦) .

وكل هذه الخلائق العاقلة تسأل الله من فضله ، فيجيبها ـ سبحانه ـ بما يشاء :

﴿ يسأله من فى السموات والأرض ، كل يوم هو فى شأن ﴾ (الرحمن : ٢٩)

يقول ابن كثير : (اى لا يستغنى عنه اهل السموات والأرض : يحيى حيا ، ويميت ميتا ، ويربى صغيرا ، ويفك أسيرا) .

حتى اذا كان اليوم الآخر ، جاءه كل مخلوق مكلف من أهل السموات وأهل الأرض ، ليوفى حسابه :

﴿ ان كل من فى السموات والأرض الا آتى الرحمن عبدا ، لقد احصاهم وعدهم عدا ، وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ﴾ (مريم : ٩٣ ـ ٩٥) .

*

● عوالم من الأحياء فى السموات :

﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة ، وهو على جمعهم اذا يشاء قدير ﴾ (الشورى : ٢٩) .

ولفظ الدابة ، يقع فى اللغة على حيوان جسمانى يتحرك ويدب .

فالآية واضحة فى دلالتها على وجود الدواب فى السموات كما هى فى الأرض .

ويبين القرآن أن المقصود بالدابة ـ هنا ـ الأصل الذى جاءت منه الأنواع الرئيسية للمخلوقات ، كما فى هذه الآية :

« والله خلق كل دابة من ماء ، فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على اربع ، يخلق الله ما يشاء ، ان الله على كل شىء قدير » (النور : ٤٤) .

وكلمة « ماء » هنا فى صورتها النكرة ، لا تعنى الماء المعروف الذى يتكون جزيئه من ذرتين ايدروجين ، وذرة أوكسجين ، وانما يعنى أصل النوع الذى تخلق منه المخلوق .

فالقرآن يحدثنا عن خلقة الانسان بقوله :

« فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق »
(الطارق : ٥ ، ٦) .

بل ان فى السموات عوالم من النبات ، كما نفهمها من قول الحق فى القرآن :

« الا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون . الله لا اله الا هو رب العرش العظيم » .
(النمل : ٢٥ ، ٢٦)

فالخبأ ـ كما قال المفسرون ـ النبات ، الذى يخرجه الله من الأرض .

*

● **وفى السموات لغات للتخاطب ووسائل للاتصال بين المخلوقات :**

« قال ربى يعلم القول فى السماء والأرض ، وهو السميع العليم »
(الأنبياء : ٤) .

ثم تأتى بعد ذلك لآية قرانية صريحة فى تقرير وجود كواكب مأهولة أخرى غير الأرض :

﴿ **الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا ان الله على كل شىء قدير وان الله قد احاط بكل شىء علما** ﴾ (الطلاق : ١٢) .

وقد قال ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : ﴿ **تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن** ﴾ (الاسراء : ٤٤) ، أن قوله تعالى فى سورة الطلاق : ﴿ **ومن الأرض مثلهن** ﴾ : (أى سبعا أيضا ، كما ثبت فى الصحيحين : « من ظلم قيد شبر من الأرض ، **طوقه من سبع أرضين** » .

وفى الحديث الآخر : « ما السموات السبع وما فيهن وما بينهن ، **والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن** ، فى الكرسى ، الا كحلقة بأرض فلاة » ..

وعن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ **سبع سموات ومن الأرض مثلهن** ﴾ قال : **لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم ، وكفركم تكذيبها**) .

حقا .. لو عرف عرب الجاهلية وصدر الاسلام أن فى الكون عوالم ومخلوقات أخرى ، لكفروا بذلك واعتبروه فوق العقل والتصديق . وما كان ليعقل هذا الا أبناء النصف الثانى من القرن العشرين ، وما بعده من القرون .

بقى أن نشير الى أن لغة القرآن تسمح بأن العدد يذكر ــ أحيانا ــ ليفيد الكثرة ، وذلك فى مثل قوله تعالى لنبيه بخصوص موقفه من المنافقين :

﴿ **استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم** ﴾ (التوبة : ٨٠) .

يقول ابن كثير : (ان السبعين انما ذكرت حسما لمادة الاستغفار لهم ، لأن العرب فى أساليب كلامها تذكر السبعين فى مبالغة كلامها) .

والخلاصة من كل ما تقدم : أن السموات ــ وهى تعنى لغة :

كلّ ما علا ــ تعج بشتى أنواع الحياة ومتطلباتها على كواكب أخرى غير الأرض .

*

● في السموات طرق ومسارات :

لقد ورد في القرآن ما يفيد أن بها طرقا عديدة ومسارات مختلفة . وذلك في قوله تعالى ، قسما بالسماء ذات الطرق : ﴿ والسماء ذات الحبك . انكم لفى قول مختلف ﴾ (الذاريات : ٧ ــ ٨) .

والحبــك ، مفرده : حبيــكة ، وهى الطريق فى الرمل ، أو بين النجوم . وبالنسبة للسماء تكون هى الطريق بين النجوم .

ومن حبــك الســماء : مســالك الأجــرام الســماوية على اختلاف مواقعها : ﴿ كل فى فلك يسبحون ﴾ (يس : ٤٠) .

ومن حبك السماء : مجرات الفضاء الكونى . وقديما أطلقوا عليها اسم الطرق ، ومنها مجرتنا المعروفة بسكة التبانة أو الطريق اللبنى . تشبيها لهــا بالطريق الذى تناثر فيه التبن ، أو بمجرى اللبن المراق .

*

● الصعود فى مسارات متعرجة :

ان الحركة فى الفضاء لا تعرف الخط المستقيم . ولقد ثبت ذلك عمليا ، حيث ان الصعود فى السماء لا يتم الا فى مســارات منحنيــة بعضها بيضاوى أو شديد الانحناء . ولقد جرت خلال أبحاث الفضاء حديثــا عــدة قياســات أيدت صــحة انحناء الضــوء فى الفضــاء الكونى . ولعلنا تلمس بأنفسنا الاشارة الى انحناء السير فى الفضــاء أو الصعود الى السماء ، بما عبر عنــه القرآن دائما باستخدام كلمة : « عروج » ، التى تعنى الخروج عن الخط المستقيم ، وذلك فى مثله قوله :

﴿ يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منهـا وما ينزل من السـماء وما يعرج فيها ﴾ (الحديد : ٤) .

﴿ من الله ذى المعارج . تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سـنة ﴾ (المعارج : ٣ ، ٤) .

ويتم السفر فى الفضاء . بالعروج دائما فى السماء :

﴿ ولو فتحنا عليهم بابا من السـماء فظلوا فيـه يعرجون . لقـالوا انمـا سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون ﴾ (الحجر : ١٤ ، ١٥)

*

■ اشارات لغزو الفضـاء :

نرى فى القرآن اشارات لغزو الفضاء والصعود الى طبقات وكواكب أخرى ، تتضمنها بعض آياته .

فالكون بسمواته وأراضيه هو مجال عمل الانسان واكتشافاته :

﴿ وسخر لكم ما فى السـموات وما فى الارض جميعا منه ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ (الجاثية : ١٣) .

نعـم ... ان الذين يتفكرون هم الذين يبصرون آيات الله ، أما الباقون ، فهم فى دنياهم يعمهون ...

﴿ وما انتم بمعجزين فى الارض ولا فى السـماء ، وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير ﴾ (العنكبوت : ٢٢) .

فمن الواجب ألا يغتر الانسان بما أوتى من علم يصـعد به الى أغوار الفضاء ، أو يغوص به فى أعماق البحار ، فكل ذلك من فضـل الله عليه وعلى الناس .

ثم تأتى الى آيات قرآنيـة واضحة تؤكد الانطلاق فى السـماء **﴿ طبقا عن طبق ﴾** سواء أكان ذلك لمركبات على هيئة أطباق ، أو للانتقال

المتصاعد عبر طبقات الجو المختلفة . وانه لما يأخذ بالألباب حقا ، أن هذا الانطلاق فى السماء يرتبط بالقمر ، كما فى قول الله تعالى :

﴿ فلا اقسم بالشفق . والليل وما وسق . والقمر اذا اتسق . لتركبن طبقا عن طبق . فمالهم لا يؤمنون . واذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون ﴾
(الانشقاق : ١٦ ـ ٢١)

« حقا لقد ركب الانسان طبقا عن طبق من أجل هذا القمر ! ونستطيع الآن أن نفسر قوله تعالى : ﴿ طبقا عن طبق ﴾ كما يلى :

١ ـ أن رائد الفضاء تدرب أولا على مرحلة انعدام الوزن قبل القيام بالرحلة ، وذلك بالدوران فى أطباق بسرعات مختلفة .

٢ ـ يركب رائد الفضاء فى كابسولة فى أعلى صاروخ متعدد المراحل ، كما لو كان الصاروخ فعلا طبقا عن طبق .

٣ ـ اختراق الصاروخ لطبقات الغلاف الجوى المختلفة مثل طبقات : التروبوسفير ، والستراتوسفير ، والايونوسفير ، والاكسوسفير ، حتى ينفذ من جو الأرض متجها الى القمر .

٤ ـ لقد تم ارسال العديد من سفن الفضاء قبل نجاح الوصول الى القمر . وكانت هذه السفن كالأطباق تحمل ركابا متعاقبين ، طبقا عن طبق ، لتدور بهم حول الأرض . وهؤلاء الركاب مثل جاجارين ، وشبرد ...

٥ ـ فى ٢١ يوليو عام ١٩٦٩ تمت رحلة سفينة الفضاء (أبوللو ـ ١١) الأمريكية ، والتى حملت الرواد : نيل آرمسترونج ، والدرين ، وكولينز ، الى القمر حيث هبط آرمسترونج والدرين على سطح القمر لأول مرة فى تاريخ البشرية بواسطة المركبة القمرية ، بينما ظل زميلهم كولينز ينتظرهما فى مركبة أخرى تدعى (كولومبيا) كانت تدور حول القمر ، حتى التحمت بها المركبة القمرية بعد أداء مهمتها على سطح

القمر . وعادوا جميعا سالمين الى الأرض وقد ركبوا فصلا طبقا عن طبق »(١) .

*

هذا بعض ما نجده فى القرآن العظيم عن السماء وأهل السماء والصعود الى السماء . واذا اقتبست لغة القرآن ، فانى أقول :

« ائتونى بكتاب من قبل هذا او اثارة من علم ان كنتم صادقين » (الأحقاف : ٤)

الناس ما فى الكون وما فى السماء ، كما

معراجه الى السماء ، كما حدثهم

الاسراء والمعراج ، منذ أربعة عشر
عد للسموات ؟

اسعة !

لى الى القمر ، ويسألونه :

فيقول : رايتها كعملة من المعدن ملقاة فى بحر » ! (٢) .

سبحان الله ... ! لقد قال الحق فى قرآنه ، ومن أصدق من الله حديثا : « سنريهم آيتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ، او لم يكف بربك انه على كل شىء شهيد » (فصلت : ٥٣) .

* *

● وماذا بعد الحق الا الضلال ...

فبعد هذا الحق يطلع علينا الدجال الهندى فى روايته الشيطانية بأكاذيب فاجرة ، يقول فيها : (عندما كان المؤمنون يناقشون وجهة نظر

---

(١) الكون والاعجاز العلمى : الدكتور منصور حسب النبى ـ ص ٢٢٦
(٢) القرآن وعلم الفلك : أحمد جبالية ـ ص ٢٠٠

ماهوند حول أى موضوع ، بدءا من امكانية السفر فى الفضاء ، الى دوام العذاب فى جهنم ، فان الملك (جبريل) يعود دائما بالاجابة التى تدعم رأى محمد . فلقد قرر ، دون ادنى ظل من الشك ، انه من المستحيل ان يسير انسان على سطح القمر) (ص ٣٦٤) .

أى كذب وافتراء على الحق ، يبثه هذا الكذاب المجهول ؟!

لقد ورد لفظ : القمر ، فى القرآن ٢٧ مرة[1] . وانى أدعو القارىء غير المسلم أن يراجع آيات القرآن التى تتحدث عن القمر ، سواء فى لغتها العربية ، أو فى تراجم معانيها الى اللغات الأخرى ، ليتبين حقيقة هذه الأكاذيب . ويوقن أن كاتبه الذى يقرأ له ما هو الا دجال مضل ، دونه عشرات الكذابين الذى اشتهروا فى التاريخ ...

ألا ان : ﴿ لعنة الله على الكاذبين ﴾ (آل عمران : ٦١) .

*

حقا ، قال الله فيه وفى أمثاله ، آية معجزة من معجزات العلم بما حدث لذلك الذى يصعد فى السماء دون وقاية وحجاب ، حيث يعانى من الضيق والشدة ما يفوق الوصف . وهو ما أكدته أبحاث الفضاء التى مهدت لصعود الانسان فى الفضاء ، والسير على سطح القمر ، والتطلع الى الكواكب الأخرى :

﴿ فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء ، كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ﴾ (الأنعام : ١٢٥)

* * *

---

(١) تبينها ارقام السور والآيات كالآتى : ٧٧/٦ ، ٩٦/٦ ، ٥٤/٧ ، ٥/١٠ ، ٤/١٢ ، ٢/١٣ ، ٣٣/١٤ ، ١٢/١٦ ، ٣٣/٢١ ، ١٨/٢٢ ، ٦١/٢٩ ، ٢٩/٣١ ، ١٣/٣٥ ، ٣٩/٣٦ ، ٤٠/٣٦ ، ٥/٣٩ ، ٣٧/٤١ ، ٣٧/٤١ ، ١/٥٤ ، ٥/٥٥ ، ١٦/٧١ ، ٣٢/٧٤ ، ٨/٧٥ ، ٩/٧٥ ، ١٨/٨٤ ، ٢/٩١ ، ٦١/٢٥

خاتمة

الانسان عدو ما يجهل ... تلك حكمة صاغتها مختلف الشعوب ، بعد أن اكتسبتها من خبرات الحياة ، فصارت من حقائقها ومسلماتها .

ويكفينا هنا مثلين للبرهنة على تغير المواقف من أقصاها الى أقصاها ، أى بزاوية مقدارها ١٨٠ درجة ، عندما تعالج القضية الواحدة مرة فى الظلام والتعتيم ، ثم تبحث مرة أخرى فى ضوء التنوير .

*

١ — موقف البابوية من الاسلام والمسلمين

(ا) فى ظل الجهالة والتعتيم :

فى عام ١٠٩٥ وقف البابا ايربان الثانى ، رأس الكنيسة الكاثوليكية، ليعطى اشارة البدء بالحروب الصليبية ضد المسلمين ، قائلا : (أنتم فرسان أقوياء ، ولكنكم تتناطحون وتتنابذون فيما بينكم . **ولكن تعالوا حاربوا الكفار ..** تقدموا للدفاع عن المسيح .. لا تلهكم نساؤكم ولا أولادكم ولا أموالكم عن القتال فى سبيل الله .. **تقدموا الى بيت المقدس . انتزعوا الأرض الطاهرة واحفظوها لأنفسكم . سأغفر لكم ذنوبكم وخطاياكم بالقوة التى زودنى بها الله) ! .**

(ب) فى ضوء التنوير :

عقد **مجمع الفاتيكان الثانى** فى الفترة (٦٢ — ١٩٦٥) ، وكان من جملة قراراته فى وثائقه المنشورة ، قرارا يقول : (ان كنيسة المسيح تعترف بأن مبادىء عقيدتها قد بنيت لدى الرسل والأنبياء طبقا لسر الخلاص الالهى **فهى تعترف فعلا بان جميع المؤمنين ، وهم ابناء ابراهيم**

ـ حسب العقيدة ـ داخلون فى رسالة ذلك النبى . ولنعانق أولا المسلمين الذين يعبدون الها واحدا ، والذين هم أقرب الينا فى المعنى الدينى وفى علاقات ثقافية انسانية واسعة) .

وهكذا ، أبطلت الكنيسة فى القرن العشرين ما سبق أن أعلنته فى القرن الحادى عشر ، من اعتبار المسلمين كفارا ..

*

٢ ـ موقف فولتير من الاسلام ونبيه

(أ) فى ظل الجهالة :

كتب فولتير مسرحية بعنوان : محمد ، سب فيها النبى سبا قبيحا ، وأهداها للبابا بندكت الرابع عشر (تولى البابوية من ١٧٤٠ الى ١٧٥٨)، قائلا :

(فلتستغفر قداستك لعبد خاضع من أشد الناس اعجابا بالفضيلة ، اذ تجرأ فقدم الى رئيس الديانة ما كتبه ضد مؤسس ديانة كاذبة بربرية ، والى من غير وكيل رب السلام . والحقيقة أستطيع أن أتوجه بنقدى قسوة نبى كاذب وأغلاطه . فلتأذن لى قداستك فى أن أضع عند قدميك الكتاب ومؤلفه . أجثو وأقبل قدميك القديسين)[1] (فولتير : ١٧ أغسطس ١٧٤٥) .

(ب) فى ضوء التنوير :

ثم دار الزمان دورته وفتش فولتير الكتب ـ كما قال المسيح ـ وتعلم ، فغير موقفه بزاوية مقدارها ١٨٠ درجة ، وأعلن ذلك فى كتابه (يقين أسانيد الاسلام)(٢) الذى صدر غلافه بآية من القرآن العظيم تقول : ﴿ فبأى حديث بعده يؤمنون ﴾ (المرسلات : ٥٠) .

---

(١) مجلة الهلال ـ عدد شعبان ١٣٩٨ هـ (أغسطس ١٩٧١ م) .

(٢) LA CERTITUDE des EPREUVES DU MAHOMETISME .

يقول فولتير لقرائه المسيحيين : (كيف تحقرون كتابا يدعو الى الفضيلة والزكاة والرحمــة ؟! كتابا يجعل الرضــوان الأعلى جزاء لمن يعملون الصالحات ، وتتوفر فيهم الكمالات الذاتية ؟! ان الذين يهاجمون القرآن لم يقرءوه قطعا ..) .! .

ويقول القاموس الفلسفى لفولتير ــ طبعة ١٨٢٢ ، جزء ٦ ، ص ٤ ــ مخاطبا متعصبى الغرب ضد الاسلام : (أكرر لكم القول أيها الجهلة الأغبياء ، الذين غرر بهم جهلة أغبياء ، وأفهموكم أن عقيدة محمــد عقيدة لذات وجنس ، قوامها الشهوات المــادية ، فى حين أنها أبعد ما تكون عن هذا الوصف . لقد خدعتم فى هذه الناحية كما خدعتم فى نواح أخرى عديدة ..

أيها الأساقفة والرهبان والقسس : اذا فرض عليكم قانون يحرم تناول الطعام من الرابعة صباحا حتى العاشرة مساء فى شهر يوليو ــ أى فى وقدة الصيف ــ عندما يحل الصيام فى هذا الشهر .. واذا حرم عليكم لعب الميسر والا استهدفتم للعنة الله .. واذا حرم عليكم شرب الخمور والأنبذة تحت التهديد بالجزاء نفسه .. اذا فرض عليكم الحج فى صحراء محرقة .. اذا فرض عليكم اعطاء ٢½٪ من مالكم للفقراء .. اذا كنتم تتمتعون بزوجات تبلغ ثمانى عشرة زوجة أحيانا ، فجــاء من يحــذف أربعة عشر من هذا العدد .. هل يمكنكم الادعاء مخلصين بأن هــذه الشريعة شريعة لذات وجنس ؟! ...

لقد هدم محمد الضلال السائد فى العالم على عهده ، وقام بالكفاح المفروض على الانسان لبلوغ الحقيقة . ولكن يبدو انه يوجد دائمــا من يعملون على استبقاء الباطل وحماية الخطأ) ! (١) .

*

ان خلاصة الخلاصة فى موقف الجاهلين بحقيقة الاسلام ونبيه هو

---

(١) مجلة الدوحة ــ العدد ١٠٠ ــ ابريل ١٩٨٤

ما قرره الدكتور ميجيل ايرنانديث في بحثه الذي ألقاه في مؤتمر الحوار الاسلامي المسيحي ، الذي عقد في قرطبة باسبانيا عام ١٩٧٧ تحت عنوان:

(الجذور الاجتماعية والسياسية للصورة المزيفة التي كونتها المسيحية عن النبي محمد) .

ولقد كان من أقواله :

(لا يوجد صاحب دعوة تعرض للتجريح والاهانة ، ظلما على مدى التاريخ ، مثل محمد . وان الأفكار حول الاسلام والمسلمين ونبيهم محمد استمرت تسودها الخرافة ...) .

* *

وأخيرا ، نختم حديثنا هذا باعتذار الى الله ــ سبحانه وتعالى ــ والى ملائكته الكرام البررة ، والى أنبيائه ورسله المصطفين الأخيار ، اعتذارا ملء رضاء الله ، عما صــدر من بعض حثالة البشر من بذاءات وخطايا يشيب من هولها الولدان ، فلا نجد خيرا من آيات الله نرفعها اليه ونقول :

﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصــفون . وســلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين ﴾ (الصافات : ١٨٠ ــ ١٨٢) .

* * *

قائمـة المراجع الرئيسـية

(ا) تفاسـير القرآن العظيم

١ ــ تفسـير الطبرى :
(جامع البيـان فى تفسـير القرآن ، لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى) .

٢ ــ تفسير الفخر الرازى :
(مفاتيح الغيب ، لأبى عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازى) .

٣ ــ تفسـير ابن كثير :
(تفسـير القرآن العظيم ، لعمـاد الدين أبى الفـداء اسـماعيل ابن كثير)

*

(ب) تراجم عربية للكتاب المقدس

٤ ــ طبعـة البروتسـتانت ، (دار الكتـاب المقـدس فى الشرق الأوسـط) .

٥ ــ طبعة الكاثوليك ، (دار المشرق ــ بيروت) .

٦ ــ كتب الشريعة الخمسة ، (دار المشرق ــ بيروت) .

٧ ــ العهد الجديد ، (دار المشرق ــ بيروت) .

٨ ــ العهد الجديد ، (المطبعة الكاثوليكية ــ بيروت) .

*

(ج) تراجم انجليزية

٩ — King James Version .

١٠ — REVISED STANDARD VERSION (R.S.V.)

١١ — TORAY'S ENGLISH VERSION

١٢ — Hugh Schonfield : THE ORIGINAL NEW TESTAMENT, Firethorn Press, London. 1985.

*

(د) تراجم فرنسـية

١٣ — LA BIBLE (A. T : Louis Segond).

١٤ — TRADUCTION OECUMÈNIQUE DE LA BIBLE (T. O. B).

١٥ — LA BIBLE DE JÈRUSALEM.

*

(هـ) مراجع متنوعـة

١٦ ـ سيرة ابن اسحق : تحقيق وتعليق محمد حميد الله ـ معهد الدراسـات والأبحاث للتعريب ـ الرباط •

١٧ ـ تهذيب سـيرة ابن هشام : عبد السلام هارون ـ مكتبـة التوعية الاسـلامية ـ القاهرة •

١٨ ـ نهاية الأرب فى فنـون الأدب : شـهاب الدين النويرى ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ـ القاهرة •

١٩ ـ تاريخ الأمم والملوك : لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى •

٢٠ ـ نسـاء النبى : الدكتورة عائشة عبد الرحمن ـ دار الكتاب العربى ـ بيروت •

٢١ـ حياة محمد : الدكتور محمد حسين هيكل ـ دار المعارف بمصر ـ القاهرة .

٢٢ ـ الرسول ـ حياة محمد : ر . ف . بودلى ـ ترجمة محمد فرج ، وعبد الحميد جودة السحار ـ لجنة النشر للجامعيين ـ القاهرة .

٢٣ـ محمد فى حياته الخاصة : الدكتور نظمى لوقا ـ مكتبة غريب ـ القاهرة .

٢٤ ـ الخالدون مائة ـ أعظمهم محمد رسول الله : الدكتور مايكل هارت ـ ترجمة أنيس منصور ـ المكتب المصرى الحديث ـ القاهرة .

٢٥ـ الاسلام ـ عقيدة وشريعة : الامام الأكبر محمود شلتوت ـ دار الشروق ـ القاهرة .

٢٦ـ الأحكام العبزية : دى بغلى ـ نقله الى العربية وعلق عليه محمد حافظ صبرى ، تحت اسم : المقابلات والمناظرات .

٢٧ ـ أحكام الأسرة فى الجاهلية والاسلام : ابراهيم فوزى ـ دار الكلمة للنشر ـ بيروت .

٢٨ ـ الطلاق فى الاسلام : مولانا محمد على ـ ترجمة السيدة حبيبة يكن ـ منشورات المكتبة العصرية ـ بيروت .

٢٩ ـ وضع المرأة فى الاسلام : الدكتور محمد معروف الدواليبى ـ دار الكتاب اللبنانى ـ بيروت .

٣٠ـ المرأة فى التصور الاسلامى : عبد المتعال الجبرى ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة .

٣١ ـ قصة زينب بنت جحش : الدكتور محمد بديع شريف ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة .

٣٢ ـ المرأة عبر التاريخ : مونيك بيتر ـ ترجمة هنرييت عبودى ـ دار الطليعة ـ بيروت .

٣٣ــ الاسلام فى فجر عظمته : موريس لومبارد
(L'ISLAM DANS SA PREMIÈRE GRANDEUR par : Maurice Lombard).
ترجمة حسين العودات ــ منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومى ــ دمشــــق .

٣٤ ــ الفتوحات الاسلامية فى فرنسا وايطاليا وسويسرا ، فى القرون الثامن والتاسع والعاشر : جوزيف رينو
(Invasions des Sarrazins en France et de France en Savoie, en Piémont et dans la Suisse, Pendant les huitième, neuvième et dixième siècle de notre ère, par : M. Reinaud) .
تعريف د. اسماعيل العربى ــ دار الحداثة للطبــاعة والنشر ــ بيروت .

٣٥ ــ العرب وأوروبا : لويس يونج
(THE ARABS AND EUROPE, by : Lewis Young)
ترجمة ميشيل أزرق ــ دار الطليعة ــ بيروت .

٣٦ ــ الحضارة العربية : الدكتور ى . هل ــ ترجمة الدكتــور ابراهيم العدوى ــ كتاب الهلال ــ يونية ١٩٧٩ ــ القاهرة .

٣٧ ــ ثورة الفكر : الدكتــور لويــس عوض ــ مركز الأهرام للترجمة والنشر ــ القاهرة .

٣٨ ــ مارتن لوثر ــ الدكتور القس حنا الخضرى ــ دار الثقافة ــ القــاهرة .

٣٩ــ شــيطان الغرب سلمان رشــدى : ســعيد أيوب ــ دار الاعتصام ــ القاهرة .

٤٠ ــ آيات ســماوية فى الرد على آيات شــيطانية : الدكتــور شمس الدين الفاسى ــ دار مايو الوطنية للنشر ــ القاهرة

٤١ ــ رسالة العلم والايمان : الدكتــور محمــد جمــال الدين الفندى ــ مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ــ القاهرة .

٤٢ ـ الكون والاعجـاز العلمى للقرآن : الدكتـور منصـور حسب النبى ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة .
٤٣ ـ القرآن وعلم الفلك : أحمد جبالية ـ الدار العربية للكتاب ـ طرابلس ـ ليبيـا .
٤٤ ـ الاعلان العالمى لحقوق الانسان ـ مطبوعات الأمم المتحدة .

*

٤٥ ـ Karen Armstrong : THE GOSPEL ACCORDING TO WOMAN, Elm Tree Books, London, 1986.

٤٦ ـ H. Root (& others) : GOD, SEX & LOVE Fontana Books, London, 1963.

٤٧ ـ R. H. Bainton : Sex, Love and Marriage, Fontana Books, London, 1964.

٤٨ ـ Bertrand Russel : Why I am not a Christian, George Allen & Unwin, London, 1957.

٤٩ ـ C. H. Dodd : The Meaning of Paul for Today, Fontana Books, 1964.

٥٠ ـ D. E. Nineham : SAINT MARK, Penguin Books, London, 1963.

٥١ ـ G. B. Caird : SAINT LUKE, Penguin Books, 1963 .

٥٢ ـ J. C. Fenton : SAINT MATTHEW, Penguin Books , 1963.

٥٣ ـ G. A. Wells : The Jesus of The Early Christians, Pemberton Books, London, 1971.

٥٤ ـ David Catarivas : ISRAEL, Vista Books, London, 1964.

* *

محتويات الكتاب

الصفحة

المقدمة ٥

الباب الأول : نساء الأنبياء

(٧ - ١١٢)

نساء ابراهيم ٩
نساء يعقوب ١٣
نساء موسى ١٥
نساء جدعون ١٩
نساء داود ٢٢
نساء سليمان ٣٤
نساء هوشع ٣٨
نساء محمد ٣٩
خصوصية التشريع ٩٨
من شريعة موسى ٩٨
فى المسيحية ١٠٠
فى الاسلام ١٠١
هؤلاء المراؤون ١٠٨

الباب الثانى : تعدد الزوجات

(١١٣ - ١٨٤)

تعدد الزوجات فى اليهودية ١١٥
تعدد الزوجات فى المسيحية ١١٧
حقيقة المقال ١٢٧
دائرة التبشير بالانجيل ١٢٩
توقع نهاية العالم سريعا ١٣٣
الخلاصة ١٤٧
الواقع بين النظرية والتطبيق ١٥١
اولا - تحريم الطلاق وتعدد الزوجات فى المسيحية ١٥٢
الطلاق فى فرنسا ١٥٢

الصفحة

الطلاق فى سويسرا ١٥٣
الطلاق فى ألمانيا ١٥٤
الطلاق فى انجلترا ١٥٥
اعترافات ١٥٦
دعوات للاصلاح ١٥٩
السماح للرجل بتعدد النساء ـ تكون الاولى هى الزوجة
والأخريات سرارى ١٥٩
اعادة النظر فى موقف المسيحية من تعدد الزوجات ١٦٢
ثانيا ـ التعاليم الاخلاقية فى الاناجيل ١٦٦
من انجيل مرقس ١٦٧
من انجيل لوقا ١٦٨
من انجيل متى ١٦٩
من انجيل يوحنا ١٧١
كيف راعى المسيح قانونه الأخلاقى ١٧١
تعاليم المسيح الأخلاقية وتعاليم السابقين ١٧٦
تعدد الزوجات فى الاسلام ١٧٨

الباب الثالث : مكانة المراة
(١٨٥ ـ ٣٠٨)

مكانة المراة فى اليهودية ١٨٧
المراة هى المسئولة عن الخطيئة البشرية الأولى ١٨٧
زوجة العبد واولادها ملك لسيده ١٩١
المراة تباع وتشترى ١٩١
نجاسة ولادة الأنثى ضعف نجاسة ولادة الذكر ١٩١
الميراث للذكور فقط ١٩٢
لا ترث النساء الا عند فقد الذكور ١٩٢
عقوبات خاصة بالنساء فقط ١٩٣
فى الزواج والطلاق والانفاق ١٩٣
فى الميراث ١٩٥
مكانة المراة فى المسيحية ١٩٦
تمهيد ١٩٦
بين مسيحية بولس ومسيحية المسيح ١٩٨
١ ـ الخطيئة الأصلية ١٩٨
٢ ـ الالتزام بالناموس ٢٠٤

الصفحة

٣ ـ كيفية الخلاص ٢٠٥
المراة فى مسيحية المسيح ٢٠٨
مواقف المسيح مع المراة ٢٠٨
تعاليم المسيح حول المراة ٢١٢
تعاليم المسيح والأسرة ٢١٢
المراة فى مسيحية بولس ٢١٤
مواقف بولس مع المراة ٢١٤
تعاليم بولس حول المراة ٢١٤
المراة مسئولة عن الخطيئة البشرية الأولى ٢١٤
المراة دون الرجل ٢١٥
تعاليم بولس والأسرة ٢١٥
المراة فى ظل الكنيسة ٢١٩
دراسة تاريخية ٢٢١
فكر آباء الكنيسة وتعاليمهم فى الجنس والمراة والزواج .. ٢٢٥
نتائج هذا الفكر المسيحى الكنسى ٢٣٩
خاتمة .. وتعليق ٢٥١
مكانة المراة فى الاسلام ٢٥٨
آدم هو المسئول عن الخطيئة البشرية الأولى ٢٥٨
النساء شقائق الرجال ٢٦٧
المراة ام الخليقة ٢٦٧
اكرام الأم أضعاف اكرام الأب ٢٦٨
الترحيب بالأنثى منذ ولادتها ٢٧٠
حق الأنثى فى التربية والتعليم ٢٧١
المراة اهل للمسئولية الكاملة ٢٧٢
المراة انسان ٢٧٤
مسئولية المراة العامة ٢٧٥
حق المراة فى عقد الزواج ٢٧٦
المراة زوجة ٢٨١
الزواج سكينة ومودة ٢٨١
الزواج ميثاق غليظ ٢٨٢
ادارة البيت المسلم ٢٨٤
مشاكل تهدد الحياة الزوجية ٢٩٠
أبغض الحلال الى الله الطلاق ٢٩١
مسئولية الرجل بعد الطلاق ٢٩٧

الصفحة

الأعباء المالية للرجل ٢٩٨
ميراث المراة ٣٠٠
شهادة المراة ٣٠٢
عقوبة لحماية سمعة المراة ٣٠٥

الباب الرابع : حقائق ومواقف
(٣٠٩ ــ ٥٠٠)

حضارة لا اله الا الله .. وتحرير الانسان ٣١١
قالوا عن حضارة الاسلام ٣١٣
هذا التلوث الجنسى ٣٤٥
وقائع جنسية ٣٤٧
أساليب القصص الجنسى ٣٥٠
انزلاق الى الاباحية ٣٥٨
الأدب الاباحى والأدب العالمى ٣٥٩
الفقر والرذيلة ٣٦٠
أوروبا : مهلا ... ! ٣٦٤
أوروبا تريد أن ترتد ٩٠٠ عام ! ٣٦٨
ادانة الحروب الصليبية ٣٦٨
انتهاك حقوق الانسان عبر تاريخها ٣٧٠
١ ــ انتهاك حقوق الانسان الأوروبى ٣٧٠
٢ ــ انتهاك حقوق اليهود ٣٧٥
٣ ــ انتهاك حقوق المسلمين ٣٧٩
٤ ــ انتهاك حقوق شعوب المستعمرات ٣٨٥
٥ ــ انتهاك حقوق المسيح ٣٨٨
قضية الدجال الهندى ٣٨٩
النشأة والخلفية ٣٨٩
عاصفة كان يمكن تفاديها ٣٩١
مقاطع شيطانية ٣٩٥
الأمكنة والأشخاص ٤٠٠
الألفاظ والتراكيب ٤٠٢
تزييف الحقائق واختلاق الاكاذيب ! ٤٠٥
١ ــ من حقائق التاريخ الاسلامى ٤٠٥
٢ ــ من حقائق الاسلام والتاريخ ٤٠٧
مفتريات على سلمان الفارسى ! ٤٥٥
صفقة مزعومة بين النبى وابى سفيان ! ٤٥٨

الصفحة

النبى فى غرفة نوم هند ! ٤٦٢
ومـاذا عن المـاخور ؟! ٤٦٤
مفتريات حول موت النبى ! ٤٦٥
حملة مسعورة على عيسى ومحمد ٤٦٩
فيلم التجربة الشيطانية ٤٦٩
رد الفعـل والتعليقات ٤٧٢
بين شيطانيات : الهندى .. واليونانى ! ٤٧٥
محاكمة الكاتب سلمان رشدى وفق أحكام الكتاب المقدس ٤٨١
تمهيـــد ٤٨١
من مفاهيم الكتـاب المقدس ٤٨١
عقوبات التجديف على المقدسـات ٤٨٣
جرائم الكاتب سلمان رشدى ٤٨٥
الحـــكم ٤٨٧
حقوق الانســان ٤٨٩

الباب الخامس : من آيات الله

(٥٠١ ـ ٥٢١)

فضائح المبشرين ٥٠٣
امبراطوريات التبشير والفضائح ! ٥٠٣
جيمى وتيمى بيكر ٥٠٣
والآن .. جاء الدور على سواجارت ٥٠٥
مواقف سواجارت من الاسلام ونبيه ٥٠٨
غزو الفضـاء ٥١٣
اهل السموات ٥١٣
عوالم من الأحياء فى السموات ٥١٤
فى السموات طرق ومسارات ٥١٧
الصعود فى مسارات متعرجة ٥١٧
اشارات لغزو الفضاء ٥١٨
وماذا بعد الحق الا الضلال ٥٢٠
خـاتمة ٥٢٢
١ ـ موقف البابوية من الاسلام والمسلمين ٥٢٢
٢ ـ موقف فولتير من الاسلام ونبيه ٥٢٣
قائمة المراجع الرئيسـية ٥٢٦
محتويات الكتاب ٥٣١

* * *

كتب للمؤلف

تطلب من مكتبة وهبة ـ ١٤ شارع الجمهورية ـ عابدين ـ القاهرة

تليفون ٣٩١٧٤٧٠

* أساسيات العلوم الذرية الحديثة
  في التراث الاسلامي ـ ١٩٧٧
* المسـيح
  في مصادر العقائد المسيحية ـ ١٩٧٨
* وقد صدرت ترجمته الانجليزية عام ١٩٨٥ تحت عنوان :
  THE CHRIST as seen in The Sources of The Christian Beliefs.
* الوحى والملائكة
  في اليهودية والمسيحية والاسلام ـ ١٩٧٩
* النبوة والأنبياء
  في اليهودية والمسيحية والاسلام ـ ١٩٧٩
* اعجاز النظام القرآني ـ ١٩٨٠
* طائفة الموحدين
  من المسيحيين عبر القرون ـ ١٩٨٠
* حقيقة التبشير
  بين الماضي والحاضر ـ ١٩٨١
* اختلافات فى تراجم الكتاب المقدس ـ ١٩٨٧
* حوار عبر النصوص
  بين المسيحية والاسلام
  (بالفرنسية)
  DLALOGUE TRNSTEXTUEL entre Le Christianisme et L'Islam
  Centre Abaâd, 6 rue Baudin, 93400 Saint Ouen, PARIS, 1987

رقم الايداع بدار الكتب المصرية ٨٩/٧٢٤٩
الترقيم الدولى ٥ ـ ١٩٩ ـ ٣٠٧ ـ ٩٧٧

دار التوفيق النموذجية للطباعة
ت ٩٢٥٣٠٤
الأزهر ٣ درب الأتراك ـ خلف جامع الأزهر

هذا الكتاب

● يتحدث الكثير في موضوع تعدد الزوجات ، وفق شائعات متوارثة صارت بقوة التكرار كأنها حقائق ومسلّمات . لكن الدراسة المقارنة لتعدد **نساء الأنبياء** وما يرتبط بها من **مكانة المرأة** في اليهودية والمسيحية والإسلام ، لكفيلة بتصحيح المفاهيم الخاطئة ...

● لقد عانت المرأة في الغرب كثيراً من المظالم والاضطهادات ، في ظل تقاليد أسبغت عليها هالات القداسة ، فاعتُبرت : أقذاراً ... ! وجرى التساؤل عما إذا كانت إنساناً . ! أو أن الله يهتم بخلاصها ! ثم كانت الطامة الكبرى فيما عُرِفَ **بمذابح النساء** بزعم معاشرتهن للشيطان .. ! مذابح كانت من القسوة بحيث قضت تماماً على مُعْظَم النساء في بعض القرى الأوروبية ...

● وفي هذا الكتاب حديث عن حضارة **لا إله إلا الله** وهى حضارة قال فيها بعض علماء الغرب : إن أشياءً كثيرة لا يزال على الغرب أن يتعلّمها من الحضارة الإسلامية، منها النظرة المتسامحة وعدم التمييز على أساس الدين والعِرق واللّون ...

● ومن المؤكد أن هناك **حملة مسعورة على عيسى ومحمد** من مظاهرها تحويل قصة اليوناني - كازانتزاكس - : **التجربة الأخيرة للمسيح** إلى فيلم أُخرِجَ في نفس العام الذي صدرت فيه رواية الهندي سلمان رشدي : **مقاطع شيطانية** فكلاهما سبَاب وبذاءات وأكاذيب ... لقد زعم اليوناني أن المسيح زنى بمريم المجدلية وجعل يهوذا الخائن بطلا يسب المسيح ويقول له : أيها الخائن ! وجعل الشيطان يوقع المسيح في حبائله ... وعلى خطاه سار الهندي ...

● **إن محاكمة سلمان رشدي وفق أحكام الكتاب المقدس** سوف تكشف لنا أن الحكم عليه سيكون رادعاً ... ومن المؤكد أن الذين يدافعون عن هذا الدجّال الهندي تحت اسم : حقوق الإنسان ، إنما هم جهلة لم يقرأوا **الإعلان العالمي لحقوق الإنسان** ...

● ومؤلف الكتاب : ليس غريباً على معالجة هذا الموضوع . فقد أثرى المكتبة العربية بالعديد من مؤلفاته القيمة في موضوع « مقارنة الأديان » .

● ويسر **مكتبة وهبة** : أن تقوم بنشر هذا الكتاب إسهاماً منها في معركة الحق ضد الباطل ، وهى معركة مستمرة ما بقي الإنسان .. وبالله التوفيق .

مكتبة وهبة